غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد السادس والأربعون

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

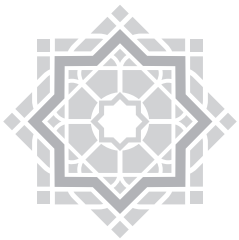

المحور الرابع

الفتاوى

٩٢ فتاوى معاصرة

الجزء السادس

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحور الرابع

الفتـاوى

٩٢

فتاوى معاصرة

الجـزء السـادس

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

في الطبِّ والصحَّة

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

تقديم الطعام لأهل الميت

س: في كثير من البلدان يصنع أهل المتوفَّى طعامًا، يقولون: هذا عشاء الميت. فهل ورد هذا في حديث نبوي أو نصٍّ شرعي؟ وهل ينتفع به الميت؟

(م. ي. م)

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لم يرد أنَّ أهل الميِّت هم الذين يصنعون العشاء للمعزِّين، بل الوارد أنَّ أقارب الميت أو جيرانه هم الذين يصنعون لأهل الميت الطعام، فعن عبد الله بن جعفر: لمَّا جاء نعي جعفر حين قُتل، قال النبي ﷺ: «**اصنعوا لآلِ جعفرٍ طعامًا، فقد أتاهم أمرٌ يشغلهم**». أو: «**أتاهم ما يشغلهم**»[1].

(١) رواه أحمد (١٧٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود (٣١٣٢)، والترمذي (٩٩٨)، وحسَّنه، وابن ماجه (١٦١٠)، ثلاثتهم في الجنائز، عن عبد الله بن جعفر.

QaradawiBooks.com

أمَّا أن يصنع أهل الميِّت عشـــاءً للمعزِّين، فهـــذا في الحقيقة مصيبة فوق مصيبتهم، ولم يردْ شيء من هذا في السُّنَّة، وكذا العشاء الَّذي يصنع من باب المفاخرة والمباهاة، والسرادقات الَّتي تقام وينفق فيها الآلاف، فلا ينبغي ذلك، وهو من السَّـــرَف والمراءاة الاجتماعيَّة، لكن إن صنعوا طعامًا للفقراء والمساكين صدقةً عن الميت، فهذا ممَّا ينفع الميت.

* * *

نسخة مجانية
غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

أجوبة سريعة لأسئلة عاجلة في مسائل طبيَّة

س: هذه الأسئلة تراود أذهان الأطباء المسلمين، وخاصة المشتغلين ببلاد غير إسلاميَّة ونرجو الإجابة عليها باختصار، حتَّى يتيسَّر التفصيل.

أ. قسم النساء والولادة:

س١: ماذا يجب أن يُقال عند ولادة المولود؟

جـ: يُؤذن في أذنه اليمنى أذان الصلاة، كما فعل النبي ﷺ حين وُلد الحسن ابن ابنته[١]، ليكون أوَّل ما يطرق سمعه كلمة التكبير والتوحيد.

س٢: هل يُصلَّى على السقط؟

جـ: لا يُصلَّى على السقط إلَّا إذا نزل حيًّا، ولو لم تستمرَّ حياتُه إلَّا لحظات، ثم مات.

س٣: يدَّعي البعض أنَّ الإجهاض جائز قبل (٣) أشهر، هل هذا صحيح وماذا يفعل من ساعد في إجهاض قبل (٣) أشهر، إذا كان لا يعلم حكم الدين حينها، هل عليه كفارة عن قتل نفس في هذه الحالة؟

(١) رواه أحمد (٢٣٨٦٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٥١٠٥)، والترمذي في أبواب الأضاحي (١٥١٤) وقال: حسن صحيح. عن أبي رافع.

QaradawiBooks.com

جـ: الأصل ـ فيما أرجِّحه ـ أنَّ الإجهاض لا يجوز إلَّا لعذر، وإذا كان قبل الأربعين الأولى فهو أخف، وخصوصًا إذا قوي العذر، أمَّا بعد الأربعين الثالثة فلا يجوز بحال.

س٤: ما حكم عمليَّات ربط الأنابيب للنساء والرجال «لمنع الإنجاب»، سواء للمسلمين أو غير المسلمين؟

جـ: لا يجوز ذلك، لما فيه من تغيير خلق الله، وهو من عمل الشيطان وتزيينه، ويستثنى من ذلك حالة الضرورة القصوى، مثل أن يكون الإنجاب خطرًا على الأم، ولا توجد وسيلة أخرى، وهي ضرورة فرديَّة نادرة، تقدَّر بقدرها، ولا يجوز اتخاذ ذلك قاعدة عامَّة.

ب. في العمليَّات:

س١: هل تجوز الصلاة مع وجود دم على الملابس؟

جـ: يجوز إذا كان قليلًا، أو شقَّ عليه غسله، إذ القاعدة: أنَّ كلَّ ما يشقُّ الاحتراز عنه يعفى عنه.

س٢: هل تجوز الصلاة إذا تعذَّر معرفة القبلة؟

جـ: إذا تحرَّى ولم يستطع معرفة القبلة ولو بالتقريب، صلَّى إلى أي جهة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

س٣: ما حكم جمع الصلوات إذا توقَّع الطبيب طولَ فترةِ العمليَّة، أو خلال «النوبتجيات»؟

جـ: يمكنه أن يجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء،

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

جمع تقديم أو تأخير، تبعًا للأيسر عليه، وهو جمع بلا قصر، وهو مذهب أحمد، الَّذي يجيز الجمع لعذر، لحديث ابن عبَّاس في الصحيح[١].

س٤: ما أحكام المسح على الجوارب؟

جـ: أفتى بجواز ذلك ستَّة عشر صحابيًّا، بشرط أن يلبسه على طهارة، ويمسح المقيم عليه يومًا وليلة، والمسافر ثلاثة أيام بلياليها.

س٥: ما كيفيَّة التطهُّر من الجنابة إذا وجد الماء ولم يوجد مكان للغسل (دُش)، بعد نوبتجية مثلًا؟

جـ: يعتبر الماء في هذه الحالة معدومًا حكمًا، وإن كان موجودًا حقيقة؛ إذ العبرة بالقدرة على استعماله، وهي مفقودة هنا، فيجوز التيمم.

س٦: هل تجوز الصلاة في مكان «الدش» إذا كان هو المكان الوحيد الملائم، خاصَّة في بلاد الغرب؟

جـ: للضرورات حكمها، وفي الحديث: «**وجُعِلَتْ لي الأرضُ مسجدًا**»[٢].

س٧: ملامسة الممرضات أثناء العمل نظرًا لطبيعة العمل.. هل تبطل الوضوء، وبخاصَّة المشركات منهن؟

جـ: الرأي الراجح أنَّ اللمس بدون شهوة لا ينقض الوضوء.

---

(١) ثبتت في ذلك روايات كثيرة منها ما رواه ابن عباس، أنَّ النبي ﷺ صلَّى بالمدينة سبعًا وثمانيًا: الظهر والعصر، والمغرب والعشاء. فقال أيوب: لعله في ليلة مطيرة؟ قال: عسى. متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٤٣)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٠٥).

(٢) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٥)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١)، عن جابر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

س٨: ما دور الطبيب المسلم إذا ما اكتشف أنَّ زميلًا أو رئيسًا يتعاطى المخدِّرات؟

جـ: يتَّخذ أحكم الأساليب وأرفقها في إزالة هذا المنكر، بقدر ما يستطيع، ويعتبر نفسه أمام مريض من نوعٍ خاصٍّ، ويستعين بكل ذي رأي لعلاج المشكلة بالحكمة.

س٩: ماذا يجب علينا تجاه ستر عورات المرضى وأعضاء أجسامهم المكشوفة بدون ضرورة، والحثّ عليها؟

جـ: هذا أمر يجب إشاعته والعمل بموجبه، إلَّا ما اقتضته الضرورة، فتُقدَّر بقدرها.

س١٠: ما حكم استعمال الكحول المطهر للجلد؟

جـ: لا بأس بذلك، فليس هو الخمر المحرَّمة؛ إذ الخمر ما أُعِدَّ للشُّرب، على أنَّ هناك من الفقهاء من اعتبر نجاسة الخمر نجاسة معنويَّة لا حسيَّة، وهو رأي ربيعة ـ شيخ مالك ـ وغيره.

وقد أباحت لجنة الفتوى بالأزهر من قديم استعماله «الكحول»، وللسيد رشيد رضا فتوى مفصَّلة مدلَّلة في إباحته، تراجع في فتاواه[1].

ج. أسئلة عامَّة:

س١: الخلوة مع مريضة بناءً على طلبها كيف الخروج من هذا المأزق؟

جـ: يجلس معها والباب مفتوح، مع غضِّ البصر.

(١) انظر: فتاوى الإمام محمد رشيد رضا (١٢٥١/٤)، (١٧٢٧/٥) وما بعدها، نشر دار الكتاب الجديد، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

س٢: في بعض المؤتمرات الطبيَّة يقوم في بعض الأحيان من يقول: الطبيعة أو (Mother Nature) خلقت كذا وكذا. هل يجب الردُّ على هذا، أم يجوز السكوت عليه؟

جـ: ذلك متروك لتقدير المسلم وحكمته، فقد ينفع التصحيح والتعقيب في بعض الأحيان، وقد لا ينفع، وقد يُتاح، وقد لا يُتاح، وهذه آفةٌ معروفةٌ من آفات العرض الماديِّ لمقرَّرات العلوم الكونيَّة، بعيدًا عن لمسات الإيمان.

س٣: ما حكم معاملة أهل الديانات الأخرى مثل بدء السلام وغيره، سواء في الشرق أو في الغرب، مع أنَّ منهم رؤساء لنا؟

جـ: يقول الله تعالى فيما أخذ على بني إسرائيل: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة ٨٣]، وقال فيما شرع للمسلمين: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣] ومن القول الحسن والأحسن بدؤهم بالتحيَّة المناسبة، ومجاملتهم وحُسن معاملتهم، واعتبار ذلك من وسائل الدعوة لهم.

س٤: ما الَّذي يجب على الطبيب عمله في حالات الاغتصاب إذا عرف الفاعل؟ وهل يجب أن يخبر أهل الفتاة بالقصة كلها أو يستر عليها؟

جـ: يختلف ذلك باختلاف البيئات، واختلاف الحالات، والمؤمن كيِّسٌ فَطِنٌ.

س٥: ما حكم الجلوس على موائد يدار عليها الخمر في المؤتمرات هنا. وقد تكون هي المكان الوحيد المتوافر فيه الطعام طوال يوم كامل من المحاضرات والتركيز؟

QaradawiBooks.com

جـ: يجتهد المسلم أن يهرب منها ما أمكن ذلك، لتحذير الحديث الشريف منه: «**مَن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر، فلا يجلسْ على مائدةٍ يُدار عليها الخمرُ**»[١]. إلَّا ما فرضته الضرورة، قال تعالى: ﴿**وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ**﴾ [الأنعام: ١١٩].

س٦: حالة خاصَّة: قسم تخدير لا يجتمع أفراده اجتماعَهم الأسبوعيَّ إلَّا في «بار» لتدارس الحالات، بحجَّة أنَّه جوٌّ بعيد عن المستشفى، وكلُّهم رؤساء للمسلم، وهو يحتاج مساعدتهم للحصول على وظائف في المستقبل، هل يقاطعهم أم يذهب معهم مضطرًّا؟

جـ: المسلم مفتي نفسه في هذه الأمور، وهو يعرف ما يعتبر ضرورة وما ليس بضرورة، والمؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف.

س٧: المشاركة في حفلات الأقسام المختلفة في المستشفى بأعياد الميلاد ورأس السنة، ما حكم حضور هذه الحفلات، أو إرسال بطاقات معايدة للرؤساء والزملاء، أو حتَّى رد التحيَّة على: «سنة سعيدة أو عيد ميلاد جديد»؟

جـ: يكفي المجاملة بالبطاقة ونحو ذلك، ولا داعي للحضور، إلَّا إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام والمسلمين.

س٨: الصوم قبل الامتحانات أو فيها قد يكون لمدة (١٨) أو (٢٠) ساعة، هل يجوز الفطر؟

---

(١) رواه أحمد (١٤٦٥١)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في الأدب (٢٨٠١)، وقال: حسن غريب. والنَّسائي في الكبرى في الوليمة (٦٧٠٨)، والحاكم في الأدب (٢٨٨/٤)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن جابر.

QaradawiBooks.com

جـ: ينبغي للمسلم أن يتسحَّر وينوي الصيام ويجرِّب، فإن قدر عليه فليحمد الله، وإن شقَّ عليه مشقَّة شديدة فليفطرْ وليقضِ بعد ذلك، وقد ختم الله آية فرض الصيام بقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

س٩: ذكر الزملاء بما يكرهون يتكرَّر كثيرًا في المستشفيات، مثلًا: هو طبيبٌ بطيءٌ أو جاهل، قد يكون من باب مصلحة العمل، فهل يجوز، وما دور الطبيب الشابِّ إذا كان المغتابون من الرؤساء، هل ينصحهم أو يسكت؟

جـ: فرق بين الغِيبة والنقد، فما كان من باب الغِيبة فهو مُحَرَّم، وما كان من باب النقد وجب النصح فيه برفق، وبقدر ما يستطيع.

س١٠: وهل هناك فرق في الحكم بين ذكر عيوب المسلمين وغير المسلمين، أو نصح المسلمين وغير المسلمين؟

جـ: الإسلام يصون حرمة الإنسان من حيث هو إنسان، مسلمًا أو غير مسلم، وإن كانت حرمة المسلم أعظم، وحرمة من له حق أعظم وأعظم؛ مثل الأبوين والأرحام، والجيران والأساتذة.

س١١: ما حكم تأجيل الخِلفة (الإنجاب) حتَّى الانتهاء من المذاكرة والامتحانات؟

جـ: لا مانع من ذلك إذا اتفق عليه الزوجان، ولم يضر الزوجة، وقد كان الصحابة يعزلون لأعذار وأسباب، ولم ينههم الرسول ﷺ، كما جاء في الصحيح[1].

(١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا نعزل على عهد النبي ﷺ، والقرآن ينزل. متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٥٢٠٩)، ومسلم (١٤٤٠)، كلاهما في النكاح.

QaradawiBooks.com

س١٢: ما حكم النوم عن الصلاة المكتوبة بعد سهر متواصل في العمل، وهل على الزوجة إيقاظ زوجها في هذه الحالة أو تركه؟

جـ: قلم التكليف والمؤاخذة مرفوع عن النائم حتَّى يستيقظ، وخصوصًا إذا كان سهره ـ قبل النوم ـ في عمل مشروع، وعليه أن يصلِّي بمجرد استيقاظه. ومقتضى التيسير الَّذي بنيت عليه أحكام الشريعة أنَّه لا يجب على الزوجة إيقاظه إذا وجدته مجهدًا مكدودًا؛ رفقًا بحاله، حتَّى يستطيع مواصلة عمله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

س١٣: ما حكم ترك صلاة الجمعة مرَّة أو أكثر نظرًا لظروف العمل (مثلًا: تدهور حالة مريض، أو عمليَّة طارئة في نفس موعد الصلاة)؟

جـ: المحظور المتوعَّد عليه هو ترك ثلاث جمع بلا عذر، والعذر هنا واضح، وينبغي على المسلم الاجتهاد في التغلُّب على الأعذار ما استطاع، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى.

* * *

غير مراجعة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تطعيم الأطفال باللقاح الواقي من الشلل

سعادة الأستاذ الدكتور حسين عبد الرزاق الجزائري.

المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية ـ مكتب الشـرق الأوسط، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

فقد تلقيت رسالتكم البليغة المعبِّرة بلسانٍ مبينٍ عن مدى حرصكم على خير الأمة الإسـلاميَّة، وسـلامة أبنائها في المشارق والمغارب، وعن مدى اسـتيائكم من موقف بعض مشايخ المسـلمين في بعض البلدان الإسـلاميَّة؛ من تحفُّظهم على اسـتخدام لقاح شلل الأطفال، الَّذي يُعطى لهم عن طريق الفم، ليقيهم من هذا المرض الخطير الَّذي يلازمهم طوال حياتهم. وكان يمكن توقِّيه حسَب سنن الله بتناول هذه الجرعة من اللقاح.

وحجة هؤلاء العلماء ـ كمـا ذكروا ـ احتواء هـذا اللقاح على مواد كيماوية وهرمونية؛ ذات آثار جانبيـة ضارة، قد تؤدي إلى إحداث العقم لدى نساء المسلمين! أو أنَّ اللقاح يحتوي على مواد عفنة منتنة، لا يجوز إدخالها إلى البدن؛ ظنًّا منهم أنَّ الجراثيم أو الفيروسات الَّتي توجد في هذه اللقاحات: تنطبق عليها هذه الصفة.

QaradawiBooks.com

هـذا ما أفتى بـه علماء ولايـة «كانو» في شـمال نيجيريـا لأهلها المسـلمين، وحرَّموا عليهم أن يُطعِمُوا أطفالهم باللقاح الواقي من شلل الأطفال. وقد اسـتجاب أهل الولاية لهذه الفتـوى، وامتنعوا من تطعيم أطفالهم امتثالًا لهـا، وقد نجم عن ذلك انتشـار وباء شـلل الأطفال، فأصاب (٣٥٣) ثلاثمائة وثلاثة وخمسين طفلًا بالشلل والتعويق الدائم، كما تسـبَّب ذلك في انتشار فيروس المرض مع المسـافرين إلى ثماني بلدان مجاورة جلها إسلاميَّة.

والحق أنِّي وقفت موقف الدهشـة والاسـتغراب ـ بل الاستنكار ـ لموقف إخواننا مـن علماء «كانو» من هذا الأمـر، الَّذي هو في وضوح إباحته كالشـمس في رابعة النهار. وإن كنت أقـدِّر دوافعهم الطيبة الَّتي دعتهم إلى هذه الفتوى، وأدعو الله بأن يأجرهم على حسـن نيَّتهم، وأن يغفر لهم ما أخطؤوا فيه.

وقد جاءتني رسـالتكم، وأنا أشارك في دورة مجمع الفقه الإسلامي الدولي الخامسة عشرة في مسقط بسلطنة عمان، وعرضتها على عدد من إخواني من أعضاء المجمـع وخبرائه، وكلهم أبدى اسـتغرابه من هذه الفتوى، الَّتي تعرِّض أطفال المسلمين لمرض خطير، كان يمكنهم الوقاية منه بيسر وسهولة، لو أخذوا اللقاح الواقي كما يأخذه سائر أطفال العالم، ومنهم أطفال المسلمين في كل أقطار الأرض.

والَّذي أؤكِّده ويؤكِّده معي عدد من العلماء الثقات المشـاركين في دورة المجمع الفقهي، هو ما يلي:

١ ـ أنَّ الواجـب علـى كل مسـلم أن يدفع الضرر عن نفسـه بقدر ما يمكنه، ولا يلقي بيده إلى التهلكة، أو يقدم على أمر يقتل به نفسـه؛

QaradawiBooks.com

لأنَّ نفسه وديعة عنده من الله، لا يجوز أن يفرِّط فيها. فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وقد صلَّى عمرو بن العاص رضي الله عنه بأصحابه في إحدى السرايا، في ليلة باردة من ليالي الشتاء، وقد أصابته الجنابة ولم يغتسل، واكتفى بالتيمم، فشكاه أصحابه إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، كانت الليلة باردة، وتذكَّرت قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فتبسَّم النبيُّ ﷺ[(١)]! ومعنى هذا: أنَّه أقرَّه على فهمه وعمله. وهذا من السُّنَّة التقريريَّة.

ومن هنا تقرَّرت قاعدة من القواعد الشرعيَّة، أو الفقهيَّة، وهي الَّتي تقول: الضرر يُدفع بقدر الإمكان.

وأصل هذه القاعدة مستنبط من الحديث النبوي: «**لا ضررَ ولا ضرارَ**»[(٢)] الَّذي رواه أحمد وابن ماجه والطبراني، عن ابن عبَّاس، وهو من أحاديث الأربعين النووية الشهيرة.

---

(١) رواه أحمد (١٧٨١٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في الطهارة (٣٣٤)، وعلَّقه البخاري مختصرًا قبل الحديث (٣٤٥)، عن عمرو بن العاص.

(٢) رواه أحمد (٢٨٦٥)، وقال مخرِّجوه: حسن. وابن ماجه في الأحكام (٢٣٨١)، عن ابن عباس، والدارقطني في البيوع (٧٧/٣)، عن أبي سعيد الخدري، وقال النووي في الأربعين (الحديث الثاني والثلاثون): حديث حسن. رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندًا، ورواه مالك في الموطأ مرسلًا عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فأسقط أبا سعيد، وله طرق يقوي بعضها بعضًا. قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرحه للحديث: وقال أبو عمرو بن الصلاح: هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه، ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه، وقد تقبله جماهير أهل العلم، واحتجوا به، وقول أبي داود: إنه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها يشعر بكونه غير ضعيف، والله أعلم. وقال ابن الملقِّن: =

QaradawiBooks.com

كما تقرَّرت قاعدة أخرى تقول: دفع المفسدة مقدَّم على جلب المصلحة.

٢ ـ أنَّ على الآباء أن يوفِّروا لأطفالهم وأولادهم الصغار: كل أسباب الحماية والوقاية من الأضرار والآفات والأمراض، الَّتي تؤذيهم وتكدر عليهم حياتهم، في حاضرهم أو في مستقبلهم، مثل المرض المزمن، بقدر ما يمكنهم ذلك. وهذا داخل في مسؤوليتهم عن رعايتهم الَّتي كلَّفهم الله إياها، ولا يرتاب عاقل أنَّ مرض «شلل الأطفال» ضرر كبير، وشر مستطير، إذا أصيب به الطفل لازمه طوال حياته، وعاش عمره معوقًا يحتاج إلى رعاية خاصَّة، وعون مستمر، غير ما يسببه له ذلك من أذًى نفسيٍّ واجتماعيٍّ.

فإذا كان في الإمكان تفادي ذلك المرض إلى الأبد، بتناول جرعة من «اللقاح الواقي» فيتقى بها شر ذلك الوباء الخطير: كان على الأب أن يسعى لإعطائها لولده وفلذة كبده؛ ليجنبه الإصابة بهذا الداء؛ فإذا تقاعس عن ذلك بغير عذر قاهر: تحمَّل إثم إضاعة صحَّة ولده، ومسؤولية عذابه طوال مراحل حياته كلها؛ لأنَّه راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، وقد قال ﷺ: «**كفى بالمرءِ إثمًا أن يُضَيِّع مَنْ يقوت**»[1]. وقال: «**إنَّ الله سائلٌ كلَّ راعٍ عمَّن استرعاه: حفظ أم ضيَّع؟**»[2].

= وصحَّحه إمامنا ـ أي الشافعي ـ في حرملة .. انظر: خلاصة البدر المنير لابن الملقن (٤٣٨/٢)، نشر مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

وقال ابن رجب: وقد استدل الإمام أحمد بهذا الحديث فقال: قال النبي صلي الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار». انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢١٠/٢)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(١) رواه أحمد (٦٨٤٢)، وأبو داود في الزكاة (١٦٩٢). ورواه مسلم في الزكاة (٩٩٦) بلفظ: «كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمَّن يملك قوته». عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه النَّسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩١٢٩)، وأبو عوانة في الحدود (٧٠٣٦)، =

QaradawiBooks.com

٣ ـ أنَّ على أولي الأمر في كل بلد: أن يسنُّوا من القوانين، ويضعوا من الأنظمة: ما يحافظون به على صحَّة النَّاس عامة، والأطفال خاصَّة، لا من ناحية العلاج فقط، بل من ناحية الوقاية أيضًا، فقد قيل: درهم وقاية خير من قنطار علاج.

وفي الحديث المتفق عليه عن ابن عمر: «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ في أهل بيته، ومسؤولٌ عن رعيته**»(١).

وقد قال عمر رضي الله عنه: لو هلك جَدْي بشط الفرات لرأيتني مسؤولًا عنه أمام الله يوم القيامة(٢)! فكيف بهلاك أطفال المسلمين دون غيرهم من أطفال العالم جميعًا؟

وطاعة ولي الأمر في هذه الحالة واجبة بنصوص القرآن والسُّنَّة؛ لأنَّها طاعة في المعروف.

٤ ـ أنَّ الأصل في الأشياء الَّتي خلقها الله للإنسان: الطهارة والحل، لقوله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

ولا تخرج الأشياء من أصل الطهارة إلى النجاسة إلَّا بيقين، كما لا تخرج من الحلِّ إلى الحرمة إلَّا بيقين.

= وابن حبان في السير (٤٤٩٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرطهما. وصحَّح إسناده الحافظ في الفتح (١١٣/١٣)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٧١)، عن أنس.

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥٣/١).

QaradawiBooks.com

ولم يوجد يقين في اعتبار المواد الَّتي يتكوَّن منها «اللقاح الواقي من شلل الأطفال» نجسًا أو ضارًّا، أو سببًا للعقم، حتَّى يترتب عليه الحرمة.

والمرجع في إثبات الضرر أو النجاسة في ذلك هو: أهل الخبرة، الذين يرجع إليهم في كلِّ فن. كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وأهل الخبرة في موضوعنا هم: الثقات في منظمة الصحة العالمية، ومكتبهم الإقليمي في القاهرة الَّذي يقوم عليه أناس مسلمون موثوق بعلمهم وخبرتهم، وبدينهم وأمانتهم. وقد قالوا: إنَّ هذا اللقاح لا ضرر فيه ولا نجاسة ولا خبث، ولا يحمل أي سبب للعقم، بل هو طيب نافع مجرَّب، محمود الآثار بكل حال والحمد لله.

٥ ـ أنَّ هذا اللقاح الواقي من شلل الأطفال يتناوله أطفال العالم كله في الشرق والغرب، وفي الشمال والجنوب، من كل الأجناس والألوان واللغات والأديان، ومنهم: أطفال المسلمين في أكثر من خمسين دولة تشملها منظمة «المؤتمر الإسلامي» وكان له أثره في وقايتهم من المرض المحذور. ولم يقل أحد في بلدان المسلمين في آسيا أو إفريقيا: إنَّ في هذا اللقاح ما يخالف الإسلام في عقيدته أو شريعته، ولم يعترض عليه عالم في الأزهر، أو في القرويين أو في الحرمين الشريفين، أو في ديوبند، أو في أي بلد مسلم.

فكيف خفي هذا على علماء المسلمين في أقطار الدنيا، وعرفه إخواننا الأعزاء في «كانو» وحدهم؟! أصلحهم الله وغفر لهم.

QaradawiBooks.com

إنَّ هؤلاء الإخوة الأعزاء علينا، الأحباء إلينا، إذا أصرُّوا على موقفهم يتحمَّلون أمام الله ﷻ، وأمام الأمة الإسلاميَّة كلها، وأمام ضمير العالم كله: إثم تضييع أولاد المسلمين وحدهم، وتعريضهم للإصابة بالمرض بدون ذنب لهم، وتعريض جيرانهم للعدوى، وتعطيل المسيرة الطبيَّة المباركة، الَّتي تعتزم القضاء على هذا المرض واستئصاله نهائيًّا من العالم، كما قضي على مرض الجدري.

كما يتحمَّلون بوجه خاص: الإساءة إلى سمعة الإسلام، وإظهاره بأنَّه دين يجافي العلم، ويقف في وجه التقدم الصحي والطبي، والله يعلم أنَّ الإسلام بريء من هذه التهمة، فهو الدين الَّذي احترم الجسد، وقال: «**إنَّ لبدنِكَ عليك حقًّا**»[١]، وشرع التداوي بكل صوره، وكان للطب في حضارته مكان أي مكان. والعلم فيه دين، كما أنَّ الدين فيه علم.

لهذا نهيب بإخواننا من العلماء والمشايخ في ولاية «كانو» من نيجيريا ومن يقول برأيهم: أن يراجعوا فتواهم الَّتي أصدروها أو أصدرها بعضهم دون دراسة كافية، ومشاورة مع سائر علماء المسلمين. والحق أحقُّ أن يتبع، وليس في العلم كبير، وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم. وقد قال عمر لأبي موسى: لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس أن تراجع فيه نفسك اليوم، فإنَّ الحق قديم، وإنَّ الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل[٢].

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الصوم (١٩٧٥)، ومسلم في الصيام (١١٥٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه الدارقطني في الأقضية (٤٤٧١)، والبيهقي في آداب القاضي (١١٩/١٠). وانظر: رسالة عمر في القضاء وشرحها في إعلام الموقعين لابن القيم (٦٧/١) وما بعدها، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

فإن أصرَّ هؤلاء المشايخ على رأيهم، ولم يستجيبوا لنصيحة إخوانهم من علماء الأمة الإسلاميَّة ـ وما أظنُّهم يفعلون ذلك ـ فإنِّي أدعو إخواننا المسلمين في ولاية «كانو» أن يأخذوا بفتوى جمهور علماء المسلمين في العالم الإسلامي، وهي قطعًا مرجَّحة على فتوى عدد محدود من علماء بلدتهم. وعليهم أن يبادروا بتطعيم أطفالهم ضدَّ الشلل، ويقوهم من هذا الوباء، ويضعوا المسؤولية في عنق هؤلاء الأكثريَّة من علماء المسلمين.

والله يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل.

هذا وقد وافقني على هذه الفتوى عدد من الإخوة الزملاء المشاركين في دورة المجمع الفقهي من الأعضاء والخبـــراء: الذين يعتبر كل منهم علامة في تخصصه، ومرجعًا في بلده. أذكر منهم:

الشـــيخ محمد تقي العثماني من باكســـتان، ود. وهبة الزحيلي من ســـوريا، ود. عبد الستار أبو غدة من سوريا، والشـــيخ خليل الميس من لبنان، والشيخ محمد علي التســـخيري من إيران، ود. رأفت عثمان من مصر، ود. علي القرداغي من قطر، والشيخ أحمد الخليلي مفتي سلطنة عمان، والشـــيخ عبد الله بن بيَّه من علماء موريتانيا، ود. عجيل النشمي من الكويـــت، ود. محمد عبد الرحيم ســـلطان العلماء مـــن الإمارات، ود. عبد اللطيف المحمود من البحرين، وغيرهم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فحص الطبيبة للرجال

س: أنا طبيبة، أقوم في عملي بفحص الرجال أحيانًا، فهل يجوز هذا رغم وجود رجال أطباء باستطاعتهم القيام بهذا؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الأَوْلى أن يفحص الرجالَ رجلٌ، وأن تفحص النساء امرأةٌ، ولكن أحيانًا يُضطر الطبيب أن يفعل هذا بأمر الإدارة، ونرجو إذا كانت إدارة مسلمة أن تخصِّص الأطباء الرجال للرجال، والطبيبات للنساء، خصوصًا إذا كان هناك وفرة من الجنسين، وخصوصًا في الأمراض الَّتي تستدعي كشف العورات. ربَّما لو كان الكشف على العين، أو على الأسنان، أو على الأذن، أو على الصدر بالسماعة، يهون الأمر، لكن أحيانًا يقتضي الفحص أن تكشف الطبيبة عورة الرجل، فهذا غير لائق.

* * *

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فحص الطبيب للمرأة

س: إذا نامت المرأة على سرير المستشفى قبل الولادة بقرار من الطبيب، كي تكون تحت العناية لسلامة الأم والطفل، ولإجراء بعض الفحوصات، وقد يفحصها الطبيب أحيانًا عدة مرَّات في اليوم حتَّى يتأكد من أنَّ الرحم انفتح انفتاحًا يسمح لها بالولادة، ليقرِّر إنزالها إلى غرفة التوليد.

وسؤالي: هل هذا العمل الَّذي يقوم به الطبيب جائز شرعًا أم لا؟ وإذا كان جائزًا ألا يستحسن أن يقوم بهذا العمل طبيبة؟ وإذا كان غير جائز، أو لا تتوفر الطبيبات، فلماذا لا يقوم المسؤولون بوزارة الصحة بتدريب الممرضات لتكون لديهن القدرة والكفاءة على القيام بهذا العمل؟

كلَّما فكرتُ في هذا الأمر أحسُّ في نفسي بالغيرة على امرأتي، أنا في حيرة، عندما أتذكر هذا الأمر أكره رؤية زوجتي، ونحن المسلمين من حقِّنا أن نغار على زوجاتنا، نرجو أن تبيِّن لنا هذا الأمر.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة مجانية

(وبعد)

لا شـــكَّ أنَّ الأصل أن يقوم بتوليد المرأة طبيبة، وأن تكشـــف على المرأة في أمراض النساء امرأة مثلها، ولكن من المؤكد أنَّه لا يوجد عدد كافٍ من الطبيبات للقيام بهذا الأمـــر في أيِّ بلد من بلاد الدنيا، ولذلك يحتاج النَّاس في بلاد العالم إلى الرجال، فكيف في بلادنا وما زال هناك من العلماء والمشايخ من يحرِّم على المرأة تعلُّم الطب؟!

أنا التقيتُ بالشـــيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله تعالى، وهـــو يقول: لا يجوز للمرأة أن تتعلَّم فـــي الجامعة. فقلتُ لـــه: حتَّى الطب لتعالج النســـاء، والتربية لتعلـــم البنات؟ قال: ولا هذا. قلتُ له: كيـــف هذا؟ قال: يجوز للمرأة أن يعالجها رجل. وهذا عالم، وعالم متشدِّد في هذا الأمر، ويجيز للمرأة أن يعالجها رجل.

فمعالجة الطبيب المســـلم الثقة للمرأة جائزة للضـــرورة، والضرورة ينبغي أن لا تصبح أصلًا وقاعدة، تظل الضرورة استثناءً حتَّى يوجد عدد من الطبيبات الماهرات يكفي، وأن نعمل على إيجادهن.

وقول الأخ الســـائل بأنَّ الممرضـــات تغني في هـــذا: ليس صحيحًا، فالممرضة يمكن إذا دُرِّبت وأصبحت في مســـتوى معين: أن تولِّد الولادة الطبيعية، لكن الولادة غير الطبيعية: لا بدَّ أن يشرف عليها طبيب أو طبيبة.

ولا أرى وجهًـــا لهذه الغيرة الشـــديدة عند الأخ؛ لأنَّـــه كما جاء في الحديث: «**من الغَيْرة ما يحبُّ الله، ومنهـــا ما يبغض الله: فأمَّا الَّتي يحبُّها الله عزوجل فالغَيْرة في الرِّيبة، وأمَّا الَّتي يبغضها فالغَيرة في غير رِيبة**»[1].

(١) رواه أحمد (٢٣٧٤٧)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٥٩)، والنَّسائي في الزكاة (٢٥٥٨)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٢١)، عن جابر بن عتيك.

QaradawiBooks.com

فالغيرة في موضعها مطلوبة، فمثــلًا: لا يجوز أن يرى امرأته تكلِّم هذا، وتضحك مع هذا، وهو يســدُّ أذنًا من طين وأذنًا من عجين. فمن يفعل هذا فهو ديوث لا يغار على أهله، أمَّا الغيرة في غير موضعها؛ كأن يغار على امرأته وهي فــي حالة ولادة، وفي حالة غيــر عادية، ويقوم بفحصها طبيب محترم، فهذه غيرة لا معنى لها، فالأخ يجب أن يطمئن قلبه أنَّ هذا أمر جائز شرعًا للضرورة، والضرورات تبيح المحظورات، وهذا باتفاق المســلمين، والضرورات قائمة، وستظل قائمة إلى ما شاء الله، إلى أن يكون عندنا عدد كافٍ من النساء الطبيبات، والله أعلم متى يتم ذلك.

فأرجو أن يكون الأخ الســائل معتدلًا في غيرتــه، وألَّا يطيع النفس الأمَّارة بالسوء، ولا ينصت لوساوس الشيطان.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

دواء الاكتئاب والكرب

س: أنا فتاة مسلمة جامعيَّة في الثلاثين من عمري، أشكو من مرضٍ نفسيٍّ يسمُّونه في عصرنا «الاكتئاب» وأنا فعلًا أحسُّ بهذا الاكتئاب وأعيشه، فهو شيء يخفق أنفاسي، ويضيِّق عليَّ عيشي، وأشعر كأنَّ الأرض على سعتها ضاقت بي، كما ضقت بمن حولي، وأكثر من ذلك ضقت بنفسي، أحمل فوق رأسي همًّا كالجبل، وأحسُّ بحزن شديد يغمرني، كما أحسُّ باليأس يسد عليَّ طريقي، ويملأ مستقبلي بالظلام، فلا أرى بصيصًا من نور، ولا شعاعًا من أمل. حياتي ليل طويل ليس له صبح، وطريق طويل مليء بالشوك ليس له نهاية.

عرضتُ نفسي على طبيب نفسي، كما أشار عليَّ من حولي، فأعطاني بعض الحبوب المهدئة، وبعض النصائح المشجِّعة، ولكنِّي لم أهدأ بالحبوب، ولم أتشجَّع بالنصائح، وبقيت كما أنا أدور في حلقة مفرغة.

هذا مع أنِّي متديِّنة أصلِّي وأصوم وأتلو القرآن الكريم، ولكن حتَّى العبادة الَّتي أؤدِّيها لا تخرجني ممَّا أنا فيه.

فهل أجد عندك من «حلٍّ ديني» لهذا الكرب الَّذي أعانيه؟! هل هناك أذكارٌ أو أدعية، يمكن أن أقرأها، تزيل ما بي من هموم وأحزان وآلام، أو

QaradawiBooks.com

على الأقل تبرد نارها، وتخفِّف آثارها، أو أنَّ دائي عُضال لا دواء له، ولا شفاء منه؟!

إنَّ حولي أبًا وأمًّا وإخوة وأخوات، ولكنَّهم مشغولون بهمومهم الخاصَّة، وكأنَّما أعيش وحدي، رغم ما حولي من صخب، ومن غادين ورائحين.

أرجو أن تدلَّني على هذه الأذكار أو الدعوات؛ لعلَّ فيها البلسم لجراحي، أو الشفاء لدائي.

مدَّ الله في عمركم، وأجرى الخير والشفاء على أيديكم آمين.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

ما أنزل الله داءً إلَّا أنزل له شفاء:

لا يوجد في الدُّنيا داءٌ عُضال لا دواء له، ولا شفاء منه، فقد أخبرنا رسول الإسلام ﷺ، أنَّ الله تعالى ما أنزل داءً، إلَّا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله[١]، «**فإذا أُصيب دواء الداء برأ بإذن الله** ﷻ»[٢].

وهذا ينطبق على الأدواء العضويَّة، والأدواء النفسيَّة سواء، بل هو يشمل الأدواء الفرديَّة، والأدواء الاجتماعيَّة، فكلُّها قابلة للشفاء بإذن الله، إذا أصبنا دواءها.

---

(١) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والحاكم في الطب (٣٩٩/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥١)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٤)، وأحمد (١٤٥٩٧)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

وداؤك أيَّتُها الأخت لا يخرج عن هذه القاعدة الكليَّة، ودواؤه موجود في صيدلية الإسلام ذاته.

ولكنَّ أيَّ مريض لا يشفى من دائه إلَّا بشروط:

١ ـ أن يجد الدواء المناسب لدائه.

٢ ـ أن يستخدم هذا الدواء بالفعل، كما وصفه الطبيب كمًّا وكيفًا ووقتًا، دون إخلال نسبيٍّ منه.

٣ ـ أن يكون المحلُّ قابلًا لهذا الدواء، غير رافض له.

٤ ـ أن يصبر على العلاج، ويستمر في تناول الدواء، ولا يستعجل النتيجة.

٥ ـ أن يكون موقنًا بخبرة الطبيب، ونجاعة دوائه، آملًا في الشفاء.

وأودُّ أن أبيِّن لابنتنا السائلة أنَّ الَّذي تشكو منه ليس شيئًا نادر الوقوع، بل هو ـ للأسف ـ مرض من أمراض هذا العصر، الَّذي نعم النَّاس فيه بالرفاهية، واستطاع الإنسان فيه أن يصعد القمر، ولكنَّه لم يستطع أن يسعد نفسه على وجه الأرض.

إنَّ عصرنا هذا يسمُّونه «عصر القلق» أو «عصر الاكتئاب» أو «عصر اليأس» أو ما شئت من هذه الأمراض، الَّتي تدخل كلها في إطار الأمراض النفسيَّة الَّتي انتشرت انتشارًا حافلًا، وأكثر النَّاس حظًّا منها بلاد التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل، فجلُّ النَّاس مصابون بمرض أو بآخر من هذه السلسلة.

ونحن ـ المسلمين ـ أقل النَّاس نصيبًا من هذه الأمراض، وإن لم يخلُ من بيننا من يشكو، مثل ما تشكين.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

دواء الاكتئاب من صيدلية الإسلام:

أمَّا دواؤك، فهو موجود ـ بتوفيق الله ـ في الصيدلية القرآنية النبويَّة، وتتلَّخص هـذه الوصفة الدوائية أو «الروشـتة» الدينيَّـة، في الخطوات التالية:

اللجوء إلى الله:

أولًا: الاعتصام بالله تعالى واللجوء إليـه، والتحصن بحصنه الحصين، والأمل في فضله، والرجاء في رحمته، هذا هو الأصل؛ أن يضع الإنسـان نفسه في يد مولاه ﷻ، وأن يؤمن بأنَّه لن يضيعه، ولن يتخلَّى عنه، وأنَّه أبرُّ به من نفسـه، وأرحم به من أمه وأبيه، ولا ييئس من رَوْحه أبدًا، ولا يقنط من رحمته أبدًا، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

إنَّ الله تعالى لا يستعصي عليه مرض، ولا مشكلة ماديَّة ولا معنويَّة، فكم من مريضٍ شـفاه، وكم من فقير أغناه، وكم من سائلٍ أعطاه، وكم من مشرفٍ على الهلاك نجَّاه، وكم من ضالٍّ هداه، وكم من مشرَّدٍ آواه، وكم من ضعيفٍ قوَّاه، وكـم من مبتلًى عافاه، وكم وكم! فهو سـبحانه لا يُعجِزه شيء في الأرض ولا في السماء.

ألم تر كيف كشف غمة يعقوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وجمع بينه وبين أولاده، حين قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣] ألم تر كيف كشف الضرَّ عن أيوب، بعد مرض طويل، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

QaradawiBooks.com

ألم تر كيف استجاب ليونس (ذي النون) بعد أنْ التقمه الحوت، ونادى في الظلمات: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

ألم تر كيف استجاب لزكريا: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

ألم تر كيف استجاب لإبراهيم دون أن يدعوه، بل قال حين ألقي في النار: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ هكذا كان ذكر إبراهيم، فقال الله للنار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

ألم تر كيف نصر الله سيدنا محمدًا ﷺ يوم أخرجه الذين كفروا من بلده: أحبِّ بلاد الله إلى الله، وأحبِّ بلاد الله إليه: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

هذه الثقة الوطيدة بالله هي بداية الحل، وهي المشعل الَّذي يضيء الطريق، أن يضع المرء أعماله وأفعاله على باب الله، ويتمرغ على عتبته، ولا يبرح هذا الباب أبدًا، فهو سبحانه لا يردُّ من طرق بابه، وخصوصًا إذا دعاه دعاء المضطر، الَّذي لا ملجأ له من الله إلَّا إليه، ولا جناب يلوذ به إلَّا جنابه، فهو يدعو بحرقة وحرارة واضطرار وافتقار.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وليعلم أنَّ أشدَّ ساعات الليل ظلمةً وسوادًا، هي السويعات الَّتي تسبق انبلاج الفجر، وأنَّ سُنَّة الله أن يجعل بعد العسر يسرًا، وبعد الضيق فرجًا، وقد قال الشاعر:

ولرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتى ذَرْعًا، وعندَ اللهِ منها المخرجُ
ضاقتْ فلمَّا استحكمتْ حلقاتُها فُرِجَتْ، وكنتُ أظنُّها لا تفرجُ[1]

الصلاة عُدَّة للمسلم في معركة الحياة:

ثانيًا: ومن أهم ما يلجأ إليه المسلم في شدته وكربه واكتئابه: الصلاة الَّتي يقف فيها المسلم بين يدي ربه خائفًا متضرعًا؛ فهي عدة للإنسان المؤمن في معركة الحياة، تمده بروح القوة، وقوة الروح، وتمنحه طاقة نفسيَّة، وزادًا روحيًّا يعينه على مواجهة الشدائد، قال تعالى في توجيه المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وكان النبيُّ ﷺ إذا حَزَبَه أمرٌ (أي اشتدَّ عليه) فَزِعَ إلى الصلاة[2].

ولا سيَّما إذا اجتهد المسلم أن يسبغ وضوءها، ويتمَّ ركوعها وسجودها وخشوعها، ويستحضر فيها جلال الله تعالى ومعيته له، وخصوصًا مع قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥، ٦] فهو يستعين بربِّ العالمين، ويجيب دعاء المضطرِّين، وكاشف حزن المحزونين، وينبغي له أن ينتهز فرصة السجود

---

(١) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي، انظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي (١٥/٥)، تحقيق عبود الشالجي، نشر دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

(٢) رواه أحمد (٢٣٢٩٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في قيام الليل (١٣١٩)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٠٣)، عن حذيفة بن اليمان.

QaradawiBooks.com

ليدعوه تعالى بما يحب، ففي الحديث: «**أقربُ ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجد، فاجتهدوا في الدعاء**»[١].

الاجتهاد في مساعدة الضعفاء:

ثالثًا: وممَّا يساعد المسلم على الخروج من حالة الكرب والاكتئاب، الاجتهاد في مساعدة الناس، وخصوصًا الضعفاء منهم، مثل الفقراء واليتامى والأرامل والمعوقين وأصحاب الحاجات، والعمل بجد لإغاثة الملهوفين، وتفريج كربة المكروبين، ومسح دمعة المحزونين، وإدخال البسمة على شفاههم، والبهجة على قلوبهم، فهذا يفيد الإنسان المكروب والمكتئب عدة فوائد، منها:

١ ـ أنَّه يتعبَّد بهذا العمل لله، وهو من أحبِّ ما تُقُرِّب به إلى الله، وأحبُّ عباد الله تعالى إليه أنفعهم لعياله، وفي الحديث: «**أحبُّ النَّاسِ إلى الله أنفعُهم للنَّاس، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى سرورٌ تدخله على مسلم، تكشفُ عنه كُرْبة، أو تقضي عنه دَيْنًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأنْ أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهرًا**»[٢].

٢ ـ أنَّه يخرج المرء المكتئب من سجن الوَحْدة والوَحْشة، الَّذي فرضه الإنسان على نفسه، ويشعر بكيانه، وبأنَّه قادر على أن ينجز ويؤثر، ويشغله بهموم غيره، بعد أن كان كلُّ همِّه نفسه، لا ينظر إلَّا إليها، ولا يدور إلَّا حولها، كما يدور الوثني حول صنمه.

---

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٢)، وأحمد (٩٤٦١)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٤٥٣/١٢)، والأوسط (٦٠٢٦)، والصغير (٨٦١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٧٠٨): رواه الطبراني في الثلاثة، وفيه سُكَيْن بن سراج، وهو ضعيف. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

٣ ـ أنَّ نجدته للنَّاس، ومعونته للمستضعفين وأهل الحاجة، يكتسب حُبَّهم لـه، ودعاءهم له بإخـلاص، من أعماق قلوبهـم، لا من أطراف ألسنتهم، وهذا الدعاء له أثره وقبوله عند الله تعالى. ولذا قال ﷺ: «**وهل تُنصَرون وتُرزقون إلَّا بضعفائكم؟!**»[١].

أذكار وأدعية نبويَّة لعلاج الكرب والهمِّ والاكتئاب:

رابعًا: هناك مجموعة مـن الأذكار والأدعية النبويَّـة لعلاج الكرب والهمِّ والحزن، أو ما يسمَّى في عصرنا بـ «الاكتئاب» أو «القلق المَرَضِي» وقد ذكرها الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه القيِّـم: «زاد المعاد في هدي خير العباد» حيـن تحدَّث عن هديـه ﷺ في علاج الأمراض الحسـيَّة المختلفة، وأطـال النفس فيها، ثم تحدَّث في فصـلٍ خاصٍّ عن علاجه للمكروب والمهموم والمحزون، وإن شئت قلت: للكرب والهم والحزن. وهو علاج يقوم على الأذكار والدعوات الَّتي تصل الإنسان بربِّه عَزَّوَجَلَّ.

ومن هذه الأدعية:

«**لا إله إلَّا الله العليم الحليم، لا إله إلَّا الله رب العرش العظيم، لا إله إلَّا الله ربُّ السماوات السبع ورب الأرض رب العرش الكريم**»[٢].

وفي «جامع الترمذي» عن أنس، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا حزبه أمر، قال: «**يا حيُّ يا قيُّوم، برحمتكَ أستغيث**»[٣].

---

(١) رواه البخاري في السير والجهاد (٢٨٩٦)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٤٥)، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة (٢٧٣٠)، عن ابن عبَّاس.

(٣) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٢٤)، وقال: غريب. وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٣٧)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٧٧٧).

QaradawiBooks.com

وفي «سنن أبي داود» عن أبي بَكْرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**دعواتُ المكروبِ: اللهمَّ رحمتَك أرجو، فلا تَكِلْني إلى نفْسي طَرْفةَ عَيْن، وأصلحْ لي شأني كلَّه، لا إله إلَّا أنت**»(١).

وفيها أيضًا: عن أسماء بنت عُمَيْس قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أُعلِّمُكِ كلماتٍ تقوليهن عند الكرب** ـ أو في الكرب ـ: **اللهُ ربِّي لا أشرك به شيئًا**»(٢). وفي رواية: أنَّها تُقال سبع مرات.

وفي «مسند الإمام أحمد»: عن ابن مسعود، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**ما أصاب عبدًا همٌّ ولا حزنٌ فقال: اللهمَّ إنِّي عبدُكَ، ابنُ عبدِك، ابنُ أَمَتِكَ، ناصيتي بِيَدِكَ، ماضٍ فيَّ حُكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك، سمَّيتَ به نَفْسَك، أو أنزلته في كتابِك، أو علَّمته أحدًا من خَلْقِكَ، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاءَ حزني، وذهاب همِّي، إلَّا أذهبَ اللهُ حزنَه وهمَّه، وأبدله مكانَه فرحًا**»(٣).

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٩٠)، وأحمد (٢٠٤٣٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن في المتابعات والشواهد. والبخاري في الأدب المفرد (٧٠١)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٨).

(٢) رواه أحمد (٢٧٠٨٢)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود في الصلاة (١٥٢٥)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٨٢)، والنَّسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٤٠٨)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٨).

(٣) رواه أحمد (٣٧١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن أبي شيبة في الدعاء (٢٩٩٣٠)، والبزار (١٩٩٤)، وابن حبان في الرقائق (٩٧٢)، والحاكم في الدعاء (٥٠٩/١)، وصحَّحه على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمٰن بن عبد الله، عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه. وتعقبه الذهبي فقال: وأبو سلمة لا يُدرَى من هو، ولا رواية له في الكتب الستة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١٢٩) بعد أن نسبه لأحمد وأبي يعلى والبزار: ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان. وانتهى الشيخ شاكر من بحثه إلى توثيق أبي سلمة، وسلامة الحديث من إرسال عبد الرحمٰن عن أبيه. كما =

QaradawiBooks.com

وفي الترمذي، عن سعد بن أبي وقَّاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «**دعوةُ ذي النون، إذ دعا ربَّه وهو في بطن الحوت: لا إلٰه إلَّا أنت سبحانك إنِّي كنتُ من الظالمين. لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قطُّ؛ إلَّا استُجيب له**»[(١)].

وفي رواية «**إنِّي لَأعلمُ كلمةً لا يقولها مكروبٌ إلَّا فرَّج اللهُ عنه، كلمة أخي يُونس**»[(٢)].

وفي «سنن أبي داود»: عن أبي سعيد الخُدْري قال: دخل رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ المسجدَ، فإذا هو برجلٍ من الأنصار يقال له: أبو أُمامة، فقال: «**يا أبا أُمامة، ما لي أراكَ في المسجد في غيرِ وقتِ الصلاة؟**». فقال: همومٌ لزمتني وديونٌ يا رسولَ الله. فقال: «**أَلَا أُعَلِّمكَ كلامًا إذا أنت قلتَه أذهبَ اللهُ ﷻ همَّك وقضى دَيْنك؟**». قال: قلت: بلى، يا رسولَ الله. قال: «**قلْ إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ: اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من الهمِّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجُبْن والبُخْل، وأعوذ بك من غَلَبَةِ الدَّيْن وقَهْرِ الرجال**». قال: ففعلتُ ذلك، فأذهبَ اللهُ ﷻ همِّي، وقضى عنِّي دَيْني[(٣)].

= صحح الحديث الألباني وأشبع فيه القول (١٩٨)، وذهب مذهبهما الشيخ شعيب في تعليقه على صحيح ابن حبان، ورجع عن ذلك في تعليقه على المسند، وقال: أبو سلمة الجهني لم يتبين لأئمة الجرح والتعديل من هو، فهو في عداد المجهولين.

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٥) وسكت الترمذي عنه إلَّا أنَّه قال ورواه جماعة عن إبراهيم بن محمد ابن سعد عن سعد فلم يقل فيه عن أبيه، والنَّسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٤١٧)، والحاكم في التفسير (٣٨٢/٢ ـ ٣٨٣)، وصحَّح إسناده ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد (١٤٦٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن.

(٣) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٥٥)، عن أبي سعيد الخدري. وفي سنده راوٍ ليِّن الحديث، ولكن المفردات المستعاذ منها ثبتت في الصحاح.

QaradawiBooks.com

شروط مطلوبة لكي ينفع الدعاء:

ولكي تنفع هـذه الأدوية أو الأدعية النبويَّة، وتؤتـي أُكُلها، وتحقِّق آثارها، فلا بدَّ أن يصاحبها ما يأتي:

١ ـ أن يخلـص الدعاء لله تبارك وتعالى، فلا يشـرك مع الله أحدًا ولا شيئًا، لا نبيًّا ولا وليًّا، وقد قصَّ علينا القرآن قصَّة المشركين الذين يدعون الله تعالى عندما تنزل بهم الشـدائد، وتحيط بهم الكروب، فييئسون من كل مخلوق، فيرجعون إلى فطرهم، ويذوب كل طلاء زائف غشَّ الفطرة من قبل، ويدعون الله وحده مخلصين له الدين.. لم يدعوا وثنًا ولا صنمًا ولا كاهنًا، فاسـتجاب الله لهم لصدقهم في هذه اللحظة. اقرأ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣].

٢ ـ أن يدعو الداعي، وهـو موقن بالإجابة، فلا يجوز له أن يتردَّد أو يشكَّ في أنَّ الله مجيب دعوته، فإنَّ هذا الشـكَّ أو التردُّد أو جعل الأمر في صيغة الاحتمال، أو التجربة، يضيع أثر الدعاء، وقد قال ﷺ: «**ادْعُوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**»[(١)].

يجب أن يفطن المسلم والمسـلمة إلى هذا الأمر ـ الدعاء وإجابته ـ باعتباره قانونًا إلٰهيًّا، قد عبَّر عنـه القرآن بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافـر: ٦٠]، وقـال تعالـى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٤٧٩)، واستغربه. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥).

QaradawiBooks.com

٣ ـ أن يستمرَّ في الدعاء والابتهال إلى الله تعالى، تلذُّذًا بدعائه، متعبِّدًا بالتضرُّع إليه، ولا يكون همُّه إدراك الثمرة في الحال، بل هو يدعو ويدعو ويدعو، ويدَعُ الإجابةَ إلى مُدَبِّر الأمرِ كلِّه، ونحن نرى أنَّ كثيرًا من الأدوية لا تحقق أثرها إلَّا بعد مدَّةٍ قد تقصُر أو تطول، ولا بدَّ للمريض أن يصبر عليها، ويستمرَّ في تناولها، ما دامت من وصف طبيب موثوق به.

والنبيُّ ﷺ يحذِّرنا من الاستعجال في الدعاء، فيقول: «**لا يزال يُستجابُ للعبدِ ما لم يستعجلْ**». قيل: يا رسولَ الله، ما الاستعجال؟ قال: يقول: «**قد دعوتُ وقد دعوتُ، فلم أرَ يَستجيبُ لي. فيستحسر عند ذلك ويَدَعُ الدعاء**»[1].

* * *

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٤٠)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تأجير الرحم

س: ما رأي الشـــرع في اســـتئجار امرأة متزوِّجة رَحِمَ امرأةٍ أجنبيَّة، بحيث يؤخذ الحيوان المنوي من زوج المرأة، وبويضة الزوجة، ثم يزرع في رحم المرأة الأجنبيَّة؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لقد بحث هذا الموضوع في إحدى الندوات الَّتي تعقدها «المنظمة الإسلاميَّة للعلوم الطبيَّة» في الكويت، والتي تجمع عادة بين نخبة من علماء الفقه وأخرى من علماء الطب، وبعد البحث والدراسة صدرت الفتـــوى بأنَّه يشـــرع للزوجين أحدهمـــا أو كليهما، أن يســـتفيدا من إمكانات العلم المتاحة اليوم للمساعدة في تحقيق الإنجاب، بشرط أن يكون «الحيوان المنـــويُّ» من الزوج، و«البويضة» مـــن الزوجة، ولا يدخل أيُّ طرفٍ ثالثٍ بينهما. وهو ما عرف عند النَّاس باسم «أطفال الأنابيب».

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فلو كانت النطفة (أي الحيوان المنوي) من رجل غير الزوج، معروف أو مجهول، كان ذلك حرامًا بلا شـكٍّ، وكذلك لو كانت «البويضة» من امرأةٍ أخرى غير الزوجة، مُنِعَ ذلك بلا ريب.

ومثلها لو كانـت «البويضة» من الزوجة، ولكـنَّ «الرحم» من امرأةٍ أخرى، فهذه الصورة أيضًا غير جائزة.

إذ السؤال المحيِّر هنا: من تكون هي الأم؟ أهي صاحبة البويضة الَّتي تحمل الخصـائـص الوراثيَّة «الجينات» أم هي الَّتـي عانت من الحمل والطلق والولادة، وهنًا على وهن، حملته كرهًا، ووضعته كرهًا؟

وحتى ولو كانت المرأة الأخرى ضرَّتها، أي زوجة رجلها نفسه، فهو أيضًا لا يجوز؛ لضياع حقيقة الأمومة بين الزوجتين، فأيُّهما الأمُّ حقيقة؟ من الَّذي سينسب الطفل إليها: صاحبة البويضة، أم صاحبة الرحم؟

والفقهاء أنفسـهم اختلفوا في ذلك إذا وقع بالفعل، فمنهم من قال: هي صاحبة البويضة، وأنا أقرب إليهم، ومنهم من قال: هي الَّتي حملت وولـدت. وظاهر القرآن مع هـؤلاء، لقوله تعالـى: ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢].

على كلِّ حال، فجميع الفقهاء يمنعون ذلك، ولا يجيزونه، وإذا كانت بـعض النساء قد ابتُلِيَتْ بأنَّها لا تنتج البويضات، فشأنها شأن المرأة الَّتي لا رحم لها، أو الرجل الَّـذي لا ينتج حيوانات منوية، أو ينتجها ميتة أو شـبه ميتة، فهؤلاء هم الذين ابتلوا بالعقم الَّذي ذكره الله تعالى في كتابه حين قال: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

QaradawiBooks.com

فهناك من شاء الله تعالى أن يجعله عقيمًا، ولا رادَّ لمشيئته ﷻ، ولا دواء لهـذا إلَّا الصبر على بـلاء الله، والرضا بقضائه، وممارسـة الأبوة والأمومة في كفالة اليتامى، ورعاية اللقطاء، وفي هذا أجرٌ جزيل، وثوابٌ عظيم، كما في الحديث الصحيح: «**أنا وكافلُ اليتيم في الجنَّة كهاتين**»[1] وأشار بأصبعيه: السبابة والوسطى.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

* * *

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠٠٥)، وأحمد (٢٢٨٢٠)، عن سهل بن سعد.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الحمل عن طريق الأنابيب

س: أنا مغربيٌّ مسلم أقيم في بلجيكا، تزوَّجت من امرأة مغربيَّة مسلمة منذ ستِّ سنوات، وليس لنا حتَّى الآن أولاد، وقد أثبتت الفحوصات الطبيَّة أنَّ زوجتي جهازها التناسلي به انسداد ولا تستطيع الإنجاب، ولقد طلب منَّا الطبيب الفاحص أن نقوم بعمليَّة الحمل عن طريق الأنابيب؛ يأخذ مِنِّي المَنِيَّ ومنها البويضة، ويتم تلقيحها في أنبوب، ثم تعود إلى الرحم بعد ذلك.

السؤال: ما حكم الشريعة الإسلاميَّة في هذا الموضوع، وقد قمنا بكلِّ المحاولات للمعالجات الأخرى ولم تفلح؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أقول للأخ: التلقيح الصناعيُّ بنطفة الزوج لبويضة الزوجة جائز، أجازته المجامع الفقهيَّة، بشرط ألَّا يوجد طرف ثالث في المسألة، أي: أن يكون الحيوان المنوي من الزوج، والبويضة من الزوجة، وأن لا يكون

QaradawiBooks.com

الحمل فـــي رحم امرأةٍ أخـــرى، فلا حرج فـــي ذلـــك إذا تحقَّقت هذه الشروط، وكانت الجهة الَّتي ستجري هذا التلقيح أمينة، حتَّى لا يحدث أيُّ تلاعـــب أو أخطاء في العينات، فتختلط الأنســـاب، فلا بدَّ من الدقَّة الشديدة، والحذر البالغ، حتَّى تتمَّ العمليَّة بسلام.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

اكتشاف خريطة الجينات البشرية وموقف الإسلام

س: لا شــكَّ أنَّكم تابعتم الخبر العلميَّ الَّذي شغل العالم في الأيام الماضية. وأذاعته كافَّة المحطات الإذاعيَّة والتلفزيونيَّة؛ وقد تصدَّر الخبر صدر الصفحات في صحف العالم.

ونظرًا لأهمية الخبر فإنَّ رأي الدِّين لا يقلُّ أهمية في هذا الموضوع. والعالم الإسلامي يفخر بجهودكم الطيِّبة المخلصة وسعيكم المستمرِّ من أجل خير الإسلام والمسلمين. جزاكم الله كل خير وأطال عمركم ومتَّعكم بالصحة والقوة والسعادة.

نتوجَّه إليكم بالسؤال الَّذي نتمنَّى أن نحظى بالإجابة عنه، لتعميمه على عدد من الصحف والمجلات المهتمة جدًّا.

هل ترون أنَّ الثورة العلميَّة في مجال الهندســة الوراثيَّة وفك شفرة الجينات البشرية في مصلحة الإنسانيَّة؟ وما جدوى هذه الثورة من وجهة نظركم؟ ما رأي الشرع الإسلامي في هذا الاكتشاف الغربي الَّذي اعتبره العلماء أهم من اكتشاف البنسلين، وأهم من هبوط الإنسان على القمر، وأهم من اكتشاف كريستوف كولومبس؟

QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

من فضائل الإسلام: أنَّه لا يضيق صدرًا بالتقدم العلمي، ولا باستخدام العقل إلى أقصى مدى، والانتهاء إلى ابتكارات جديدة في دنيا العلوم والتكنولوجيا المتطورة، ولم يعرف في تراثنا ولا في تاريخ حضارتنا صراع بين العلم والدين، كما حدث في تاريخ ديانات أخرى، وقف فيها العلم ضد الدين، والنقل معارضًا للعقل، ورجال الدين (أو رجال الكنيسة) في جدال رجال العلم والفكر، ولا سيَّما أصحاب النظريات والأفكار والمخترعات الحديثة، الذين نُصبت لهم محاكم التفتيش، وحوكموا أحياءً وأمواتًا في بعض الأحيان.

بل المقرَّر في ثقافتنا: إنَّ الدِّين عندنا علم، وإنَّ العلم عندنا دِين، وإنَّ كلَّ علمٍ يحتاج إليه النَّاس في دينهم أو في دنياهم ـ ومنه علم الطبِّ والهندسة وغيرهما ـ يكون تعلُّمه وإتقانه فرض كفاية على الأمة في مجموعها، بحيث يجب أن يكون فيها عددٌ كافٍ من العلماء والخبراء في كلِّ مجالٍ علميٍّ أو تطبيقي، بحيث تكتفي الأُمَّة بأبنائها اكتفاءً ذاتيًّا، ولا تفتقر إلى استيراد العلماء من غيرها، فيما به قوام معاشها ومعادها.

والقرآن يبيِّن لنا أنَّ الله تعالى قد منح الإنسان من المواهب والطاقات ما يستطيع أن يفتح مغاليق الطبيعة، ويتعرف على قوانين الكون، ويكتشف المجهول فيها، بحكم استخلافه في الأرض، وتسخير الكون له بسماواته وأرضه، وشمسه وقمره، كما قال تعالى:

QaradawiBooks.com

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢].

فإذا كان هذا الكون ـ في نظر القرآن ـ مسخَّرًا لمنفعة الإنسان، ولخدمة الإنسان، فلا جناح عليه أن يكتشف من أسراره يومًا بعد يوم ما غاب عنه؛ وخصوصًا الكون الصغير وهو الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات ٢٠، ٢١].

ولا يحسبنَّ أحدٌ من المتديِّنين أنَّ هذا الاكتشاف فيه تطاول على الله تعالى، أو منازعة له في ملكه، فالحقُّ أنَّ ذلك لم يتم للإنسان إلَّا بفضل الله تعالى وتيسيره الأسباب للإنسان، والقرآن الكريم يقرِّر في أوَّل آيات أنزلت منه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

كما قال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

وقد تدخل هذه الاكتشافات فيما وعد الله به في كتابه حين قال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

ونحن نعلم من ديننا أنَّ العلم بحرٌ عميقٌ زاخر، لا يكاد يرى له ساحل ولا قرار، ومهما يكتشف الإنسان من مجاهيله، سيظلُّ يجهل الكثير والكثير، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]: وقال تعالى لرسوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وهذا يشمل كلَّ علم نافع، سواء كان من علوم الدين، أم من علوم الدنيا.

كلُّ ما يريده الإنسان من العلم إذا اتسعت آفاقه، وتقدَّمت مواكبه: أن يرتبط بالإيمان والقيم الأخلاقيَّة، ولا يمضي وحده طليق العنان، لا يلتزم بشيء، ولا يتقيَّد بدين أو خلق، أو مصلحة لعموم البشر.

لقد ضرب لنا القرآن مثلين من أمثلة استخدام العلم، ولكنَّه لم ينفصل عن الإيمان، بل كان العلم في كلتا الحالتين في حضانة الإيمان.

المثل الأول: في قصَّة سيدنا سليمان، وكيف استطاع «الذي عنده علم من الكتاب» أن يأتيه بعرش «بلقيس» ملكة سبأ، قبل أن يرتدَّ إليه طرفه، أي في لمح البصر، استطاع هذا الإنسان من ملأ سليمان: أن ينقل العرش من اليمن إلى فلسطين، في هذه اللحظة من الزمن. ولكنَّ المهمَّ أنَّ سليمان الَّذي هيئت له هذه الأسباب، لم يركبه الغرور ولا العجب، ولم يُفتن بما سُخِّر له، بل قال في أدب المؤمنين: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

والمثل الثاني: في قصَّة ذي القرنين، وقد بنى السدَّ العظيم، ليحجز قبائل يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض، عن أولئك الأقوام المسالمين، ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ۝ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٧، ٩٨].

QaradawiBooks.com

ونحن المسلمين قد أقمنا حضارةً شـامخةَ الذُّرا، جمعت بين الدين والمدنيَّة، أو الإيمان والعلم، وبين السموِّ الروحي والرقي المادي، وكان العلم عندنا في خدمة الإيمان والأخلاق.

ولكنَّ مشكلة الحضارة الغربيَّة: أنَّ العلم فيها نشأ بمعزل عن الدين، بل نشـأ مجافيًا للدِّين، فانطلق ركب العلم غير موصول بالقيم الإيمانية والخلقية، مستبعدًا من تفكيره ومن شـعوره ومن سلوكه، فلا عجب أن وجدنا العلم يسـتخدم في التدبير والإهلاك للحرث والنسل، على نحو ما قال الله تعالـى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

ونحن نرحِّب بهذا الاكتشـاف الجديد الكبير: خريطة الجينات البشـرية، أو ما سُـمِّي «الجينوم البشـري» الَّذي اعتبـر من أعظم اكتشـافات البشـرية في عصورها المختلفة، والذي جاء بعد جهودٍ مضنية، وبحوثٍ متطاولة، تعاونت فيها أكثر من دولة غربيَّة، وقالوا: إنَّه أعظم من اكتشـاف البنسلين، ومن صعود الإنسـان إلى القمر، ومن.. ومن.. وكل ما نتمنَّاه، ونرجوه: أن يستخدم هذا الاكتشاف في مصلحة البشر، الَّتي يُقَرِّرها «أولو الألباب» منهم، ولا ريب أنَّ هناك مجالات لا يختلف فيها اثنان في مشروعية استخدام هذا الاكتشاف فيها، مثل عـلاج «الأمراض الوراثيَّة» عن طريـق الجينات المؤثرة، والمسببة في هذه الأمراض، وفقًا للضرر عند الإنسان بقدر الإمكان، وفقًا للقاعدة الشرعيَّة القطعية، المستمدة من الحديث النبوي، ومن آيات قرآنية كثيرة، وهي قاعدة: «لا ضررَ ولا ضرار» وكما أنَّ الضرر يُزال إذا وقع، فينبغي أن يُرفع قبل وقوعـه ما أمكن ذلك، والوقاية

QaradawiBooks.com

خير من العلاج. ولقد قال العلماء: درء المفسدة مقدَّم على جلب المصلحة[١].

وأحبُّ أن أقول هنا: إنَّنا لا نستطيع أن نُفتي في هذا الأمر فتوى مفصلة؛ فيما يجوز وما لا يجوز، لأنَّنا لا نحيط علمًا بحقائق الموضوع، وما يمكن أن نتطرَّق إليه من مجالات.. ولا يليق بالعلم الشرعي أن يقحم نفسه فيما لا يحسنه؛ فلكلِّ علمٍ أهلُه وخبراؤه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ولكن نجيب في هذا الموضوع بقدر ما نُسأل عنه، إذا شرح لنا من أهله شرحًا يبيِّن لنا منه مناط الحكم، فنفتي حينئذٍ على بصيرة.

وقد جرت عادة المجامع الفقهيَّة في بحث المسائل الطبيَّة أو العلميَّة أو الاقتصادية: أن يستدعوا بعض الخبراء المعروفين في مجال الطبِّ أو العلم أو الاقتصاد أو غيرها، ليسمعوا منهم، ويشرحوا لهم ما غمض عليهم، ثم بعد ذلك يكون الحكم بالجواز أو المنع، أو بالتفصيل.

وكلُّ ما نؤكِّده هنا ما قلناه من قبل في التحذير من الغلوِّ في استخدام الهندسة الوراثيَّة، أو الاستنساخ البشري، نقوله هنا، راجين من أهل العلم أن ينصتوا لأهل الحكمة، ولا يسرفوا في محاولة استخدام هذا العلم، في العبث بفطرة الله الَّتي فطر النَّاس عليها، بدعوى «تحسين سلالة النوع البشريِّ» أو محاولة صنع «إنسان جديد» مثل ما يسمُّونه «السوبر مان» أو نحو ذلك، فلندع الفِطْرة تعمل عملها، فإنَّ الخروج على الفطرة كثيرًا ما تكون عواقبه وخيمة.

---

(١) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي (٨٣)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، والأشباه والنظائر لابن نجيم (٧٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

وقد رأينا ذلك فيما عرف «بجنون البقر» فقد حوَّل النَّاس ـ لرغبتهم في المكاسب الماديَّة العاجلة ـ هذا الحيوان الآكل للعشب إلى حيوان يأكل البروتينات الحيوانية في صورة أعلاف مصنَّعة، ولم يلبث أن ظهر ذلك في هذا الجنون، الَّذي قيل: إنَّه خطر على الإنسان، إذا أكل من هذا اللحم.

يمكن الاستفادة من هذا الاكتشاف في علاج بعض العيوب الخلقية، الَّتي قد يتأذَّى منها بعض الناس، أو التشوهات للجنين في رحم أمه، الَّتي قد تكون مصدر متعب له ولأسرته طوال حياته أو نحو ذلك؛ ممَّا قد يدخل في باب الضروريات أو الحاجيات للإنسان.

أمَّا استخدام هذا الأمر في التَّرَف الحضاريِّ، الَّذي يسعى إليه أرباب الثراء والسلطان، والذين يريدون أن يتميَّزوا على النَّاس في كلِّ شيء: في المال، والجمال، والذكاء، والصحة، والقوَّة؛ وأن يسخِّروا العلم لذلك، فهذا لا يليق، بل يجب أن يكون العلم لخدمة الجميع على حدٍّ سواء، بل أن يكون أكبر همِّه مساعدة الضعفاء والفقراء، وبهذا يؤدي العلم زكاته، ولا يحرم أهله من دعاء هؤلاء المُعْدَمين في الأرض، الذين بهم يُرزق النَّاس ويُنصرون، فهم عُدَّة الإنتاج في السلم، وعُدَّة النصر في الحرب، وبالله التوفيق.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

ثبوت النسب عن طريق البصمة الوراثيَّة

س: نرجو من فضيلتكم توضيح أحقية أحد الزوجين في اللجوء إلى استخدام البصمة الوراثيَّة، وأيهما يُقدَّم على الآخر عند طلب التحليل الوراثي: «الزوج أم الزوجة؟» وذلك عند وجود تنازع بين الزوجين في ثبوت نسب الولد، مع رجاء ذكر الأسباب والأسانيد الشرعيَّة الَّتي اعتمدتم عليها في مثل هذا القول، وهل هذا يكون بناء على طلب من القضاء وبرضا الطرفين أو لا؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

شرع الله حدَّ القذف لمن رمى إنسانًا بالزنى ـ رجلًا كان أو امرأةً ـ ولم يُقم بيِّنة على ذلك. والبيِّنة أن يأتي بأربعة شهداء رأوا عمليَّة الزنى وهي تحدث بأعينهم، دون تجسُّس منهم على الزاني ومن يزني بها.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النور: ٤، ٥].

QaradawiBooks.com

ولكنَّ القرآن استثنى من هذا الحكم: الأزواج الذين يرمون زوجاتهم ولم يكن لهم شهداء إلَّا أنفسهم، فمن اتَّهم امرأته بالزنى، فقد جعل الله له بديلًا عن الشهود الأربعة: أربع شهادات بالله إنَّه لمن الصادقين، والخامسة: أنَّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. كما فصَّل القرآن ذلك في سورة النور. وبهذا يسقط عنه حدُّ القذف.

أمَّا المرأةُ فيسقط عنها حدُّ الزنى وعقوبته: أن تشهد أربع شهادات بالله: إنَّه لمن الكاذبين، والشهادة الخامسة: أنَّ غضب الله عليها إن كان من الصادقين.

كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۞ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۞ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦ ـ ٩].

وهذا اللعان مشروع فيما إذا اتَّهم الزوج زوجتَه بالزنى، أو اتَّهمها بنفي الولد منها.

وفائدة اللعان: أن يفترق الزوجان، وينسب الولد إلى أمِّه، وقد ستر على المرأة، فلم يعرف إن كانت هي الكاذبة أو هو الكاذب، ولم يعرف إن كان الولد ابنه حقيقة أو لم يكن ابنه. وفي هذا من المصلحة ما فيه.

وبعد أن ظهرت «البصمة الوراثيَّة»، وأصبح ممكنًا معها تحليل الدم، ومعرفة الولد إن كان من صلب هذا الرجل أو لم يكن من صلبه. هل يقبل الشرع أن يرجع الزوجان إلى البصمة الوراثيَّة؟ أو لا؟

وقد اتَّفق العلماء على أنَّ الزوج إذا طلب الاحتكام إلى البصمة الوراثيَّة لم يستجبْ له؛ لأنَّه يفوت على المرأة ما يوفِّره لها اللعان من

QaradawiBooks.com

الستر عليها وعلى ولدها، وهذا الستر مقصودٌ للشارع لما فيه من مصلحتها ومصلحة ولدها.

ولكنَّ الَّذي اختلف فيه العلماء هو ما إذا طلبت المرأة المقذوفة: الاحتكام إلى البصمة الوراثيَّة، هل تُجاب إلى طلبها أو لا؟

بحث ذلك المجمع الفقهيُّ لرابطة العالم الإسلامي، فاختلف المشاركون.

أكثر العلماء قالوا: لا يُجاب طلبها، ويكتفى باللعان؛ لأنَّه هو الَّذي شرعه الله لعلاج مثل هذه الحالة، فيوقف عنده، ويقتصر عليه، ولا نتعدَّاه.

ولكنَّ الَّذي أرجِّحه هنا: أن يُستجاب للمرأة في هذا الطلب، على أساس أنَّها تطلب اللجوء إلى وسيلة علميَّة مقطوع بها، تدفع التهمة بها عنها، وتحفظ بها حقَّها، ولا تعتدي على حقِّ إنسانٍ آخر، فهي تطلب بالاحتكام إلى البصمة إثبات أمور ثلاثة في غاية الأهمية شرعًا:

أوَّلها: براءة نفسها من التهمة المنسوبة إليها، وهي جازمة بأنَّها تهمة كاذبة، وهذا أمر يحرص عليه الشارع: ألَّا يُتَّهم بريء بما ليس فيه.

وثانيها: إثبات نسب ولدها من أبيه، وهذا حق للولد، والشارع يتشوَّف إلى إثبات الأنساب ما أمكن. وحفظ الأنساب من الضرورات الشرعيَّة الخمس.

الثالث: إراحة نفْس الزَّوج، وإزاحة الشكِّ من قلبه، بعد أن يثبت له بالدليل العمليِّ القطعيِّ أنَّ الولد الَّذي اتَّهمها بنفيه منه هو ابنه حقًّا. وبذلك يحلُّ اليقين في نفْسه محلَّ الشكِّ، والطمأنينة مكان الريبة.

QaradawiBooks.com

وبهذا يستفيد الأطراف الثلاثة بهذا الإجراء: الزوجة، والزوج، والولد.

وأمر يحقِّق هذه المصالح كلِّها، وليس فيه ضررٌ لأحد، ولا مصادمة لنصٍّ: لا ترفضه الشريعة، بل هو يتَّفق مع مقاصدها.

وإذا طلبت الزوجة من القاضي الشرعي أو من المحكمة الشرعيَّة: الاحتكام إلى البصمة الوراثيَّة، فالواجب ـ فيما أراه ـ أن يُستجاب لها، رعايةً لحقِّها في إثبات براءتها، وحقِّ ولدها في إثبات نسبه، وعملًا على إراحة ضمير زوجها، وإزالة الشكِّ عنه.

هذا وبالله التوفيق، والله أعلم. وهو حسْبنا ونعم الوكيل.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حكم بنك دم الحبل السُّرِّي

س: نرجو من فضيلتكم الإجابة على الأسئلة التالية:

١ ـ ما موقف الإسلام تجاه «بنك دم الحبل السُّرِّي»، أي جمع الخلايا الجذعيَّة من الدم المأخوذ من الحبل السُّـرِّي مباشرة بعد الولادة وبعد قطع حبل السُّـرَّة، ثم تجميدها وتخزينها بغرض اسـتعمالها في مجال الطبِّ المتجدِّد على الشخص ذاته، أو تبرُّعًا لغيره، إذا اقتضت الحاجة؟

٢ ـ هل يجوز التبرُّع بتلك الخلايا إلى البنوك المختصَّة، الَّتي بدورها تخزِّنها ثمَّ تعطيها للأشخاص المحتاجين؟

٣ ـ هل يجوز للبنـك أخذ الأجرة مقابل جمع هـذا الدم وتخزينه، وعرضه للأشخاص المحتاجين؟

فيما يلـي نعطي لمحة قصيـرة عن هـذه الخلايا، طريقـة جمعها وتخزينها، ومجالات استعمالها:

ـ ما الخلايا الجذعيَّة؟

هي الخلايـا المبكِّرة الَّتي لديهـا قابليَّة التكاثر والتحـوُّل إلى كلِّ الأنواع الأخرى من الخلايا والأنسجة تقريبًا.

ـ ماذا تعمل هذه الخلايا؟

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تساعد الجسم كي يلتئم ويتجدَّد بعد إصابة أو علِّة.

ـ كيف تعمل هذه الخلايا؟

الخلايا الجذعيَّة تساعد على إنتاج خلايا جديدة وصحِّية لاستبدال الأنسجة المتضرَّرة.

ـ أين توجد هذه الخلايا؟

الخلايا الجذعيَّة توجد في كلِّ الجسم، وبشكل خاصٍّ في نِقي العظم، وفي الدَّم المحيطي، وفي دم الحبل السُّرِّي.

ـ الخلايا الجذعيَّة الموجودة في الحبل السُّرِّي هي متعدِّدة الجوانب، وحياتيَّة، وأقل قابلية للرَّفض من قِبَل النظام المناعي للمتلقِّي، لأنَّها جديدة.

ـ إنَّ تعدُّد الجوانب وتوافر الخلايا الجذعيَّة لدم الحبل السُّرِّي يجعل منها منبعًا خصبًا لعمليَّات الزرع العلاجيَّة.

ـ ما هو بنك أو تخزين الخلايا الجذعيَّة للحبل السُّرِّي؟

ـ هو عمليَّة جمع وتخزين دم الحبل السُّرِّي «الغنيِّ بالخلايا الجذعيَّة» تحت ظروف آمنة، ثم تجميدها، لاستعمال علاجي فيما بعد.

ـ كيف تتمَّ عمليَّة جمعها وتخزينها؟

ـ بعد الولادة مباشرة يتمُّ وضع ملقاط الحبل السُّرِّي من طرفيه، يقطع فيما بين الملقاطين، ثمَّ يطهَّر في المكان الَّذي سيدخل فيه الإبرة، فيؤخذ منه كمية معينة من الدَّم، ثمَّ يتمُّ تخزينها في البنك الخاص وتحت ظروف مناسبة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

ـ هنا يجب التأكيد على أنَّ هذه العمليَّة بسيطة جدًّا وعاديَّة، وغير مضرَّة للأمِّ أو المولود.

ـ من المستفيد منها؟

المستفيد من هذه الخلايا هو:

١ ـ الشَّخص المتبرِّع (الطفل)، وهذا يسمَّى «استخدام ذاتيِّ المنشأ».

٢ ـ عضو آخر من الأسرة أو أيِّ شخص آخر، وهذا يسمَّى «استخدام أجنبيِّ المنشأ».

هذا النموذج وهذه الخلايا تُقبل بشكل قانوني من قِبَل كلِّ المستشفيات ومراكز الزرع كمادَّة حقن.

ـ مجالات استعمالها؟

الخلايا الجذعيَّة المشتقَّة من دم الحبل السُّرِّي يمكن استعمالها لعلاج أمراض خطيرة، بما فيها:

- الثلاسيميَّا.
- ابيضاض الدم.
- السُّكَّري.
- تصخُّر العظم.
- الذِّئبة.
- السَّكتة ـ الضَّربة.
- التَّصلُّب المتعدِّد.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

- الزهايمر.
- باركنسون، إلخ.
- فقر الدَّم بحسَب فانكوني.

ملاحظة: لا بدَّ من الملاحظة بأنَّ الخلايا الجذعيَّة المستخرجة من الحبل السُّرِّي ليست لديها قابلية لخلق جنين آخر، ومن ثمَّ فهي أبعد ما تكون من عمليَّة الاستنساخ المحرَّمة.

هذا وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فبالنظر في السؤال وما فيه من إيضاحات، لا يتراءى لي في موضوع السؤال أيَّ محظور شرعي، وما دام الأطباء المختصُّون قد قرَّروا، أنَّ وراءه منافع للناس، لا يخالطها إثمٌ كبيرٌ ولا صغير، ولا يخشى من جرَّائها أيَّة مفسدة في المستقبل، فإنَّ الشرع يحرص على جلب المصالح والمنافع للناس، ودفع المضارِّ والمفاسد عنهم.

فهذا يدخل في باب «المصالح المرسلة»، وهي المصالح الَّتي لا يوجد دليل خاصٌّ من الشرع على اعتبارها ولا على إلغائها، إنَّما هي مطلقة من كلِّ قيد، ولكنَّها تدخل في إطار رعاية الشرع لكلِّ ما يجلب خيرًا ومنفعةً للفرد أو المجتمع، وكلِّ ما يدفع شرًّا أو ضرًّا عن الفرد والمجتمع.

QaradawiBooks.com

وبالنسبة للسؤال الثاني: هل يجوز التبرُّع بتلك الخلايا للبنوك المختصَّة الَّتي تخزِّنها بالطريقة الَّتي تحفظها، بحيث تكون صالحة للاستعمال، وتعطيها للأشخاص المحتاجين؟

والجواب: نعم، يجوز ذلك، بل يُستحبُّ، وللمتبرِّع الأجر من الله على ذلك، وإن كان هذا لا يكلِّفه جهدًا ولا مالًا، ولكنَّه وسيط خير في إيصال النفع إلى من يحتاجه.

وبالنسبة للسؤال الثالث: هل يجوز للبنك أخذ أجرة مقابل جمع هذا الدم وتخزينه لحين الحاجة إليه؟

ونقول أيضًا: نعم، يجوز أخذ الأجرة على ذلك؛ لأنَّه أجر في مقابل جهد وعمل مشروع، فلا مانع من أخذ الأجرة عليه، وقد رأينا الإسلام يعطي أجرة العاملين على الزكاة من أموال الزكاة نفسها، حتَّى لا يتعطل التحصيل أو التوزيع، نتيجة عدم وجود مَن يتبرَّع بذلك، وهنا أيضًا يُعطى الفريق العامل على هذا المشروع من الأجر ما يكفيه، ولو كان ذلك من تبرُّعات المتبرِّعين.

والله وليُّ التوفيق.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بنوك اللبن

س: الطفل الوليد الخديج الَّذي ولد قبل أوانه.. قد يدعو الأمر لعزله تمامًا في حاضنة صناعيَّة، لفترة قد تطول حتَّى يفيض حليب أمِّه من ثديها.

ثم يتقدَّم رويدًا لدرجة لم تزل حرجة؛ ولكن تسمح له بتلقي الحليب، ومعروف أنَّ أنسب الحليب وأرفقه به هو الحليب البشري.

وقد درجت بعض المؤسسات على أن تستوعب الوالدات المرضعات بعضًا من حليبهن. تسخُو كلٌّ بما تشاء، ويجمع ذلك ويعقم، ثم يكون في خدمة هؤلاء المواليد المبتَسرين، في هذا الدور الحرج، الَّذي قد تضرُّهم فيه أنواع الحليب الأخرى.

فالذي يحدث أنَّه يستعمل خليط من حليب عشرات الأمهات، بل مئاتهن.. وعليه يتغذى غير مواليدهن عشرات، بل مئات من المواليد الخدج ذكرانًا وإناثًا.. على غير معرفة في الحال والاستقبال.

ولكن يتم ذلك دون لقاء مباشر أي دون مصِّ الثدي.

فهل هذه أخوة شرعيَّة من الرضاع؟ وهل يحرم حليب البنوك رغم مساهمته في إحياء النفوس؟

غير مرخصة للطباعة
نسخة علمية
QaradawiBooks.com

فإن كان مباحًا حلالًا فما مسوِّغات الإباحة؟ ترى هل هي عدم مصِّ الثدي؟ أم عدم إمكان التعرف على أخـوات الرضاع، وهن في مجتمع بذاته يمثِّلن القلة بين الكثرة؟

القلة الَّتي تذوب ولا يمكن تتبعها أو الاستدلال عليها؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فلا ريـب أنَّ الهدف الَّذي من أجله أنشـئت «بنـوك الحليب» كما عرضها السؤال هدف خيِّر نبيل يؤيده الإسـلام. الَّذي يدعو إلى العناية بكل ضعيف أيًّا كان سـبب ضعفـه، وخصوصًـا إذا كان طفلًا خديجًا، لا حول له ولا قوة.

ولا ريب أنَّ أيَّ امرأةٍ مرضع تسـهم بالتبرُّع ببعض لبنها لتغذية هذا الصنف من الأطفال، مأجورة عنـد الله، ومحمودة عند الناس، بل يجوز أن يُشترى ذلك منها، إذا لم تطب نفسـها بالتبرُّع، كما جاز استئجارها للرضاع؛ كما نصَّ عليه القرآن، وعمل به المسلمون.

ولا ريـب كذلك أنَّ المؤسسـة الَّتي تقـوم بتجميع هـذه الألبان، وتعقيمها وحفظها لاسـتخدامها في تغذية هـؤلاء الأطفال ـ في صورة ما سمِّي بنك الحليب ـ مشكورة مأجورة أيضًا.

إذن ما المحذور الَّذي يُخاف من وراء هذا العمل؟

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

المحذور يتمثَّل في أنَّ هذا الرضيع سيَكْبَر بإذن الله، ويصبح شابًّا في هذا المجتمع، ويريد أن يتزوَّج إحدى بناته، وهنا يخشى أن تكون هذه الفتاة أخته من الرضاع وهو لا يدري؛ لأنَّه لا يعلم من رضع معه من هذا اللبن المجموع، وأكثر من ذلك أنَّه لا يعلم مَن مِنْ النساء شاركت بلبنها في ذلك، ممَّا يترتب عليه أن تكون أمه من الرضاع، وتحرم هي عليه ويحرم عليه بناتها من النسب ومن الرضاع، كما يحرم عليه أخواتها لأنَّهنَّ خالاته، ويحرم عليه بنات زوجها من غيرها على رأي جمهور الفقهاء؛ لأنهن أخواته من جهة الأب، إلى غير ذلك من فروع وأحكام الرضاع.

ولا بدَّ لنا هنا من وقفات، حتَّى يتبيَّن الحكم جليًّا.

١ ـ وقفة لبيان معنى «الرضاع» الَّذي رتَّب عليه الشرع التحريم.

٢ ـ وقفة لبيان مقدار الرضاع المحرم.

٣ ـ وقفة لبيان حكم الشك في الرضاع.

معنى الرضاع:

أمَّا معنى الرضاع الَّذي رتَّب عليه الشرع التحريم؛ فهو عند جمهور الفقهاء ـ ومنهم الأئمَّة الثلاثة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي ـ كلُّ ما يصل إلى جوف الصبي عن طريق حلقه أو غيره، بالامتصاص أو غيره؛ مثل الوجور، وهو أن يصب اللبن في حلقه، بل ألحقوا به السعوط وهو أن يصب اللبن في أنفه، بل بالغ بعضهم فألحق الحقنة عن طريق الدُّبُر بالوُجُور والسُّعُوط.

وخالف في ذلك كله الإمام الليث بن سعد، معاصر الإمام مالك ونظيره، ومثله الظاهرية، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

QaradawiBooks.com

فقد ذكر العلامة ابن قدامة عنه روايتين في الوُجور والسُّعوط:

الأولى ـ وهي أشهر الروايتين عنه والموافقة للجمهور ـ: أنَّ التحريم يثبت بهما. أمَّا الوجور فلأنَّه ينبت اللحم وينشز العظم، فأشبه الارتضاع، وأمَّا السعوط، فلأنَّه سبيل لفطر الصائم، فكان سبيلًا للتحريم بالرضاع كالفم.

الرواية الأخرى: أنَّه لا يثبت التحريم؛ لأنَّهما ليسا برضاع.

قال في المغني: «وهو اختيار أبي بكر، ومذهب داود، وقول عطاء الخرساني في السعوط؛ لأنَّ هذا ليس برضاع، وإنَّما حرم الله تعالى ورسوله بالرضاع، ولأنَّه حصل من غير ارتضاع، فأشبه ما لو دخل من جرح في بدنه»[(١)].

ورجَّح صاحب المغني الرواية الأولى بحديث ابن مسعود عند أبي داود: «**لا رضاعَ إلَّا ما أنشز العظمَ وأنبت اللحمَ**»[(٢)].

والحديث الَّذي احتج به صاحب المغني لا حجَّة فيه، بل هو عند التأمل حجَّة عليهم؛ لأنَّه يتحدَّث عن الرضاع المحرِّم، وهو ما كان له تأثير في تكوين الطفل بإنشاز عظمه وإنبات لحمه، فهو ينفي الرضاع القليل غير المؤثر في التكوين، مثل الإملاجة والإملاجتين، فمثل هذا لا ينشز عظمًا، ولا ينبت لحمًا.

فالحديث إنَّما يثبت التحريم لرضاع ينشز وينبت، فلا بدَّ من وجود الرضاع أولًا وقبل كل شيء.

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة (١٧٣/٨)، نشر مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

(٢) رواه أبو داود في النكاح (٢٠٥٩)، وأحمد (٤١١٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح بشواهده. والدارقطني في الرضاع (٤٣٥٨)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

ثم قال صاحب المغني: «ولأنَّ هذا يصل بـه اللبن إلى حيث يصل بالارتضاع، ويحصل به من إنبات اللحم وإنشـاز العظم: ما يحصل من الارتضاع، فيجب أن يسـاويه في التحريم، ولأنَّه سـبيل الفطر للصائم، فكان سبيلًا للتحريم كالرضاع بالفم»[1].

ونقول لصاحب المغني رَحِمَهُ اللَّهُ: لو كانت العلة هي إنشاز العظم وإنبات اللحم بأيِّ شيءٍ كان، لوجب أن نقول اليوم بأنَّ نقل دم امرأة إلى طفل يحرِّمها عليه، بل التغذية بالدم في العروق أسرع وأقوى تأثيرًا من اللبن. ولكنَّ أحكام الدِّين لا تُفْرَض بالظنـون، فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث، وإنَّ الظنَّ لا يغني من الحق شيئًا.

والذي أراه أنَّ الشارع جعل أسـاس التحريم هو «الأمومة المُرْضِعة» كما في قوله تعالى في بيان المحرَّمات من النساء: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النسـاء: ٢٣]. وهـذه الأمومة الَّتي صرَّح بها القرآن لا تتكون مـن مجرد أخذ اللبن، بـل من الامتصاص والالتصاق، الَّذي يتجلَّـى فيه حنان الأمومة، وتعلُّـق البنوة، وعن هذه الأمومة تتفرَّع الأخوَّة من الرضاع، فهي الأصل، والباقي تبع لها.

فالواجب الوقوف عند ألفاظ الشـارع هنا، وألفاظه كلها تتحدث عن الإرضاع والرضاعة، ومعنى هذه الألفاظ في اللغـة الَّتي نزل بها القرآن وجاءت بها السُّـنَّة واضح صريح، لأنَّهـا تعني إلقام الثـدي والتقامه، وامتصاصه، لا مجرد الاغتذاء باللبن بأي وسيلة.

ويعجبنـي موقـف الإمام ابن حـزم هنـا، فقد وقف عنـد مدلول النصوص، ولم يتعدَّ حدودها، فأصاب المحز، ووفِّق فيما أرى للصواب.

(١) انظر: المغني لابن قدامة (١٧٣/٨).

QaradawiBooks.com

ويحسن بي أن أنقل هنا فقرات من كلامه؛ لما فيها من قوَّة الإقناع ووضوح الدليل.

قال: «وأمَّا صفة الرضاع المحرِّم، فإنَّما هو ما امتصَّه الراضع من ثدي المرضعة بفيه فقط، فأما من سُقي لبن امرأة؛ فشربه من إناء، أو حُلب في فمه فبلعه، أو أطعمه بخبز أو في طعام، أو صبَّ في فمه أو في أنفه أو في أذنه، أو حقن به، فكل ذلك لا يحرِّم شيئًا ولو كان ذلك غذاءه دهره كله.

برهان ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النساء: ٢٣]. وقال رسول الله ﷺ: «**يَحْرُم من الرضاعِ ما يحرم من النَّسَب**»[(١)] فلم يحرِّم الله تعالى ولا رسوله ﷺ في هذا المعنى نكاحًا إلَّا بالإرضاع، والرضاعة والرضاع فقط، ولا يسمَّى إرضاعًا إلَّا ما وضعته المرأة المرضعة من ثديها في فم الرضيع، يقال: أرضعته ترضعه إرضاعًا. ولا يسمَّى رضاعة ولا إرضاعًا إلَّا أخذ المرضع أو الرضيع بفيه الثدي وامتصاصه إياه. تقول: رضع يرضع رضاعًا ورضاعة، وأمَّا كل ما عدا ذلك ممَّا ذكرنا فلا يُسمَّى شيء منه إرضاعًا ولا رضاعة ولا رضاعًا، إنَّما هو حلب وطعام، وسقاء وشرب، وأكل وبلع، وحَقْن وسُعُوط وتقطير، ولم يحرِّم الله ﷻ بهذا شيئًا»[(٢)].

قال أبو محمد: «وقد اختلف النَّاس في هذا فقال الليث بن سعد: لا يحرم السُّعوط بلبن المرأة، ولا يحرم أن يسقى الصبي لبن المرأة في الدواء؛ لأنَّه ليس برضاع، إنَّما الرضاع ما مُصَّ من الثدي، هذا نصُّ قول

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٤٥)، ومسلم في الرضاع (١٤٤٧)، عن عائشة.

(٢) المحلى بالآثار لابن حزم (١٠/١٨٥، ١٨٦)، مسألة (٢٠١٧)، نشر دار الفكر، بيروت.

QaradawiBooks.com

الليث، وهذا قولنا، وهو قول أبي سليمان ـ يعني: داود إمام أهل الظاهر ـ وأصحابنا (يعني: الظاهرية)».

وردَّ على الذين احتجوا بحديث: «**إنَّما الرضاعة من المجاعة**»[1] فكان ممَّا قاله: أنَّ هذا الخبر حُجَّة لنا؛ لأنَّه ﷺ إنَّما حرَّم بالرضاعة الَّتي تقابل بها المجاعة، ولم يحرِّم بغيرها شيئًا، فلا يقع تحريم بما قوبلت به المجاعة من أكل، أو شرب، أو وجور، أو غير ذلك، إلَّا أن يكون رضاعة، كما قال رسول الله ﷺ، ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٢٩][2] اهـ.

وبهذا نرى أنَّ القول الَّذي يطمئن إليه القلب، هو الَّذي يتمشى مع ظواهر النصوص، الَّتي ناطت كل الأحكام بالإرضاع والرضاع، كما يتمشَّى مع الحكمة في التحريم بالرضاع، وهو وجود أمومة تشابه أمومة النسب، وعنها تتفرع البنوة والأخوة، وسائر القرابات الأخرى. ومعلوم أنَّ الرضاع في حالة «بنوك الحليب» غير موجود، إنَّما هو الوجور الَّذي ذكره الفقهاء.

على أنَّنا لو سلَّمنا برأي الجمهور في عدم اشتراط الرضاع والامتصاص لكان هنا مانع آخر من التحريم.

وهو أنَّنا لا نعرف من الَّتي رضع منها الطفل؟ وما مقدار ما رضع من لبنها؟ هل أخذ من لبنها ما يساوي خمس رضعات مشبعات؟ على ما هو القول المختار الَّذي دلَّ عليه الأثر، ورجَّحه النظر، وبه ينبت اللحم، وينشز العظم، وهو مذهب الشافعية والحنابلة.

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٤٧)، ومسلم في الرضاع (١٤٥٥)، عن عائشة.

(٢) المحلى بالآثار لابن حزم (١٨٦/١٠). مسألة (٢٠١٧).

QaradawiBooks.com

وهل للبن المشـــوب المختلط حكم اللبن المحض الخالص؟ ففي مذهب الحنفيَّة من قول أبي يوسف: أنَّ لبن المرأة إذا اختلط بلبن أخرى، فالحكم للغالب منهما، لأنَّ منفعة المغلوب لا تظهر في مقابلة الغالب.

والمعروف أنَّ الشكَّ في الرضاع لا يترتب عليه التحريم.

قال العلَّامة ابن قدامة فـــي «المغني»: «وإذا وقع الشـــك في وجود الرضاع، أو في عدد الرضاع المحرم، هل كملا أو لا؟ لم يثبت التحريم؛ لأنَّ الأصل عدمه، فلا نزول عن اليقين بالشـــك، كما لو شك في وجود الطلاق وعدده»[١].

وفي «الاختيار» من كتب الحنفيَّة: «امرأة أدخلت حلمة ثديها في فم رضيع، ولا يُدرى: أدخل اللبن في حلقه أم لا؟ لا يحرم النكاح.

وكذا صبية أرضعها بعض أهالي القرية، ولا يُدرى من هو، فتزوجها رجل من أهل تلك القريـــة، يجوز، لأنَّ إباحة النـــكاح أصل، فلا يزول بالشك.

قال: ويجب على النســـاء ألَّا يرضعن كل صبي من غير ضرورة؛ فإن فعلن فليحفظنه، أو يكتبنه احتياطًا»[٢] اهـ.

ولا يخفـــى أنَّ ما حدث في قضيتنا ليس إرضاعًـــا في الحقيقة، ولو ســـلَّمنا بأنَّه إرضاع فهو لضرورة قائمة. وحفظه وكتابته غير ممكن؛ لأنَّه لغير معيَّن، وهو مختلط بغيره.

---

(١) المغني (١٧٢/٨).

(٢) الاختيار لابن مـــودود الحنفي (١٢٠/٣)، تحقيـــق محمود أبو دقيقة، نشـــر مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م.

QaradawiBooks.com

والاتجاه المرجَّح عندي في أمور الرضاع هو التضييق في التحريم؛ كالتضييق في إيقاع الطلاق، وللتوسيع في كليهما أنصار.

الخلاصة:

أنَّنا لا نجد هنا ما يمنع من إقامة هذا النوع من «بنوك الحليب»، ما دام يحقِّق مصلحة شرعيَّة معتبرة، ويدفع حاجة يجب دفعها؛ آخذين بقول من ذكرنا من الفقهاء، مؤيدًا بما ذكرنا من أدلة وترجيحات.

وقد يقول بعض الناس: ولماذا لا نأخذ بالأحوط، ونخرج عن الخلاف، والأخذ بالأحوط هو الأورع والأبعد عن الشبهات.

وأقول: عندما يعمل المرء في خاصَّة نفسه، فلا بأس أن يأخذ بالأحوط والأورع، بل قد يرتقي فيدع ما لا بأس به، حذرًا ممَّا به بأس.

ولكن عندما يتعلَّق الأمر بالعموم، وبمصلحة اجتماعيَّة معتبرة، فالأولى بأهل الفتوى أن ييسِّروا ولا يعسروا، دون تجاوز للنصوص المحكمة، أو القواعد الثابتة.

ولهذا جعل الفقهاء من موجبات التخفيف: عموم البلوى بالشيء؛ مراعاةً لحال النَّاس ورفقًا بهم، هذا بالإضافة إلى أنَّ عصرنا الحاضر خاصَّة أحوج ما يكون إلى التيسير والرفق بأهله.

على أنَّ ممَّا ينبغي التنبيه عليه هنا هو أنَّ الاتجاه في كل أمر إلى الأخذ بالأحوط دون الأيسر، أو الأرفق أو الأعدل، قد ينتهي بنا إلى جعل أحكام الدين مجموعة «أحوطيَّات» تجافي روح اليسر والسماحة، الَّتي قام عليها هذا الدين.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ بحنيفيَّة سمحة**»[١]، «**إنَّما بُعثتم ميسِّرين ولم تُبعثوا معسِّرين**»[٢].

والمنهج الَّذي نختــاره في هذه الأمور هو التوسُّــط والاعتدال بين المتزمِّتين والمتهاونين، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

واللهُ يقول الحقَّ، وهو يهدي السبيل.

* * *

(١) رواه أحمد (٢٤٨٥٥)، وقال مخرِّجوه: حديث قوي. وحسَّــن إســناده الحافــظ في التغليق (٤٣/٢)، عن عائشة.

(٢) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الإجهاض بناءً على تشخيص مرض الجنين[1]

س: هل يجوز الإجهاض بناءً على تشـــخيص مرض الجنين؛ حيث يثبت للأطباء؛ من خلال التحليلات والأشعَّات المختلفة إصابة الجنين بتشوهات خطيرة، وإعاقات بالغة؟

المنظمة الإسلاميَّة للعلوم الطبيَّة في الكويت

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

من واجب الفقيه المسلم أن يقف أمام هذه القضايا المعروضة، ليقرِّر عدَّة حقائق أهمها:

أنَّ حياة الجنين في نظر الشريعة الإســلاميَّة حياة محترمة، باعتباره كائنًا حيًّا تجب المحافظة عليه؛ حتَّى إنَّ الشريعة تجيز للحامل أن تفطر

(١) كانت هذه الفتوى جوابًا عن سؤال تقدمت به المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في الكويت، في إحدى ندواتها التي تجمع بين الفقهاء والأطباء لدراسة بعض القضايا؛ بغية الوصول إلى الرأي الشرعي الأمثل في شأنها.

QaradawiBooks.com

في رمضان، وقد توجب ذلك عليها، إذا خافت على حملها من الصيام.. ومن هنا حرَّمت الشريعة الاعتداء عليه، ولو كان الاعتداء من أبويه، بل ولو جاء ذلك من أمِّه الَّتي حملته وهنًا على وهن.

حتى في حالة الحمل الحرام: ما جاء عن طريق الزنى.. لا يجوز لها أن تسقطه؛ لأنَّه كائن إنساني حيٌّ لا ذنب له، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥].

وقد رأينا الشرع يوجب تأخير القصاص من المرأة الحامل المحكوم عليها بالقصاص، ومثلها المحكوم عليها بالرجم؛ حفاظًا على جنينها، كما في قصَّة الغامدية المروية في الصحيح[١]؛ لأنَّ الشرع جعل لولي الأمر سبيلًا عليها ولم يجعل له سبيلًا على ما في بطنها.

كما رأينا الشريعة توجب ديةً كاملةً على من ضرب بطن امرأة حامل، فألقت جنينًا حيًّا، ثم مات من أثر الضربة، وقد نقل ابن المنذر إجماع أهل العلم على ذلك[٢]. وإن نزل ميتًا ففيه غرة، وتقدَّر بنصف عشر الدية.

كما رأيناها تفرض على الضارب مع الدية أو الغرة كفارة، وهي: تحرير رقبة مؤمنة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، بل تفرضها هنا، سواء كان الجنين حيًّا أو ميتًا.

قال ابن قدامة: هذا قول أكثر أهل العلم، ويُروى ذلك عن عمر رضي الله عنه[٣].

---

(١) روى القصة بطولها الإمام مسلم في الحدود (١٦٩٥)، عن بريدة.

(٢) انظر: المغني (٤١٣/٨)، والإجماع لابن المنذر صـ ١٢٦، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد، نشر دار المسلم، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٣) المغني (٤٠٤/٨، ٤١٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢].

قالوا: «وإذا شربت الحامل دواءً، فألقت به جنينًا، فعليها غرة، لا ترث منها شيئًا، وعليها عتق رقبة. وذلك لأنَّها أسقطت الجنين بفعلها وجنايتها، فلزمها ضمانه بالغُرَّة، ولا ترث منها شيئًا، لأنَّ القاتل لا يرث المقتول، وتكون الغرة لسائر ورثته. وأمَّا عتق الرقبة فهو كفارة لجنايتها. وكذلك لو كان المُسْقِط للجنين أباه، فعليه غُرَّة لا يرث منها شيئًا، ويعتق رقبة فإن لم يجد صام شهرين متتابعين توبة من الله»[1].

وأكثر من ذلك ما قاله ابن حزم في «المحلَّى» في قتل الجنين بعد نفخ الروح فيه: أي بعد مائة وعشرين ليلة، كما صح بذلك الحديث، فهو يعتبره جناية قتل عمد كاملة؛ موجبة لكل آثارها من القصاص وغيره قال: «فإنْ قال قائل: فما تقولون فيمن تعمَّدت قتل جنينها وقد تجاوزت مائة ليلة وعشرين ليلة بيقين فقتلته، أو تعمَّد أجنبي قتله في بطنها فقتله، فمن قولنا: أنَّ القود يعني القصاص واجب في ذلك ولا بدَّ، ولا غُرَّة في ذلك حينئذٍ، إلَّا أن يُعفى عنه، فتجب الغُرَّة فقط؛ لأنَّها دِيَة، ولا كفارة في ذلك؛ لأنَّه عمد، وإنَّما وجب القود؛ لأنَّه قاتل نفس مؤمنة عمدًا، فهو نفس بنفس، وأهله بين خِيَرتين: إمَّا القود، وإمَّا

(١) انظر: المغني (٤١٨/٨).

QaradawiBooks.com

الدِّيَة، أو المفاداة، كما حكم رسول الله ﷺ؛ فيمن قتل مؤمنًا وبالله تعالى التوفيق»[١].

وقال ابن حزم فيمن شربت دواءً فأسقطت حملها: «إن كان لم ينفخ فيه الرُّوح فالغرة عليها، وإن كان قد نفخ فيه الروح فإن كانت لم تعمد قتله فالغرَّة أيضًا على عاقلتها، والكفارة عليها، وإن كانت عمدت قتله فالقود عليها أو المفاداة في مالها»[٢].

وابن حزم يعتبر الجنين إذا نفخت فيه الروح شخصًا من الناس، حتَّى إنَّه يوجب إخراج زكاة الفطر عنه، أمَّا الحنابلة فيرون ذلك مستحبًّا لا واجبًا[٣].

وهذا كله يرينا إلى أيِّ حدٍّ تهتم الشريعة بالجنين، وتأكيد حرمته، وخصوصًا بعد المرحلة الَّتي جاء الحديث بتسميتها مرحلة «النفخ في الروح»، وهذا من أمور الغيب، الَّتي نسلم بها إذ صح بها النص، ولا نطيل البحث في كنهها، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وأحسب أنَّ ذلك شيئًا غير مجرد الحياة الحيوانية المعهودة، وإن فهم ذلك الشراح والفقهاء، فالحقيقة الَّتي أثبتها العلم الآن بيقين: أنَّ الحياة أسبق من ذلك. ولكن لعلها دون الحياة الإنسانيَّة الَّتي عبَّر عنها الحديث بـ «النفخ في الروح» وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة: ٩].

---

(١) المحلى بالآثار لابن حزم (٢٣٨/١١).
(٢) المصدر السابق (٢٣٩/١١).
(٣) انظر: المغني لابن قدامة (٩٩/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

على أنَّ من الأحاديث الصحاح ما خالف حديث ابن مسعود[١] الَّذي ذكر فيه إرسال الملك لنفخ الروح بعد ثلاث أربعينات.

فقد روى مسلم في صحيحه حديث حُذَيْفة بن أسيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكًا، فصورها وخلق سمعها وبصرها، وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا ربِّ أذكرٌ أم أنثى؟ فيقضي ربُّك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا ربِّ، أجلُه؟ فيقول ربُّك ما شاء، ويكتب الملك. ثم يقول: يا ربِّ، رزقه؟ فيقضي ربُّك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص**»[٢].

فهذا الحديث جعل بعث الملك وتصويره للنطفة بعد ستَّة أسابيع اثنتين وأربعين ليلة[٣]. لا بعد مائة وعشرين ليلة، كما في حديث ابن مسعود المعروف، وجمع بعض العلماء بين الحديثين باحتمال تعدد إرسال الملك، فمرة في ابتداء الأربعين الثانية، وأخرى في انتهاء الأربعين الثالثة لنفخ الروح[٤].

ومن هنا أجمع فقهاء المسلمين على حرمة إجهاض الجنين بعد نفخ الروح فيه، لم يخالف في ذلك أحد من السلف أو الخلف[٥]. أمَّا مرحلة

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٠٨)، ومسلم في القدر (٢٦٤٣).

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٤٥).

(٣) العجيب أن علم الأجنة والتشريح بعد تقدمهما اليوم يثبتان أنَّ الجنين بعد هذه المدة (٤٢ ليلة) يدخل مرحلة جديدة ونشأة أخرى.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٨٤/١١)، تحقيق محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٥) فهم بعض الشافعية أن أبا حنيفة يجيز الإجهاض بعد نفخ الروح، وهو غلط عليه وعلى =

QaradawiBooks.com

ما قبل نفخ الروح، فمن الفقهاء من أجاز الإجهاض حينئذٍ إذا دعت إليه حاجة، على اعتبـــار أنَّ الحياة لم تدب فيه بعد، فهـــو في نظرهم مجرد سائل، أو علقة من دم، أو مضغة من لحم!

ويقول بعض إخواننا من علماء الطب والتشـــريح تعليقًا على أقوال من أجازوا من الفقهاء إسقاط الجنين قبل نفخ الروح: إنَّ هذا الحكم من هؤلاء العلماء الأجلاء مبني على معارف زمنهم.

ولو عرف هؤلاء ما عرفنا من حقائق علم الأجنة اليوم عن هذا الكائن الحي المتميز، الَّذي يحمـــل خصائص أبويه وأســـرته وفصيلته ونوعه، لغيَّروا حكمهم وفتواهـــم، تبعًا لتغيُّر العلة، فـــإنَّ الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا.

ومن لطف الله بعباده أنَّ علماء الأجنة والتشريح أنفسهم اختلفوا كما اختلف الفقهاء في تقييم حياة الجنين في مراحلـــه الأولى: قبل الـ(٤٢) يومًا وقبل الـ(١٢٠) يومًا.

وكان اختلافهم هذا مؤيدًا قويًّا لاختـــلاف الفقهاء في جنين ما قبل الأربعين وما قبل الأربعينات الثلاثة.

ولعلَّ هذا من رحمة الله بالناس ليظلَّ للأعذار والضرورات الحقيقية موضعها.

ولا بأس أن نذكر هنا بعض ما قاله الفقهاء في هذا المجال:

قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» بعد كلام طويل

= مذهبه بيقين. وكتب المذهب الحنفي حافلة بما يخالف ذلك. كما في حاشية الشرواني على ابن قاسم (٤١/٩)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٧هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

عن «العزل» واختلاف العلماء في جوازه ومنعه، ومال في نهايته إلى ترجيح الجواز، وعدم نهوض أدلة المانعين، ثم قال: «وينتزع من حكم العزل حكم معالجة المرأة إسقاط النطفة قبل نفخ الروح، فمن قال بالمنع هنا، ففي هذه أولى، ومن قال بالجواز يمكن أن يلتحق به هذا. ويمكن أن يفرق بأنَّه أشد، لأنَّ العزل لم يقع فيه تعاطي السبب، ومعالجة السقط تقع بعد تعاطي السبب»[١].

ومن الفقهاء من فرق بين الحمل قبل الأربعين والحمل بعد الأربعين. فأجاز الإسقاط قبل الأربعين لا بعدها. ولعلَّ محور هذه التفرقة هو حديث مسلم الَّذي ذكرناه. ففي «نهاية المحتاج» من كتب الشافعية، ذكر اختلاف أهل العلم في النطفة قبل تمام الأربعين على قولين:

«قيل: لا يثبت لها حكم السِّقْط والوأد. وقيل: لها حرمة، ولا يباح إفسادها، ولا التسبب في إخراجها بعد استقرارها في الرحم»[٢].

ومنهم من فرَّق بين مرحلة تخلُّق الجنين ومرحلة ما قبل تخلقه، فرخَّص في الإجهاض قبل التخلق دون ما بعده.

وفي «النوادر» من كتب الحنفيَّة: «امرأة عالجت في إسقاط ولدها، لا تأثم ما لم يستبن شيء من خلقه»[٣].

وفي كتبهم سألوا: هل يباح الإسقاط بعد الحَبَل؟ وأجابوا: يباح ما لم يتخلَّق شيء منه.

(١) انظر: فتح الباري (٣١٠/٩).

(٢) نهاية المحتاج للرملي (٤٤٢/٨)، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

(٣) انظر: الاختيار لتعليل المختار (١٦٨/٤).

QaradawiBooks.com

ثم في غير موضع قالوا: ولا يتخلَّق إلَّا بعد مائة وعشرين يومًا.

قال محقِّق الحنفيَّة الكمال بن الهُمَام: «وهذا يقتضي أنَّهم أرادوا بالتخليق نفخ الروح، وإلَّا فهو غلط، لأنَّ التخليق يتحقَّق بالمشاهدة قبل هذه المدَّة»[١].

وكلام هذا العلامة صحيح، يقرُّه العلم في عصرنا.

وإطلاقهم يفيد عدم توقف جواز الإسقاط على إذن الزوج، وهو ما صرَّح به في «الدر المختار» بقوله: وقالوا: يباح إسقاط الولد قبل أربعة أشهر؛ ولو بلا إذن الزوج.

ومن الحنفيَّة من رفض الإباحة المطلقَة وقال: لا أقول بالحلِّ؛ إذ المُحْرِم لو كسر بَيْضَ الصَّيْد ضمنه؛ لأنَّه أصل الصيد، فلمَّا كان يؤاخذ بالجزاء، فلا أقلَّ من أن يلحقها إثمٌ هنا؛ إذا أسقطت بغير عذر.

ومنهم من قال: يكره؛ فإنَّ الماء بعدما وقع في الرحم مآله الحياة، فيكون له حكم الحياة، كبيضة صيد الحرم.

ولذا قال أهل التحقيق منهم: «فإباحة الإسقاط محمولة على حالة العذر، أو أنَّها لا تأثم إثم القتل»[٢].

على أنَّ الكثيرين من العلماء خالفوا هؤلاء، ولم يجيزوا الإجهاض؛ ولو قبل نفخ الروح.

ذلك أنَّ هناك طائفة من العلماء تمنع العزل وهو قذف السائل المنوي خارج فرج المرأة وتعتبره لونًا من «الوأد الخفي» كما جاء ذلك في بعض

(١) انظر: فتح القدير (٤٠١/٣، ٤٠٢)، نشر دار الفكر.

(٢) الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه (١٧٦/٣)، نشر دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

الأحاديث، وذلك لما فيه من منع لأسباب الحياة: أن تأخذ سبيلها إلى الوجود والظهور.. فهؤلاء يمنعون الإجهاض ويحرِّمونه بطريق الأولى؛ فإنَّ أسباب الحياة هنا قد انعقدت بالفعل، حين التقى الحيوان المنوي الذكري بالبويضة الأنثوية، في تزاوج وتلاقح؛ جعل منهما كائنًا جديدًا، يحمل من الخصائص الوراثيَّة ما لا يعلمه إلَّا الله تعالى.

على أنَّ هناك من العلماء من أجاز العزل؛ لمسوغات وأسباب تتعلق بالأم أو بالوليد السابق، أو بقدرة الأسرة على حسن التربية، أو غير ذلك.. ولكنَّهم مع هذا لم يجيزوا الإجهاض، ونظموه مع الوأد في سلك واحد، وإن اختلفت مرتبتا الجناية.

ومن هؤلاء الإمام الغزالي، فقد رأيناه رغم إجازته للعزل لمسوغات معتبرة عنده: يفرِّق بوضوح بين منع الحمل بالعزل، وبين إسقاطه بعد وجوده فيقول:

«وليس هذا ـ أي المنع بالعزل ـ كالإجهاض والوأد، لأنَّ ذلك جناية على وجود حاصل، والوجود له مراتب، وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم، وتختلط بماء المرأة، وتستعد لقبول الحياة، وإفساد ذلك جناية، فإن صارت مضغة وعلقة، كانت الجناية أفحش، وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة: ازدادت الجناية تفاحشًا، ومنتهى التفاحش في الجناية هي بعد الانفصال حيًّا»[1] اهـ.

ونلاحظ أنَّ الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ يعتبر الإجهاض جناية على وجود بشري حاصل، مع أنَّه يعبِّر عن التقاء نطفة الرجل بماء المرأة بأنَّه «استعداد لقبول الحياة».

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٥١/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

فكيف لو عرف ما عرفناه اليوم بأنَّ الحياة قد وجدت بالفعل منذ تم هذا اللقاء؟!

ولهذا نقول: إنَّ الأصل في الإجهاض هو الحرمة. وإن كانت الحرمة تكبُر وتعظُم كلَّما استقرَّت حياة الجنين.

فهو في الأربعين الأولى أخــفُّ حُرْمة، فقد يجــوز لبعض الأعذار المعتبرة، وبعد الأربعين تكون الحرمة أقوى، فلا يجوز إلَّا لأعذار أقوى يقدِّرها أهــل الفقه، وتتأكَّد الحرمة وتتضاعف بعد مائة وعشــرين يومًا، حيث يدخل في المرحلة الَّتي سمَّاها الحديث: «النفخ في الروح».

وفي هذه الحالة لا يجوز الإجهاض إلَّا في حالة الضرورة القصوى، بشــرط أن تثبت الضرورة لا أن تتوهَّم، وإذا ثبتت فما أبيح للضرورة يقدَّر بقدرها.

ورأيي أنَّ الضرورة هنا تتجلَّى في صورة واحدة، وهي: ما إذا كان في بقاء الجنين خطر على حياة الأم، لأنَّ الأم هي الأصل في حياة الجنين، والجنين فــرع، فلا يضحَّى بالأصل من أجل الفــرع، وهذا منطق يوافق عليه مع الشــرع الخلق والطبُّ والقانون. على أنَّ من الفقهاء من رفض ذلك، ولم يقبل الجناية على الحي بحال. ففي كتب الحنفيَّة:

«امرأة حامل اعترض الولد في بطنها ولا يمكن «إخراجه» إلَّا بقطعه أرباعًا. ولو لم يفعل ذلك يخاف على أمه مــن الموت؟! قالوا: إن كان الولد ميتًا فلا بأس به، وإن كان حيًّا لا يجوز، لأنّ إحياءَ نفسٍ بقتل نفس أخرى لم يرد في الشرع»[1].

(١) انظر: الاختيار لتعليل المختار (١٦٧/٤)، والبحر الرائق لابن نجيم (٢٣٣/٨)، نشر دار الكتاب الإسلامي، ط٢.

QaradawiBooks.com

ولكنَّ الشرع ورد بارتكاب أخفِّ الضررين، وأهون المفسدتين.

وأضاف بعض المعاصرين إلى الصورة المذكورة، صورة أخرى، وهي:

أن يثبت بطريقة علميَّة مؤكَّدة أنَّ الجنين وفقًا لسنن الله تعالى سيتعرض لتشوُّهات خطيرة تجعل حياته عذابًا عليه وعلى أهله، وفقًا لقاعدة: «الضرر يدفع بقدر الإمكان» وينبغي أن يُقَرِّر ذلك فريقٌ طبِّيٌّ لا طبيب واحد.

والراجح أنَّ الجنين بعد استكمال أربعة أشهر إنسان حي كامل. فالجناية عليه كالجناية على طفل مولود.

ومن لطف الله أنَّ الجنين المصاب بتشوهات خطيرة لا يعيش بعد الولادة، في العادة، كما هو مشاهد، وكما قرَّر أهل الاختصاص أنفسهم.

على أنَّ الأطباء كثيرًا ما يخطئون التشخيص.

وأذكر هنا واقعة كنت أحد أطرافها، وقعت منذ بضع سنوات، فقد استفتاني صديق يقيم في ديار الغرب: أنَّ الأطباء، قرَّروا أنَّ الجنين في بطن امرأته الحامل لخمسة أشهر سينزل مشوَّهًا وقال: إنَّهم يرجِّحون ذلك ولا يوقنون. وكانت فتواي له أن يتوكل على الله، ويدع زمام الأمر إليه سبحانه، فلعل ظنَّهم يخيب، ولم أشعر بعد أشهر إلَّا وبطاقة تصل إليَّ من أوربا تحمل صورة مولود جميل، كتب أبوه على لسانه هذه العبارات المؤثرة:

عمِّي العزيز: أشكرك بعد الله تعالى على أن أنقذتني من مشارط الجرَّاحين، فقد كانت فتواك سبب حياتي، فلن أنسى لك هذا الجميل ما حييت.

QaradawiBooks.com

بيد أنَّ تشوُّهات الجنين ينبغي أن تعتبر إذا ثبتت بالفعل قبل الأشهر الأربعة، ومرحلة نفخ الروح.

على أنَّه ليس من التشويه المعتبر أن يصاب الجنين بعد ولادته بمثل العمى أو الصمم أو البكم، فهذه عاهات عرفها النَّاس طوال حياة البشرية وعاشوا بها، ولم تمنعهم من المشاركة في تحمل أعبائها، وعرف النَّاس عباقرة من ذوي العاهات، لا زالت أسماؤهم حاضرة في ذاكرة التاريخ.

ولا يجوز لنا أن نعتقد أنَّ العلم سيغير بإمكاناته ووسائله من طبيعة الحياة البشرية الَّتي أقامها الله على الابتلاء: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

ولقد ساهم العلم وساهمت التكنولوجيا في عصرنا بتعليم المعوقين تعليمًا بلغ حدًّا كبيرًا من النجاح، كما ساهما في تيسير الحياة لهم، واستطاع كثير منهم أن يشاركوا في أعباء الحياة كغيرهم من الأسوياء، وخاصة أنَّ الله تعالى قد اقتضت سنته أن يعوِّضهم بمواهب وقدرات أخرى غير عادية.

والله يقول الحقَّ، وهو يهدي السبيل.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجهاض الحمل الناشئ عن اغتصاب

س: وجَّه إليَّ هذا السؤال الخطير الأخ الدكتور مصطفى تسيرتش رئيس المؤتمر العالمي لرعاية حقوق الإنسان في البوسنة والهرسك، الَّذي انعقد في مدينة زغرب عاصمة كرواتيا، في ١٨، ١٩ من سبتمبر سنة ١٩٩٢م، وشاركت في أعماله مع فضيلة الشيخ محمد الغزالي وعدد من علماء المسلمين ودعاتهم من أنحاء العالم الإسلامي.

قال الدكتور مصطفى: إنَّ عددًا من الإخوة المسلمين داخل جمهورية البوسنة والهرسك، حينما علموا بقدوم الشيخين الغزالي والقرضاوي حمَّلوني واجب التوجه إليهما بهذا السؤال الأليم المحيِّر، الَّذي تنطق به على استحياء ألسنة فتياتنا اللاتي اغتصبهن الجنود الصربيون المجرمون المتوحِّشون، الذين لم يرقبوا في مؤمن إلًّا ولا ذمَّة، ولم يرعوا لإنسان كرامة ولا حرمة، وقد حمل بعضهن نتيجة لهذا الاعتداء الآثم، وشعرن بجنين يحملنه في أحشائهن، ويحملن معه الهموم والمخاوف والأحزان، والشعور بالفضيحة والذل والهوان، وهنَّ لهذا يسألن الشيخين وأهل العلم جميعًا: ماذا يصنعن تجاه هذه الجريمة وآثارها؟ هل يجيز لهن الشرع إجهاض هذا الحمل الَّذي أتى برغمهن؟ وإذا بقي هذا الحمل حتَّى وضع حيًّا فما حكمه؟ وما مدى مسؤولية الفتاة المغتصبة؟

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فقد وكَّل إليَّ فضيلة الشيخ الغزالي الإجابة عن هذا السؤال في المؤتمر، فأجبت عنه إجابة شفهية؛ سجلت لتنقل إلى الإخوة والأخوات في الداخل، ليسمعنها ويتصرَّفن على ضوئها.

وقد رأيت من المفيد أن أكتب الإجابة هنا لتقرأ وتنقل، ويعمل بها في الأحوال المماثلة، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

فقد أصبحنا نحن المسلمين نهبًا لكلِّ طامع، وهدفًا لكلِّ نابل، وغدت أعراض نسائنا وبناتنا لحمًا مباحًا تنهشه الذئاب الجائعة، والسباع المفترسة، دون أن تخشى عقابًا، أو تخاف قصاصًا.

ولقد سُئلت مثل هذا السؤال من قبل، من إخوة في أريتريا؛ فعل ببناتهم وأخواتهم الجنودُ النصارى في جيش ما يُسمَّى الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا، ما يفعل جنود الصرب اليوم ببنات البوسنة الحرائر.

وقبل ذلك بسنوات أرسلت جماعة من النساء المؤمنات المعتقلات ظلمًا، من داخل سجون الظلمة الطغاة في بعض البلاد العربية الآسيوية بنفس السؤال إلى عددٍ من العلماء في البلاد العربية: ماذا يصنعن فيما تحمله أرحامهن من حملٍ حرام، لا ذنب لهن فيه، ولا اختيار لهن فيه؟

وأحبُّ أن أؤكد أولًا: أنَّ هؤلاء النسوة من أخواتنا وبناتنا، ليس عليهنَّ أي ذنب فيما حدث لهن، ما دمن قد رفضن وقاومن في أوَّل

QaradawiBooks.com

الأمر، ثم أكرهن عليه تحت أسنة الرماح، وضغط القوة الباطشة، وماذا تصنع أسيرة أو سجينة مهيضة الجناح، أمام آسر أو سجان مدجَّج بالسلاح؟ لا يخشى خالقًا، ولا يرحم مخلوقًا؟!

والله تعالى قد رفع الإثم عن المكره فيما هو أشد من الزنى، وهو الكفر، والنطق به، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

بل رفع القرآن الإثم عن الإنسان في حالة الضرورة القاهرة، وإن بقي له شيء من الاختيار الظاهري، وما ذاك إلَّا لأنَّ ضغط الضرورة أقوى منه، قال تعالى بعد أن ذكر الأطعمة المحرَّمة: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

والنبيُّ ﷺ قال: «**إنَّ الله وضع عن أُمَّتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»(١).

بل إنَّ هؤلاء البنات والأخوات يؤجرن على ما أصابهن من البلاء، إذا تمسَّكن بإسلامهن الَّذي ابتلينَ وامتحنَّ من أجله، واحتسبن ما نالهن من الأذى عند الله ﷻ، وقد قال رسول الله ﷺ: «**ما يصيب المسلمَ من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ، ولا همٍّ ولا حزنٍ، ولا أذًى ولا غمٍّ، حتَّى الشَّوْكَة يُشَاكُها؛ إلَّا كفَّر الله بها من خطاياه**»(٢).

فإذا كان المسلم يُثاب في الشوكة يشاكها، فكيف إذا انتهك عرضه أو لُوِّث شرفه؟!

---

(١) رواه ابن ماجه في الطلاق (٢٠٤٥)، وابن حبان (٧٢١٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. والحاكم في الطلاق (١٩٨/٢)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٦٤)، عن ابن عبَّاس.

(٢) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٤١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٣)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

ومن أجل هذا أنصح للشباب المسلم أن يتقرَّب إلى الله تعالى بالزواج من إحدى هؤلاء الفتيات، رفقًا بحالهن، ومداواةً لجرحهن، وهو جرح نفسيٌّ قبل كل شيء، ناشئ عن إحساسهن بأنهن فقدن أعز ما تملكه فتاة شريفة طاهرة، وهو عذريتها.

أمَّا إجهاض الحمل، فقد بيَّنَّا في فتوى سابقة أنَّ الأصل في الإجهاض هو المنع، منذ يتم العلوق، أي منذ يلتقي الحيوان المنوي الذكر بالبويضة الأنثوية، وينشأ منهما ذلك الكائن الجديد، ويستقر في قراره المكين في الرحم.

فهذا الكائن له احترامه وإن جاء نتيجة اتصال محرَّم كالزنى، وقد أمر الرسول المرأة الغامدية الَّتي أقرَّت بالزنى واستوجبت الرجم، أن تذهب بجنينها حتَّى تلد، ثم بعد الولادة أن تذهب به حتَّى يُفطم.

وهذا ما أختاره للفتوى في الحالات العادية، وإن كان هناك من الفقهاء من يجيز الإجهاض إذا كان قبل مضي أربعين يومًا على الحمل، عملًا ببعض الروايات الَّتي صحَّت؛ بأنَّ نفخ الروح في الجنين يتم بعد أربعين أو اثنين وأربعين يومًا.

بل من الفقهاء من يرى الجواز إذا كان قبل مضي ثلاث أربعينات أي قبل مائة وعشرين يومًا، عملًا بالرواية الأشهر بأنَّ نفخ الروح يتم عند ذلك.

والذي نرجِّحه هو ما ذكرناه أولًا، ولكن في حالات الأعذار لا بأس بالأخذ بأحد القولين الآخرين، وكلما كان العذر أقوى كانت الرخصة أظهر، وكلما كان ذلك قبل الأربعين الأولى كان أقرب إلى الرخصة.

QaradawiBooks.com

ولا ريب أنَّ الاغتصاب من عدو كافر فاجر، معتد أثيم، لمسلمة عذراء طاهرة، عذر قوي، لدى المسلمة ولدى أهلها، وهي تكره هذا الجنين ـ ثمرة الاعتداء الغشوم ـ وتريد التخلص منه.. فهذه رخصة يُفتى بها للضرورة، الَّتي تقدَّر بقدرها.

ونحن نعلم أنَّ هناك من الفقهاء من شدَّدوا في الأمر، ومنعوا الإسقاط ولو بعد يوم واحد من الحمل، بل هناك من حرَّموا مجرد الامتناع الاختياري عن الإنجاب، بمنع الحمل من قبل الرجل أو المرأة أو كليهما، مستدلين بما جاء في بعض الأحاديث من تسمية «العزل» بـ «الوأد الخفي». فلا غرو أن يحرم الإجهاض بعد الحمل.

والأرجح هو التوسُّط بين المتوسِّعين في الإجازة، والمتشدِّدين في المنع.

والقول بأنَّ «البويضة» منذ يلقحها المنوي أصبحت «إنسانًا» إنَّما هو لون من «المجاز» في التعبير، فالواقع أنَّها «مشروع إنسان».

صحيح أنَّ هذا الكائن يحمل الحياة، ولكنَّ الحياة درجات ومراتب، والحيوان المنوي نفسه يحمل الحياة، والبويضة قبل تلقيحها أيضًا تحمل الحياة، ولكنَّ هذه وتلك ليست هي الحياة الإنسانيَّة الَّتي تترتب عليها الأحكام.

ومن ثم تكون الرخصة مقيَّدة بحالة العذر المعتبر، الَّذي يقدره أهل الرأي من الشرعيين والأطباء والعقلاء من الناس، وما عدا ذلك يبقى على أصل المنع.

على أنَّ من حقِّ المسلمة الَّتي ابتليت بهذه المصيبة في نفسها، أن تحتفظ بهذا الجنين، ولا حرج عليها شرعًا، كما ذكرت، ولا تجبر على

QaradawiBooks.com

إسقاطه، وإذا قدِّر له أن يبقى في بطنها المدَّة المعتادة للحمل ووضعته، فهو طفل مسلم، كما قال النبي ﷺ: «**ما من مولودٍ إلَّا يُولَدُ على الفِطْرة**»[١]. والفطرة هي التوحيد وهي الإسلام.

ومن المقرَّر فقهًا: أنَّ الولد إذا اختلف دين أبويه، يتَّبع خير الأبوين دينًا، وهذا فيمن له أب يعرف، فكيف بمن لا أب له؟ إنَّه طفلٌ مسلمٌ بلا ريب.

وعلى المجتمع المسلم أن يتولَّى رعايته والإنفاق عليه، وحسن تربيته، ولا يدع العبء على الأمِّ المسكينة المبتلاة، والدولة في الإسلام مسؤولة عن هذه الرعاية بواسطة الوزارة أو المؤسسة المختصَّة، وفي الحديث الصحيح المتَّفَق عليه: «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته**»[٢].

* * *

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٥٨)، ومسلم في القدر (٢٦٥٨)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٢١.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

قتل الرحمة أو تيسير الموت للمريض

هذا سؤال من جملة أسئلة عن الطب الإسلامي وأحكامه وآدابه وصلتني في رسالة من قبل منظمة الطب الإسلامي لجنوب إفريقيا، ويتمثل السؤال الأول فيما يلي:

قتل الرحمة (تيسير الموت):

التعريف: تسهيل موت الشخص بدون ألم بسبب الرحمة؛ لتخفيف معاناة المريض، سواء بطرق فعالة أو منفعلة.

تيسير الموت الفعال: يتخذ الطبيب إجراءات فعالة لإنهاء حياة المريض.

أمثلة:

١ ـ مريض مصاب بالسرطان يعاني من الألم والإغماء، ويعتقد الطبيب بأنَّه سيموت بأيِّ حال من الأحوال، ويعطيه جرعة عالية من علاج قاتل للألم، الَّذي يوقف تنفسه.

٢ ـ مريض في حالة إغماء لفترة طويلة مثلًا؛ بعد إصابته بالتهاب السحايا أو بإصابة شديدة في رأسه، ومن الممكن أن يبقى حيًّا باستعمال منفِّسة (جهاز إنعاش)، ويعتقد الطبيب بعدم وجود أي أمل

QaradawiBooks.com

بشفائه، والمنفِّسة تضخُّ الهواء للرئتين، وتديم تنفسه «أوتوماتيكيًّا». فإذا ما أوقف المنفِّســة لن يتمكن المريض من إدامة تنفسه، فمن الممكن إبقاء هذا المريض حيًّا بواسطة هذه المنفِّسة الصناعيَّة الَّتي تديم فعالياته الحيوية، ولكن لكل الاعتبارات الأخرى يعتبر مثل هذا المريض «ميتًا» وغير قادر على السيطرة على وظائفه؛ وإيقاف هذه المنفِّسة يعتبر تيسيرًا فعالًا للموت.

تيسير الموت المنفعل:

هنا لا تتخذ خطوات فعالة لإنهاء حياة المريض بل يترك للمرض أن يأخذ أدواره بدون إعطاء المريض أي علاج لإطالة حياته.

أمثلة:

١ ـ مريض نهائي بالسرطان أو الإغماء من إصابة بالرأس أو التهاب سحائي؛ ولا يرجى شفاؤه منه، ومصاب بالتهاب الرئة الَّتي إن لم تعالج ـ وهي ممكنة العلاج ـ يمكــن أن تقتل المريــض؛ وإيقاف العلاج من الممكن أن يعجل بموت المريض.

٢ ـ طفل مشوَّه تشــويهًا شديدًا بتصلب أشرم ـ شــوكة مشقوقة ـ أو بشلل مخِّي يمكن أن يترك من دون علاج إذا أصيب بالتهاب الرئتين أو بالتهاب السحايا، ويمكن أن يموت الطفل من هذه الالتهابات.

والتصلب الأشرم ـ الشوكة المشقوقة ـ هي حالة غير طبيعية للعمود الفقري؛ تؤدي إلى شلل الســاقين وفقدان السيطرة على المثانة والأمعاء الغليظة؛ والطفــل المريض بهذا الداء يكون مشــلولًا، يحتاج إلى عناية خاصَّة طيلة حياته.

QaradawiBooks.com

أمَّا الشـــلل المخيُّ، فهي حالة تلف في المخ خلال الولادة، تسبِّب تخلفًا عقليًّا، وشـــللًا في الأطراف بدرجات متفاوتـــة، ومثل هذا الطفل يكون مشلولًا جسميًّا وعقليًّا؛ ويحتاج لعناية خاصَّة طوال حياته.

في الأمثلة الســـابقة «إيقاف العلاج» هو نوع من أنواع تيسير الموت المنفعل؛ وبصورة عامَّة لا يعيش هؤلاء الأطفـــال عمرًا طويلًا، وإيقاف العلاج وتيســـير الموت المنفعل يمنع إطالة معانـــاة الطفل المريض أو والديه.

الأسئلة:

١ ـ هل تيسير الموت الفعَّال مسموح به في الإسلام؟

٢ ـ هل تيسير الموت المنفعل مسموح به في الإسلام؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

تيسير الموت الفعَّال:

١ ـ تيسير الموت الفعَّال في المثال رقم (١) لا يجوز شرعًا؛ لأنَّ فيه عملًا إيجابيًّا من الطبيب بقصد قتل المريض، والتعجيل بموته، بإعطائه تلك الجرعة العالية من الدواء المتســـبب في الموت، فهو قتل على أي حال؛ سواء كان بهذه الوســـيلة أم بإعطاء مادة سمية ســـريعة التأثير، أم بصعقة كهربائية، أم بآلة حادة، كله قتل، وهو محرَّم، بل هو من الكبائر

QaradawiBooks.com

الموبقــة، ولا يزيل عنــه صفة القتــل أنَّ دافعه هو الرحمــة بالمريض، وتخفيف المعاناة عنه؛ فليــس الطبيب أرحم به ممَّن خلقه؛ وليترك أمره إلى الله تعالى، فهو الَّذي وهب الحياة للإنســان، وهو الَّذي يســلبها في أجلها المسمَّى عنده.

أمَّا المثال رقم (٢) من أمثلة تيســير الموت الفعَّال، فنؤخر الحديث عنه بعد الحديث عن تيسير الموت المنفعل.

تيسير الموت المنفعل «بإيقاف العلاج»:

وأمَّا تيســير الموت «بالطرق المنفعلة» كما في السؤال، فإنَّها تدور كلها ســواء في المثال (١) أم (٢) على «إيقاف العــلاج» عن المريض، والامتناع عن إعطائه الــدواء، الَّذي يوقن الطبيب أنَّه لا جدوى منه، ولا رجاء فيه للمريض، وفق سنن الله تعالى، وقانون الأسباب والمسببات.

ومن المعــروف لدى علمــاء الشــرع: أنَّ العلاج أو التــداوي من الأمراض ليس بواجب عند جماهير الفقهاء، وأئمَّة المذاهب، بل هو في دائرة المباح عندهم.. وإنَّما أوجبته طائفة قليلة، كما قاله بعض أصحاب الشافعي وأحمد. كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، وبعضهم استحبَّه[١].

بل قد تنازع العلماء: أيهما أفضل: التداوي أم الصبر؟ فمنهم من قال الصبر أفضل، لحديث ابن عبَّــاس في الصحيح، عن الجارية الَّتي كانت تُصرع ـ يصيبها الصرع ـ وسألت النبي ﷺ أن يدعو لها، فقال: «**إن شئتِ صبرتِ ولك الجنَّة، وإن شــئتِ دعوتُ الله أن يُعافِيَــكِ**». فقالت: أصبر.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٦٩/٢٤)، تحقيق عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبويَّة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

فقالت: إنِّي أتكشَّف، فادع الله لي ألَّا أتكشَّف، فدعا لها[١]. ولأنَّ خلقًا من الصحابة والتابعين لم يكونوا يتداوون، بل فيهم من اختار المرض، كأُبيِّ بن كعب، وأبي ذر رضي الله عنهما؛ ومع هذا فلم يُنكر عليهم ترك التداوي[٢].

وقد عقد الإمام أبو حامد الغزالي في «كتاب التوكُّل» من «الإحياء» بابًا في الردِّ على من قال ترك التداوي أفضل بكل حال[٣].

هذا هو رأي فقهاء الأمة في العلاج أو التداوي للمريض. فأكثرهم يجعلونه من قسم المباح، وأقلهم يجعلونه من المستحب، والأقل منهم يجعلونه واجبًا.

وأنا مع الذين يوجبونه في حالةٍ ما إذا كان الألم شديدًا، والدواء ناجحًا، والشفاء مرجوًّا منه وفق سنة الله تعالى.

وهو الموافق لهَدْي النبي ﷺ؛ الَّذي تداوى وأمر أصحابه بالتداوي، كما ذكر ذلك الإمام ابن القيِّم في هديه ﷺ في «زاد المعاد»[٤]، وأدنى ما يدلُّ عليه ذلك هو السُّنِّيَّة والاستحباب.

ومن هنا يكون العلاج أو التداوي حيث يُرجى للمريض الشفاء مستحبًّا أو واجبًا، أمَّا إذا لم يكن يُرجى له الشفاء، وفق سنن الله في الأسباب والمسببات، الَّتي يعرفها أهلها وخبراؤها من أرباب الطب والاختصاص، فلا يقول أحد باستحباب ذلك؛ فضلًا عن وجوبه.

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٥٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٦).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٦٩/٢٤).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٢٩٠/٤) وما بعدها.

(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٩/٤)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

وإذا كان تعريض المريض للعلاج بأيِّ صورة كانت ـ شربًا أو حقنًا أو تغذية بالجلوكوز ونحوه، أو توصيلًا بأجهزة التنفس والإنعاش الصناعي، أو غير ذلك ممَّا وصل إليه الطب الحديث، ومما قد يصل إليه بعد ـ يطيل عليه مدة المرض، ويبقي عليه الآلام زمنًا أطول، فمن باب أولى ألَّا يكون ذلك واجبًا ولا مستحبًّا، بل لعلَّ عكسه هو الواجب أو المستحب.

فهذا النوع من تيسير الموت ـ إن صحت التسمية ـ لا ينبغي أن يدخل في مسمَّى «قتل الرحمة»، لعدم وجود فعل إيجابي من قبل الطبيب، إنَّما هو ترك لأمر ليس بواجب ولا مندوب، حتَّى يكون مؤاخذًا على تركه.

وهو إذن أمر جائز ومشروع، إن لم يكن مطلوبًا، وللطبيب أن يمارسه، طلبًا لراحة المريض وراحة أهله. ولا حرج عليه إن شاء الله.

تيسير الموت بإيقاف أجهزة الإنعاش:

بقي الجواب عن المثال الثاني في النوع الأول، الَّذي اعتبره السؤال من تيسير الموت بالطرق الفعالة لا المنفعلة. وهو يقوم على إيقاف الْمُنَفِّسة الصناعيَّة أو ما يسمُّونه «أجهزة الإنعاش الصناعي» عن المريض، الَّذي يعتبر في نظر الطب «ميتًا» أو «في حكم الميت» وذلك لتلف جذع الدماغ، أو المخ، الَّذي به يحيا الإنسان ويحسُّ ويشعر.

وإذا كان عمل الطبيب مجرَّد إيقاف أجهزة العلاج، فلا يخرج عن كونه تركًا للتداوي شأنه شأن الحالات الأخرى، الَّذي سمَّاها «الطرق المنفعلة».

QaradawiBooks.com

ومن أجل ذلك أرى إخراج هذه الحالة وأمثالها عن دائرة النوع الأول «تيسير الموت بالطرق الفعَّالة» وإدخالها في النوع الآخر.

وبناءً على ذلك يكون هذا أمرًا مشروعًا ولا حرج فيه أيضًا، وبخاصَّة أنَّ هذه الأجهزة تبقي عليه هذه الحياة الظاهريـة ـ المتمثلة في التنفس والدورة الدموية ـ وإن كان المريض ميتًا بالفعل، فهو لا يعي ولا يحسُّ ولا يشعر؛ نظرًا لتلف مصدر ذلك كله وهو المخ.

وبقاء المريض على هـذه الحالة يتكلَّف نفقـات كثيرة دون طائل، ويحجز أجهزة يحتاج إليها غيره، ممَّن يجـدي معه العلاج، وهو ـ وإن كان لا يحسُّ ـ فـإنَّ أهله وذويه يظلُّون في قلق وألـم؛ ما دام على هذه الحالة، الَّتي قد تطول إلى عشر سنوات أو أكثر!

وقد ذكرت هذا الرأي منذ سنوات، أمام جمع من الفقهاء والأطباء، في أحـد اجتماعات الندوة الَّتـي تقيمها بين الحيـن والحين «المنظمة الإسلاميَّة للعلوم الطبيَّة» بالكويت، فلقي قبول الحاضرين من أهل الفقه وأهل الطبِّ.

والحمد لله الَّذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع

هل يجوز الاستنساخ في البشر؟

س: لا بدَّ أنَّكم قرأتم وسمعتم وشاهدتم هذا الحدث الكبير، الَّذي تحدثت عنه أجهزة الإعلام كلها، وأذاعته وكالات الأنباء العالمية، وأمسى حديث النَّاس في مجالسهم في صباحهم ومسائهم، ألا وهو «استنساخ» النعجة الأسكتلندية «دوللي» كما سمَّوها، وقد ظهرت نسخة مطابقة للنعجة الَّتي استنسخت منها تمامًا، لا تتميز عنها في شيء، وهنا بات النَّاس يخافون أن يحدث من الاستنساخ في الإنسان، ما حدث في الحيوان! وهذا ما جعلنا وجعل الكثيرين من أمثالنا يتساءلون عن موقف الدين والشريعة الإسلاميَّة من هذا الأمر، وبعبارة صريحة: هل يجوز الاستنساخ في البشر، كما جاز في الحيوان؟!

نفع الله بعلمكم، وجزاكم عنَّا وعن المسلمين خيرًا.

شباب يدرسون «البيولوجيا» في الولايات المتحدة

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

QaradawiBooks.com

(وبعد)

يقول الشاعر العربيُّ[١]:

والليالـي مـن الزمـان حَبَالَـى مُثقـلاتٌ يلـدنَ كلَّ عجيـبِ!

وثبات العلم الحديث:

وإذا كانت الليالي في الأزمنة الماضية تلد العجائب، فهي في زماننا أكثر وأسرع ولادة لكل عجيب وغريب، ممَّا لم يخطر ببال الإنسان، ولم يحلم به مجرد حلم في العصور السالفة، وذلك بفضل تقدم العلم الَّذي علَّمه الله للإنسـان، ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥] حتَّى أضحى الإنسان يشـق أجواز الفضاء، وينزل على سـطح القمر، ويطمـح للوصول إلى الكواكب الأبعد.

ولقد قُدِّر لنا أن نشـهد كثيرًا مـن العجائب في حياتنـا، ابتداءً من المذياع والتلفاز، ثـم الكومبيوتر وغـزو الفضاء، وانتهـاءً بالإنترنت، ومرورًا بالثورة البيولوجية الهائلة: ثورة الهندسـة الوراثيَّة، الَّتي جُرِّبت بتوسُّـع في عالم النبات، ثم بقدر أضيق في عالـم الحيوان، ثم أصبح يُخشى أن تدخل عالم الإنسان!

ولقد أصبح الكثيـرون يتخوَّفون من وثبات العلـم إذا انطلق وحده بمعزل عن الإيمان والأخلاق، فقد يعود العلم عندئذٍ خطرًا على الإنسان، بدل أن يكون نعمة له.

(١) ذكره دون نسـبة النويري في نهاية الأرب (١٣٤/١)، تحقيق دار الكتـب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

ومنذ سنوات عقدت في كلية العلوم بجامعة قطر، ندوة علميَّة، شاركت فيها المنظمة الإسلاميَّة للتربية والثقافة والعلوم، وجمعية الدعوة الإسلاميَّة بليبيا، وكان موضوعها: الهندسة الوراثيَّة وموقف الدين والأخلاق والقانون منها. وانتهت الندوة بعدد من التوصيات، دارت حول التحذير من انطلاق العلم أو انفلاته من قيم الدين والأخلاق، ورعاية المصلحة للبشر، واتخاذه أداةً لسيطرة بعض النَّاس على بعض، والعبث بفطرة الله الَّتي فطر النَّاس عليها، ومحاولة تغيير خلق الله، وهو من عمل الشيطان.

الاستنساخ ومخاطره:

ولقد بدأت المخاوف الَّتي خشيها النَّاس من تطور الهندسة الوراثيَّة، تظهر فيما عرف اليوم باسم «الاستنساخ» حيث تمَّ هذا الإنجاز في دنيا الحيوان في صورة النعجة «دوللي» الشهيرة، الَّتي لم تُولد من التقاء الذكر والأنثى، أو الكبش والنعجة، أو التقاء الحيوان المنوي الذكري بالبويضة الأنثوية، كما هو المعتاد فيما خلق الله من حيوان وإنسان.

ولكنَّهم أخذوا بويضة من هذه النعجة المعيَّنة، وفرَّغوها من نواتها، أي نزعوا منها النواة تمامًا، ثم جاؤوا بخلية حية من جسم النعجة، ووضعوها مكان النواة، فانقسمت وتكاثرت، كما في البويضة الملقحة، بعد أن وضعت في رحم الشاة، وتمت النمو الجنيني المعتاد، حتَّى ولدت شاة كاملة، مشابهة للشاة الَّتي استنسخت منها تمام المشابهة. أي مشابهة التوءم للتوءم إذا كانا من بويضة واحدة.

وبهذا أمكن تخليق نسخة أخرى طبق الأصل من النعجة الَّتي أخذت منها البويضة، وفي الإمكان استنساخ نعجات أو نسخ أخرى مطابقة تمام المطابقة للنعجة الأصلية في جسمها وشكلها، ولونها وحجمها ونوع صوفها، إلخ.

QaradawiBooks.com

ومنذ نجح الاستنساخ في عالم الحيوان، أصبح الاستنساخ في عالم الإنسان في دائرة الإمكان، وغدا هذا الأمر مخوفًا لدى الكثيرين في أنحاء العالم، وقبله أناس، ورفضه آخرون، بعضهم من رجال العلم أنفسهم، وأكثرهم من الذين يهتمُّون بالدين والأخلاق والقيم الإنسانيَّة، ومصير البشرية.

ويقول بعض الناس: إنَّهم يجرِّبون ذلك سرًّا على الإنسان، دون إعلان الآن، حتَّى إذا أنجزوا ما ينشدونه أعلنوه.

موقف الإسلام من الاستنساخ:

ومن أجل ذلك تساءل النَّاس في عالمنا الإسلامي عن موقفنا نحن المسلمين، وبعبارة أدق: عن موقف ديننا وشريعتنا من هذا الأمر الجديد: أتجيزه شريعتنا بإطلاق؟ أم تمنعه وتحرِّمه بإطلاق؟ أم تجيزه ببعض الضوابط والقيود؟

وأودُّ أن أجيب هنا بأنَّ الإسلام يرحِّب عمومًا بالعلم والبحث العلمي، ويرى من فروض الكفاية على الأمة المسلمة: أن تتفوق في كل مجال من مجالات العلم الَّذي تحتاج إليها الأمة، في دينها أو دنياها، بحيث تتكامل فيما بينها، وتكتفي اكتفاءً ذاتيًّا في كلِّ فرع من فروع العلم وتطبيقاته، وفي كلِّ تخصُّص من التخصُّصات، حتَّى لا تكون الأمة عالةً على غيرها.

ولكنَّ «العلم» في الإسلام، مثله مثل العمل، والاقتصاد والسياسة والحرب، كلُّها يجب أن تتقيد بقيم الدين والأخلاق، ولا يقبل الإسلام فكرة الفصل بين هذه الأمور وبين الدين والأخلاق؛ كأن يقول قائلون: دعوا العلم حرًّا، ودعوا الاقتصاد حرًّا، ودعوا السياسة حرَّة، ودعوا

QaradawiBooks.com

الحرب حـرَّة، ولا تُدخلوا الدين أو الأخلاق في هـذه الأمور، فتضيِّقوا عليها، وتمنعوها من النمو والانطلاق وسرعة الحركة.

إنَّ الإسـلام يرفض هذه النظـرة الَّتي أفسـدت العلـم والاقتصاد والسياسة، ويرى أنَّ كل شيء في الحياة يجب أن يخضع لتوجيه الدين، وكلمة الدين، فكلمة الديـن هي كلمة الله، وكلمة الله هـي العليا، ومن المنطقي أن تخضع كلمة الإنسـان المخلوق لكلمة الله الخالق سبحانه. وكلمة الله هي أبدًا كلمة الحق والخير، والعدل والجمال!

الاستنساخ في عالم الحيوان جائز بشروط:

ونحن إذا نظرنا إلى قضية الاستنساخ، فنحن نجيزه في عالم الحيوان بشروط:

الأول: أن يكون في ذلك مصلحة حقيقية للبشـر، لا مجرد مصلحة متوهَّمة لبعض الناس.

الثاني: ألَّا يكون هناك مفسدة أو مضرَّة أكبر من هذه المصلحة، فقد ثبت للناس الآن ـ ولأهل العلم خاصَّـة ـ أنَّ النباتات المعالجة بالوراثة إثمها أكبر من نفعها، وانطلقت صيحات التحذير منها في أرجاء العالم.

الثالث: ألَّا يكون في ذلك إيذاء أو إضـرار بالحيوان ذاته. ولو على المدى الطويل، فإنَّ إيذاء هذه المخلوقات العجماوات حرام في دين الله.

الاستنساخ في مجال البشر لا يجوز:

إذا عرفنا ذلك في عالم النعاج والكبـاش أو عالم الحيوان بصفة عامة، فما الحكم في دخول الاستنسـاخ في عالم الإنسان، ومحاولة استنساخ بشـر من آخر على طريقة النعجة «دوللي» بحيث يمكننا أن

QaradawiBooks.com

نستنسخ من الشخص الواحد عشرات أو مئات مثله، بدون حاجة إلى أبوين ولا زواج ولا أسرة، بل يكفينا أحد الجنسين من الذكور أو الإناث، ونستغني عن الجنس الآخر، وبهذا تستطيع البشرية أن تستنسخ من الأشخاص الأذكياء عقلًا، والأقوياء جسمًا، والأصحاء نفسًا، ما شاءت من الأعداد، وتتخلَّص من الأغبياء والضعفاء والمهازيل من البشر؟

وهنا نقول: إنَّ منطق الشرع الإسلامي ـ بنصوصه المطلقة، وقواعده الكليَّة، ومقاصده العامة ـ يمنع دخول هذا الاستنساخ في عالم البشر، لما يترتب عليه من المفاسد الآتية:

الاستنساخ ينافي التنوع:

أولًا: إنَّ الله خلق هذا الكون على قاعدة «التنوع» ولهذا نجد هذه العبارة ترد في القرآن كثيرًا بعد خلق الأشياء والامتنان بها على العباد ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ﴾ فاختلاف الألوان تعبير عن ظاهرة «التنوُّع». وحسْبنا أن نقرأ قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

والاستنساخ يناقض التنوع؛ لأنَّه يقوم على تخليق نسخة مكررة من الشخص الواحد، وهذا يترتب عليه مفاسد كثيرة في الحياة البشرية والاجتماعيَّة، بعضها ندركه، وبعضها قد لا ندركه إلَّا بعد حين.

تصور فصلًا من التلاميذ المستنسخين، كيف يميِّز المدرِّس بين بعضهم وبعض؟ كيف يعرف زيدًا من عمرو من بكر؟

QaradawiBooks.com

وكيف يعرف المحقِّق من ارتكـــب جرمًا من غيره، والوجوه واحدة، والقامات واحدة، والبصمات واحدة؟

بل كيف يعرف الرجل زوجته من غيرها والأخرى نسخة مطابقة لها؟ وكيف تعرف المرأة زوجها من غيره، وغيره هذا صورة منه؟

إنَّ الحياة كلها ستضطرب وتفسد، إذا انتفت ظاهرة التنوع واختلاف الألوان، الَّذي خلق الله عليه الناس.

علاقة المستنسَخ بالمستنسَخ منه:

ثم هناك ســؤال محيِّر عن علاقة الشــخص المستنســخ بالشخص المستنسخ منه: هل هو نفس الشخص باعتباره نسخة مطابقة منه؟ أو هو أب له، أو أخ توءم له؟ هذه قضية مربكة.

ولا شــكَّ أنَّ هذا الشــخص غير الآخر، فهو ـ وإن كان يحمل كل صفاته الجســمية والعقلية والنفســيَّة ـ ليس هو الآخر، فهو بعده، بزمن قطعًا، وقد يحمل كل صفاته الأساســية، ولكن تؤثر فيه البيئة والتربية، والثقافة، فتجعل منه شخصًا آخر في عقيدته وسلوكه ومعارفه، فهذه أمور تُكتسب، ولا تكفي فيها العوامل الوراثيَّة وحدها.

وإذن يكون شخصًا غير الشخص المستنسخ منه، ولكن ما صلته به: أهو ابن؟ أم أخ؟ أم غريب عنه؟ هذه مشكلة حقًّا.

قد يقول البعض ببنوتــه؛ لأنَّه جزء منه، وهــذا مقبول إذا وضع في رحم المرأة وحملته وولدته، كما قال تعالى: ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢] ومعنى هذا أن يكون له أم ولا أب له!

QaradawiBooks.com

وقد يقول آخر: إنَّه أخ توءم للمستنسخ منه، بمثابة التوءمين المخلوقين من بويضة واحدة، ولكن الأخوة فرع عن الأبوة والأمومة، فكيف يثبت الفرع ولم يثبت الأصل؟

وهذا كله يوجب علينا أن ننكر العمليَّة من أصلها؛ لما يترتب عليها من مفاسد وآثام، ظهر بعضها، وبقي كثير منها في رحم الزمان.

مفاسد أخرى محتملة:

ثمَّ إنَّ الاستنساخ يعرض «القطيع المستنسخ» للعدوى السريعة، وربَّما للهلاك السريع، إذا أصيب واحد منهم بمرض، فسرعان ما يصاب مجموع المستنسخين بهذا الداء، وقد يقضي عليهم مرَّة واحدة، لأنَّ مجموعهم ـ وإن كانوا كثرة في العدد ـ بمثابة شخص واحد.

ومن ناحية أخرى لا يؤمن أن يستخدم الاستنساخ في الشر، كما استخدمت «القوة النوويَّة» وغيرها في التدمير وإهلاك الحرث والنسل.

فما الَّذي يضمن لنا ألَّا تأتي بعض القوى الكبرى أو من يقلدها فتستنسخ جيشًا من الأقوياء والعمالقة لتسحق به الآخرين؟

وما الَّذي يضمن لنا أن تأتي بعض هذه القوى الكبرى وتستخدم نفوذها، لمنع الآخرين من هذا الاستنساخ، وتحرِّمه عليهم، في حين تحلُّه لنفسها، كما فعلوا في «الأسلحة النوويَّة»؟

الاستنساخ ينافي سُنَّة «الزوجيَّة»:

على أنَّ الاستنساخ بالصورة الَّتي قرأناها وشرحها المختصون: ينافي ظاهرة «الازدواج» أو سُنَّة «الزوجيَّة» في هذا الكون الَّذي نعيش فيه.

QaradawiBooks.com

فالناس خلقهم الله أزواجًا من ذكر وأنثى، وكذلك الحيوانات والطيور والزواحف والحشرات، بل كذلك النباتات كلها.

بل كشف لنا العلم الحديث أنَّ الازدواج قائم في عالم الجمادات، كما نرى في الكهرباء ظاهرة الموجب والسالب، بل إنَّ «الذرَّة» ـ وهي وحدة البناء الكوني كله ـ تقوم على إلكترون وبروتون، أي شحنة كهربائية موجبة، وأخرى سالبة، ثم النواة.

والقرآن الكريم يشير إلى هذه الظاهرة حين يقول: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النبأ: ٨]، ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥، ٤٦].

ويقول: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ أي مِن زُروعٍ وَثِمَار ونَبَات، ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فجعَلَهُم ذكَرًا وأُنثَى، ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يسَ: ٣٦].

ويقول: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

ولكنَّ الاستنساخ يقوم على الاستغناء عن أحد الجنسين، والاكتفاء بجنس واحد، حتَّى قالت إحدى النساء الأمريكيات: سيكون هذا الكوكب بعد ذلك للنساء وحدهن. وهذا ضد الفطرة الَّتي فطر الله النَّاس عليها.

وليس هذا في مصلحة الإنسان بحالة من الأحوال؛ فالإنسان بفطرته محتاج إلى الجنس الآخر، ليس لمجرد النسل، بل ليكمِّل كلٌّ منهما الآخر، كما قال تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وليستمتع كلٌّ منهما بالآخر، كما قال تعالى في تصوير العلاقة الزوجية: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولهذا حينما خلق الله آدم وأسكنه الجنَّة، لم يبقه وحده، ولو كان في الجنة، بل خلق له من نفسه زوجًا ليسكن إليها، كما تسكن إليه، وقال له: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وإذا كان كلٌّ من الرجل والمرأة في حاجة إلى صاحبه ليسكن إليه، وتقوم بينهما المودة والرحمة، فإنَّ ذريتهما أشد ما تكون حاجة إليهما، أي إلى جو الأسرة: إلى الأمومة الحانية، وإلى الأبوة الراعية، إلى تعلم الفضائل من الأسرة، فضائل المعاشرة بالمعروف، والتفاهم والتناصح، والتباذل والتعاون على البر والتقوى.

وقد علم النَّاس أنَّ أطول الطفولات عمرًا هي الطفولة البشرية الَّتي تمتد لسنوات، يكون الطفل فيها في حاجة إلى أبويه وإلى أسرته ماديًّا وأدبيًّا. ولا تتم تربية الطفل تربية سوية مكتملة إلَّا في ظل أبوين يحبَّانه ويحنوان عليه، وينفقان الغالي والرخيص حتَّى يكتمل نموه، وهما في غاية السعادة بما يبذلان لأولادهما، دون منٍّ ولا أذًى.

والاستنساخ لا يحقِّق سكن كلٍّ من الزوجين إلى الآخر، كما لا يحقق الأسرة الَّتي يحتاج الطفل البشري إلى العيش في ظلالها وحماها، واكتمال نموه تحت رعايتها ومسؤوليتها، فكل من الأب والأم راعٍ في الأسرة ومسؤول عن رعيته.

استخدام الاستنساخ في العلاج:

بقي هنا أمر يسأل النَّاس عنه، وهو مدى جواز إمكان عمليَّة الاستنساخ في العلاج لبعض الأمراض.

ولا أدري المقصود من هذا بالضبط، فإن كان المقصود استنساخ «إنسان» أو «طفل» أو حتَّى «جنين» لتؤخذ فيه «قطع غيار» سليمة، تُعطى

QaradawiBooks.com

لإنسان مريض، فهذا لا يجوز بحال؛ لأنَّه مخلوق اكتسب الحياة الإنسانيَّة ـ ولو بالاستنساخ ـ فلا يجوز العبث بأجزائه، ولا بأعضائه، ولو كان في المرحلة الجنينية؛ لأنَّه قد أصبحت له حرمة.

ولكن إذا أمكن استنساخ أعضاء معينة من الجسم مثل القلب أو الكبد أو الكليَّة، أو غيرها، ليستفاد منها في علاج آخرين محتاجين إليها، فهذا ما يرحِّب به الدين، ويثيب عليه الله تبارك وتعالى، لما فيه من منفعة للناس، دون إضرار بأحد، أو اعتداء على حرمة أحد.

فكل استخدام من هذا القبيل فهو مشروع، بل مطلوب طلب استحباب، وربَّما طلب إيجاب في بعض الأحيان، بقدر الحاجة إليه، والقدرة عليه.

ملاحظتان مهمتان:

وأحبُّ أن أنوِّه هنا إلى ملاحظتين مهمتين حول قضية الاستنساخ:

الأولى: أنَّ الاستنساخ ليس كما يتصوَّره أو يتوهَّمه بعض «خلقًا للحياة»، إنَّما هو استخدام للحياة الَّتي خلقها الله تبارك وتعالى، فالبويضة الَّتي نزعت منها نواتها من خلق الله تعالى، والخلية الحية الَّتي غرست في البويضة بدل النواة من خلق الله تعالى. وكلتاهما تعمل في محطيها وفق سنن الله تعالى، الَّتي أقام عليها هذا العالم.

والثانية: أنَّ فكرة الاستنساخ أفادت الدين في تقريب عقيدة أساسية من عقائد الدين، وهي عقيدة البعث، وإحياء النَّاس بعد موتهم لحسابهم وجزائهم في الآخرة، فقد كان المشركون قديمًا، والماديون إلى اليوم، يستبعدون فكرة البعث بعد الموت، وأن يعود الإنسان نفسه إلى الحياة مرَّة أخرى.

QaradawiBooks.com

وقد قرَّبت ظاهرة الاستنساخ الأمر، أنَّه بواسطة بويضة وخلية يعود الإنسان نفسه بصورة جديدة إلى الحياة، فإذا كان هذا أمرًا قدر عليه الإنسان، أفيستبعد على قدرة الله: أن تعيد الإنسان مرَّة أخرى إلى الحياة بواسطة ما سُمِّي في الحديث بـ «عجب الذنب»[1]، الَّذي لا يفنى من الإنسان، أو بغير ذلك ممَّا نعلمه وما لا نعلمه؟ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

* * *

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٣٥)، ومسلم في الفتن (٢٩٥٥)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تشريح جثَّة الميِّت لدراسة الطب وكيف سيحاسب في قبره من شرحت جثته؟

س: الميت الَّذي لا أهل له، يُودع في ثلاجة في مستشفى للاستفادة منه في الدراسة والتشريح لطلبة كليات الطب، فمتى وكيف يحاسب في القبر وهو لم يُدفن؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

ظننتُ الأخ يسأل عن حكم تشريح هذه الجثة الَّتي ليس لها أهل، ولكن وجدتُه مشغولًا بقضية غيبية أخرى، هي كيف سيُحاسب في قبره، والأَوْلى أن يسأل: هل يجوز أن يُودع الميت في ثلاجة في المستشفى ليُستفاد منه في الدراسة والتشريح لطلبة كليات الطب؟ قبل السؤال الَّذي سأله، لأنَّ هذا السؤال هو السؤال العملي، أمَّا ما سأل عنه فهو أمر غيبي!

أقول: ما أراه أنَّ التشريح يجوز لغرض التحقُّق من دعوى جنائية، ويجوز للأمور الطبيَّة، ويجوز لغرض التحقق من أمراض وبائية؛ لتتخذ على ضوئه الاحتياطات الكفيلة بالوقاية منها، أمَّا التشريح للغرض

QaradawiBooks.com

العلمي تعلُّمًا وتعليمًا، فلا يجوز إلَّا إذا أوصى الميت بهذا، ولا يُصار إليه إلَّا عند الضرورة وفي أضيق الحدود، وإن أمكنت الدراسة على حيوانات مماثلة لكان أولى، وكذلك إن أمكن الاستغناء عن التشريح بالنماذج المصنوعة ـ وهي دقيقة إلى حدٍّ كبير ـ كالمجسَّمات البلاستيكية، أو الَّتي صُنعت من الجبس.

والأصل في الإسلام أنَّ جثَّة الميت مصونة، ولا يجوز أن تُهان، حتَّى في الحروب، فإنَّ النبي ﷺ نهانا عن المُثْلة[1]، أي: عن أن نمثِّل بالجثث، وإنَّما أبحنا ذلك للحاجة العلميَّة، والحاجة تلحق بالضرورة، والضرورات تبيح المحظورات، وما أبيح للضرورة يقدَّر بقدرها.

أمَّا أن تؤخذ جثَّة إنسان لم يستدل على شخصيته، ولم نعرف أهله، فنشرِّحها للتعلم والأبحاث العلميَّة، فهذا لا يجوز.

أمَّا عن سؤال السائل: عن متى يُحاسب هذا الميت في القبر؟ وكيف يُحاسب إذ هو لم يُدفن ولم يُقبر؟ فأقول: إنَّ كل إنسان سيُحاسب، دُفن أو لم يُدفن، فمن أُحرقت جثته، أو مات غرقًا وأكلت الأسماك جسده، أو مات في البَرِّيَّة وأكلته السباع، كل هؤلاء سيُسألون في قبورهم، ولا نعرف كيفية ذلك، فهو من الأشياء الغيبية، الَّتي لا ينبغي أن نبحث عن كنهها، فحياة القبر والبرزخ لها قوانين أخرى غير قوانين الحياة الدنيا، ومثل هذه المغيَّبات علَّمنا الله كيف نتعامل معها حين قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. هنا يتوقف العقل؛ لأنَّ الأمر فوق إدراكه.

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٦٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٢٢)، عن عمران بن حصين.

QaradawiBooks.com

وما يحدث في القبر، هو أشبه بما يسمُّونه «تحت التحقيق» الَّذي تقول به أجهزة الشرطة، قبل العرض على النيابة، والتحقيق الأساسي حين يذهب إلى النيابة، والحكم والحساب الحقيقيان يوم القيامة، عندما يعرض العبد على ربه ﷻ، ويحاسب حينها على النقير والقطمير، حسابًا مستوعبًا يُسأل فيه عن كل شيء، ويجد في كتابه كل شيء، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦]، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

في القبر يُسأل الإنسان أسئلة معينة: من ربك؟ ما دينك؟ ما تقول في هذا الرجل الَّذي بُعث فيكم؟ فإن كان موفَّقًا، يقول: ربِّي الله، وديني الإسلام، والرجل الَّذي بُعث فينا هو محمد رسول الله ﷺ. وإن كان غير موفق يقول: ها ها، لا أدري[1].

وقد يُحاسب الإنسان على بعض الأشياء، ويُعذب عليها في قبره، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن ابن عبَّاس قال: مرَّ رسول الله ﷺ على قبرين، فقال: «**أمَا إنَّهما ليُعَذَّبان، وما يُعَذَّبان في كبير، أمَّا أحدُهما فكان يمشي بالنميمة، وأمَّا الآخر فكان لا يستترُ من بَوْله**»[2].

(١) رواه أحمد (١٨٥٣٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في السُّنَّة (٤٧٥٣)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٥٣٩٦): رواته محتج بهم في الصحيح. عن البراء بن عازب.

(٢) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الوضوء (٢١٨)، ومسلم في الطهارة (٢٩٢)، عن ابن عبَّاس.

QaradawiBooks.com

فالقبر كما هو مشـــهور، إمَّا روضة من رياض الجنَّة، وإمَّا حفرة من حفر النار، بعض النَّاس يُنعَّمون، مثل الشهداء، الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمـــران: ١٦٩ ـ ١٧٠]، وبعض النَّـــاس يُعذَّبون، كهـــؤلاء الذين يقـــول الله فيهـــم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣، ٩٤].

فالأخ يجب أن يعلم أنَّ كلَّ إنسانٍ سيُسأل بعد موته، وسيأتيه الملَكان ويسألانه بالطريقة الَّتي يعلمها الله، وبالكيفيَّة الَّتي لا نعلمها نحن.

* * *

نسخة مجانية
غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

عمليات التجميل

س: هل يجوز إجراء عمليَّة تجميل للأنف، إذا كان الأنف أكبر ممَّا يلزم؛ بحُجَّة أنَّ الله جميل يحبُّ الجمال؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الإسلام قرَّر فعلًا كما جاء في الحديث عنِ النبيِّ ﷺ: «**إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمال**»[1]. ولذلك قرَّر الزينة والتجمُّل للرجال وللنساء، وأجاز للمرأة أكثر ممَّا أجاز للرجل، نظرًا لفطرة المرأة وحبِّها للتزيُّن والتجمُّل، فأباح لها أن تتحلَّى بالذهب، ولم يبح ذلك للرجل، وأن تلبس الحرير الطبيعي الخالص، ولم يجُز ذلك للرجل.

ولكنَّ هناك حدودًا للتزين، فهناك بعض التزين حرَّمه الإسلام، وهو التزين بما فيه تغيير لخلق الله تبارك وتعالى، فهو إسراف في التجمل، والإسلام يقاوم الإسراف في أيِّ شيء، حتَّى وإن كان في العبادة، إن بالغ

(١) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

الإنسان في العبادة، وخرج عن حدِّ الوسط، يقال له: قِف عند حدِّ الاعتدال، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عبد الله، ألم أُخْبَر أنَّك تصوم النهار، وتقوم الليل؟**» فقلتُ: بلى يا رسولَ الله. قال: «**فلا تفعلْ، صُمْ وأفطرْ، وقُمْ ونَمْ؛ فإنَّ لجسدِكَ عليكَ حقًّا، وإنَّ لعينِكَ عليك حقًّا، وإنَّ لزوجك عليك حقًّا، وإنَّ لزَوْرِكَ عليك حقًّا، وإنَّ بحسْبِكَ أن تصوم كلَّ شهر ثلاثة أيام، فإنَّ لك بكلِّ حسنةٍ عشر أمثالها، فإنَّ ذلك صيام الدهر كلِّه**». قال عبد الله بن عمرو: فشدَّدتُ، فشُدِّد عليَّ؛ قلتُ: يا رسولَ الله، إنِّي أجد قوَّة. قال: «**فصم صيام نبيِّ الله داود عليه السلام، ولا تزد عليه**». قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام؟ قال: «**نصف الدهر**»[(١)]. فالإسراف في هذه الأشياء يمنعه الإسلام.

ومن الإسراف المستنكَر تغيير خلق الله، ولذلك صحَّت الأحاديث الكثيرة المستفيضة، عنِ النبيِّ ﷺ بأنَّه لعن الواصلةَ والمستوصلةَ، والواشمةَ والمستوشمةَ[(٢)]. وعن علقمة، عن عبد الله، قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمِّصات، والمتفلِّجات للحسن المغيِّرات خلق الله. قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يُقال لها: أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنَّك لعنت الواشمات والمستوشمات، والمتنمِّصات والمتفلِّجات للحُسْن، المغيِّرات خلْقَ الله. فقال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ[(٣)]؟

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٣.

(٢) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٥٩٣٧)، ومسلم (٢١٢٤)، كلاهما في اللباس، عن ابن عمر.

(٣) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٨٦)، ومسلم في اللباس والزينة (٢١٢٥)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

فتحريم هذه الأمور إنَّما السبب فيه تغيير خلق الله، تغيير الفطرة الَّتي فطر الله النَّاس عليها، ومن أجل هذا ذكر القرآن الكريم على لسان الشيطان أنَّه قال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]. الشيطان يجهد جهده ليجعل الإنسان يغيِّر خلق الله، سواء من الناحية المعنويَّة، أو من الناحية الماديَّة، فتغيير خلق الله من إيحاء الشيطان، ومن عمل الشيطان، فلهذا حرَّم الإسلام تغيير خلق الله.

لذلك فالعمليَّات الجراحية الَّتي مضمونها تغيير خلق الله محرَّمة، وإذا كان تفليج الأسنان لا يجوز، فما بالك بالعمليَّة الجراحية؟!

أمَّا إذا كانت العمليَّة الجراحية التجميلية لإزالة تشوه، ورد الإنسان إلى الفطرة الَّتي عليها بقية الناس، فلا مانع، كإصبع زائدة، أو سن زائدة، أو أسنان غير متساوية تحتاج إلى تقويم؛ لأنَّ الأصل هكذا، الفطرة أنَّ الأسنان مضبوطة، لذا نقول لصاحب السؤال: إذا كان الأنف ضخمًا جدًّا، بحيث يبدو للناس أنَّه مشوَّه، فيجوز لك أن تجري جراحة لإزالة هذا التشوُّه، ولا حرج إن شاء الله.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تقويم الأسنان

س: ما حكم تقويم الأسنان؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

تقويم الأسنان هو إعادة أمر إلى ما كان عليه، فالله ـ ﷻ ـ خلق الإنسان في أحسن تقويم يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦، ٧]. كما أنَّ تقويم الأسنان قد يصل إلى درجة الضرورة الصحية للإنسان لتمكين الأسنان من القيام بعملها على أكمل وجه، كما أنَّه لا بأس بإزالة التشوُّهات لرجلٍ كان أو امرأة.

الممنوع هو ما كان يفعله العرب، وهو برد الأسنان بالمبرد، لتفليجها، فقد لعن رسول الله ﷺ المتفلِّجات للحُسْن، المغيِّرات خلق الله[1].

(١) سبق تخريجه صـ١١٤.

QaradawiBooks.com

اتِّخاذ السنِّ من الذهب

س: البعض يسأل عن السنِّ من ذهب، هل يجوز للرجال أم لا؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

السِّنُّ من الذهب لا يجوز للرجال، لأنَّ الذهب محرَّم عليهم، فقد روى أبو داود عن عليِّ بن أبي طالب: أنَّ نبيَّ الله ﷺ أخذ حريرًا، فجعله في يمينه، وأخذ ذهبًا فجعله في شماله، ثم قال: «**إنَّ هذين حرامٌ على ذكور أُمَّتي**»(١). فلا يجوز الذهب والحرير، إلَّا لحاجة طبيَّة، فعن عبد الرحمٰن بن طَرَفَة، أنَّ جدَّه عَرْفَجَة أصيب أنفه يوم الكُلاب في الجاهليَّة، فاتخذ أنفًا من وَرِق (أي: فضَّة)، فأنتن عليه، فأمره النبيُّ ﷺ أن يتَّخذ أنفًا من ذهب(٢).

(١) رواه أحمد (٩٣٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح بشواهده. وأبو داود في اللباس (٤٠٥٧)، والنَّسائي في الزينة (٥١٤٤)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (٨٠٦)، عن علي بن أبي طالب.

(٢) رواه أحمد (٢٠٢٦٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الخاتم (٤٢٣٢)، والترمذي في اللباس (١٧٧٠) وحسَّنه، والنَّسائي في الزينة (٥١٦١)، عن عرفجة بن أسعد.

QaradawiBooks.com

وقد قاس الفقهاء السِّنَّ على الأنف، فإن كان السائل اتَّخذ سنَّ الذهب للزينة، فهو حرام على الذكور، وإن اتخذه لأمرٍ طبيٍّ، كأن كسر سِنُّه أو قُلِع، وأمره الأطباء أن يتخذ سِنًّا من ذهب، فلا شيء عليه، وذلك لأنَّ الذهب لا ينتن، ولا يقوم مقامه غيره، أمَّا المرأة، فحلال لها الذهب والحرير للزينة ولغيرها، إلَّا إذا بلغ ذلك حدَّ الإسراف، فيحرُم. على أنَّ المسلم لا يلجأ لسنِّ الذهب إلَّا إذا لم يجد بديلًا غير محرَّم، وقد توفَّرت البدائل المتعددة الآن.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

استعمال دواء يخفِّف ظهور الشعر

س: ما حكم استعمال خلطات من الأعشاب بعد إزالة الشعر من الجسم والوجه حتَّى يخفِّف من ظهور الشعر؟ وهل يعتبر ذلك من تغيير خلق الله؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

ليس هذا من تغيير خلق الله، إذا استخدمت شيئًا يساعد على عدم نبات الشعر، أو عدم التكثير من كثافته، أو من سرعة نموه، لا أرى أنَّ في هذا بأسًا، وليس هذا من تغيير خلق الله، هذا لا مانع منه، إذا لم يكن فيه ضرر على الإنسان؛ لأنَّه لا ضرر ولا ضرار.

* * *

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

علاج الوجه من حَبِّ الشباب

س: ما حكم الدين في علاج الوجه من «حَبِّ الشباب» بما يسمَّى السنفرة، وهو تقشير جلد الوجه؟ علمًا بأنَّ عمري خمس وثلاثون سنة، فهل يجوز هذا العلاج عند طبيب رجل مسلم؛ لخبرته في هذا المجال؟

(ج. ل. ع)

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أمَّا حكم هذا العلاج، فلا حرج فيه؛ لأنَّ هذا الحبَّ يعمل في الوجه بثورًا ومنظرًا غير محبَّب، ويجعل وجه الإنسان مشوَّهًا، خصوصًا بالنسبة للمرأة، فلا مانع من أن تعالج أختنا «حَبَّ الشباب» وتعيد وجهها إلى فطرته وطبيعته، وعلاج مثل هذا ليس من تغيير خلق الله، ولا مانع من إزالة هذا الحب، وآثار هذه البثور في الوجه بعمليَّة السنفرة كما يسمُّونها، أو عمليَّة تقشير الجلد، بحيث يعود الوجه نضرًا كما كان، ويعود طبيعيًّا كما خلقه الله ﷻ، سواء كانت الأخت عمرها ثلاثين أو أقل أو أكثر، فلا حرج في ذلك إن شاء الله.

نسخة مجانية

والأصل أن تعالــج المرأة المســلمة طبيبةٌ مســلمة، إذا كان ذلك ميسورًا، ووجدت من الطبيبات المسلمات الماهرات، فإذا لم تجد إلَّا طبيبًا مسلمًا مؤتمنًا ثقةً فلا حرج عليها إن شاء الله أن تتعالج عنده؛ لأنَّ هذه حاجة، والعلماء قالوا: الحاجة تُنزَّل منزلة الضرورة، خاصَّة كانت أو عامَّة.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الإفطار بأمر الطبيب لتناول دواء الوسواس القهري

س: منذ ما يقرب من ستَّ عشرة سنة ابتلاني الله تعالى بوسواس متعب في موضوع كنايات الطلاق، بسبب اطِّلاعي على الكتب الفقهيَّة، فصرت أشكُّ في كل كلمة أوجِّهها لزوجتي، من الكلمات الَّتي تعتبر كناية، على أثر ذلك أصابتني حالة نفسيَّة صعبة وقاسية، تمثَّلت في وساوس وشكوك مستمرة من ألفاظ الكنايات، وأُصبت باكتئاب غلَّق عليَّ حياتي ورحابة صدري، وقلق وأرق وعدم انشراح، وابتعدت عن النَّاس وعن الحديث معهم في مجالسهم، إلَّا إذا أخذت حبوب دوائية تُذهب بإذن الله الوسوسة والاكتئاب، وتجعلني منشرح الصدر، وصاحب قدرة على مصاحبة النَّاس والجلوس معهم وتُنظِّم نومي.

سؤالي يا فضيلة الشيخ هو ما يلي: الطبيب الَّذي يعالجني مسلم، وقد أجاز لي الإفطار وعدم الصيام؛ لأنَّ هذه الحبوب الَّتي وصفها لي ينتج عنها جفاف في الحلق، وتتعب الجسم تعبًا غير عادي، ولا يمكن أن ينشط إلَّا إذا أخذ المنشطات والمنبهات طوال اليوم، مثل الشاي والقهوة، كما أنَّ هذه الحبوب تؤخذ مرتين في اليوم، وإذا تركتها لمدة ثلاثة أو أربعة أيام دون أن آخذها بحسب ما قال لي الطبيب، يرجع لي الوسواس والمخاوف والاكتئاب، ولا أستطيع التخلُّص من هذه

نسخة احترافية
QaradawiBooks.com

الوســاوس الَّتي ما أحســبها إلَّا أنَّها ثُبِّتت بمثبِّتات ومسامير في رأسي وصدري منذ ست عشرة سنة.

فهل يجيز لي الشــرع الإفطار في نهار رمضان بســبب حيثيات هذه الحالة المرضية الَّتي ســبق ذكرها؟ وماذا عن الحال أو الأمر إذا دامت هذه الحالة المرضية طوال العمر، واستوجبت الاستمرار في هذا العلاج النفســاني، وأخذ هذه الحبــوب؟ علمًا بأنَّني حاولت أكثــر من مرَّة أن أتخلَّص من هذه الحبوب النفسانية، ولكنِّي لم أستطع ذلك، حيث تعود إليَّ الوســاوس والشــكوك في الألفاظ الَّتي تعدُّ مــن كنايات الطلاق، ويترتب عليها الاكتئاب والمخــاوف والأرق والقلق الَّذي حدَّثتكم عنه، أرجو أن تفيدوني أفادكم الله، وجزاكم خيرًا.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أقول للأخ السائل: بعض العلم يتعب ويمرض، ولو أنَّ الأخ قرأ في أمور أخرى وسأل بعض العلماء، لارتاح من بعض ما هو فيه، ويبدو أنَّ الأخ على شيء من العلم؛ لأنَّ رسالته مصوغة صياغة جيدة، وليس فيها أغلاط نحوية، ولكنَّ بعض العلم ـ كما قلتُ ـ يضني ويتعب.

أنا ممَّن يقول بأنَّ كنايات الطلاق لا يقع بهــا الطلاق، وأنَّ الطلاق لا يقع إلَّا باللفظ الصريح، الطلاق أو الســراح، ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]. وحتى العلماء

QaradawiBooks.com

الذين قالــوا بوقوع الطــلاق بالكناية، قالــوا: لا بــدَّ أن يصاحب هذه الكنايات نيةُ الطلاق.

الشرع لا يعبث أيها الناس، الشرع يأمرنا أن نقيم أسرة، وندفع مهرًا، ونؤسِّس بيتًا، وننجب أولادًا، ثم بعد ذلك لأدنى سبب تطلق المرأة؟! هذا لا يعقل، الإمام ابن القيِّم يقول: «إنَّ الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد فــي المعاش والمعــاد، وهي عدل كلهــا، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدِّها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الَّذي به أبصر المبصرون، وهُداه الَّذي به اهتدى المهتدون، وشــفاؤه التام الَّذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الَّذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل»[1].

الشريعة لا يمكن أن تتسبَّب للإنسان في مثل هذا، الأخ يقع مريضًا، ويظل مريضًا نفسيًّا طول عمره، ويأخذ حبوبًا للتهدئة؟! لماذا هذا؟! أنا أنصح هذا الأخ أن يضرب بالقول بوقوع الطلاق بالكناية عُرض الحائط، ولا يبالي به، وأنصحه أن يراجع نفسه، ويراجع أهل العلم، وكما قلت: حتَّى من قال بوقــوع الطلاق بألفاظ الكنايات، فإنَّــه يعتبر الكنايات إذا صاحبتها نيَّة الطلاق.

وإذا بقي بهذه الحالة، فهــو مضطرٌّ إلى الإفطار، وعليه أن يطعم عن كل يوم مسكينًا؛ لأنَّه في هذه الحالة مريض لا يرجى برؤه.

---

(١) إعلام الموقعين (٣/١١، ١٢).

QaradawiBooks.com

التبرُّع بالأعضاء بعد الموت

س: نودُّ إحاطتكم علمًا بأنَّه قد صدر قرار في الجمهورية الإيطاليَّة، يعطي الحقَّ لكل إنسان أن يعطي رأيه بالتبرع بأعضاء جسمه بعد الموت الطبي؛ أي: موت الدماغ، والقلب نابض، أي بعد قرار مجموعة الأطباء المختصين الَّتي تقرِّر بأنَّ الموت أصبح حتميًّا، بعد توقف الدماغ عن العمل بشكل نهائي.

وقد بدأ إرسال هذه الرسالة إلى المواطنين الإيطاليين ومنهم سوف تنتقل إلى الأجانب المقيمين، علمًا بأنَّ الدراسة الأولى للقرار والتي يحتمل أن تعود من جديد؛ وهي أنَّ الَّذي لا ينكر بالتحديد الرفض بإعطاء أعضائه؛ يمكن للدولة أن تأخذ الأعضاء تلقائيًّا.

نرجو من فضيلتكم التفضُّل بإعطائنا رأيكم حتَّى نعمِّمه على أفراد الجالية الإسلاميَّة في إيطاليا.

جزاكم الله عنَّا خير جزائه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس اتحاد الهيئات والجاليات في إيطاليا

د. محمد نور نشان

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة معدلة
غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

(وبعد)

جاء عن رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة: «**إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلَّا من ثلاثٍ: صدقة جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له**»(١).

والصدقة الجارية: هي الصدقة الَّتي يدوم أجرها لصاحبها ـ ولو بعد موته ـ ما دام هناك من ينتفع بها بوجهٍ من الوجوه، مثل الوقف الخيري، الَّذي يحبس أصله، وتسبل ثمرته في وجه من وجوه الخير، مثل الإنفاق على الفقراء، أو رعاية اليتامى والأرامل والمعوقين، أو النفقة على المساجد والمدارس والوعاظ والمدرِّسين، ونحو ذلك.

وقد تكون الصدقة في الإسلام بالمال، وهذا هو المعروف والمعتاد، وقد تكون بغير المال، وهو ما بيَّنه الرسول الكريم بسنته، فكل معروف صدقة، وكل فعل للخير صدقة، وكل ما يجلب منفعة للناس، أو يدفع مضرَّةً عنهم، فهو صدقة.

وقد صحَّ في الحديث أنَّ إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وأنَّ الكلمة الطيِّبة صدقة، وأنَّ تبسُّم الأخ في وجه أخيه صدقة(٢).

ومن الصدقات المعتبرة: ما عرفه النَّاس في عصرنا، وهو أن يتبرَّع الإنسان من جسمه بما ينفع غيره ولا يضره، مثل تبرعه بجزء من دمه، لبعض المستشفيات أو بنوك الدم، لتكون رصيدًا للذين يحتاجون إلى الدم في عملياتهم الجراحية، وفي ذلك إغاثة للملهوف، وتفريج لكربة المكروب، وإعانة للإنسان على استمرار الحياة.

---

(١) رواه مسلم في الوصية (١٦٣١)، وأحمد (٨٨٤٤)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩١، ٢٩٨٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ومن الصدقات الَّتي عرفها عصرنا: التبرع بعضو من أعضاء الجسم في حال الحياة، إذا كان يمكن لإنسان أن يستغني عنه، ولا يترتب عليه ضرر معتبر له، وكان غيره في حاجة ماسة إليه، وكان رجاء الاستفادة منه متيقَّنًا أو مظنونًا ظنًّا راجحًا.

وهذا النوع من التبرع لا كلام لنا فيه الآن.

ولكنَّ الَّذي نتحدَّث عنه الآن هو ما سأل عنه السائل، وهو التبرع ببعض أعضاء الإنسان في حال الوفاة، أي إذا أصيب الإنسان بحادث خطير ـ في صدام أو كارثة أو نحو ذلك ـ وقرَّر الأطباء المختصُّون أنَّه قد مات موتًا دماغيًّا، وإن كان القلب لا يزال يضخُّ الدم في الشرايين والأوردة، وفي هذه الحالة يمكن نقله إلى المستشفى، وأخذ بعض أعضائه الحية ـ مثل القلب، والكليَّة، والكبد، والقرنية وغيرها ـ لينتفع بها من يفتقر إليها من الأحياء المرضى، فيكون في هذا إنقاذ لهم من موت يتهدَّدهم وفق سنة الله في خلقه.

ونريد أن نذكِّر هنا بقرار المجمع الفقهي الدولي الإسلامي ـ المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي ـ في دورته الثامنة في مدينة عمَّان باعتبار الموت الدماغي المحقَّق موتًا تترتَّب عليه جملة أحكام الموت.

ومن هنا يجوز للمسلم التبرُّع ببعض أجزاء جسمه الداخلية من القلب، والكليَّة ونحوهما، ما دام الهيكل العام للجسم باقيًا، بحيث يمكن أن يُصلَّى عليه ويدفن في مقابر المسلمين.

والمسلم إذا أوصى بهذا مختارًا، كان له أجره ومثوبته عند الله بنيَّته الصالحة؛ لأنَّه يسهم في نفع غيره بما لا يضرُّه، وفي إحياء نفس

QaradawiBooks.com

بشـــرية من الهلاك، وقد قال تعالـــى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

ومن المعلوم أنَّ هذه الأعضاء إذا لم يتبرَّع بها الإنســـان عند موته، ستتحلَّل بعد أيام من الوفاة، ويأكلها الدود، فلماذا لا يتبرَّع بمنفعتها لمن يحتاج إليها ويكسب الثواب، بدل أن تتلف عليه مجانًا؟

وقد يسأل بعض النَّاس هنا: هل يُثاب المسلم إذا تبرَّع ببعض أعضائه لغير المسلم؟ وخصوصًا لمن يعيش خارج المجتمعات الإسلاميَّة؟

ونقـــول: إنَّ هذا من البـــرِّ الَّذي ذكـــره الله تعالى وشـــرعه في كتابه للمســـلمين وغير المســـلمين، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وقد أجاز فقهاء المســـلمين عامَّة الصدقة على غير المسلمين من غير مال الزكاة، وقد كان بعض المسلمين في عصر النبوة ينفقون على بعض أقاربهم من المشـــركين، الذين لم يهتدوا إلى الإسلام، وتحرَّج بعضهم من ذلك، فنزل قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. ولقد وصف الله الأبرار في سورة الإنسان، فقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩]. والأسير في ذلك الوقت كان من المشركين، وقد أثنى الله عليهم لإطعامه.

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

بل صحَّ عنِ النبيِّ ﷺ أنَّ بغيًّا سقت كلبًا، فغفر الله لها، وأنَّ رجلًا سقى كلبًا فشكر الله له، فقال الصحابة: إنَّ لنا في البهائم لأجرًا يا رسولَ الله؟ قال: «**في كلِّ كبدٍ رطْبةٍ أجر**»(١).

فإذا كان هذا في الإحسان إلى الحيوان الأعجم، فما بالك بالإنسان المكرم؟

بل ذهب عدد من فقهاء المسلمين إلى جواز إعطاء الزكاة لغير المسلمين، وهو ظاهر ما روي عن عمر في أمره لخازن بيت المال بإعطاء يهوديٍّ ـ رآه يسأل الناسَ ـ من بيت المال ما يكفيه، قائلًا: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] وهذا من مساكين أهل الكتاب(٢).

وقد ناقشنا هذه القضية في كتابنا: «فقه الزكاة» فليرجع إليه من أراد.

ومن ثَمَّ نرى أنْ لا حرج على المسلم إذا تبرَّع ببعض أعضائه لغير المسلم، بل هو مأجور على ذلك، وممَّا يؤكد هذا أنَّ الجميع ينتفع به من مسلمين وغير مسلمين، فكما أنَّ المتبرع منهم قد يفيد مسلمًا، فلا غرو أن يفيدهم المسلم أيضًا. وهو من العدل والإحسان الَّذي أمر الله ورسوله بهما.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٣)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أبو يوسف في الخراج صـ ١٣٩، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد، نشر المكتبة الأزهرية للتراث.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

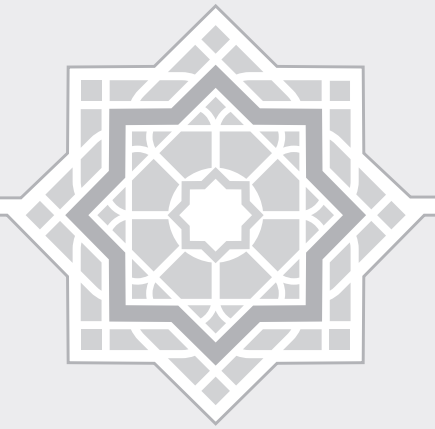

في السياسة والحكم

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

الإسلام السياسي

س: كثرت في السنوات الأخيرة بعض العبارات الَّتي شاعت على ألسنة وأقلام بعض العلمانيين والمتغربين من اليساريين واليمينيين، أعني من الذين يتبعون الفكر الماركسي الشرقي أو الفكر الليبرالي الغربي.

ومن هذه التعبيرات: تعبير «الإسلام السياسي» ويعنون به الإسلام الَّذي يُعنى بشؤون الأمة الإسلاميَّة وعلاقاتها في الداخل والخارج، والعمل على تحريرها من كل سلطان أجنبي: يتحكَّم في رقابها، ويوجِّه أمورها الماديَّة والأدبية كما يريد، ثم العمل كذلك على تحريرها من رواسب الاستعمار الغربي الثقافية والاجتماعيَّة والتشريعية، لتعود من جديد إلى تحكيم شرع الله تعالى في مختلف جوانب حياتها.

وهم يطلقون هذه الكلمة «الإسلام السياسي» للتنفير من مضمونها، ومن الدعاة الصادقين، الذين يدعون إلى الإسلام الشامل، باعتباره عقيدةً وشريعة، ودينًا ودولة.

فهل هذه التسمية المحدثة «الإسلام السياسي» مقبولة من الناحية الشرعيَّة؟ وهل إدخال السياسة في الإسلام أمر مبتدع من لدن الدعاة

QaradawiBooks.com

المحدثيـــن والمعاصرين؟ أو يعتبـــر هذا من الديـــن الثابت بالقرآن والسُّنَّة؟

نرجـــو أن توضِّحـــوا لنا هـــذا الأمر في ضـــوء الأدلة الشـــرعيَّة المحكمة، ليهلك من هلك عن بيِّنة، ويحيا من حيَّ عن بيِّنة، وفقكم الله ونفع بكم.

المسلم الغيور

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فجوابًا على سؤال الأخ «المســـلم الغيور» حول ما أتحفنا به «عبيد الفكـــر الغربي» في الآونـــة الأخيرة، ممَّا أطلقوا عليه اســـم «الإســـلام السياسي» نقول:

أولًا: هذه التسمية مرفوضة:

وذلك لأنَّها تطبيق لخطة وضعها خصوم الإســـلام، تقوم على تجزئة الإسلام وتفتيته بحسب تقسيمات مختلفة، فليس هو إسلامًا واحدًا كما أنزله الله، وكما ندين به نحن المسلمين.

بل هو «إسلامات» متعدِّدة مختلفة؛ كما يحبُّ هؤلاء.

فهو ينقسم أحيانًا بحسب الأقاليم: فهناك الإسلام الآسيوي، والإسلام الإفريقي.

QaradawiBooks.com

وأحيانًا بحسب العصور: فهناك الإسلام النبوي، والإسلام الراشدي، والإسلام الأموي، والإسلام العباسي، والإسلام العثماني، والإسلام الحديث.

وأحيانًا بحسب الأجناس: فهناك الإسلام العربي، والإسلام الهندي، والإسلام التركي، والإسلام الماليزي، إلخ.

وأحيانًا بحسب المذهب: هناك الإسلام السني، والإسلام الشيعي، وقد يقسمون السني إلى أقسام، والشيعي إلى أقسام أيضًا.

وزادوا على ذلك تقسيمات جديدة: فهناك الإسلام الثوري، والإسلام الرجعي، أو الراديكالي، والكلاسيكي، والإسلام اليميني، والإسلام اليساري، والإسلام المتزمت، والإسلام المنفتح.

وأخيرًا الإسلام السياسي، والإسلام الروحي، والإسلام الزمني، والإسلام اللاهوتي!

ولا ندري ماذا يخترعون لنا من تقسيمات يخبئها ضمير الغد؟!

والحقُّ أنَّ هذه التقسيمات كلَّها مرفوضة في نظر المسلم، فليس هناك إلَّا إسلام واحد لا شريك له، ولا اعتراف بغيره، هو «الإسلام الأول» إسلام القرآن والسُّنَّة.

الإسلام كما فهمه أفضل أجيال الأمة، وخير قرونها، من الصحابة ومن تبعهم بإحسان، ممَّن أثنى الله عليهم ورسوله.

فهذا هو الإسلام الصحيح، قبل أن تشوبه الشوائب، وتلوِّث صفاءه ترَّهات الملل وتطرُّفات النحل، وشطحات الفلسفات، وابتداعات الفرق، وأهواء المجادلين، وانتحالات المبطلين، وتعقيدات المتنطِّعين، وتعسُّفات المتأوِّلين الجاهلين.

QaradawiBooks.com

ثانيًا: الإسلام لا يكون إلَّا سياسيًّا:

يجب أن أعلنها صريحة مدوية: إنَّ الإسلام الحق ـ كما شرعه الله ـ لا يمكن أن يكون إلَّا سياسيًّا، وإذا جرَّدت الإسلام من السياسة، فقد جعلته دينًا آخر يمكن أن يكون بوذية أو نصرانية، أو غير ذلك، أمَّا أن يكون هو الإسلام فلا.

وذلك لسببين رئيسين:

الأول: إنَّ للإسلام موقفًا واضحًا، وحكمًا صريحًا في كثير من الأمور الَّتي تعتبر من صلب السياسة.

فالإسلام ليس عقيدة لاهوتية، أو شعائر تعبدية فحسب، أعني أنَّه ليس مجرد علاقة بين الإنسان وربه، ولا صلة له بتنظيم الحياة، وتوجيه المجتمع والدولة.

كلَّا، إنَّه عقيدة وعبادة وخلق، وشريعة متكاملة، وبعبارة أخرى: هو منهاج كامل للحياة، بما وضع من مبادئ، وما أصَّل من قواعد، وما سنَّ من تشريعات، وما بيَّن من توجيهات، تتصل بحياة الفرد، وشؤون الأسرة، وأوضاع المجتمع، وأسس الدولة وعلاقات العالم.

ومن قرأ القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة، وكتب الفقه الإسلامي بمختلف مذاهبه، وجد هذا واضحًا كل الوضوح.

حتى قسم العبادات من الفقه ليس بعيدًا عن السياسة، فالمسلمون مجمعون على أنَّ ترك الصلاة، ومنع الزكاة، والمجاهرة بالفطر في رمضان، وإهمال فريضة الحج؛ ممَّا يوجب العقوبة والتعزير، وقد يقتضي القتال إذا تظاهرت عليه فئة ذات شوكة، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه مع مانعي الزكاة[1].

(١) وقال مقولته الشهيرة التي سار بها الركب حين قال: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، =

QaradawiBooks.com

بل قالوا: لو تــرك أهل بلدة ما بعض الســنن الَّتي هي من شــعائر الإسلام؛ مثل الأذان أو ختان الذكور، أو صلاة العيدين، وجب أن يُدعوا إلى ذلك وتُقام عليهم الحجة، فإن أصرّوا وأبوا وجب أن يُقاتلوا، حتَّى يعودوا إلى الجماعة الَّتي شذوا عنها.

إنَّ الإســلام له قواعده وأحكامــه وتوجيهاته: في سياســة التعليم، وسياسة الإعلام، وسياســة التشريع، وسياســة الحكم، وسياسة المال، وسياسة السلم، وسياسة الحرب، وكل ما يؤثر في الحياة.

ولا يقبل الإســلام أن يكون صفــرًا على الشــمال، أو يكون خادمًا لفلسفات أو أيديولوجيات أخرى، بل يأبى إلَّا أن يكون هو السيد والقائد والمتبوع والمخدوم.

بل هو لا يقبل أن تقسم الحياة بينه وبين سيد آخر، يقاسمه التوجيه أو التشــريع، ولا يرضى المقولة الَّتي تنســب إلى المســيح عليه السلام: أعطِ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله[1].

فإنَّ فلسفته تقوم على أنَّ قيصر وما لقيصر لله الواحد الأحد، الَّذي له من في السماوات ومن في الأرض، وما في السماوات وما في الأرض: مِلكًا، ومُلكًا.

وفكرة التوحيد في الإســلام تقوم على أنَّ المســلم لا يبغي غير الله ربًّــا، ولا يتَّخذ غير الله وليًّا، ولا يبتغي غيــر الله حكمًا، كما بيَّنت ذلك سورة التوحيد الكبرى، المعروفة باسم «سورة الأنعام».

= فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه». متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠).

(١) إنجيل لوقا (٢٠/٢٥)، ومتَّى (٢٢/٢١).

QaradawiBooks.com

وعقيدة التوحيد في حقيقتها ما هي إلَّا ثورة لتحقيق الحرية والمساواة والأخوة للبشر، حتَّى لا يتخذ بعض النَّاس بعضًا أربابًا من دون الله، وتبطل عبودية الإنسان للإنسان، ولذا كان الرسول الكريم صلوات الله عليه يختم رسائله إلى ملوك أهل الكتاب؛ بهذه الآية الكريمة من سورة آل عمران: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهذا سر وقوف المشركين وكبراء مكة في وجه الدعوة الإسلاميَّة، من أوَّل يوم، بمجرد رفع راية «لا إلٰه إلَّا الله» فقد كانوا يدركون ماذا وراءها، وماذا تحمل من معاني التغيير للحياة الاجتماعيَّة والسياسيَّة، بجانب التغيير الديني المعلوم بلا ريب.

شخصية المسلم شخصية سياسيَّة:

السبب الثاني: إنَّ شخصية المسلم ـ كما كوَّنها الإسلام، وصنعتها عقيدته وشريعته، وعبادته وتربيته ـ لا يمكن إلَّا أن تكون سياسيَّة، إلَّا إذا ساء فهمها للإسلام، أو ساء تطبيقها له.

فالإسلام يضع في عنق كل مسلم فريضة اسمها: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ وقد يعبَّر عنها بعنوان: النصيحة لأئمَّة المسلمين وعامتهم، وهي الَّتي صحَّ في الحديث اعتبارها الدين كله[1]، وقد يعبَّر عنها بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وهما من الشروط الأساسية للنجاة من خسر الدُّنيا والآخرة، كما وضَّحت ذلك «سورة العصر».

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، عن تميم الداري.

QaradawiBooks.com

مقاومة الفساد والظلم أفضل الجهاد:

ويحرِّض الرسول ﷺ المسلم على مقاومة الفساد في الداخل، ويعتبره أفضل من مقاومة الغزو من الخارج، فيقول حين سُئل عن أفضل الجهاد: «**أفضلُ الجهاد كلمةُ عدلٍ عند سلطان جائر**»(١) وذلك لأنَّ فساد الداخل هو الَّذي يمهِّد السبيل لعدوان الخارج.

ويعتبر الشهادة هنا من أعلى أنواع الشهادة في سبيل الله: «**سيِّد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمامٍ جائر، فأمره ونهاه، فقتله**»(٢).

ويغرس في نفس المسلم رفض الظلم، والتمرد على الظالمين؛ حتَّى إنَّه ليقول في دعاء القنوت المروي عن ابن مسعود، وهو المعمول به في المذهب الحنفي وغيره: «**نشكرُك اللهمَّ ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك**»(٣).

ويرغِّب في القتال لإنقاذ المضطهدين والمستضعفين في الأرض، بأبلغ عبارات الحثِّ والتحريض، فيقول: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**﴾ [النساء: ٧٥].

---

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤٤)، والترمذي في الفتن (٢١٧٤)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وابن ماجه في الفتن (٤٠١١)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩١)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (١٩٥/٣)، وصحَّح إسناده، وقال الذهبي: الصفار لا يدرى من هو. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣٧٤).

(٣) رواه عبد الرزاق (٤٩٦٨)، وابن أبي شيبة (٧١٠٠)، والبيهقي (٢١٠/٢)، ثلاثتهم في الصلاة، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٤٢٥)، عن عمر موقوفًا.

QaradawiBooks.com

ويصبُّ جام غضبه، وشديد إنكاره على الذين يقبلون الضيم، ويرضون بالإقامة في أرض يهانون فيها ويظلمون، ولديهم القدرة على الهجرة منها والفرار إلى أرض سواها، فيقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۞ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۞ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩].

حتَّى هؤلاء العجزة والضعفاء قال القرآن في شأنهم: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾. فجعل ذلك في مظنة الرجاء من الله تعالى، زجرًا عن الرضا بالذل والظلم؛ ما وجد المسلم إلى رفضه سبيلًا.

وحديث القرآن المتكرر عن المتجبرين في الأرض من أمثال فرعون، وهامان، وقارون وأعوانهم وجنودهم، حديث يملأ قلب المسلم بالنقمة عليهم، والإنكار لسيرتهم، والبغض لطغيانهم، والانتصار ـ فكريًّا وشعوريًّا ـ لضحاياهم من المظلومين والمستضعفين.

تغيير المنكر:

وحديث القرآن والسُّنَّة عن السكوت على المنكر، والوقوف موقف السلب من مقترفيه ـ حكامًا أو محكومين ـ حديث يزلزل كل من كان في قلبه مثقال حبَّة من خردل من إيمان.

يقول القرآن: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

QaradawiBooks.com

ويقول الرسول ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه، فإن لم يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان**»[١].

ومن الخطأ الظنُّ بأنَّ المنكر ينحصر في الزنى وشرب الخمر، وما في معناهما.

إنَّ الاستهانة بكرامة الشعب منكر أي منكر، وتزوير الانتخابات منكر أي منكر، والقعود عن الإدلاء بالشهادة في الانتخابات منكر أي منكر؛ لأنَّه كتمان للشهادة، وتوسيد الأمر إلى غير أهله منكر أي منكر، وسرقة المال العام منكر أي منكر، واحتكار السلع الَّتي يحتاج إليها النَّاس لصالح فرد أو فئة منكر أي منكر، واعتقال النَّاس بغير جريمة حكم بها القضاء العادل منكر أي منكر، وتعذيب النَّاس داخل السجون والمعتقلات منكر أي منكر، ودفع الرشوة وقبولها والتوسط فيها منكر أي منكر، وتملق الحكام بالباطل وإحراق البخور بين أيديهم منكر أي منكر، وموالاة أعداء الله وأعداء الأمة من دون المؤمنين منكر أي منكر!

وهكذا نجد دائرة المنكرات تتسع وتتسع؛ لتشمل كثيرًا ممَّا يعده النَّاس في صلب السياسة.

فهل يسع المسلم الشحيح بدينه، الحريص على مرضاة ربه، أن يقف صامتًا؟ أو ينسحب من الميدان هاربًا، أمام هذه المنكرات وغيرها؛ خوفًا أو طمعًا، أو إيثارًا للسلامة؟

إنَّ مثل هذه الروح إن شاعت في الأمة فقد انتهت رسالتها، وحكم عليها بالفناء، لأنَّها غدت أمة أخرى، غير الأمة الَّتي وصفها الله بقوله:

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١٤٦٠)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولا عجب أن نسمع هذا النذير النبوي للأمة في هذا الموقف إذ يقول: «**إذا رأيتَ أُمَّتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم؛ فقد تُوُدِّع منهم**»[(١)]. أي فقدوا أهلية الحياة، وفي بعض الروايات: «**وبطن الأرض خيرٌ لهم من ظهرها**»[(٢)].

إنَّ المسلم مطالب ـ بمقتضى إيمانه ـ ألَّا يقف موقف المتفرج من المنكر، أيًّا كان نوعه: سياسيًّا كان أو اقتصاديًّا أو اجتماعيًّا أو ثقافيًّا، بل عليه أن يقاومه ويعمل على تغييره باليد إن استطاع، وإلَّا فباللسان والبيان، فإنْ عجز عن التغيير باللسان انتقل إلى آخر المراحل وأدناها، وهي التغيير بالقلب، وهي الَّتي جعلها الحديث: «**أضعف الإيمان**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٦٧٨٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والحاكم في الأحكام (٩٦/٤) وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي. والبزار (٢٣٧٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١١٠): رواه أحمد والبزار بإسنادين، ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد. عن عبد الله بن عمرو.

(٢) يشير إلى حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها».
رواه الترمذي في الفتن (٢٢٦٦) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلَّا من حديث صالح المري، وصالح المري في حديثه غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها، وهو رجل صالح. وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٣٩٣).

(٣) سبق تخريجه قريبًا.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

وإنَّما سمَّاه الرسول ﷺ تغييرًا بالقلب؛ لأنَّه تعبئة نفسيَّة وشعورية ضد المنكر وأهله وحماته، وهذه التعبئة ليست أمرًا سلبيًّا محضًا، كما يُتَوَهَّم، ولو كانت كذلك ما سمَّاها الحديث «تغييرًا».

وهذا التعبئة المستمرة للأنفس والمشاعر والضمائر؛ لا بدَّ لها أن تتنفس يومًا ما، في عملٍ إيجابيٍّ، قد يكون ثورة عارمة، أو انفجارًا لا يُبقي ولا يذر، فإنَّ توالي الضغط لا بدَّ أن يولِّد الانفجار، سنة الله في خلقه.

وإذا كان هذا الحديث سمَّى هذا الموقف «تغييرًا بالقلب»؛ فإنَّ حديثًا نبويًّا آخر سمَّاه «جهاد القلب» وهي آخر درجات الجهاد، كما أنَّها آخر درجات الإيمان وأضعفها، فقد روى مسلم عن ابن مسعود مرفوعًا: «**ما من نبيٍّ بعثه الله في أُمَّة قبلي؛ إلَّا كان له من أُمَّته حواريُّون وأصحاب: يأخذون بسُنَّته، ويقتدون بأمره، ثم إنَّها تخلف من بعدهم خُلُوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل**»[(١)].

وقد يعجز الفرد وحده عن مقاومة المنكر؛ وخصوصًا إذا انتشر شراره، واشتد أواره، وقوي فاعلوه، أو كان المنكر من قبل الأمراء الذين يفترض فيهم أن يكونوا هم أوَّل المحاربين له، لا أصحابه وحراسه، وهنا يكون الأمر كما قال المثل: «حاميها حراميها»، أو كما قال الشاعر:

وراعي الشاةِ يحمي الذئبَ عنها فكيف إذا الرعاةُ لها ذئابُ[(٢)]؟!

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٠).

(٢) ذكره الدميري ولم ينسبه في حياة الحيوان الكبرى (٥٠٤/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

وهنا يكون التعاون على تغيير المنكر واجبًا لا ريب فيه؛ لأنَّه تعاون على البرِّ والتقوى، ويكـــون العمل الجماعي عن طريـــق الجمعيات أو الأحزاب، وغيرها من القنوات المتاحة، فريضـــة أوجبها الدين، كما أنَّه ضرورة يحتِّمها الواقع.

بين الحق والواجب:

إنَّ ما يُعتبر في الفلســـفات والأنظمة المعاصرة «حقًّا» للإنســـان في التعبير والنقد والمعارضة، يرقى به الإســـلام ليجعله فريضة مقدسة يبوء بالإثم، ويستحق عقاب الله إذا فرَّط فيها.

وفرق كبير بين «الحق» الَّـــذي يدخل في دائرة «الإباحة»، أو «التخيير» الَّذي يكون الإنسان في حلٍّ من تركه إن شاء، وبين «الواجب» أو «الفرض» الَّذي لا خيار للمكلف في تركه أو إغفاله؛ بغير عذر يقبله الشرع.

وممَّا يجعل المسلم سياسيًّا دائمًا: أنَّه مطالب بمقتضى إيمانه ألَّا يعيش لنفســـه وحدها، دون اهتمام بمشـــكلات الآخرين وهمومهم، وخصوصًا المؤمنين منهم، بحكم أخوة الإيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وفي الحديث: «**من لم يهتمَّ بأمر المسلمين، فليس منهم، ومن لم يصبح ناصحًا لله ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم، فليس منهم**»[(١)]، «**وأيُّما أهلِ عَرْصَةٍ بات فيهم امرؤٌ جائع؛ فقد برئت منهم ذِمَّةُ الله وذمَّة رسوله**»[(٢)].

---

(١) رواه الطبراني في الصغير (٩٠٧)، والأوسط (٧٤٧٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤): فيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. عن حذيفة بن اليمان.

(٢) رواه أحمد (٤٨٨٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو يعلى (٥٧٤٦)، والحاكم في البيوع (١١/٢) وذكره ضمن عدة أحاديث، وقال: هذه الأحاديث الستة طلبتها وخرجتها في موضعها =

QaradawiBooks.com

والقرآن كما يفرض على المسلم أن يطعم المسكين، يفرض عليه أن يحضَّ الآخرين على إطعامه.. ولا يكون كأهل الجاهليَّة الذين ذمَّهم القرآن بقوله: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨]. ويجعل القرآن التفريط في هذا الأمر من دلائل التكذيب بالدين: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ ـ ٣].

ويقرنه القرآن الكريم مع الكفر بالله تعالى في استحقاق العذاب الأليم في الآخرة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٣، ٣٤].

وهذا في المجتمعات الرأسماليَّة والإقطاعيَّة والمضيِّعة لحقوق المساكين والضعفاء: تحريض على الثورة، وحضٌّ على الوقوف مع الفقراء في مواجهة الأغنياء.

وكما أنَّ المسلم مطالب بمقاومة الظلم الاجتماعي، فهو مطالب أيضًا بمحاربة الظلم السياسي، وكل ظلم أيًّا كان اسمه ونوعه.

والسكوت عن الظلم والتهاون فيه، يوجب العذاب على الأمة كلها: الظالم والساكت عنه كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

وقد ذمَّ القرآن الأقوام الذين أطاعوا الجبابرة الطغاة وساروا في ركابهم كقوله عن قوم نوح: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١].

= من هذا الكتاب احتسابًا لما فيه الناس من الضيق والله يكشفها وإن لم يكن من شرط هذا الكتاب. وقال الذهبي: عمرو بن الحصين العقيلي تركوه، وأصبغ بن زيد الجهني فيه لين. عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وعن قوم هود: ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ [هود: ٥٩].

وعن قوم فرعون: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤].

بل جعل القرآن مجرَّد الركون والميل النفسي إلى الظالمين موجبًا لعذاب الله: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

ويحمِّل الإسلام كلَّ مسلمٍ مسؤولية سياسيَّة: أن يعيش في دولة يقودها إمام مسلم، يحكم بكتاب الله، ويبايعه النَّاس على ذلك، وإلَّا التحق بأهل الجاهليَّة، ففي الحديث الصحيح: «**ومن مات وليس في عنقه بيعةٌ لإمامٍ مات ميتة جاهليَّة**»[1].

الصلاة والسياسة:

ثم إنَّ المسلم قد يكون في قلب الصلاة، ومع هذا يخوض في بحر السياسة؛ حين يتلو من كتاب الله الكريم آيات تتعلق بأمور تدخل في صُلب ما يسمِّيه النَّاس «سياسة»!

فمن يقرأ في سورة المائدة: الآيات الَّتي تأمر بالحكم بما أنزل الله، وتدمغ من لم يحكم بما أنزل الله سبحانه بالكفر والظلم والفسوق: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]. ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]. يكون قد دخل في السياسة، وربَّما اعتبر من المعارضة المتطرِّفة؛ لأنَّه بتلاوة هذه الآيات

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥١)، عن عبد الله بن عمر.

QaradawiBooks.com

يوجِّه الاتهام إلى النظام الحاكم، ويحرِّض عليه؛ لأنَّه موصوف بالكفر أو الظلم أو الفسق أو بها كلها.

ومثل ذلك من يقرأ الآيات الَّتي تُحذِّر من موالاة غير المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وكذلك من قنت «قنوت النوازل» المقرَّر في الفقه، وهو الدعاء الَّذي يُدعَى به في الصلوات، بعد الرفع من الركعة الأخيرة، وخصوصًا في الصلاة الجهرية، وهو مشروع عندما تنزل بالمسلمين نازلة، كغزو عدو، أو وقوع زلزال، أو فيضان، أو مجاعة عامة، أو نحو ذلك.

ولا زلت أذكر كيف وظَّف الإمام الشهيد حسن البنا هذا الحكم الشرعي في تعبئة الشعب المصري ضد الإنجليز، حين كتب في صحيفة «الإخوان المسلمون» اليومية يُطالب المسلمين أن يقنتوا في صلواتهم ضدَّ الإنجليز المحتلِّين، واقترح لذلك صيغة يُدعى بمثلها، ولم يلزم أحدًا بها، ولكنَّا حفظناها، وكنَّا نقنت بها في صلاتنا.. ومن هذا القنوت:

QaradawiBooks.com

«اللهم رب العالمين، وأمان الخائفين، ومذل المتكبرين، وقاصم الجبارين.. اللهمَّ إنَّك تعلم أنَّ هؤلاء الغاصبين من الإنجليز قد احتلوا أرضنا، وغصبوا حقَّنا، وطغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، اللهمَّ رُدَّ عنَّا كيدهم، وفُلَّ حدَّهم، وأزل دولتهم، وأذهبْ عن أرضك سلطانهم، ولا تَدَع لهم سبيلًا على أحدٍ من عبادك المؤمنين، اللهمَّ خُذْهم ومن ناصرهم، أو عاونهم أو وادَّهم، أخذَ عزيزٍ مقتدِرٍ».

وهكذا كُنَّا ندخل في معترك السياسة، ونخوض غماره، ونحن في محراب الصلاة متبتِّلون خاشعون.. فهذه هي طبيعة الإسلام، لا ينعزل فيه دِين عن دنيا، ولا تنفصل فيه دنيا عن دِين، ولا يعرف قرآنه ولا سُنَّته ولا تاريخه دينًا بلا دولة، ولا دولةً بلا دِين.

دعوى أنْ لا دين في السياسة ولا سياسة في الدِّين:

والذين زعموا أنَّ الدين لا علاقة له بالسياسة من قبل، والذين اخترعوا أكذوبة «لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين» من بعد، هم أوَّل من كذَّبوها بأقوالهم وأفعالهم.

فطالما لجأ هؤلاء إلى الدين؛ ليتخذوا منه أداةً في خدمة سياستهم، والتنكيل بخصومهم، وطالما استخدموا بعض الضعفاء والمهازيل من المنسوبين إلى علم الدين، ليستصدروا منهم فتاوى ضدَّ من يعارض سياستهم الباطلة دينًا، والعاطلة دنيا.

لا زلت أذكر كيف صدرت الفتاوى ونحن في معتقل الطور سنة ١٩٤٨م، ١٩٤٩م بأنَّنا ـ نحن الدعاة إلى تحكيم القرآن وتطبيق الإسلام ـ نحارب الله ورسوله، ونسعى في الأرض فسادًا؛ فحقنا أن نُقتل أو نُصلب، أو تُقطع أيدينا وأرجلنا من خلاف، أو نُنفى من الأرض!

QaradawiBooks.com

وتكرَّر هذا في أكثر من عهد.. تتكرَّر المسرحية وإن تغيَّرت الوجوه!

ولا زلت أذكر ـ ويذكر النَّاس ـ كيف طُلب من أهل الفتوى: أن يصدروا فتواهم بمشروعية الصلح مع إسرائيل، تأييدًا لسياستهم الانهزامية، بعد أن أُصدرت الفتوى من قبل: بتحريم الصلح معها، واعتبار ذلك خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين!

ولا زال الحكام يلجؤون إلى علماء الدين، ليفرضوا عليهم فتاوى تخدم أغراضهم السياسيَّة، وآخرها محاولات تحليل فوائد البنوك وشهادات الاستثمار، فيستجيب لهم كل رخو العود ـ ممَّن قلَّ فقههم أو قلَّ دينهم ـ ويأبى عليهم العلماء الراسخون:

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

هل السياسة أمر منكر؟

السياسة من الناحية النظريَّة علم له أهمِّيته ومنزلته، وهي من الناحية العمليَّة مهنة لها شرفها ونفعها؛ لأنَّها تتعلَّق بتدبير أمر الخَلق على أحسن وجه ممكن.

نقل الإمام ابن القيم، عن الإمام أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي: أنَّ السياسة هي الفعل الَّذي يكون النَّاس معه أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد؛ ما دامت لا تُخالف الشرع.

وذكر ابن القيم: أنَّ السياسة العادلة لا تكون مخالفة لما نطق به الشرع، بل هي موافقة لما جاء به، بل هي جزء من أجزائه، ونحن نسمِّيها سياسة تبعًا لمصطلحكم، وإنَّما هي عدل الله ورسوله[1].

(١) انظر: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم (٣١/١، ٣٢)، تحقيق نايف بن أحمد الحمد، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ.

QaradawiBooks.com

وقد نوَّه علماؤنا السابقون بقيمة السياسة وفضلها؛ حتَّى قال الإمام الغزالي: «إنَّ الدُّنيا مزرعة الآخرة، ولا يتم الدين إلَّا بالدنيا، والملك والدين توءمان، فالدين أصل، والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع»[١].

وقد عرَّفوا الإمامة أو الخلافة بأنَّها: نيابة عامَّة عن صاحب الشرع ـ وهو رسول الله ﷺ ـ في «حراسة» الدِّين، و«سياسة» الدُّنيا به[٢]، فالخلافة: حراسة، وسياسة.

وقد كان النبي ﷺ سياسيًّا، بجوار كونه مبلِّغًا ومعلِّمًا وقاضيًا، وكان خلفاؤه الراشدون المهديون من بعده سياسيين على نهجه وطريقته؛ حيث ساسوا الأمة بالعدل والإحسان، وقادوها بالعلم والإيمان.

ولكنَّ النَّاس في عصرنا وفي أقطارنا خاصَّة من كثرة ما عانوا من السياسة وأهلها، سواء كانت سياسة الاستعمار، أم سياسة الحكام الخونة، أو الحكام الظلمة، كرهوا السياسة، وكل ما يتعلق بها، وخصوصًا بعدما أصبحت فلسفة ميكافيلي هي المسيطرة على السياسة والموجِّهة لها، حتَّى حكوا عن الشيخ محمد عبده أنَّه قال ـ بعدما ذاق من مكر السياسة وألاعيبها ما ذاق ـ قال كلمته الشهيرة: أعوذ بالله من السياسة، ومن ساس ويسوس، وسائس ومسوس!

ومن ثَمَّ استغل خصوم الفكر الإسلامي، والحركة الإسلاميَّة بُغض النَّاس للسياسة، وضيقهم بها، ونفورهم منها، ليصفوا الإسلام الشامل المتكامل الَّذي يدعو إليه الإسلاميون اليوم بأنَّه «الإسلام السياسي».

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين (١/١٧).

(٢) انظر: النظريات السياسية الإسلامية للدكتور ضياء الدين الريس صـ ١٢٥، نشر دار التراث، القاهرة، ط٦، ١٩٧٦م.

QaradawiBooks.com

ولقد أصبح من المألوف الآن وصف كل ما يتميز به المسلم الملتزم عن المسلم المتسيِّب بأنَّه «سياسي»! ويكفي هذا ذمًّا له وتنفيرًا منه.

ذهب بعض الفتيات المسلمات المحجبات في بلد من بلاد المغرب العربي إلى شخصية لها منصب ديني وسياسي، يشكون إليه أنَّ بعض الكليات تشترط عليهن لكي يقبلن فيها: أن يخلعن الحجاب! وهن يستشفعن به في إعفائهن من هذا الشرط، الَّذي يفرض عليهن كشف الرأس ولبس القصير، وهو ما حرَّم الله ورسوله، وما كان أشد دهشة هؤلاء الطالبات الملتزمات؛ حين قال لهن هذا الرجل المشفَّع: إنَّ هذا الَّذي ترتدينه ليس مجرَّد حجاب، إنَّه زيٌّ سياسي!

وقبله قال العلماني الأكبر في تونس: إنَّه زيٌّ طائفي!

وقال آخر عن صلاة العيد في الخلاء: إنَّها ليست سنة، إنَّما هي صلاة سياسيَّة!

والاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان اعتكاف سياسي!

ولا تستبعد أن يأتي وقت تكون فيه صلاة الجماعة في المسجد صلاة سياسيَّة!

وقراءة الغزوات في كتاب مثل «سيرة ابن هشام» أو «إمتاع الأسماع» أو المغازي من صحيح البخاري قراءة سياسيَّة.

وقد تصبح قراءة القرآن الكريم نفسه ـ وخصوصًا سورًا معينة منه ـ تلاوة سياسيَّة.

ولم ننسَ عهدًا كان من الأدلة الَّتي تقدَّم ضدَّ المتهمين فيه حفظ سورة الأنفال؛ لأنَّها سورة جهاد!

QaradawiBooks.com

الدولة الإسلاميَّة دولة مدنيَّة مرجعيَّتها الإسلام

س: هل الدولة الإسلاميَّة دولة مدنيَّة تقوم على حرية اختيار حكامها، وعلى مبدأ تداول السلطة، كما هو معروف في الدول الديمقراطيَّة؟ أم أنَّها دولة تحكم بالحقِّ الإلٰهي؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

ممَّا يلزم ممَّا اتفق عليه العلمانيون من حرمان الإسلام من حق إقامة دولة: ما نفَّقوه من مزاعم حول طبيعة هذه الدولة المرجوَّة، فقد تقَوَّلوا عليها الأقاويل، وصوَّروها تصويرًا مليئًا بالأخيلة والتهاويل.

قالوا: إنَّها دولة «دينيَّة» ويعنون بالدِّينيَّة: أنَّها دولة كهنوتيَّة، تتحكَّم في أهل الأرض باسم السماء، وتتحكَّم في دنيا النَّاس باسم الله، ويدَّعون أنَّ «حاكميَّة الله» الَّتي قال بها داعيان كبيران من دعاة العصر: أبو الأعلى المودودي في باكستان، وسيد قطب في مصر: توجب أن تكون هذه الدولة دينيَّة؛ كدولة الكنيسة الأوربية فيما سُمِّيَ: «العصور الوسطى».

QaradawiBooks.com

وهذه الدولة في رأيهم، إنَّما يملك زمامها «رجال الدِّين» الذين ليس لأحدٍ غيرهم أن يفسِّر الدِّين أو يصدر الأحكام، وهم يفسرون الدِّين من منطلق الجمود والأفق الضيق، ويرجعون إلى الأوراق القديمة، ولا ينظرون إلى الآفاق الجديدة.

وهذه كلُّها دعاوى ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها برهان.

فالحق أنَّ الدولة الإسلاميَّة: دولة مدنيَّة، ككل الدول المدنيَّة، لا يميِّزها عن غيرها إلَّا أنَّ مرجعيَّتها الشريعة الإسلاميَّة.

ومعنى «مدنيَّة الدولة»: أنَّها تقوم على أساس اختيار حكامها بنفسها، أي برأيها وإرادتها. فتختار لقيادتها القوي الأمين، المؤهل للقيادة، الجامع لشروطها، يختاره بكل حرية: أهل الحل والعقد، كما تقوم على البيعة العامة من الأمة، وعلى وجوب الشورى بعد ذلك، ونزول الأمير أو الإمام على رأي الأمة، أو مجلس شعبها أو شوراها، كما تقوم كذلك على مسؤولية الحاكم أمام الأمة، وحق كل فرد في الرعية أن ينصح له، ويشير عليه، ويأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر.

بل يعتبر الإسلام ذلك فرض كفاية على الأمة، وقد يصبح فرض عين على المسلم، إذا قدر عليه، وعجز غيره عنه، أو تقاعس عن أدائه.

إنَّ الإمام أو الحاكم في الإسلام مجرَّد فرد عادي من الناس، ليس له عصمة ولا قداسة؛ وكما قال الخليفة الأول: إنِّي وُلِّيت عليكم ولستُ بخيركم[١]. وكما قال عمر بن عبد العزيز: إنَّما أنا واحد منكم، غير أنَّ الله تعالى جعلني أثقلكم حملًا[٢].

---

(١) ذكره ابن هشام في السيرة (٦٦١/٢)، وابن كثير في التفسير (٢٨٠/٦)، وصحَّح إسناده، عن أنس.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٣٤٠/٥)، والدارمي في المقدمة (٤٣٣).

QaradawiBooks.com

هذا الحاكم في الإسلام مقيَّد غير مطلق، هناك شريعة تحكمه، وقيم توجِّهه، وأحكام تقيِّده، وهي أحكام لم يضعها هو ولا حزبه أو حاشيته، بل وضعها له ولغيره من المكلَّفين: ربُّ الناس، مَلِك الناس، إلٰه الناس. ولا يستطيع هو ولا غيره من النَّاس أن يلغوا هذه الأحكام، ولا أن يُجمِّدوها، ولا أن يأخذوا منها ويدعوا بأهوائهم: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وهناك أمة هي الَّتي اختارت هذا الحاكم، وهي الَّتي تحاسبه، وتُقوِّمه إذا اعوج، وتعزله إذا أصرَّ على عوجه، ومن حقِّ أيِّ فردٍ فيها أن يرفض طاعته؛ إذا أمر بأمرٍ فيه معصية بيِّنة لله تعالى، بل من واجبه أن يفعل ذلك، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وفي الحديث الصحيح المتَّفق عليه: «**السمْعُ والطاعة حقٌّ على المرء المسلم فيما أحبَّ وكره، ما لم يُؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعة**»[1]، والقرآن الكريم حين ذكر بيعة النساء للنبي، وفيها طاعة النبي وعدم معصيته: قيَّد ذلك بقوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]. هذا وهو المعصوم المؤيَّد بالوحي، فغيره أولى أن تكون طاعته مقيَّدة.

ولم نرَ أحدًا من الخلفاء في تاريخ الإسلام، أضفى على نفسه، أو أضفى عليه المسلمون: نوعًا من القداسة؛ بحيث لا يُنقد ولا يُقَوَّم، ولا يُؤمر ولا يُنهى.

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٥٥)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

بل تراهم جرَّؤوا النَّاس علـى أن ينصحوهـم ويقوِّموهم، كما قال أبو بكر في أوَّل خطبة له: إنْ أحسـنتُ فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم؛ فإنْ عصيتُه فلا طاعة لي عليكم[١].

وكان عمر يقول: مرحبًا بالناصح أبد الدهر. مرحبًا بالناصح غدوًّا وعشـيًّا[٢]. وقـال قولتـه المعروفة: مـن رأى منكم فـيَّ اعوجاجًا فليقوِّمني[٣].

أتمثَّل هـذه الدولة ـ وهذا منهاجهـا، وهؤلاء أفرادهـا ـ دولة دينيَّة تحكم بالحق الإلٰهي؟ أم هي دولة يحكمها بشر غير معصومين، تقيِّدهم شريعة الله، وتراقبهم الأمة، وتحاسبهم، وتعتبرهم أُجرَاء عندها؟ كما قال أبو مسلم الخَوْلاني لمعاوية[٤]. وقد نظم ذلك أبو العلاء بقوله:

مُلَّ المقـامُ فكـم أعاشـرُ أمـةً أمرَتْ بغيـر صلاحِهـا أمراؤُها
ظلموا الرعيَّة واسـتجازوا كيدَها وعدَوْا مصالِحَها وهُمْ أُجَراؤُها[٥]

(١) جزء من خطبة أبي بكر؛ وقد سبق تخريجها صـ١٥٣.

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٢٢٥/٤)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٢٩).

(٤) دخل أبو مسلم على معاوية، فقال: السلام عليك أيها الأجير. فقيل له: مَهْ. فقال معاوية: دعوا أبا مسلم؛ فإنه أعرف بما يريد. فتقدم أبو مسلم فقال: السلام عليك أيها الأجير فقال: معاوية وعليك السلام يا أبا مسلم. فقال أبو مسـلم: يا معاوية اعلم أنَّه ليس من راعٍ استرعي رعية إلَّا ورب أجره سائله عنها، فإن كان داوى مرضاها، وهنأ جرباها، وجبر كسراها، ورد أولاها على أخراها، ووضعها في أنف من الكلأ، وصفو من الماء، وفَّاه الله تعالى أجره، وإن كان لم يفعل حرمه، فانظر يا معاوية، أين أنت من ذلك؟ فقال له معاوية: يرحمك الله يا أبا مسلم، الأمر على ذلك. انظر: تاريخ دمشق (٢٢٣/٢٧، ٢٢٤)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٥) انظر: اللزوميات (٤٤/١)، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

QaradawiBooks.com

وقولنا: إنَّ الدولة الإسـلاميَّة دولة مدنيَّة، قاله من قبلنا الإمام محمد عبده؛ في ردِّه الشـهير على فرح أنطون، في كتابـه الأصيل المعروف: «الإسلام والنصرانيَّة مع العلم والمدنيَّة». قال الأستاذ الإمام:

«إنَّ الإسلام لم يعرف تلك السـلطة الدِّينية الَّتي عرفتها أوربا؛ فليس في الإسلام سلطة دينيَّة سوى سلطة الموعظة الحسنة، والدعوة إلى الخير، والتنفير عن الشر؛ وهي سلطة خوَّلها الله لكلِّ المسلمين، أدناهم وأعلاهم.

والأمَّة هي الَّتي تولِّي الحاكم، وهي صاحبة الحقِّ في السيطرة عليه، وهي تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها؛ فهـو حاكمٌ مدنيٌّ من جميع الوجوه، ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين، بما يسمِّيه الإفرنج (ثيوكرتيك)، أي سـلطان إلٰهي؛ فليس للخليفة ـ بل ولا للقاضي، أو المفتي، أو شيخ الإسلام ـ أدنى سلطة على العقائد وتحرير الأحكام، وكل سـلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنيَّة، قدَّرها الشرع الإسلامي.. فليس في الإسـلام سلطة دينيَّة بوجهٍ من الوجوه، بل إنَّ قلب السـلطة الدِّينية، والإتيان عليها من الأساس، هو أصل من أجَلِّ أصول الإسلام»[1].

لكنَّ نفي «الوصف الدِّيني» ـ أعني الكهنوتي والثيوقراطي والحكم بالحق الإلٰهي بواسـطة طبقة بعينها ـ لا يعني نفي «الوصف الإسلامي» عنها، فهي دولة «مدنيَّة» مرجعيتها الشريعة الإسلاميَّة.

وذلك لأنَّ الإسلام كما يقول الأسـتاذ الإمام: «دين وشرع، فهو قد وضع حدودًا، ورسم حقوقًا، ولا تكتمل الحكمة من تشريع الأحكام؛ إلَّا

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده (١٠٧/١)، تحقيق د. محمد عمارة، نشـر دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

إذا وُجدت قوَّة لإقامة الحدود، وتنفيذ حكم القاضي بالحق، وصون نظام الجماعة.. والإسلام لم يدع ما لقيصر لقيصر. بل كان شأنه أن يحاسب قيصر على ما له، ويأخذ على يده في عمله؛ فكان الإسلام: كمالًا للشخص، وألفةً في البيت، ونظامًا للمُلك»[١].

والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده (١٠٧/١).

QaradawiBooks.com

هل قيام الدولة الإسلاميَّة على عقيدة الحاكميَّة يعني أنَّها دولة دينيَّة؟

س: من القضايا الَّتي تثير جدلًا كبيرًا هذه الأيام: مسألة الدولة الإسلاميَّة، وقيامها على عقيدة الحاكميَّة بما يعني أنَّها دولة دينيَّة. وقد استدل البعض على أنَّ الدولة الإسلاميَّة دولة دينيَّة؛ بأنَّها تقوم على عقيدة الحاكميَّة الإلٰهية، الَّتي دعا إليها أبو الأعلى المودودي في باكستان، وسيد قطب في مصر.

نودُّ من فضيلة الشيخ الردَّ على هذه الدعوة، لما عرفناه عنكم من اهتمامٍ كبيرٍ بهذا الموضوع. وجزاكم الله خيرًا.

مجموعة من الباحثين في علم السياسة

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الحقُّ أنَّ فكرة الحاكميَّة أساء فَهمها الكثيرون، وأدخلوا في مفهومها ما لم يُرده أصحابها.

وأودُّ أن أنبِّه هنا على جملة ملاحظات حول هذه القضية:

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الملاحظة الأولى: أنَّ أكثر من كتبوا عن «الحاكميَّة» الَّتي نادى بها المودودي وأخذها عنه سيِّد قطب، ردُّوا أصل هذه الفكرة إلى «الخوارج» الذين اعترضوا على عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، في قبوله فكرة التحكيم من أساسها، وقالوا كلمتهم الشهيرة: «لا حكم إلَّا لله»، وردَّ عليهم الإمام بكلمته التاريخية البليغة الحكيمة حين قال: كلمة حق يُراد بها باطل[١]! نعم، لا حكم إلَّا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلَّا لله! ولا بدَّ للناس من أمير برٍّ أو فاجر[٢]!

وهذا المعنى الساذج للحكم أو الحاكميَّة أصبح في ذمَّة التاريخ، ولم يعد أحد يقول به، حتَّى الخوارج أنفسهم وما تفرَّع عنهم من الفرق، فهم طلبوا الإمارة، وقاتلوا في سبيلها، وأقاموها بالفعل في بعض المناطق، فترات من الزمان.

أمَّا الحاكميَّة بالمعنى التشريعي، ومفهومها: أنَّ الله سبحانه هو المشرِّع لخَلقه، وهو الَّذي يأمرهم وينهاهم، ويحلُّ لهم ويحرِّم عليهم، فهذا ليس من ابتكار المودودي ولا سيد قطب، بل هو أمر مقرَّر عند المسلمين جميعًا. ولهذا لم يعترض عليٌّ رضي الله عنه على المبدأ، وإنَّما اعترض على الباعث والهدف المقصود من وراء الكلمة؛ وهذا معنى قوله: «كلمة حقٍّ يُراد بها باطل».

وقد بحث في هذه القضية علماء «أصول الفقه» في مقدماتهم الأصولية، الَّتي بحثوا فيها عن الحكم الشرعي، والحاكم، والمحكوم به، والمحكوم عليه.

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٦٦)، عبيد الله بن أبي رافع.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الجَمَل (٣٩٠٦٢)، والبيهقي في قتال أهل البغي (١٨٤/٨)، عن علي.

QaradawiBooks.com

فها نحن نجد إمامًا أصوليًّا مثل حجَّة الإسلام أبي حامد الغزالي، يقول في مقدمات كتابه الشهير: «المستصفى من علم الأصول» عن «الحكم» الَّذي هو أوَّل مباحث العلم، وهو عبارة عن خطاب الشرع، ولا حكم قبل ورود الشرع، وله تعلُّق بالحاكم، وهو الشارع، وبالمحكوم عليه، وهو المكلف، وبالمحكوم فيه، وهو فعل المكلَّف.

ثم يقول: «وفي البحث عن الحاكم يتبيَّن أنْ «لا حكم إلَّا لله» وأنْ لا حكم للرسول، ولا للسيد على العبد، ولا لمخلوق على مخلوق، بل كل ذلك حكم الله تعالى ووضعه، لا حكم لغيره»[١].

ثم يعود إلى الحديث عن «الحاكم» وهو صاحب الخطاب الموجه إلى المكلَّفين، فيقول: «أمَّا استحقاق نفوذ الحكم؛ فليس إلَّا لمن له الخَلق والأمر، فإنَّما النافذ حكم المالك على مملوكه، ولا مالك إلَّا الخالق، فلا حكم ولا أمر إلَّا له، أمَّا النبي والسلطان والسيد والأب والزوج، فإذا أمروا وأوجبوا لم يجب شيء بإيجابهم، بل بإيجاب من الله تعالى طاعتهم، ولولا ذلك لكان كل مخلوق أوجب على غيره شيئًا، كان للموجب عليه أن يقلب عليه الإيجاب، إذ ليس أحدهما أولى من الآخر، فإذن الواجب طاعة الله تعالى، وطاعة من أوجب الله تعالى طاعته»[٢].

---

(١) المستصفى صـ ٨، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) المستصفى صـ ٦٦، وفي فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت: مسألة: لا حكم إلَّا من الله تعالى، بإجماع الأمة، لا كما في كتب المشايخ: أن هذا عندنا، وعند بعض المعتزلة: الحاكم العقل، فإن هذا ممَّا لا يجترئ عليه أحد ممن يدعي الإسلام، بل إنَّما يقولون: إنَّ العقل معرف لبعض الأحكام الإلٰهية، سواء ورد به الشرع أم لا، وهذا مأثور عن أكابر مشايخنا أيضًا. يعني الماتريدية. انظر: فواتح الرحموت (٢٣/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

الملاحظة الثانيـــة: أنَّ «الحاكميَّة» الَّتي قال بهـــا المودودي وقطب، وجعلاها لله وحده، لا تعني أنَّ الله تعالى هو الَّذي يولِّي العلماء والأمراء، يحكمون باسمه، بل المقصود بها الحاكميَّة التشريعية فحسب، أمَّا سند السلطة السياسيَّة فمرجعه إلى الأمة، هي الَّتي تختار حكَّامها، وهي الَّتي تحاســبهم، وتراقبهم، بل تعزلهم. والتفريق بين الأمرين مهم، والخلط بينهما موهم ومضلِّل.

فليس معنى الحاكميَّة الدعوة إلى دولة ثيوقراطيَّة، بل هذا ما نفاه كل من سيد قطب والمودودي رحمهما الله.

أمَّا سيِّد قطب، فقال في «معالمه»:

«ومملكة الله في الأرض لا تقوم بـــأن يتولى الحاكميَّة في الأرض رجال بأعيانهم ـ هم رجال الدِّين ـ كما كان الأمر في سلطان الكنيسة، ولا رجال ينطقون باســم الآلهة، كمـــا كان الحال فيما يعرف باســم «الثيوقراطيَّـــة» أو الحكم الإلٰهـــي المقدَّس! ولكنَّها تقـــوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة، وأن يكون مردُّ الأمر إلى الله، وفق ما قرَّره من شريعة مبينة»[1].

وأمَّا المودودي، فقد أخذ بعض النَّاس جزءًا من كلامه وفهموه على غير ما يريد، ورتَّبوا عليه أحكامًا ونتائج لم يقل بها، ولا تتفق مع سائر أفـــكاره ومفاهيم دعوتـــه، الَّتي فصَّلها في عشـــرات الكتب والرســـائل والمقالات والمحاضـــرات. وهذا ما يحدث مـــع كلام الله تعالى وكلام رسوله، إذا أُخِذَ جزء منه معزولًا عن سياقه وسباقه، وعن غيره ممَّا يكمله أو يبينه أو يقيده، فكيف بكلام غيرهما من البشر؟

(١) معالم في الطريق للشهيد سيد قطب صـ ٦٠، نشر دار الشروق، القاهرة، ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

فقد ذكر المودودي خصائص الديمقراطيَّة الغربيَّة ثم قال: «وأنت ترى أنَّها ليست من الإسلام في شيء؛ فلا يصح إطلاق كلمة «الديمقراطيَّة» على نظام الدولة الإسلاميَّة، بل أصدق منها تعبيرًا كلمة «الحكومة الإلٰهية أو الثيوقراطيَّة».

ثم استدرك فقال: «ولكنَّ الثيوقراطيَّة الأوروبية تختلف عنها الحكومة الإلٰهية (الثيوقراطيَّة الإسلاميَّة) اختلافًا كليًّا، فإنَّ أوروبا لم تعرف منها إلَّا الَّتي تقوم فيها طبقة من السدنة مخصوصة يشرِّعون للناس قانونًا من عند أنفسهم[1]، حسبما شاءت أهواؤهم وأغراضهم، ويسلطون ألوهيتهم على عامَّة أهل البلاد متستِّرين وراء القانون الإلٰهي، فما أجدر مثل هذه الحكومة أن تسمَّى بالحكومة الشيطانية منها بالحكومة الإلٰهية!

وأمَّا الثيوقراطيَّة الَّتي جاء بها الإسلام، فلا تستبدُّ بأمرها طبقة من السدنة أو المشايخ، بل هي الَّتي تكون في أيدي المسلمين عامة، وهم الذين يتولون أمرها والقيام بشؤونها؛ وفق ما ورد به كتاب الله وسنة رسوله.

ولئن سمحتم لي بابتداع مصطلح جديد لآثرت كلمة «الثيوقراطيَّة الديمقراطيَّة» أو «الحكومة الإلٰهية الديمقراطيَّة» لهذا الطراز من نظم الحكم؛ لأنَّه قد خوَّل فيها للمسلمين حاكميَّة شعبية مقيَّدة. وذلك تحت سلطة الله القاهرة، وحكمه الَّذي لا يُغلب.

---

(١) لم يكن عند البابوات القساوسة المسيحيين شيء من الشريعة إلَّا مواعظ خُلقية مأثورة عن المسيح عليه السلام، ولأجل ذلك كانوا يشرعون القوانين حسب ما تقتضيه شهوات أنفسهم، ثم ينفذونها في البلاد قائلين إنَّها من عند الله، كما ورد في التنزيل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩]. المودودي.

QaradawiBooks.com

ولا تتألَّف السلطة التنفيذيَّة إلَّا بآراء المسلمين، وبيدهم يكون عزلها من منصبها، وكذلك جميع الشـؤون الَّتي يوجد عنها في الشريعة حكم صريح، لا يقطع فيها بشيء إلَّا بإجماع المسلمين.

وكلَّما مسَّـت الحاجة إلى إيضاح قانون أو شـرح نصٍّ من نصوص الشرع، لا يقوم ببيانه طبقة أو أُسرة مخصوصة فحسب، بل يتولى شرحه وبيانه كل مَن بلغ درجة الاجتهاد من عامَّة المسلمين.

فمن هذه الوجهة يعد الحكم الإسلامي «ديمقراطيًّا»[1].

فهذا ما يُفهم من مجموع كلام المـودودي، وإن كان لنا تحفظ على تسميته الحكومة الإسـلاميَّة «حكومة إلٰهيَّة» أو «ثيوقراطيَّة» لما فيه من إيهام التشابه بـ «الثيوقراطيَّات» المعروفة في التاريخ، وإن نفى هو ذلك.

الملاحظـة الثالثة: أنَّ الحاكميَّة التشـريعية الَّتي يجـب أن تكون لله وحده، وليسـت لأحد من خَلقه، هي الحاكميَّة «العليا» و«المطلقة» الَّتي لا يحدها ولا يقيدها شيء، فهي من دلائل وحدانية الألوهيَّة.

وهذه الحاكميَّة ـ بهـذا المعنى ـ لا تنفي أن يكون للبشـر قدر من التشـريع أذن به الله لهم؛ إنَّما هي تمنع أن يكون لهم استقلال بالتشريع غير مأذون به من الله، وذلك مثل التشريع الدِّيني المحض، كالتشريع في أمر العبادات بإنشاء عبادات وشعائر من عند أنفسـهم، أو بالزيادة فيما شـرع لهم باتِّباع الهـوى، أو بالنقص منـه كمًّا أو كيفًـا، أو بالتحويل والتبديل فيه زمانًا أو مكانًا أو صورةً.

(١) نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور لأبي الأعلى المودودي صـ ٣٤ ـ ٣٦، نشر دار الفكر، بيروت، ١٩٦٦م.

QaradawiBooks.com

ومثل ذلك التشريع في أمر الحلال والحرام، كأن يحلوا ما حرَّم الله، ويحرِّموا ما أحل لله، وهو ما اعتبره النبي ﷺ نوعًا من «الربوبيَّة» وفسَّر به قوله تعالى في شأن أهل الكتاب: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وكذلك التشريع فيما يصادم النصوص الصحيحة الصريحة؛ كالقوانين الَّتي تقرُّ المنكرات، أو تشيع الفواحش؛ ما ظهر منها وما بطن، أو تعطِّل الفرائض المحتَّمة، أو تلغي العقوبات اللازمة، أو تتعدَّى حدود الله المعلومة.

أمَّا فيما عدا ذلك فمن حقِّ المسلمين أن يشرعوا لأنفسهم؛ وذلك في دائرة ما لا نصَّ فيه أصلًا وهو كثير، وهو المسكوت عنه الَّذي جاء فيه حديث: «**وما سكت عنه فهو عفْوٌ**»[1]، وهو يشمل منطقة فسيحة من حياة الناس.

ومثل ذلك ما نصَّ فيه على المبادئ والقواعد العامة؛ دون الأحكام الجزئية والتفصيلية.

ومن ثَمَّ يستطيع المسلمون أن يشرعوا لأنفسهم بإذنٍ من دينهم، في مناطق واسعة من حياتهم الاجتماعيَّة والاقتصادية والسياسيَّة، غير مقيدين إلَّا بمقاصد الشريعة الكليَّة، وقواعدها العامة. وكلها تراعي جلب المصالح، ودرء المفاسد، ورعاية حاجات النَّاس أفرادًا وجماعات.

---

(١) رواه البزار (٤٠٨٧) وقال: إسناده صالح. والحاكم في التفسير (٣٧٥/٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٤): رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن، ورجاله موثقون. عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

وكثير من القوانين التفصيلية المعاصرة لا تتنافى مع الشريعة في مقاصدها الكليَّة، ولا أحكامها الجزئية، لأنَّها قامت على جلب المنفعة، ودفع المضرة، ورعاية الأعراف السائدة.

وذلك مثل قوانين المرور أو الملاحة أو الطيران، أو العمل والعمال، أو الصحة أو الزراعة، أو غير ذلك ممَّا يدخل في باب السياسة الشرعيَّة، وهو باب واسع[١].

ومن ذلك تقييد المباحات تقييدًا جزئيًّا ومؤقَّتًا، كما منع سيدنا عمر الذبح في بعض الأيام، وكما كره لبعض الصحابة الزواج من غير المسلمات، حتَّى لا يقتدي بهم الناس، ويكون في ذلك فتنة على المسلمات.

والأستاذ المودودي ـ وهو أشهر من نادى بالحاكميَّة، وتشدَّد فيها ـ قد بيَّن في كلامه أنَّ للناس متسعًا في التشريع، فيما وراء القطعيات والأحكام الثابتة، والحدود المقرَّرة. وذلك عن طريق تأويل النصوص وتفسيرها، وعن طريق القياس، وطريق الاستحسان، وطريق الاجتهاد[٢].

* * *

(١) انظر كتابنا: الحل الإسلامي فريضة وضرورة صـ ٨٦ وما بعدها، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٦، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) انظر: نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور صـ ١٧١ وما بعدها.

QaradawiBooks.com

تعدُّد الجماعات الإسلاميَّة

س: تكثر في هذه الأيام الجماعات الإسلاميَّة، ويوجد بينها اختلافات كثيرة، وتختلف وجهات نظر العاملين للإسلام اليوم في الطريق الصحيح لإعادة الإسلام إلى مكانته ومجده، وقد أدَّى هذا الاختلاف إلى تعدُّد الجماعات الإسلاميَّة، وتعصَّبَ كلٌّ لجماعته، فكل جماعة تدَّعي أنَّها وحدها على الصواب، وما سواها مخطئ، فهل يمكن التوفيق بين الجماعات؟ وهل يمكن توحيد الصف ولم شمل الجميع؛ بعيدًا عن الحزبية والتعصب الأعمى؟ وخصوصًا أنَّ الكثير من هذه الجماعات ـ أحيانًا ـ توالي غير المسلمين، وتعادي الجماعة الَّتي تختلف معها في التوجه والرأي والطرح، وهل ترى فضيلتكم أنَّ هذه ظاهرة صحية أم مرضية؟ أفتونا مأجورين.

محمد مقبل عبد الله

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(وبعد)

ظاهرة تعـــدُّد الجماعات يمكن أن تكون ظاهـــرة صحيَّة، ويمكن أن تكون ظاهرة مَرَضِيَّة، فتعدُّد الجماعات الإسلاميَّة نفسه لا حرج فيه، ولا مانع منه، إذا كان تعدد تخصصٍ وتنوع، لا تعدد صراع وتناقض، كل منها يعمل لخدمة الإسلام بطريقته الخاصة وباجتهاده، فجماعة تخدم الإسلام عن طريق إصـــلاح العقيدة، وتحرير العقول من الشـــركيَّات والخرافات، وجماعة تســـعى إلى أن تعلِّم النَّاس كيف يصلُّون صلاة خاشعة، وبعيدة عن البدع، وتنشـــئ المســـاجد لهذه الناحية، وجماعة تعمل في الناحية التربوية، فتعمل على بناء المدارس الإســـلاميَّة الَّتي تربي الشباب على الإسلام، وجماعة تعمل في الاقتصاد الإسلامي، وتعمل على إنشاء بنوك إســـلاميَّة، لا تتعامل بالربا، فتخرج النَّاس من لعنة الربا ورجســـه، حتَّى لا تنزل بالناس لعنة الله وحرب الله ورســـوله، وجماعة تعمل في الناحية الفكرية والثقافية، فتعمل على تأليف الكتب الإسلاميَّة، وترجمة الكتب الإسلاميَّة ونشـــرها، حتَّى تصحِّح الأفكار والمفاهيم، وتعود العقول إلى رشدها، وتقف ضد التغريب والماركسية والغزو الثقافي، وجماعة تعمل على خوض المعارك الانتخابيَّة ضد العِلمانييـــن، فلا بدَّ أن يكون لأهل الإسلام صوت مســـموع في مجالس الشـــورى، أو مجالس الشعب، أو البرلمانات، حتَّى ننادي بالتشريع الإسلامي، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وجماعة تعمل في الجهاد لتحرير الأراضي الإسلاميَّة.. وهكذا.

هناك مجالات كثيرة للعمل على خدمة الإســـلام والمسلمين، والباب مفتوح، والمجال يتسع للجميع، كل واحد يعمل شيئًا، هذا هو المطلوب، فلا مانع من أن تتعـــدَّد الجماعات، ولا حرج أن يعمـــل كلٌّ فيما يهتم به ويتخصَّـــص فيه، ولكن على أن لا تبني جماعة نفســـها علـــى أنقاض من

QaradawiBooks.com

ســواها، ولا تلعن جماعةٌ جماعةً أخرى، إذا أحسن الجميع ظنَّه بالجميع، كل جماعة تحسن الظنَّ بالجماعة الأخرى، وأن يتعاون الجميع في القضايا المصيرية، فلا بدَّ أن يكون هناك تنسيق وتعاون بين هذه الجماعات، لنقف صفًّا واحــدًا ضدَّ أعداء الله، وأعــداء الدين، وأعــداء الأمة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

فالمطلوب منَّا نحن المسلمين أن ننصح هذه الجماعات أن تتقارب فيما بينها، فهناك قضايا لا يجوز الخلاف فيها، هل يختلف مسلمان في أنَّ إسرائيل كيان سرطاني معتدٍ غاشــم، دخل أمَّتنا بغير إرادتها، وفرض نفســه عليها بالحديد والنار؟ نحن متفقون في هــذا، فلنتعاون في هذا، ولنقاوم هذا السرطان.

هل يختلف أحد أنَّ المسلمين في البوسنة والهرسك مظلومون وأنَّ الصرب يريدون أن يقتلعوا جذورهم؟! فلنســاعد إخواننا هناك، كما أنَّ إخواننا في كشمير تريد الهندوسيَّة أن تهدمهم من أساسهم، وتقلعهم من جذورهــم، فلنقف مــع إخواننا في كشــمير، نقف ضــدَّ الإلحاد، ضدَّ الشيوعية الملحدة، ضدَّ الإباحية والانحلال الساري في الغرب، والذي يريد أن يدخل ديار المسلمين.

كما يجب أن نتحد في مواجهة الظلم الاجتماعي، ويجب أن نقف مع المظلومين ضدَّ الظالمين، وأن نســعى لإخراج الأمة من التخلف إلى باحة التقدم، حتَّى يكون لها مكانها تحت الشــمس، وتستطيع أن تستغني عن غيرها، ولا تكون عالة في السلاح وفي الغذاء وفي الدواء والصناعة وغيــر ذلك، فهذه أمــور كثيرة ينبغي أن تتفــق الجماعات الإسلاميَّة كلها عليها.

QaradawiBooks.com

والقاعدة الَّتي ينبغي أن تحكم العاملين للإسلام جميعًا هي قاعدة المنار الذهبية، القاعدة الَّتي وضعها العلامة السلفي محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ، والتي قال فيها: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه[1].

وما اتَّفقنا عليه مئات وآلاف القضايا، فلنتعاون فيه، وليضع كلٌّ منَّا يده في يد أخيه، وما نختلف فيه قضايا قليلة، كلها قضايا اجتهاديَّة، تختلف فيها العقول، وتتباين فيها الترجيحات، ولذلك من يظنون أنَّهم يستطيعون جمع النَّاس على رأي واحد ورفع الخلاف، هم واهمون، وهم بهذا يزيدون الخلاف حدَّة وشدَّة، مثل الذين ينكرون المذاهب الفقهيَّة، فكلُّ عملهم أنَّهم عملوا مذهبًا خامسًا، بدل المذاهب الأربعة، أو مذهبًا تاسعًا بدل المذاهب الثمانية.

فالذي أوصي به أن يسع بعضنا بعضًا، ويعذر بعضنا بعضًا، ويسامح بعضنا بعضًا في الخلافيات، ونتعاون جميعًا ويشد بعضنا أزر بعض في الأمور المتفق عليها، وما أكثرها!

إنَّ الموقف يتطلب وحدة الصف الإسلامي في مواجهة أعداء الإسلام وأعداء الأمة، وهم كُثر، وهم يكيدون لنا كيدًا، ويمكرون بنا مكرًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]. فلا يجوز أن نواجه صفَّهم الموحَّد المجتمع، بصفٍّ متفرِّقٍ ممزَّقٍ!

* * *

(١) انظر: مجلة المنار (١٨٨/١٧)، نشر دار المنار، القاهرة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

انتخاب الأصلح واجب شرعي

س: بحكم أنَّ لي كثيرًا من الصلات والعلاقات الجيِّدة مع كثيرين من قرابة أو جيرة، أو زمالة أو صداقة، أو مصالح مشتركة.. أو نحو ذلك، يتَّصل بي بعض النَّاس أحيانًا لكي أقوم بالتصويت لهم في انتخابات مجالس الإدارة، أو الجمعيات التعاونية، أو بعض الشركات، أو البنوك أو المؤسسات، حيث يحرجونني بحكم الصلة أو المصلحة أو الصداقة، فيلحُّ عليَّ بانتخابه، أو انتخاب من يرغب في فوزه، وأحيانًا يطلبون مني توكيلًا ليتولوا هم ذلك نيابة عنِّي، وكثيرًا ما نسمع عن تجاوزات واتفاقات تحدث نتيجة التحالفات وتبادل المصالح في مثل هذه الانتخابات، علمًا بأنَّنا في قرارة أنفسنا نرغب في اختيار الأصلح والأنفع، والأكثر خبرة أو تقوى لله ﷻ، بغضِّ النظر عن الصداقة أو القرابة أو الزمالة، ما العمل حيال هذا الوضع الَّذي أصبح يتكرر كثيرًا في حياتنا، ولا نستطيع أن نردَّ بعض من يطلب منَّا؛ حتَّى لا تتعرض علاقتنا بهم للضعف أو التأثر السلبي؟ وما مدى المسؤولية الملقاة على عاتقنا نتيجة اختيار غير الكفء أو غير الصالح؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

QaradawiBooks.com

(وبعد)

المسؤولية عليكم كبيرة من غير شك، فالمسلم مطالب بأن يختار الأصلح الأنفع، والقوي الأمين، كما قال الله تعالى على لسان ابنة شيخ مدين: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. ومعنى القوي أي: القادر على فعل ما وُكِّلَ به من أعمال، يتطلبها منصبه الَّذي اختير له، أو انتخب له، وأن تكون عنده كفاية وخبرة وممارسة، وعنده شهادات ومؤهلات تؤهله له، وأن تكون عنده القدرة العقلية والنفسيَّة والخُلُقية لأداء مثل هذا العمل، هذا معنى القوي.

ومعنى الأمين أن تكون عنده أمانة وأخلاق، يخشى الله ﷻ في عمله، لا يكون سارقًا، ولا مؤيدًا لمن يسرقون، ولا ساكتًا عنهم، فهذا هو القوي الأمين.

وأحيانًا يعبِّر القرآن عن ذلك بالحفيظ العليم، كما قال سيدنا يوسف: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]. حفيظ أي: أَحْفَظ الأشياء، مؤتمن عليها، لا أضيِّعها، ولا أفرِّط فيها، وعليم أي: قوي، خبير بها، مطَّلع عليها.

فالإنسان إذا أراد أن ينتخِب لا بدَّ أن يختار القوي الأمين، الحفيظ العليم، حتَّى يقوم بدوره في أداء واجبه ورعاية مسؤولياته.

والانتخاب شهادة، فالإنسان المنتخِب يشهد أنَّ من انتخبه هو أصلح المرشحين أو المتقدمين لشغل هذا المنصب، فلا يجوز له أن يشهد زورًا بانتخاب الأقل كفاءة، فهو إذا انتخب شخصًا وهو يرى أنَّه غير صالح، وأنَّ غيره أصلح منه، وأنفع منه، وأخبر منه، وأقوى منه؛ فقد شهد زورًا، وخان الأمانة، وأنت حينما تنتخب شخصًا فأنت توليه ولاية، فإن لم

QaradawiBooks.com

يكن أهلًا لتلك الولاية، فأنت خائن لله ولرسوله وللمؤمنين. والنبي ﷺ قال: «**إذا ضُيِّعت الأمانةُ فانتظر الساعة**». قيل: كيف إضاعتها يا رسولَ الله؟ قال: «**إذا أُسند الأمرُ إلى غيرِ أهله فانتظرِ الساعة**»[١].

فلا بدَّ أن يختار المسلم من هو أهل للمسؤولية، والانتخابات ـ كما قلت ـ شهادة، والله تعالى يقول: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢]. اجعلْ اختيارك لله، لا لأنَّ هذا جارك، أو لأنَّه قريبك، أو لأنَّه صاحبك، أو لأنَّه صديقك.

ولو أنَّ كل النَّاس فرَّطوا في هذا الواجب، وانتخبوا على أساس القبيلة أو القرابة، أو المصلحة أو الجيرة، فمعنى هذا أن يختار في المجالس النيابية غير الأصلح، وفي المجالس البلدية غير الأكفأ، وفي مجالس الإدارات في البنوك والوزارات والمؤسسات يُختار غير الأجدر، وفي مجالس الجمعيات التعاونية يُختار غير الأقدر، يختار الإنسان الضعيف الَّذي لا يستطيع أن يعمل شيئًا، أو الإنسان الَّذي لا دين له، فلعله يسرق أو يختلس أو يرتشي، وحينئذٍ ننتظر ساعة الأمة كما ورد في الحديث: «**إذا وُسِّد الأمر إلى غيرِ أهله فانتظر الساعة**». فهناك الساعة العامة، وهناك الساعة الخاصة، كل أمة لها ساعة.. لها ساعة تهلك فيها، وتضيع فيها؛ ويغلب شرارُها خيارَها، وينهار اقتصادها، وتتبدل سياستها، وتنهار الأخلاق فيها، فتضيع الأمة.

ولذلك فالانتخاب مسؤولية كبيرة، ويجب أن يتمسَّك النَّاس بحقِّهم فيه، من غير أن يطلب أحد منهم ذلك، اذهب أنت وانتخب من تراه صالحًا، اذهب أنت بنفسك، اتعب قليلًا، ولا توكِّل غيرك، وإذا وكَّلك

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

بعض النَّاس فاختر الصالح، ولا تجامـــل، ولا تخشَ في الله لومة لائم، فالله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]. حتَّى على أبيك وعلى أخيك، وعلى نفسك. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائـدة: ٨]. لو وجدت واحدًا بينك وبينه خصومة أو كنت لا تحبه، ولكنَّه أصلح لهذا المنصب من غيره؛ انتخبـــه لله ﷻ، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾، هذا هو الواجب الَّذي يضيِّعه كثيرٌ من الناس.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

سماحة الإسلام وعدله مع غير المسلمين

س: من المعروف لدى المتديِّنين عامة، بـأيِّ دينٍ كان، أنَّ كل دين يطلب مـن أتباعه الاعتزاز به، والـولاء له، والمودة لـكل من آمن به، والكفر بكل ما سـواه، واعتقاد أنَّه وحده على الحق، وكل ما سواه هو الباطل، والإسلام أحد هذه الأديان ولا شك.

وربما زاد هذا الأمر حدَّةً عند بعض المتديِّنين؛ فانتهت به غيرته على دينه إلى معاداة كل المخالفين له، وإضمار الكراهية لهم، والحقد عليهم، بل قد يتفاقم ذلك إلى حدِّ الاعتقاد باستباحة أموالهم ودمائهم، ولا يرى في ذلك إثمًا ولا حرجًا، بل قد يظنُّ أنَّه يتقرَّب بذلك إلى الله تعالى!

وهذا ـ ولا ريب ـ أمر في غاية الخطـورة؛ عندما يكون المخالفون إخوة في الوطن وجزءًا من شعب واحد؛ يضم المسلمين وغير المسلمين، فهنا يـتمزق الصف، وتتفرق الكلمة، ويتعامل الجميع من خلال سـوء الظن والخوف، ويزداد الأمر سوءًا وشرًّا إذا تنبَّهت لذلك القوى الأجنبيَّة الماكرة، فزادت من أسـباب الفرقـة، ونفخت في الجمـرة حتَّى توقد وتحرق الجميع، وهي تتفرج!

لهـذا نرجو من فضيلتكم إلقـاء الـضوء على هـذه القـضية، وبيان موقف الإسلام من غير المسـلمين؛ وخصوصًا إذا كانوا أقليَّة في وسط

QaradawiBooks.com

أكثريَّة مسلمة، وذلك حتَّى لا يُساء فهم الإسلام، أو يُظلم بتصرفات بعض أبنائه، الذين لم يحسنوا فقهه ولا العمل به.

نفع الله بكم، وزادكم توفيقًا.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فهذه القضية ـ موقف الإسلام من غير المسلمين ـ من أهم القضايا الَّتي يجب أن توضح فيها الحقائق، وتزال الشبهات، وتصحَّح الأفهام، من أهل العلم الراسخ؛ حتَّى لا ينسب إلى الإسلام ما هو براء منه، وحتى لا يقع بعض أبنائه في أخطاء أو انحرافات: يرفضها الإسلام، وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعًا.

وقد كتبت في ذلك كتابًا نشر في عدة أقطار، وطبع عدة مرات، وترجم إلى عدة لغات، وهو «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي».

حقائق يجب التنبيه عليها:

وخلاصة ما يحسن قوله هنا ـ قبل بيان موقف الإسلام ـ نركِّزه في الحقائق التالية:

أولًا: لا يجوز أن تُحمل تصرفات بعض المسلمين ـ ممَّن ضاق أفقهم، أو ساءت تربيتهم ـ على الإسلام؛ فمن المقطوع به: أنَّ الإسلام حجَّة على المسلمين، وليس المسلمون حجَّة على الإسلام.

QaradawiBooks.com

وكم ابتُلي الإسلام بأُناس يُنسبون إليه، ويُحسبون عليه، ولكنَّهم يؤذونه بسلوكهم: أكثر ممَّا يؤذيه أعداؤه الذين يكيدون له خفية، أو يقاتلونه جهرة. وقديمًا قالوا: عدوٌّ عاقلٌ خيرٌ من صديقٍ أحمق. وقال الشاعر[١]:

لــكلِّ داءٍ دواءٌ يُسْــتَطَبُّ به إلَّا الحماقةَ أعيتْ من يُداويها

ثانيًا: إنَّ هؤلاء الجُهَّــال والحمقى ممَّن يتعصَّبون ضــدَّ مخالفيهم في الدين، ويسيؤون التعامل معهم بلا مبرر، وينتهي ببعضهم الغلو إلى استباحة أموالهم أو دمائهم، هؤلاء لم يســلم من أذاهم أيضًا إخوانهم في الدين من المســلمين، بل هم يبدؤون بالتطــاول عليهم، والاتهام لهــم في إيمانهم وتدينهم، إلى حدٍّ قد ينتهي بتكفيرهــم وإخراجهم من الملة، والتقرب إلى الله باســتباحة حرماتهم، وهذا ما يفعله الغلو والتنطع بأهله. وهذا ما رأيناه في الخوارج قديمًا، ولمســناه في خلفائهم حديثًا، ومبعث ذلك هو الغُرور الخفي، والعُجب القاتل، الَّذي يجعل صاحبه ينظر إلى نفسه أنَّه مَلَك، وأنَّ الآخرين كلهم شياطين. والإعجاب بالنفس أحد المهلكات.

ثالثًا: إنَّ هذا التعصب الَّذي نراه ونلمسه عند بعض المتدينين، كثيرًا ما تكون أسبابه غير دينيَّة، وإن لُبِّس لبوس الدِّين، بل قد تكون أسبابه ـ عند الدراسة والتعمق ـ أسبابًا اجتماعيَّة أو اقتصادية أو سياسيَّة، ولهذا تــراه يظهر في بعض المناطــق دون بعض؛ لأنَّ الظــروف الاجتماعيَّة بملابساتها وتعقيداتها الموروثة، هي الَّتي بذرت هذه البذرة، وساعدت على نموِّهــا؛ فمن الظلــم للحقيقــة أن يُتَّهــم الدين بأنَّــه وراء هذه السلوكيات المتطرِّفة.

---

(١) ذكره من غير نسبة ابن عبد ربه في العقد الفريد (٢٢٦/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

رابعًا: إنَّ بعض ما نراه من التعصب لدى بعض المسلمين، قد يكون ردَّة فعل لتعصُّب آخر من إخوانهم ومواطنيهم من غير المسلمين، وليس من الإنصاف أن نتَّهم الأكثريَّة دائمًا بالتعصب ضدَّ الأقليَّة، فكثيرًا ما تندفع الأقليَّة أو أفراد منها تحت تأثير مشاعر الخوف ـ وإن لم يكن له أصل ـ أو الشائعات والمبالغات، إلى تصرفات تتسم ـ أو تفسر ـ بالكيد للأغلبية، وفي هذا الجو الَّذي تتزلزل فيه الثقة بين عناصر الوطن الواحد: تروج الشائعات، وتصبح الحبة قبة، ولا يجرؤ أحد على مواجهة الأمر بصراحة، أو علاجه من جذوره.

موقف الإسلام من غير المسلمين:

في ضوء هذه الحقائق الَّتي لا ينبغي أن تغفل أود أن أبيِّن بإيجاز موقف الإسلام من المخالفين، أو من غير المسلمين من أصحاب الأديان الأخرى:

من المعروف: أنَّ أصحاب الأديان المخالفة للإسلام صنفان:

١ ـ **صنف هم أصحاب الديانات الوثنيَّة** أو الوضعيَّة؛ مثل: المشركين عُبَّاد الأوثان، والمجوس عُبَّاد النار، والصابئين عُبَّاد الكواكب.

٢ ـ **وصنف هم أصحاب الديانات السماوية** أو الكتابية، وهم الذين لهم دين سماوي في الأصل، ولهم كتاب منزل من عند الله؛ كاليهود والنصارى، وهم الذين يُسمِّيهم القرآن «أهل الكتاب» تلطُّفًا بهم، وإيناسًا لهم. وهؤلاء الكتابيُّون لهم معاملة متميِّزة في الإسلام، فقد أباح مؤاكلتهم، واعتبر طعامهم حلالًا طيبًا، كما أباح مصاهرتهم والتزوج منهم، كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [المائدة: ٥].

QaradawiBooks.com

والمصاهرة أحد الرابطين الأساسيين، اللذين يربطان البشر بعضهم ببعض؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

كما أنَّ الزواج في نظر الإسلام يقوم على السكون والمودة والرحمة، وهي دعائم الحياة الزوجية في القرآن: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

ومعنى زواج المسلم من كتابيَّة أن يكون أصهاره وأجداد أولاده وجداتهم، وأخوالهم وخالاتهم، وأولاد أخوالهم وخالاتهم من أهل الكتاب، وهؤلاء لهم حقوق صلة الرحم وذوي القربى، الَّتي يفرضها الإسلام.

ولا نجد في السماحة مع المخالف في الدين أرحب ولا أعلى من هذا الأفق الَّذي وجدناه في شريعة الإسلام.

وثمت تقسيم آخر للمخالفين في الدين، من حيث موقفهم من دولة الإسلام وأمة الإسلام.. فهم إمَّا محاربون، وإمَّا مسالمون معاهدون.

فالمحاربون: هم الذين يعادون المسلمين ويقاتلونهم، وهؤلاء لهم أحكامهم الَّتي تنظِّم العلاقة بهم، وتفرض أخلاقًا وآدابًا معينة في معاملتهم؛ حتَّى في حالة الحرب، فلا عدوان، ولا غدر، ولا تمثيل بجثة، ولا قطع لشجر، ولا هدم لبناء، ولا قتل لصبي ولا امرأة ولا شيخ، وإنَّما يقتل من يقاتل.. إلخ ما هو مقرَّر ومتَّصل في كتب «السير» أو «الجهاد» في الفقه الإسلامي.

والمسالمون أو المعاهدون، يوفي لهم بعهدهم، ويُعطَون حقَّهم من البرِّ والقسط والصِّلة.

QaradawiBooks.com

ومن الخطل والخطر هنا: الخلط بين الصنفين على اعتبار أنَّهم جميعًا كفَّار، لا يؤمنون برسالة محمد خاتم رسل الله ﷺ، ولا يصدِّقون بالقرآن آخر كتب الله.

وقد فرَّق القرآن بين الصنفين تفريقًا واضحًا، في آيتين كريمتين تعتبران دستورًا محكمًا في تحديد العلاقة بغير المسلمين، يقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

والبر هو: الخير، والقسط: هو العدل، وقد نزلت هاتان الآيتان في شأن المشركين، كما دلَّت على ذلك أسباب نزول السورة؛ فأهل الكتاب أولى بالبر والقسط.

ثم إنَّ المعاهدين صنفان:

أ. من لهم عهد مؤقت، وهؤلاء يتم إليهم عهدهم إلى مدَّتهم.

ب. والثاني من لهم عهد دائم ومؤبَّد؛ وهم الذين يسمِّيهم المسلمون «أهل الذمَّة» بمعنى أنَّ لهم ذمَّة الله تعالى، وذمَّة رسوله ﷺ، وذمَّة جماعة المسلمين؛ وهم الذين قال فيهم الفقه الإسلامي: لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، أي في الجملة؛ إلَّا ما اقتضته طبيعة الاختلاف الديني.

وأهل الذمَّة يحملون «جنسيَّة دار الإسلام» وبتعبير آخر: هم مواطنون في الدولة الإسلاميَّة.

فليست عبارة «أهل الذمَّة» عبارة ذمٍّ أو تنقيص، بل هي عبارة توحي بوجوب الرعاية والوفاء، تديُّنًا وامتثالًا لشرع الله.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وإذا كان الإخوة المسيحيون يتأذون من هذا المصطلح، فليغير أو يحذف، فإنَّ الله لم يتعبَّدنا به، وقد حذف سيدنا عمر رضي الله عنه ما هو أهم منه، وهو لفظ «الجزية»، رغم أنَّه مذكور في القرآن، وذلك استجابةً لعرب بني تغلب من النصارى، الذين أنفوا من هذا الاسم، وطلبوا أن يُؤخذ منهم ما يُؤخذ باسم الصدقة، وإن كان مضاعفًا.. فوافقهم عمر، ولم يرَ في ذلك بأسًا، وقال: هؤلاء القوم حمقى، رضوا بالمعنى، وأبوا الاسم[١].

وهذا تنبيه من الفاروق على أصلٍ مهمٍّ، وهو النظر إلى المقاصد والمعاني، لا إلى الألفاظ والمباني، والاعتبار بالمسمَّيات لا الأسماء. ومن هنا نقول: إنَّه لا ضرورة للتمسك بلفظ «الجزية» الَّذي يأنف منه إخواننا النصارى في مصر، وأمثالهم في البلاد العربية والإسلاميَّة، والذين امتزجوا بالمسلمين، فأصبحوا يكوِّنون نسيجًا قوميًّا واحدًا.. فيكفي أن يدفعوا «ضريبة» أو يشتركوا بأنفسهم في الدفاع عن الأمة والوطن؛ فتسقط عنهم.

وقد بيَّنت في كتابي الآنف الذكر حقوق المواطنين من أهل الذمَّة، من وجوب المحافظة على دمائهم وأعراضهم، وأموالهم ومعابدهم، وجميع حرماتهم، واحترام عقائدهم وشعائرهم، والدفاع عنهم تجاه كل عدوان من الخارج، وتجنُّب كل ما يُوغر صدورهم، أو يؤذيهم في أنفسهم أو أهليهم وذراريهم.

حتى إنَّ القرآن ليرتفع بأدب الحوار مع أهل الكتاب إلى أفق رفيع،

(١) الحاوي الكبير للماوردي (٣٤٦/١٤)، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

حين يقول: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

فإذا كان هناك طريقتان للحوار أو للجدال إحداهما حسنة، والأخرى أحسن منها، فالمطلوب هو الحوار بالتي هي أحسن.

ويركِّز القرآن هنا على ذكر مواضع الاتفاق بين المسلمين وأهل الكتاب؛ لا على نقاط التمايز والاختلاف: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وأهل الذمَّة من أهل الكتاب لهم وضعٌ خاصٌّ، والعرب منهم لهم وضع أخص، لاستعرابهم وذوبانهم في أمة العرب، وتكلمهم بلغة القرآن، وتشرُّبهم للثقافة الإسلاميَّة، واشتراكهم في المواريث الثقافية والحضارية للمسلمين بصورة أكبر من غيرهم، فهم مسلمون بالحضارة والثقافة، وإن كانوا مسيحيين بالعقيدة والطقوس، وهذا ما قلته منذ سنوات للدكتور لويس عوض حين زار قطر واشترك في ندوة في «نادي الجسرة» الثقافي، وطلب منِّي التعقيب عليها.

والحقوق الَّتي قرَّرها الإسلام ليست مجرد حبر على ورق، بل هي حقوق مقدسة قررتها شريعة الله، فلا يملك أحدٌ من النَّاس أن يبطلها، وهي حقوق تحوطها وتحرسها ضمانات متعددة: ضمانة العقيدة في ضمير كل فرد مسلم، يتعبَّد بامتثال أمر الله، واجتناب نهيه، وضمان الضمير الإسلامي العام، الَّذي يتمثل في المجتمع كله، وخصوصًا الفقهاء الأصلاء من حراس الشريعة، والقضاة العدول الأقوياء، الَّذي رأينا منهم من حكم على الأمراء والخلفاء؛ لحساب من ظلم من أهل الذمَّة.

QaradawiBooks.com

وقد رأينا الإمام الأوزاعي يقف مـــع جماعة من أهل الذمَّة في لبنان ضدَّ الأمير العباسي قريب الخليفة.

وقد رأينا الإمام ابـــن تيمية يخاطب تيمور لنك في فكاك الأســـرى عنده، فيفرض عليه أن يفكَّ أسرى المسلمين وحدهم، فيأبى إلَّا أن يفرج عن أهل الذمَّة معهم.

أعلى درجات التسامح عند المسلمين وحدهم:

ثم إنَّ التسامح الديني والفكري له درجات ومراتب:

فالدرجة الدُّنيا من التسامح: أن تدع لمخالفك حرية دينه وعقيدته، ولا تجبره بالقوة على اعتناق دينك أو مذهبك؛ بحيث إذا أبى حكمت عليه بالموت أو العذاب، أو المصادرة أو النفي، أو غير ذلك من ألوان العقوبات والاضطهادات؛ فتدع له حريـــة الاعتقاد، ولكن لا تمكِّنه من ممارسة واجباته الدينيَّة، الَّتي تفرضها عليه عقيدته، والامتناع ممَّا يعتقد تحريمه عليه.

والدرجة الوسطى من التســـامح: أن تدع له حقَّ الاعتقاد بما يراه من ديانة ومذهب، ثم لا تضيِّق عليه بترك أمر يعتقد وجوبه، أو فعل أمر يعتقد حرمته. فإذا كان اليهودي يعتقد حرمة العمل يوم الســـبت، فلا يجوز أن يكلَّف بعمل في هذا اليوم؛ لأنَّه لا يفعله إلَّا وهو يشعر بمخالفة دينه.

وإذا كان النصراني يعتقد بوجوب الذهاب إلى الكنيســـة يوم الأحد؛ فلا يجوز أن يُمنع ذلك في هذا اليوم.

والدرجة الَّتي تعلو هذه في التسامح: ألَّا تضيِّق على المخالفين فيما

QaradawiBooks.com

يعتقدون حلَّه في دينهم أو مذهبهم، وإن كنت تعتقد أنَّه حرام في دينك أو مذهبك.

وهذا ما كان عليه المسلمون مع المخالفين من أهل الذمة؛ إذ ارتفعوا إلى الدرجة العليا من التسامح.

فقد التزموا احترام كل ما يعتقد غير المسلم أنَّه حلال في دينه، ووسَّعوا له في ذلك، ولم يضيِّقوا عليه بالمنع والتحريم، وكان يمكنهم أن يحرموا ذلك، مراعاةً لشريعة الدولة ودينها، ولا يتهموا بكثير من التعصب أو قليل؛ ذلك لأنَّ الشيء الَّذي يحله دين من الأديان ليس فرضًا على أتباعه أن يفعلوه.

فإذا كان دين المجوسي يبيح له الزواج من أمه أو أخته؛ فيمكنه أن يتزوج من غيرهما ولا حرج، وإذا كان دين النصراني يحل له أكل الخنزير، فإنَّه يستطيع أن يعيش عمره دون أن يأكل الخنزير، وفي لحوم البقر والغنم والطير مُتَّسع له.

ومثل ذلك الخمر، فإذا كان بعض الكتب المسيحيَّة قد جاء بإباحتها، أو إباحة القليل منها لإصلاح المعدة، فليس من فرائض المسيحيَّة أن يشرب المسيحي الخمر.

فلو أنَّ الإسلام قال للذمِّيِّين: دعوا زواج المحارم، وشرب الخمر، وأكل الخنازير، مراعاةً لشعور إخوانكم المسلمين، لم يكن عليهم في ذلك أي حرج ديني؛ لأنَّهم إذا تركوا هذه الأشياء لم يرتكبوا في دينهم منكرًا، ولا أخلوا بواجب مقدس، ومع هذا لم يقُل الإسلام ذلك، ولم يشأ أن يضيِّق على غير المسلمين في أمر يعتقدون حله، وقال للمسلمين: اتركوهم وما يدينون.

QaradawiBooks.com

روح التسامح عند المسلمين:

على أنَّ هناك شيئًا آخر لا يدخل في نطاق الحقوق الَّتي تنظمها القوانين، ويلزم بها القضاء، وتشرف على تنفيذها الحكومات.

ذلك هو «روح السماحة» الَّتي تبدو في حسن المعاشرة، ولطف المعاملة، ورعاية الجوار، وسعة المشاعر الإنسانيَّة: من البر، والرحمة، والإحسان، وهي الأمور الَّتي تحتاج إليها الحياة اليومية، ولا يغني فيها قانون ولا قضاء.. وهذه روح لا تكاد تُوجد في غير المجتمع الإسلامي.

تتجلَّى هذه السماحة في مثل قول القرآن في شأن الوالدين المشركين، اللذين يحاولان إخراج ابنهما من التوحيد إلى الشرك: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وفي ترغيب القرآن في البرِّ والإقساط إلى المخالفين، الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين؛ ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وفي قول القرآن يصف الأبرار من عباد الله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]. ولم يكن الأسير حين نزلت الآية إلَّا من المشركين.

وفي قول القرآن يجيب عن شبهة بعض المسلمين في مشروعية الإنفاق على ذويهم وجيرانهم من المشركين المصرِّين: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقد روى محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ومدون مذهبه:

QaradawiBooks.com

أنَّ النبـــيَّ ﷺ بعث إلى أهـــل مكة مـــالًا لمَّا قحطوا؛ ليـــوزَّع على فقرائهم[١]، هذا على الرغم ممَّا قاساه من أهل مكة من العنت والأذى هو وأصحابه.

وروى الشـــيخان، عن أســـماء بنت أبي بكر قالت: قدمت أمي وهي مشركة، في عهد قريش إذ عاهدوا[٢]، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسولَ الله، إنَّ أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟! قال: «**نعم، صِلِي أُمَّكِ**»[٣].

وتتجلَّى هذه السماحة كذلك في معاملة الرسول ﷺ لأهل الكتاب؛ يهودًا كانوا أو نـــصـــارى، فقد كان يزورهم ويكرمهم، ويحســـن إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم.

وذكر ابن إسحاق في الســـيرة: أنَّ وفد نجران ـ وهم من النصارى ـ لمَّا قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة، دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فكانت صلاتهم، فقاموا يصلُّون في مســـجده، فأراد النَّاس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: «**دعوهم**»، فاستقبلوا المشرق فصلَّوا صلاتهم[٤].

وعقب المجتهد ابن القيِّم على هذه القصة في «الهدي النبوي» فذكر ممَّا فيها مـــن الفقه: «جواز دخول أهل الكتاب مســـاجد المســـلمين... وتمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المســـلمين، وفي مساجدهم أيضًا، إذا كان ذلك عارضًا، ولا يمكَّنون من اعتياد ذلك»[٥].

---

(١) انظر: شرح السير الكبير صـ ٩٦، نشر الشركة الشرقية للإعلانات، مصر، ١٩٧١م.

(٢) تعني: في فترة صلح الحديبية.

(٣) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الجزية (٣١٨٣)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٣).

(٤) سيرة ابن هشام (٥٧٤/١)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

(٥) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٥٥٧/٣، ٥٥٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وروى أبو عبيد في «الأموال» عن سعيد بن المسيّب، أنَّ رسولَ الله ﷺ تصدَّق بصدقة على أهل بيت من اليهود، فهي تُجرَى عليهم[١].

وروى البخاري عن أنس: أنَّ النبيَّ ﷺ عاد يهوديًّا، وعرض عليه الإسلام، فخرج وهو يقول: «**الحمدُ لله الَّذي أنقذه بي من النَّار**»[٢].

وروى البخاري أيضًا: أنَّ النبيَّ ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي، في نفقة عياله[٣]، وقد كان في وُسعه أن يستقرض من أصحابه، وما كانوا ليضنُّوا عليه بشيء، ولكنَّه أراد أن يُعَلِّم أُمَّته.

وقَبِل النبيُّ ﷺ الهدايا من غير المسلمين، ورُوِيَ أنَّه استعان في سلمه وحربه بغير المسلمين، حيث ضمن ولاءهم له، ولم يخشَ منهم شرًّا ولا كيدًا.

وتتجلَّى هذه السماحة كذلك في معاملة الصحابة والتابعين لغير المسلمين.

فعمر يأمر بصرف معاش دائم ليهودي وعياله من بيت مال المسلمين؛ ثم يقول: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]. وهذا من مساكين أهل الكتاب[٤].

ويمرُّ في رحلته إلى الشام بقوم مجذومين من النصارى؛ فيأمر بمساعدة اجتماعيَّة لهم من بيت مال المسلمين[٥].

---

(١) رواه أبو عبيد في الأموال صـ ٧٢٨، تحقيق محمد خليل هراس، نشر دار الفكر، بيروت.

(٢) رواه البخاري في الجنائز (١٣٥٦).

(٣) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الجهاد (٢٩١٦)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٣)، عن عائشة.

(٤) سبق تخريجه صـ١٢٩.

(٥) الخراج لأبي يوسف صـ ١٣٨.

QaradawiBooks.com

وأصيب عمرَ بضربة رجلٍ من أهل الذمة ـ أبي لؤلؤة المجوسي ـ فلم يمنعه ذلك أن يوصي الخليفة من بعده وهو على فراش الموت فيقول: «أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذِّمَّة خيرًا، أن يوفي بعهدهم، وأنْ يقاتل من ورائهم، وألَّا يُكَلِّفَهم فوق طاقتهم»[١].

وعبد الله بن عَمْرو يوصي غلامه أن يعطي جاره اليهودي من الأضحية، ويكرِّر الوصية مرَّة بعد مرة، حتَّى دهش الغلام، وسأله عن سرِّ هذه العناية بجارٍ يهودي؟ قال ابن عَمْرو: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتَّى ظننتُ أنَّه سيُوَرِّثه**»[٢].

وماتت أمُّ الحارث بن أبي ربيعة، وهي نصرانية، فشيَّعها أصحابُ رسول الله ﷺ[٣]. وكان بعض أجلاء التابعين يعطون نصيبًا من صدقة الفطر لرهبان النصارى، ولا يرون في ذلك حرجًا، بل ذهب بعضهم ـ كعكرمة وابن سيرين والزهري ـ إلى جواز إعطائهم من الزكاة نفسها.

وروى ابن أبي شيبة، عن جابر بن زيد: أنَّه سُئل عن الصدقة فيمن توضع؟ فقال: في أهل مِلَّتِكم من المسلمين، وأهل ذِمَّتِهم[٤].

وذكر القاضي عياض في «ترتيب المدارك» قال: حدَّث الدارقطني، أنَّ القاضي إسماعيل بن إسحاق[٥] دخل عليه الوزير عبدون بن صاعد

---

(١) رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٢).

(٢) رواه أحمد (٦٤٩٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٥١٥٢)، والترمذي في البر والصلة (١٩٤٣)، وقال: حسن غريب.

(٣) رواه عبد الرزاق في أهل الكتاب (٩٩٢٦)، عن الشعبي.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في الزكاة (١٠٥١٠).

(٥) من أعلام المالكية، وقاضي بغداد توفي سنة ٢٨٢هـ. انظر ترجمته: في ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (٤/٢٧٨ ـ ٢٩١)، نشر مطبعة فضالة، المغرب، ط١.

QaradawiBooks.com

النصراني: وزير الخليفة المعتضد بالله العباسي، فقام له القاضي ورحَّب به. فرأى إنكار الشهود لذلك، فلمَّا خرج الوزير قال القاضي إسماعيل: قد علمت إنكاركم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨]، وهذا الرجل يقضي حوائج المسلمين، وهو سفيرٌ بيننا وبين المعتضد... وهذا من البرِّ[(١)].

وتتجلَّى هذه السماحة بعد ذلك في مواقف كثير من الأئمَّة والفقهاء، في الدفاع عن أهل الذمَّة، واعتبار أعراضهم وحرماتهم كحرمات المسلمين، وقد ذكرنا مثلًا لذلك موقف الإمام الأوزاعي، والإمام ابن تيمية.

ونكتفي هنا بكلمات نيِّرة للفقيه الأصولي المحقِّق شهاب الدِّين القَرَافي شارحًا بها معنى البر الَّذي أمر الله به المسلمين في شأنهم. فذكر من ذلك: «الرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول لهم ـ على سبيل اللطف لهم والرحمة، لا على سبيل الخوف والذلة ـ واحتمال أذيَّتهم في الجوار ـ مع القدرة على إزالته ـ لطفًا منَّا بهم، لا خوفًا ولا طمعًا، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم، في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم، إذا تعرَّض أحدٌ لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم، وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم إلى جميع حقوقهم، إلخ»[(٢)].

---

(١) انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢٨٥/٤).

(٢) انظر: الفروق للقرافي (١٥/٣)، نشر عالم الكتب.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأساس الفكري لـتسامح المسلمين:

وأساس النظرة المتسامحة الَّتي تسود المسلمين في معاملة مخالفيهم في الدين يرجع إلى الأفكار والحقائق الناصعة الَّتي غرسها الإسلام في عقول المسلمين وقلوبهم، وأهمها:

١ ـ اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان، أيًّا كان دينه أو جنسه أو لونه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. وهذه الكرامة المقرَّرة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية.

ومن الأمثلة العمليَّة ما ذكرناه من قبل: أنَّ جنازةً مرَّت على النبي ﷺ فقام لها واقفًا، فقيل له: يا رسولَ الله، إنَّها جنازة يهودي! فقال: «**أليستْ نفْسًا؟!**»[1]. بلى ولكل نفس في الإسلام حرمة ومكان، فما أروع الموقف! وما أروع التفسير والتعليل!

٢ ـ اعتقاد المسلم أنَّ اختلاف النَّاس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى، الَّذي منح هذا النوع من خلقه الحرية والاختيار فيما يفعل ويدع، ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ويقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨].

والمسلم يوقن أنَّ مشيئة الله لا رادَّ لها ولا معقِّب، كما أنَّه لا يشاء إلَّا ما فيه الخير والحكمة، علم النَّاس ذلك أو جهلوه، ولهذا لا يفكِّر المسلم يومًا أن يجبر النَّاس ليصيروا كلهم مسلمين، كيف وقد قال الله تعالى لرسوله الكريم. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١)، كلاهما في الجنائز، عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد.

QaradawiBooks.com

٣ ـ إنَّ المسلم ليس مكلفًا أن يحاسب الكافرين على كفرهم، أو يعاقب الضالين على ضلالهم، فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا، إنَّما حسابهم إلى الله في يوم الحساب، وجزاؤهم متروك إليه في يوم الدين، قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۞ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٨، ٦٩]، وقال يخاطب رسوله في شأن أهل الكتاب: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمۡۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

وبهذا يستريح ضمير المسلم، ولا يجد في نفسه أي أثر للصراع بين اعتقاده بكفر الكافر، وبين مطالبته ببره والإقساط إليه، وإقراره على ما يراه من دين واعتقاد.

٤ ـ إيمان المسلم بأنَّ الله يأمر بالعدل، ويحب القسط، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، ولو مع المشركين، ويكره الظلم ويعاقب الظالمين، ولو كان الظلم من مسلم لكافر. قال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨].

وقال ﷺ: «**واتَّقِ دعوةَ المظلوم، فإنَّه ليس بينه وبين الله حجاب**»[(١)].

إنَّ سماحة الإسلام مع غير المسلمين سماحة لم يعرف التاريخ لها مثيلًا، وخصوصًا إذا كانوا أهل كتاب، وبالأخصّ إذا كانوا مواطنين في دار الإسلام، ولا سيَّما إذا استعربوا وتكلَّموا بلغة القرآن.

(١) رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، عن ابن عبَّاس.

QaradawiBooks.com

وصايا نبويَّة بأقباط مصر خاصَّة:

وأمَّا أقباط مصر، فلهم شأن خاصٌّ، ومنزلة متميِّزة، فقد أوصى بهم رسولُ الله ﷺ وصيَّة خاصَّة، يعيها عقلُ كلِّ مسلم، ويضعها في السويداء من قلبه. فقد روت أمُّ المؤمنين أمُّ سلمة رضي الله عنها، أنَّ رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته فقال: «**اللهَ اللهَ في قبط مصر، فإنَّكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعوانًا في سبيل الله**»(١).

وفي حديث آخر عن أبي عبد الرحمٰن الحُبُلي ـ عبد الله بن يزيد ـ وعمرو بن حُرَيث، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**فاستوصوا بهم خيرًا، فإنَّهم قوَّة لكم، وبلاغ إلى عدوِّكم بإذن الله**» يعني قبط مصر(٢).

وقد صدَّق الواقع التاريخي ما نبَّأ به الرسول ﷺ، فقد رحَّب الأقباط بالمسلمين الفاتحين، وفتحوا لهم صدورهم، رغم أنَّ الروم الذين كانوا يحكمونهم كانوا نصارى مثلهم، ودخل الأقباط في دين الله أفواجًا، حتَّى إنَّ بعض ولاة بني أمية فرض الجزية على من أسلم منهم، لكثرة من اعتنق الإسلام. وغدت مصر بوابة الإسلام إلى إفريقيا كلها، وغدا أهلها عُدَّة وأعوانًا في سبيل الله.

وفي صحيح مسلمٍ عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّكم ستفتحون أرضًا يُذكر فيها القيراطُ(٣)، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإنَّ لهم**

---

(١) رواه الطبراني (٢٦٥/٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦٧٨): رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه أبو يعلى (١٤٧٣)، وابن حبان في التاريخ (٦٦٧٧)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح؛ إلَّا أنَّه مرسل. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦٨١): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) القيراط: جزء من أجزاء الدرهم والدينار وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به، بل هم لا يزالون كذلك بالنسبة للمساحة وللصاغة وغيرهما، وكل شيء قابل لأن يقسم إلى ٢٤ قيراطًا.

QaradawiBooks.com

ذِمَّةً ورَحِمًا»، وفي رواية: «**إنَّكم ستفتحون مصر، وهي أرض يُسمَّى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإنَّ لهم ذمَّة ورَحِمًا**» أو قال: «**ذِمَّة وصِهْرًا**»[١].

قال العلماء: الرحم الَّتي لهم كونُ هاجرَ أمِّ إسماعيل عليه السلام منهم، والصهر: كون مارية أمِّ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ منهم[٢].

ولا غرو أن ذكر الإمام النووي هذا الحديث في كتابه: «رياض الصالحين» في باب «برّ الوالدين وصلة الأرحام» إشارةً إلى هذه الرحم الَّتي أمر الله ورسوله بها أن توصل بين المسلمين وبين أهل مصر، حتَّى قبل أن يسلموا.

وعن كعب بن مالك الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا فُتِحَتْ مصرُ؛ فاستوصوا بالقبط خيرًا، فإنَّ لهم ذمَّةً ورحمًا**» يعني أنَّ أمَّ إسماعيل منهم[٣].

والرسول يجعل للقبط هنا من الحقوق أكثر ممَّا لغيرهم، فلهم الذمَّة أي عهد الله، وعهد رسوله، وعهد جماعة المسلمين، وهو عهد جدير أن يُرعى ويُصان. ولهم رحم ودم وقرابة ليست لغيرهم؛ فقد كانت هاجر أم إسماعيل أبي العرب المستعربة منهم، بالإضافة إلى مارية القبطية، الَّتي أنجب منها عليه الصلاة والسلام ابنه إبراهيم.

---

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٤٣)، بروايتيه.

(٢) ذكر ذلك النووي في رياض الصالحين صـ ١٢٢، تحقيق د. ماهر ياسين الفحل، نشر دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٣) رواه الطبراني (٦١/١٩)، والحاكم في التواريخ (٥٥٣/٢)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦٧٩): رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من هم دعاة الفتنة؟

س: سمعت أحد المشايخ المشهورين يتحدَّث في مجمع من المجامع الحافلة، في إحدى الذكريات الإسلاميَّة، فكان ممَّا ذكره: أن يلقى المسلم الله مقصِّرًا في نصيحة أو رازحًا تحت ذنب، أهون من أن يلقى الله داعيًا إلى فتنة، فإنَّ الفتنة هي مجلبة الخراب، والفرقة على المسلمين.

وكان الشيخ يعرِّض في حديثه هذا ببعض الفئات الإسلاميَّة، الَّتي تدعو لإقامة دين الله في الأرض، والعودة به إلى قيادة الحياة والمجتمع، وقد انقسم النَّاس في شأن هذه الفئة، وقاومها بعض الحكَّام.

فهل أطمع أن تحدِّثني عن الفتنة ما هي، حتَّى لا أهوي في حضيضها من حيث لا أدري، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]. فقد فهمت من هذا الكلام أنَّ كل دعوةٍ تسبِّب اختلاف النَّاس عليها، وخصومة بعضهم لها، ولا تجتمع عليها الكلمة، وتتحد الصفوف، إنَّما هي فتنة يُستعاذ بالله من شرِّها؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة مجانية

(وبعد)

لو كانت الفتنة كما فهمت وكما خطر في بالك؛ لكان رسل الله عليهم الصلاة والسلام هم أوَّل دعاةِ الفتنة، ومؤجِّجي نيرانها؛ فقد كانوا يواجهون مجتمعات راكدة، متحدة على الباطل، مؤتلفة على الضلال، متعاونة على الإثم، تعبد آلهة اصطلحت عليها ورضيت بها، شبَّ على تقديسها الصغير، وهرم عليها الكبير، وورثها الخلف عن السلف، والأبناء عن الآباء، حتَّى بُعث فيهم رسولٌ من عند الله، فإذا هو يسفِّه أحلامهم، ويعيب آلهتهم، ويستحمق آباءهم وأجدادهم، ويرميهم بالضلال والفسوق والصمم والعمى؛ وإذا في القوم من يؤمن بالدعوة الجديدة، ويفديها بروحه ومهجته، ويحميها بنفسه وما ملكت يداه، وإذا آخرون يصرُّون على عقائدهم الموروثة وآلهتهم المزعومة، لا يبغون عنها حولًا، ولا يرضون بها بدلًا؛ وإذا الفريقان يختصمون، بل يتقاتلون.

هكذا حدَّثنا الله تعالى عن صالح فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥]. فهل كان نبيُّ الله صالح عليه السلام داعيًا إلى فتنة؛ حين جعل قومه فريقين يختصمون، بعد أن كانوا فريقًا واحدًا على الباطل؟!

ولقد قال المسيح عليه السلام فيما رواه الإنجيل: «ما جئتُ لألقي على الأرض سلامًا بل سيفًا، جئتُ لأفرِّق الابن ضدَّ أبيه، والمرأة ضدَّ زوجها، والكَنَّة ضدَّ حماتها»[1]. إلخ ما جاء في إنجيل مَتَّى.

فهل المسيح عيسى ابن مريم ـ رُوح الله وكلمته ـ داعية إلى فتنة، حين فرَّقت دعوته بين أبناء الأسرة الواحدة؟!

(١) إنجيل متَّى (١٠/٣٤ ـ ٣٦).

QaradawiBooks.com

وقال الله تعالى في كتابه الخالد المنزل على خاتم رسله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٢٣]، ويقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ولقد قال مشركو قريش عن محمد: إنَّه ساحر، أَمَا رأيته يفرِّق بين المرء وزوجه، والمرء وأبيه، والمرء وأخيه، والمرء وولده؟!

فهل كان محمد ﷺ داعية إلى الفتنة؛ يوم هزَّ المجتمع المتحد على الوثنيَّة، فجعل منهم مسلمين ومنهم كافرين؟ خصمين اختصما في ربِّهم، وعادى بعضهم بعضًا، وقاتل بعضهم بعضًا، حتَّى كان الأخ يقاتل أخاه، بل الولد أباه؟!

الجواب: لا، ثم لا.

فما الفتنة إذن؟

الفتنة ـ كما ذكرت في كتاب الله ـ هي الاختبار والابتلاء، وأصلها من: فتن الذهب إذا وضعه على النار، ليعرف زيفه من صحيحه، ثم استعملت في الابتلاء والاضطهاد والتعذيب بصفة عامة، كما قال تعالى في أصحاب الأخدود: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]. وقد جعل القرآن فتنة المرء عن دينه أشد وأكبر من قتله، لهذا ردَّ على الذين استنكروا وقوع القتال في الشهر الحرام؛ بأنَّهم اقترفوا ما هو أشنع منه وأعظم: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ

QaradawiBooks.com

﴿ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]. فجعل الاعتداء على عقيدة الإنسان أكبر من الاعتداء على نفسه.

كما جعل القرآن فتنة المؤمن في دينه، وابتلاءه من أجل عقيدته سنة مطَّردة لا تتخلف، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]. وفي ذلك يقول الله تعالى معزيًا للمؤمنين عما نزل بهم من البلاء، وما أصابهم من البأساء والضراء: ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].

وأنكر على الذين تزلزلهم الفتن، فتخور قواهم، وتنهار عزائمهم، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ۖ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠].

أصحاب الفتنة إذن هم الذين يعذِّبون المؤمنين والمؤمنات، ويضطهدون الدعاة إلى الله لا إلى الطاغوت، وإلى الإسلام لا إلى الجاهليَّة، وإلى النجاة لا إلى النار!

أصحاب الفتنة هم موردو العقائد الدخيلة، والمبادئ الهدامة لديار الإسلام، وهم صانعو الفتن الظالمة المظلمة، الَّتي تنبَّأ بها وحذَّر منها رسول الله ﷺ حين قال: «**بادروا بالأعمالِ فتنًا كقِطَعِ الليلِ المظلم، يصبح الرجلُ مؤمنًا ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويُصبح كافرًا، يبيع دِينَه بعَرَضٍ من الدنيا**»[1].

(١) رواه مسلم في الإيمان (١١٨)، وأحمد (٨٠٣٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أليس أولى ما تنطبق عليه الفتنة المذكورة في هذا الحديث هي «الماركسيَّة» المضلِّلة الكافرة، الَّتي تزعم أنَّ الدين أفيون الشعوب، وأنَّ المادة هي كل شيء في الوجود؟! ودعاة «العِلمانيَّة» الَّتي توجب عزل الدين عن الحياة والمجتمع؟! أليس دعاة هذه الماركسية والعلمانيَّة هم دعاة الفتنة الواقفين على أبواب جهنم، يجرُّون النَّاس إليها جرًّا، كما ورد ذلك في حديث حُذَيْفة رضي الله عنه.

كان حُذَيْفة بن اليَمَان من بين الصحابة متخصِّصًا في معرفة المنافقين، وتتبع أخبار الفتن الَّتي ستصيب المسلمين، وقد روى الشيخان بسنديهما إليه هذا الحديث العجيب: قال حُذَيْفة رضي الله عنه: كان النَّاس يسألون رسولَ اللهِ عن الخير وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافة أن يُدْرِكَني، قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّا كُنَّا في جاهليَّة وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: «**نعم**»، قلتُ: وهل بعد ذلك الشرِّ من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دَخَن**»، قلتُ: وما دَخَنُه؟ قال: «**قومٌ يستنُّون بغير سُنَّتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**»، قلتُ: فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: «**دعاةٌ على أبواب جهنَّم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**»، قلتُ: يا رسولَ الله، صِفْهم لنا. قال: «**هم من جِلْدَتِنا، ويتكلَّمون بألسنتِنا**»[1].

وفي حديثٍ له عند أبي داود قال: قلتُ: بعد هذا الخير شرٌّ؟ قال: «**فتنةٌ عمياءُ صمَّاء، عليها دعاة على أبواب النار، فإن مِتَّ يا حُذَيْفة وأنت عاضٌّ على جِذْلٍ ـ جذع شجرة ـ خير لك من أن تتَّبع أحدًا منهم**»[2].

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٠٦)، وفي الفتن (٧٠٨٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٧).

(٢) رواه أبو داود في الفتن (٤٢٤٦)، وأحمد (٢٣٢٨٢)، وقال مخرِّجوه: حسن.

QaradawiBooks.com

وأخيرًا أقول: دعاة الفتنة كذلك هم علماء السوء: علماء الدنيا، الذين رضوا بأن يمشـوا في ركاب الظلمة، ويحرقوا البخور بين أيدي الطغاة، ويحرِّفوا الكلم عن مواضعه، ويطوِّعوا القرآن لأهواء الحكام، ونسوا قول الله العظيـم: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

ورحم الله الحسـن البصري الَّذي قال: من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحبَّ أن يُعصى الله في أرضه[١]! وكل مـن لم يحكم بما أنزل الله فهو ظالم.

وقد جاء الحديث في وصف هؤلاء العلماء ـ علماء السلطان ـ بأنَّهم «**يختلون الدُّنيا بالدِّين، ويلبسون جلودَ الضأن من اللِّين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب**»[٢].

فإن قلتَ: وما علاج هذه الفتن، ما ظهر منها وما بطن؟!

قلت: سأل هذا السؤال قديمًا سـيدنا عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد روى الترمذي عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**سيكونُ بعدي فتنٌ كقِطَعِ الليلِ المظلم**». قال عليٌّ: قلت: وما المخرج منها يا رسـول الله؟ قال: «**كتابُ الله، فيه نبأُ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحُكمُ ما بينكم، هو الفصْلُ ليس بالهزل، من تركه من جبَّار قصمـه الله، ومن ابتغى الهُدَى في غيره أضلَّه الله، هو حبل الله المتين، ونورُه المبين، والذِّكْـر الحكيم، وهو الصِّراط**

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٣٠)، عن الحسن البصري.

(٢) رواه الترمذي فـي الزهد (٢٤٠٤)، وابن المبارك في الزهـد والرقائق (٥٠)، ومن طريقه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١١٤٠)، عن أبي هريرة. وله شاهد مختصرًا من حديث ابن عمر رواه الترمذي في الزهد (٢٤٠٥)، وقال: هو حسن غريب.

QaradawiBooks.com

المســـتقيم، وهو الَّذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألســـنةُ، ولا تتشـعَّب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يملُّه الأتقياء، ولا يَخْلَقُ على كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبه، وهو الَّذي لم تنتهِ الجنُّ إذ سمعته أن قالوا: إنَّا سمعنا قرآنًا عجبًا! من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجِر، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم»[1].

* * *

(١) رواه الترمذي في فضائل القــرآن (٢٩٠٦) وقال: حديث غريب لا نعرفــه إلَّا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. وضعفه الألباني في الضعيفة (٦٣٩٣)، عن علي بن أبي طالب. ومعنى الحديث صحيح، وإن كان إسناده ضعيفًا.

QaradawiBooks.com

الخروج على الحاكم

س: ما المقصود بالخروج على الحاكم وكيف؟

وما حكم الشرع إذا أتت مجموعة من الناس، وقاموا بالمبايعة فيما بينهم بالولاء والطاعة إلى شخص معيَّن أو جماعة؛ في ظل دول قائمة، وحاكمها يحكم بالشريعة؟

وما الحكم الشرعي على مثل هؤلاء الخارجين عن طاعة الحاكم؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

يقصد بالخروج على الحاكم: حمل السلاح، والقيام بالثورة المسلَّحة ضدَّه، وهو الَّذي يُسمِّيه الفقهاء «البغي» ويسمون أصحابه «البغاة». ويعرِّف الفقهاء «البغاة» بأنَّهم: الخارجون على الإمام (ولي الأمر الشرعي) بتأويل سائغ، ولهم شوكة، ولو لم يكن فيهم أمير مطاع.

QaradawiBooks.com

وإنَّما سموا بغاة، لعدولهم عن الحق وما عليه أئمَّة المسلمين؛ أخذًا من قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

ومن الحديث الصحيح أنَّ النبيَّ ﷺ قال لعمَّار بن ياسر: «**تقتلُكَ الفئةُ الباغية**»[1] وقد كان مع عليٍّ رضي الله عنه، وقتله رجال معاوية في حرب صفين المعروفة.

فإذا اختلَّ شرط من الشروط المذكورة المشار إليها في تعريف «البغاة» أو الخارجين، بأن لم يخرجوا خروجًا مسلَّحًا، أو كان معهم سلاح وليس لهم شوكة؛ لكونهم جمعًا يسيرًا لا وزن لهم، أو لم يخرجوا على إمام شرعي، أو خرجوا بلا تأويل، أو بتأويل غير سائغ ولا مقبول، فهؤلاء لا يعتبرون بغاة، بل يعتبر الخارجون بالسلاح على النَّاس بلا تأويل سائغ (قطاع طريق) تطبَّق عليهم أحكامهم.

وأمَّا الحكم إذا أتت مجموعة من الناس، وقاموا فيما بينهم بالولاء والطاعة إلى شخص معيَّن أو جماعة، في ظلِّ دولة قائمة، وحاكمها يحكم بالشريعة، فهذا كلام مجمل يحتاج إلى بيان وتفصيل، حتَّى لا تضيع الحقيقة، ويلتبس السبيل.

فإن كان المراد بالولاء والطاعة لهذا الشخص أو هذه الجماعة: التحابُّ فيما بينهم، والتعاون على البرِّ والتقوى، والتواصي بالحق والصبر، والتناصح في الدين، والطاعة لرئيسهم أو أميرهم في

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٤٧)، ومسلم في الفتن (٢٩١٥)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

المعروف، فلا ضير في ذلك شـــرعًا، وقد قال ﷺ: «**إذا كُنْتم ثلاثةً في سفر فأَمِّرُوا أحدكم**»[١].

قال شيخ الإســـلام ابن تيمية: «قد أوجب النبيُّ ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع على القليل العارض في السفر، وهو تنبيه على أنواع الاجتماع الأخرى»[٢] اهـ.

ويدخل في ذلك مبايعـــة أتباع الطرق الصوفية لشـــيوخهم، ومبايعة أعضاء الجمعيات الدينيَّة لرؤسائهم.

إنَّما المحظور هنا: أن يبايع شـــخصٌ ما إمامًا وحاكمًا مناهضًا لولي الأمر الشـــرعي، ومحاربًا له، لما وراء ذلك من فتنة تُـــراق فيها الدماء، وتذهب الأموال.

لهذا أمرنا النبي ﷺ بالصبر على جَوْر الأمراء وانحرافهم، حفاظًا على وحدة الجماعة، وأمرنا بطاعة الأمراء إلَّا في المعصية.

روى الشيخان، عن ابن عبَّاس، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه، فليصبرْ عليه؛ فإنَّه من فارق الجماعة شبرًا فمات، فمِيتَتُه جاهليَّة**»[٣].

وفي حديث ابن عمر عندهمـــا مرفوعًا: «**الســـمعُ والطاعةُ حقٌّ على المرء المســـلم فيما أحبَّ وكره، ما لم يُؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة**»[٤].

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٩)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٨): حسن صحيح. عن أبي هريرة.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/٥٥٥)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

(٣) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٥٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٩).

(٤) سبق تخريجه صـ١٥٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي حديث عبادة بن الصامت في الصحيحين: أنَّهم بايعوا النبي ﷺ على جملة أمور، منهـا: ألَّا ينازعوا الأمر أهله، قـال: «**إلَّا أن تَرَوْا كُفْرًا بواحًا، عندكم فيه من الله برهانٌ**»(١).

وأمَّا الحكم الشـرعي على هؤلاء الخارجين عن طاعة الحاكم؛ فهذا كلام مجمل، ولا بدَّ من بيان نوع هذا الخروج وكيفيته وأدواته.

فإن كان الخروج عن طاعة الحكم بالسيف، أي بالقوة الماديَّة العسكرية من فئة لها قوَّة وشوكة ـ كأن يكونوا عددًا من ضباط القوات المسلحة مثلًا، لهم وزنهم ورتبهم وسـيطرتهم على من دونهم ـ فإن كان لهم شـبهة في خروجهم، وهو ما يعبِّر عنه الفقهاء بأنَّ لهم «تأويلًا سائغًا»، أي له وجهٌ ما، كأن يعترضوا على بعض المظالم الواقعة، أو على التقصير الشديد في تطبيق بعض جوانب الشريعة، أو التهاون مع أعداء الدين والأمة، بالتمكين لقواتهم أو جنودهم من أرض الإسلام، أو غير ذلك ممَّا له وجه، وإن كان الردُّ عليه ممكنًا وميسورًا. فهؤلاء «بغاة» كما سمَّاهم الفقهاء، في المذاهب المختلفة.

وقتال البغاة مشروع، لقول الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

وللحديث الصحيح: «**مَـنْ أتاكم وأمْرُكُم جميـعٌ على رجلٍ واحد، يريد أن يشقَّ عصاكم، ويفرِّق جماعتكم فاقتلوه**»(٢).

وقد قاتل عليٌّ رضي الله عنه ومن معه مـن الصحابة أهل النَّهْـروان، الذين خرجوا عليه، فلم ينكره أحد.

---

(١) متَّفَقٌ عليـه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسـلم في الإمـارة (١٧٠٩)، عن عبادة بن الصامت.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٢)، وأحمد (١٨٢٩٥)، عن عرفجة الأشجعي.

QaradawiBooks.com

قال الفقهاء: ويلزم الإمام مراسلة البغاة، وإزالة شبههم، وما يدَّعون من المظالم، لأنَّ ذلك وسيلة إلى الصلح المأمور به، والرجوع إلى الحق. ولأنَّ عليًّا ﷺ راسل أهل البصرة يوم الجمل، قبل الوقعة، وأمر أصحابه ألَّا يبدؤوهم بقتال، وقال: إنَّ هذا يوم من فلج فيه فلج ـ فاز ـ يوم القيامة[١].

وروى عبد الله بن شداد أنَّ عليًّا ﷺ لما اعتزله «الحَرُورِيَّة» بعث إليهم عبد الله بن عبَّاس، فواضعوه كتاب الله ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف[٢].

فإن رجعوا، فالحمد لله، وإلَّا لزمه قتالهم، ويجب على رعيته معاونته، استجابةً لقول الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

ولأنَّ الصحابة قاتلوا ـ مع أبي بكر ﷺ ـ مانعي الزكاة. وقاتل علي ﷺ أهل البصرة يوم الجمل، وأهل الشام بصفين. وأبو بكر وعلي من الخلفاء الراشدين المهديين ـ بإجماع الأمة ـ الذين أمرنا أن نتبع سنتهم، ونعضَّ عليها بالنواجذ.

وإذا حضر مَن لم يقاتل، لم يجز قتله، لأنَّ عليًّا قال: إياكم وصاحب البُرْنس[٣]. يعني: محمد بن طلحة (السَّجَّاد) وكان حضر طاعةً لأبيه ولم يقاتل. ولأنَّ القصد كفُّهم، وهذا قد كفَّ نفسه.

---

(١) رواه البيهقي في قتال أهل البغي (١٨٠/٨)، عن يحيى بن سعيد عن عمه.

(٢) رواه أحمد (٦٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو يعلى (٤٧٤)، والحاكم في قتال أهل البغي (١٥٢/٢ ـ ١٥٣)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٤٤٤): رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات.

(٣) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٣٧٥/٣) وسكت عنه هو والذهبي.

QaradawiBooks.com

قال الفقهاء: وإذا ترك البغاة القتال حرم قتلهم، وقتل مُدْبِرهم وجريحهم. فقد نادى منادي عليٍّ يوم الجمل: لا يُقتل مُدبر، ولا يذفف ـ أي لا يجهز ـ على جريح، ولا يهتك ستر، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن. ولأنَّ المقصود دفعهم، فإذا حصل لم يجز قتلهم، كالصائل.

وبهذا نرى تشديد الشرع في قضية سفك الدماء؛ لأنَّ هؤلاء البغاة مسلمون، والأصل في دمائهم الحرمة، وأنَّها معصومة، فلا يجوز التوسع فيها بغير حق، كما يفعل الجبابرة من أهل السلطان.

وأمَّا إن كان الخروج بمجرد إظهار رأي مخالف، والتعبير عنه باللسان أو القلم، فهذا من المعارضة المشروعة، ما دامت في إطار السلم.

ولا يجوز معارضة القلم أو اللسان بالسيف، وإنَّما تقابل الحجة بالحجة، والفكرة بالفكرة. أمَّا مقابلة قوَّة المنطق بمنطق القوة، فلا يفيد إلَّا التمكين لأصحاب المنطق والحجة في قلوب الناس.

قال الفقهاء: إذا أظهر قوم رأي الخوارج كتكفير مرتكب الكبيرة، وسبِّ الصحابة، ولم يخرجوا عن قبضة الإمام: لم يتعرَّض لهم. لأنَّ عليًّا رضي الله عنه سمع رجلًا يقول: لا حكم إلَّا لله ـ تعريضًا بالردِّ عليه في قبول التحكيم ـ فقال علي: كلمةُ حقٍّ أُريد بها باطل! ثم قال: لكم علينا ثلاث: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولا نمنعكم الفيء (الحق المالي) ما دامت أيديكم معنا ـ يعني: على الأعداء ـ ولا نبدأكم بقتال[1][2].

(١) رواه ابن أبي شيبة في الجَمَل (٣٩٠٨٥)، والطبراني في الأوسط (٧٧٧١)، والبيهقي في قتال أهل البغي (١٨٤/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٤٥٤): رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن كثير الكوفي وهو ضعيف.

(٢) منار السبيل في شرح الدليل (٤٠٢/٢، ٤٠٣)، تحقيق زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، ط ٧، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

QaradawiBooks.com

وهذا يؤخذ منه مشـــروعية وجود حزب معارض لما تتبنَّاه الدولة من أفكار وأحكام، ما دام عمله سلميًّا، ولا يشهر السلاح في وجهها. لإقرار عليٍّ رضي الله عنه للخـــوارج، مع مخالفتهم لـــه ولأصحابه. وقد أقره الصحابة على ذلك ولم ينكروه، فهو ضربٌ من الإجماع السكوتي. والله أعلم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هل يجوز شرعًا تسيير المظاهرات السلمية الاحتجاجية؟

س: ما رأي فضيلتكم فيما ذكره بعض العلماء من عدم مشروعية تسيير المسيرات والمظاهرات، تأييدًا لمطالب مشروعة، أو تعبيرًا عن رفض أشياء معينة في مجال السياسة، أو الاقتصاد، أو العلاقات الدولية، أو غيرها.

وقال هذا العالم: إنَّ تنظيم هذه المسيرات أو الدعوة إليها، أو المشاركة فيها حرام.

ودليله على ذلك: أنَّ هذه بدعة لم يعرفها المسلمون، وليست من طرائق المسلمين، وإنَّما هي مستوردة من بلاد اليهود والنصارى والشيوعيين، وغيرهم من الكفرة والملحدين.

وتحدَّى هذا العالم من يأتيه بواقعة واحدة، سارت فيها مظاهرة كبيرة أو صغيرة، في عهد الرسول أو الصحابة.

وإذا كانت هذه المسيرات تعبِّر عن الاحتجاج على الحكومة، فهذا خروج على المنهج الإسلامي في إسداء النصيحة للحكام، والمعروف: أنَّ الأولى في هذه النصيحة أن تكون بين الناصح والحاكم، ولا تكون على الملأ.

QaradawiBooks.com

على أنَّ هذه المسيرات كثيرًا ما يستغلُّها المخرِّبون، ويقومون بتدمير الممتلكات، وتخريب المنشآت. ولذا وجب منعها سدًّا للذرائع.

فهل هذا الكلام مسلَّم من الوجهة الشرعيَّة؟ وهل يسوغ للناس في أنحاء العالم: أن يسيِّروا المظاهرات للتعبير عن مطالبهم الخاصة أو العامة، وأن يؤثِّروا في الرأي العام من حولهم، وبالتالي يؤثِّرون على الحكام وأصحاب القرار، إلَّا المسلمين دون غيرهم، يحرم عليهم استعمال هذه الوسيلة الَّتي أصبحت عالمية؟

نرجو أن نسمع منكم القول الفصل، الموثق بأدلة الشرع، في هذه القضية الخطيرة، الَّتي غدت تهم كل النَّاس في سائر الأقطار والقارات. وفقكم الله وسددكم.

عدد من طلاب العلم الشرعي

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فمن حقِّ المسلمين ـ كغيرهم من سائر البشر ـ أن يسيِّروا المسيرات، وينشئوا المظاهرات، تعبيرًا عن مطالبهم المشروعة، وتبليغًا بحاجاتهم إلى أولي الأمر، وصنَّاع القرار، بصوت مسموع لا يمكن تجاهله؛ فإنَّ صوت الفرد قد لا يُسمع، ولكنَّ صوت المجموع أقوى من أن يتجاهل، وكلَّما تكاثر المتظاهرون، وكان معهم شخصيات لها وزنها، كان صوتهم أكثر إسماعًا وأشد تأثيرًا؛ لأنَّ إرادة الجماعة أقوى من إرادة الفرد، والمرء

QaradawiBooks.com

ضعيف بمفرده قويٌّ بجماعته. ولهذا قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقال رسول الله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بَعْضُه بعضًا**» وشبَّك بين أصابعه[١].

ودليل مشروعية هذه المسيرات: أنَّها من أمور «العادات» وشؤون الحياة المدنيَّة، والأصل في هذه الأمور هو: الإباحة.

وهذا ما قرَّرته بأدلة ـ منذ نحو نصف قرن ـ في الباب الأول من كتاب: «الحلال والحرام في الإسلام» الَّذي بيَّنت في المبدأ الأول أنَّ القاعدة الأولى من هذا الباب: «أنَّ الأصل في الأشياء الإباحة». وهذا هو القول الصحيح الَّذي اختاره جمهور الفقهاء والأصوليِّين.

فلا حرام إلَّا ما جاء بنصٍّ صحيح الثبوت، صريح الدلالة على التحريم. أمَّا ما كان ضعيفًا في سنده، أو كان صحيح الثبوت، ولكن ليس صريح الدلالة على التحريم، فيبقى على أصل الإباحة، حتَّى لا نحرِّم ما أحل الله.

ومن هنا ضاقت دائرة المحرَّمات في شريعة الإسلام ضيقًا شديدًا، واتسعت دائرة الحلال اتساعًا بالغًا، ذلك أنَّ النصوص الصحيحة الصريحة الَّتي جاءت بالتحريم قليلة جدًّا، وما لم يجئ نصٌّ بحلِّه أو حرمته، فهو باقٍ على أصل الإباحة، وفي دائرة العفو الإلٰهي.

وفي هذا ورد الحديث: «**ما أحلَّ اللهُ في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه عفْوٌ، فاقبلوا من الله عافيته؛ فإنَّ الله لم يكن لينسى شيئًا**». وتلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤][٢].

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة والأدب (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) سبق تخريجه صـ١٦٤.

QaradawiBooks.com

وعن سلمان الفارسي: سُئل رسولُ الله ﷺ عن السَّمْن والجُبْن والفِرَاء، فقال: «**الحلالُ ما أحلَّ الله في كتابه، والحرام ما حـرَّم الله في كتابه، وما سـكت عنه فهو ممَّا عفا عنه**»[(١)]، فلم يشأ عليه الصلاة والسلام أن يجيب السائلين عن هذه الجزئيَّـات، بل أحالهم علـى قاعدة يرجعـون إليها فـي معرفة الحلال والحرام، ويكفي أن يعرفوا ما حرَّم الله، فيكون كل ما عداه حلالًا طيِّبًا.

وقـال ﷺ: «**إنَّ الله فـرض فرائـض فلا تضيِّعوهـا، وحـدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرَّم أشـياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمةً بكم غيرَ نسيانٍ فلا تبحثوا عنها**»[(٢)].

وأحـبُّ أن أنبِّه هنا علـى أنَّ أصل الإباحة لا يقتصر على الأشـياء والأعيان، بل يشـمل الأفعال والتصرفات الَّتي ليست من أمور العبادة، وهي الَّتي نسـمِّيها: «العادات أو المعاملات» فالأصل فيها عدم التحريم وعدم التقييد؛ إلَّا ما حرَّمه الشـارع وألزم به، وقوله تعالى: ﴿**وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**﴾ [الأنعام: ١١٩]، عام في الأشياء والأفعال.

وهذا بخلاف العبادة فإنَّها من أمر الدين المحض، الَّذي لا يُؤخذ إلَّا عن طريق الوحي، وفيها جاء الحديث الصحيـح: «**من أحدث في أمرنا**

---

(١) رواه الترمذي في اللباس (١٧٢٦)، وقال: غريب لا نعرفـه مرفوعًا إلَّا من هذا الوجه، وكأن الحديث الموقوف أصح، وسـألت البخاري عن هذا الحديث فقال: ما أراه محفوظًا. ورواه ابن ماجه (٣٣٦٧)، والحاكم (١١٥/٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، كلاهما في الأطعمة، وضعفه الألباني في غاية المرام (٣)، وحسَّـنه في صحيح ابن ماجه (٢٧٣١). وذهب إلى وقفه على سلمان البخاري والترمذي كما في علل الترمذي الكبير (٥١٣).

(٢) رواه الطبراني (٢٢١/٢٢)، والدارقطني في الرضـاع (٤٣٩٦)، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٦): رجاله رجال الصحيح. وحسنه النووي في رياض الصالحين (١٨٣٢)، وقال الألباني في تخريج الإيمان لابن تيمية صـ ٤٤: حسن بشاهده. عن أبي ثعلبة الخشني.

QaradawiBooks.com

ما ليس منه فهو ردٌّ»[١]، وذلك أنَّ حقيقة الدِّين تتمثَّل في أمرين: ألَّا يُعبد إلَّا الله، وألَّا يُعبد إلَّا بما شرع، فمن ابتدع عبادةً من عنده ـ كائنًا من كان ـ فهي ضلالة تردُّ عليه، لأنَّ الشارع وحده هو صاحب الحق في إنشاء العبادات الَّتي يُتقرب بها إليه.

وأمَّا العادات أو المعاملات فليس الشارع منشئًا لها، بل النَّاس هم الذين أنشؤوها وتعاملوا بها، والشارع جاء مصحِّحًا لها، ومعدِّلًا ومهذِّبًا، ومُقِرًّا في بعض الأحيان ما خلا عن الفساد والضرر منها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنَّ تصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان: عبادات يصلح بها دينهم، وعادات يحتاجون إليها في دنياهم، فباستقراء أصول الشريعة نعلم أنَّ العبادات الَّتي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلَّا بالشرع.

وأمَّا العادات فهي ما اعتاده النَّاس في دنياهم ممَّا يحتاجون إليه. والأصل فيه عدم الحظر، فلا يحظر منه إلَّا ما حظره الله ﷻ، وذلك لأنَّ الأمر والنهي هما شرع الله، والعبادة لا بدَّ أن تكون مأمورًا بها، فما لم يثبت أنَّه مأمور به ـ أي من العادات ـ كيف يحكم عليه بأنَّه محظور؟

ولهذا كان أحمد وغيره من فقهاء أهل الحديث يقولون: إنَّ الأصل في العبادات التوقيف، فلا يشرع منها إلَّا ما شرعه الله، وإلَّا دخلنا في معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

والعادات الأصل فيها العفو، فلا يحظر منهـا إلَّا ما حرَّمه الله، وإلَّا دخلنا في معنـى قوله تعالـى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾ [يونس: ٥٩].

وهذه قاعدة عظيمة نافعة، وإذا كان كذلك فنقول:

البيع، والهبة، والإجارة، وغيرها من العادات الَّتي يحتاج النَّاس إليها في معاشهم ـ كالأكل والشرب واللباس ـ فإنَّ الشريعة قد جاءت في هذه العادات بالآداب الحسـنة، فحرَّمت منها ما فيه فساد، وأوجبت ما لا بدَّ منه، وكرهت ما لا ينبغي، واسـتحبَّت ما فيه مصلحـة راجحة في أنواع هذه العادات ومقاديرها وصفاتها.

وإذا كان كذلك، فالناس يتبايعون ويستأجرون كيف يشاؤون، ما لم تحرِّم الشريعة، كما يأكلون ويشربون كيف شـاؤوا ما لم تحرِّم الشريعة ـ وإن كان بعـض ذلك قد يسـتحب، أو يكون مكروهًـا ـ وما لم تحد الشريعة في ذلك حدًّا، فيبقون فيه على الإطلاق الأصلي»[(١)] اهـ.

وممَّا يدلُّ على هـذا الأصل المذكـور ما جاء فـي الصحيح، عن جابر بن عبد الله قال: كُنَّا نعزل والقرآن ينزل، فلو كان شـيءٌ يُنهى عنه لنهى عنه القرآن[(٢)].

(١) القواعد النورانية الفقهية لابن تيمية صـ ١٦٣ ـ ١٦٥، تحقيق أحمد بن محمد الخليل، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ، وعلى أساس هذه القاعدة قرر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وعامة فقهاء الحنابلة: أنَّ الأصل في العقود والشروط الإباحة، فكل عقد لم يرد نص بتحريمه بخصوصه، ولم يشتمل على محرم فهو حلال.

(٢) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٥٢٠٨)، ومسلم (١٤٤٠)، كلاهما في النكاح.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فدلَّ على أنَّ ما سكت عنه الوحي غير محظور ولا منهي عنه، وأنَّهم في حلٍّ من فعله؛ حتَّى يرد نصٌّ بالنهي والمنع، وهذا من كمال فقه الصحابة ﷺ، وبهذا تقررت هذه القاعدة الجليلة، ألَّا تشرع عبادة إلَّا بشرع الله، ولا تحرَّم عادة إلَّا بتحريم الله.

والقول بأنَّ هذه المسيرات «بدعة» لم تحدث في عهد رسول الله ولا أصحابه، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار: قول مرفوض؛ لأنَّ هذا إنَّما يتحقَّق في أمر العبادة، وفي الشأن الديني الخالص. فالأصل في أمور الدِّين «الاتباع» وفي أمور الدُّنيا «الابتداع»[1].

ولهذا ابتكر الصحابة والتابعون لهم بإحسان: أمورًا كثيرة لم تكن في عهد النبي ﷺ.

ومن ذلك ما يعرف بـ «أوَّليَّات عمر» وهي الأشياء الَّتي ابتدأها عمر ﷺ، غير مسبوق إليها. مثل: إنشاء تاريخ خاص للمسلمين، وتمصير الأمصار، وتدوين الدواوين، واتخاذ دار للسجن، وغيرها.

وبعد الصحابة أنشأ التابعون وتلاميذهم أمورًا كثيرة، مثل: ضرب النقود الإسلاميَّة، بدل اعتمادهم على دراهم الفرس، ودنانير الروم، وإنشاء نظام البريد، وتدوين العلوم، وإنشاء علوم جديدة مثل: علم أصول الفقه، وعلوم النحو والصرف والبلاغة، وعلم اللغة، وغيرها.

وأنشأ المسلمون «نظام الحِسْبة» ووضعوا له قواعد وأحكامًا وآدابًا، وألَّفوا فيه كتبًا شتَّى.

---

(١) انظر كتابنا: السُّنَّة مصدرًا للمعرفة والحضارة صـ ٢٤٥، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

ولعلَّ ممَّا يؤيد هذا المسلك، الحديث الصحيح: «**من سَنَّ سُنَّة حسنة، فله أجرُها وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة**»[١]. فهو يحثُّ على المبادرة واتخاذ الموقف القدوة، الَّذي يرغِّب الآخرين في تقليده واتباعه، فيكون له أجرهم. وقد قيل: الفضل للمبتدي، وإن أحسن المقتدي!

ولهذا كان من الخطأ المنهجي: أن يُطلب دليلٌ خاصٌّ على شرعيَّة كلِّ شأن من شؤون العادات، فحسْبُنا أنَّه لا يوجد نصٌّ مانع من الشرع.

ودعوى أنَّ هذه المسيرات مقتبسة أو مستوردة من عند غير المسلمين: لا يثبت تحريمًا لهذا الأمر، ما دام هو في نفسه مباحًا، ويراه المسلمون نافعًا لهم، فالحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحق النَّاس بها.

وقد اقتبس المسلمون في عصر النبوة طريقة حفر الخندق حول المدينة، لتحصينها من غزو المشركين، وهي من طرق الفرس.

واتخذ الرسول ﷺ خاتمًا. حيث أشير عليه أن يفعل ذلك، فإنَّ الملوك والأمراء في العالم، لا يقبلون كتابًا إلَّا مختومًا.

واقتبس الصحابة نظام الخراج من دولة الفرس العريقة في المدنيَّة والتنظيم.

واقتبسوا كذلك تدوين الدواوين، من دولة الروم، لما لها من عراقة في ذلك.

---

(١) رواه مسلم في العلم (١٠١٧)، وأحمد (١٩١٥٦)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

وترجم المسلمون الكتب الَّتي تتضمَّن «علوم الأوائل» أي الأمم المتقدمة، الَّتي طورها المسلمون وهذبوها وأضافوا إليها، وابتكروا فيها مثل: «علم الجبر» بشهادة المنصفين من مؤرخي العلم.

ولم يعترضوا إلَّا على «الجانب الإلٰهي» في التراث اليوناني؛ لأنَّ الله تعالى أغناهم بعقيدة الإسلام عن وثنيَّة اليونان، وما فيها من أساطير وأباطيل.

ومن نظر إلى حياتنا المعاصرة في شتى المجالات: وجد فيها كثيرًا جدًّا ممَّا اقتبسناه من بلاد الغرب: في التعليم والإعلام والاقتصاد، والإدارة والسياسة وغيرها.

ففكرة الدستور، والانتخابات بالصورة المعاصرة، وفصل السلطات، وإنشاء الصحافة والإذاعة والتلفزة، بوصفها أدوات للتعبير والتوجيه والترفيه، وإنجاز الشبكة الجبارة للمعلومات (الإنترنت).

والتعليم بمؤسساته وتقسيماته، وترتيباته ومراحله، واختباراته وآلياته المعاصرة، مقتبس في معظمه من الغرب.

والشيخ رفاعة الطهطاوي، حين ذهب إلى باريس إمامًا للبعثة المصرية، ورأى من ألوان المدنيَّة ما رأى، بهرته الحضارة الحديثة، وعاد لينبِّه قومه إلى ضرورة الاقتباس ممَّا سبق به الأوربيون، حتَّى لا يظلوا يتقدمون ونحن نتأخر.

ومن يومها بدأ المصريون، وبدأ معهم كثير من العرب، وقبلهم بدأ العثمانيون في اقتباس ما عند الغربيين.

كل هذه مقتبسات من الغرب الَّذي تفوَّق علينا وسبقنا بها، ولم نجد بُدًّا من أن نأخذها عنه، ولم تجد هذه المقتبسات نكيرًا من أحد من

QaradawiBooks.com

علماء الشـــرع ولا من غيرهم؛ فأقرَّها العرف العام. وقد أخذ الغرب عنَّا من قبل واقتبس منا، وانتفع بعلومنا أوائل نهضته: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

المهم أن نأخذ ما يلائم عقائدنا وقيمنا وشرائعنا، دون ما يناقضها أو ينقضها. فالعاقل هـــو الَّذي يأخذ من غيره ما ينفعـــه، لا ما يضره. وأهم ما يأخذه المسلم من غيره: ما كان متعلِّقًا بشؤون الحياة المتطورة، وجله يتصل بالوســـائل والآليات الَّتي طابعها المرونـــة والتغير، لا بالأهداف والمبادئ الَّتي طابعها الثبات والبقاء.

على أنَّ ما ذكره السائل أو السائلون، من نســـبة هذه المظاهرات أو المسيرات إلى الشـــيوعيين الملحدين: غير صحيح، فالأنظمة الشيوعية لا تسمح بهذه المسيرات إطلاقًا؛ لأنَّ هذه الأنظمة الشمولية القاهرة تقوم على كبت الحريات، وتكميم الأفواه، والخضوع المطلق لسلطان الحكم وجبروته.

قاعدتان مهمتان:

وأودُّ أن أقرِّر هنا قاعدتين في غاية الأهمية:

١ ـ قاعدة المصلحة المرسلة:

الأولى هي: قاعدة المصلحة المرسلة، فهذه الممارسات الَّتي لم ترد في العهد النبوي، ولم تعرف في العهد الراشدي، ولم يعرفها المسلمون في عصورهم الأولى، وإنَّما هي من مستحدثات هذا العصر: إنَّما تدخل في دائرة «المصلحة المرسلة» وهي الَّتي لم يرد من الشرع دليل باعتبارها ولا بإلغائها.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

وشرطها: ألَّا تكون من أمور العبادات حتَّى لا تدخل في البدعة، وأن تكون من جنس المصالح الَّتي أقرَّها الشـرع، والتـي إذا عُرضت على العقول، تلقتها بالقبول، وألَّا تعارض نصًّا شرعيًّا، ولا قاعدة شرعيَّة.

وجمهور فقهاء المسلمين يعتبرون المصلحة دليلًا شرعيًّا يُبنى عليها التشريع أو الفتوى أو القضاء، ومن قرأ كتب الفقه وجد مئات الأمثلة من الأحكام الَّتي لا تعلل إلَّا بمطلق مصلحة تجلب، أو ضرر يدفع.

وكان الصحابة ـ وهم أفقه النَّاس لهذه الشريعة ـ أكثر النَّاس استعمالًا للمصلحة واستنادًا إليها.

وقد شاع أنَّ الاستدلال بالمصلحة المرسلة خاص بمذهب المالكية، ولكنَّ الإمام شهاب الدين القرافي المالكي (٦٨٤هـ) يقول ردًّا على من نقلوا اختصاصها بالمالكية:

«وإذا افتقدت المذاهب وجدتهم إذا قاسـوا أو جمعوا أو فرَّقوا بين المسـألتين، لا يطلبون شـاهدًا بالاعتبار لذلك المعنى الَّذي جمعوا أو فرَّقوا، بل يكتفون بمطلق المناسـبة، وهذا هو المصلحة المرسلة، فهي حينئذٍ في جميع المذاهب»[1].

٢ ـ للوسائل حكم المقاصد:

والقاعدة الثانية: هي أنَّ للوسائل في شؤون العادات حكم المقاصد، فإذا كان المقصد مشروعًا في هذه الأمور، فإنَّ الوسائل إليه تأخذ حكمه، ولم تكن الوسيلة محرَّمة في ذاتها.

(١) شـرح تنقيح الفصول صـ ٣٩٤، تحقيق طه عبد الرؤوف سـعد، نشر شـركة الطباعة الفنية المتحدة، ط١، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

QaradawiBooks.com

ولهذا حين ظهرت الوسائل الإعلامية الجديدة، مثل «التلفزيون» كثر سؤال النَّاس عنها: أهي حلال أم حرام؟

وكان جواب أهل العلم: أنَّ هذه الأشياء لا حكم لها في نفسها، وإنَّما حكمها بحسب ما تُستعمل له من غايات ومقاصد. فإذا سألت عن حكم «البندقيَّة» قلنا: إنَّها في يد المجاهد: عون على الجهاد، ونصرة الحق، ومقاومة الباطل. وهي في يد قاطع الطريق: عون على الجريمة، والإفساد في الأرض، وترويع الخلق.

وكذلك التلفزيون: من يستخدمه في معرفة الأخبار، ومتابعة البرامج النافعة ثقافيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا، بل والبرامج الترفيهية بشروط وضوابط معينة، فهذا لا شك في إباحته ومشروعيته، بل قد يتحوَّل إلى قربة وعبادة بالنية الصالحة. بخلاف من يستخدمه للبحث عن الخلاعة والمجون، وغيرها من الضلالات في الفكر والسلوك.

وكذلك هذه المسيرات والتظاهرات، إن كان خروجها لتحقيق مقصد مشروع، كأن تنادي بتحكيم الشريعة، أو بإطلاق سراح المعتقلين بغير تهمة حقيقية، أو بإيقاف المحاكمات العسكرية للمدنيين، أو بإلغاء حالة الطوارئ الَّتي تعطي للحكام سلطات مطلقة، أو بتحقيق مطالب عامَّة للناس مثل: توفير الخبز أو الزيت أو السكر، أو الدواء أو البنزين، أو غير ذلك من الأهداف الَّتي لا شك في شرعيتها.. فمثل هذا لا يرتاب فقيه في جوازه.

ومثل ذلك: الاحتجاج على ما يحدث للإخوة في فلسطين، أو الحفريات تحت المسجد الأقصى، أو الحرب على العراق، أو الاحتجاج على الرسوم المسيئة لشخصية النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

وأذكر أنِّي كنت في سنة ١٩٨٩م في الجزائر، وقد شكا إلي بعض الأخوات من طالبات الجامعة من الملتزمات والمتديِّنات، من مجموعة من النساء العلمانيات أقمن مسيرة من نحو خمسمائة امرأة، سارت في شوارع العاصمة، تطالب بمجموعة من المطالب تتعلق بالأسرة أو ما يُسمَّى «قانون الأحوال الشخصيَّة» مثل: منع الطلاق، أو تعدد الزوجات، أو طلب التسوية بين الذكر والأنثى في الميراث، أو إباحة تزوج المسلمة من غير المسلم، ونحو ذلك.

فقلت للطالبات اللائي سألنني عن ذلك: الردُّ على هذه المسيرة العلمانيَّة: أن تقود المسلمات الملتزمات مسيرة مضادة، من خمسمائة ألف امرأة! أي ضعف المسيرة الأولى ألف مرة! تنادي باحترام قواطع الشريعة الإسلاميَّة.

وفعلًا بعد أشهر قليلة أقيمت مسيرة مليونية عامتها من النساء تؤيد الشريعة، وإن شارك فيها عدد محدود من الرجال، يقودهم عالم الجزائر المعروف: الشيخ أحمد سحنون رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهذه المسيرة ـ بحسب مقصدها ـ لا شكَّ في شرعيتها، بخلاف المسيرة الأخرى المعارضة لأحكام الشريعة القطعية، لا يستطيع فقيه أن يفتي بجوازها.

سدُّ الذرائع:

أمَّا ما قيل من منع المسيرات والتظاهرات السلمية، خشية أن يتَّخذها بعض المخرِّبين أداةً لتدمير الممتلكات والمنشآت، وتعكير الأمن، وإثارة القلاقل. فمن المعروف: أنَّ قاعدة سدِّ الذرائع لا يجوز التوسع فيها، حتَّى تكون وسيلة للحرمان من كثير من المصالح المعتبرة.

QaradawiBooks.com

ويكفي أن نقول بجواز تسيير المسيرات إذا توافرت شروط معينة يترجح معها ضمان ألَّا تحدث التخريبات الَّتي تحدث في بعض الأحيان. كأن تكون في حراسة الشرطة، أو أن يتعهد منظموها بأن يتولوا ضبطها بحيث لا يقع اضطراب أو إخلال بالأمن فيها، وأن يتحمَّلوا المسؤولية عن ذلك. وهذا المعمول به في البلاد المتقدمة ماديًّا.

في السُّنَّة دليل على شرعيَّة المسيرات:

أعتقد أنَّ فيما سقناه من الأدلة والاعتبارات الشرعيَّة، ما يكفي لإجازة المسيرات السلمية؛ إذا كانت تعبر عن مطالب فئوية أو جماهيرية مشروعة.

وليس من الضروري أن يطلب دليل شرعي خاص على ذلك، مثل نص قرآني أو نبوي، أو واقعة حدثت في عهد النبوة أو الخلافة الراشدة.

ومع هذا، نتبرَّع بذكر واقعة دالة، حدثت في عهد النبوة، وذلك عندما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فبعد أن يسرد عمر رضي الله عنه قصَّة إسلامه، ولنستمع إلى عمر نفسه، وهو يقصُّ علينا نبأ هذه المسيرة. حتَّى إذا دخل دار الأرقم ابن أبي الأرقم معلنًا الشهادتين يقول: فقلتُ: يا رسولَ الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: «**بلى، والذي نفسي بيده، إنكم على الحق إن متم وإن حييتم**». قال: فقلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن. فأخرجناه في صفَّين: حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر. له

QaradawiBooks.com

كديد ككديد الطحين، حتَّى دخلنا المسجد. قال: فنظرت إليَّ قريش وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها. فسمَّاني رسول الله ﷺ يومئذٍ الفاروق[1].

ومن تتبَّع السِّيرة النبوِيَّة، والسُّنَّة المحمديَّة، لا يعدم أن يجد فيها أمثلة أخرى.

والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤٠/١).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الثورة على الحُكَّام الظلمة

س: بعض السلفيِّين والصوفيِّين وبعض المشايخ الأزهريين من أصحاب المناصب الكبرى، ردُّوا عليك في تأييدك لثورة الشباب الذين قاموا بثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م ومظاهراتهم في ميدان التحرير في القاهرة، وكذلك في الإسكندرية والسويس، والمنصورة وطنطا، والمحلة الكبرى والزقازيق، ودمنهور وغيرها من المدن والمحافظات المصرية.

واتَّهموك بأنَّك تؤيِّد الفتنة، والخروج على الحاكم الشرعي، الَّذي أمر الله بطاعته في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩]، واستدلُّوا ببعض الأحاديث، كما في حديث حُذَيْفة عند مسلم: «**يكون بعدي أئمَّة لا يهتدون بهُدَاي، ولا يستنُّون بسُنَّتي، وسيقوم فيهم رجالٌ قلوبُهم قلوبُ الشياطين في جثمان إنس**». قال: قلتُ: كيف أصنع يا رسولَ الله، إن أدركتُ ذلك؟ قال: «**تسمعُ وتطيعُ للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمعْ وأطع**».

وهم يؤكِّدون: أنَّ المسلم إذا ابتُلي بحاكمٍ ظالم، يجب عليه أن يصبر على ظلمه، ويرضى بقضاء الله تعالى، وينتظر الفرج من الله، ولا يقاوم بأيِّ أسلوب من المقاومة، حتَّى لا يشقَّ الصفَّ، وتحدث الفتنة،

QaradawiBooks.com

ويخرج عن الجماعة، فإنَّ مَن خرج عن طاعة السلطان شبرًا، فقد خلع رِبقة الإسلام من عنقه.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإنَّ من أعظم الآفات في فَهم الإسلام وأحكامه ومقاصده: اتِّباع المتشابهات، وترك المحكمات، والاعتماد على الفروع والجزئيَّات، والإعراض عن الأصول والكليات، وهو منهج الزائغين الذين ذكرهم الله في كتابه حين قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ٧]، وفي هذه القضية نصوص مُحكَمة أصلية ثابتة، ونصوص متشابهة جزئية فرعية ظنِّيَّة.

لا بدَّ أن يكون أولو الأمر من المؤمنين:

فمن المحكمات الكليَّة الأصليَّة هنا:

أولًا: أنَّ الله أمر بطاعة أولي الأمر من المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩]، ومعنى: ﴿مِنكُمْ﴾ هنا: أي من المؤمنين، فليست طاعة مطلقة لأيِّ «أولي أمر»، ولو كانوا من الكفَّار أو المنافقين. بل لا بدَّ أن يكونوا من «الذين آمنوا»، أي الملتزمين بعقد الإيمان وموجباته، كما هو مبيَّن في القرآن.

QaradawiBooks.com

من هم المؤمنون في القرآن؟

فمن هم المؤمنون كما وصفهم القرآن؟

المؤمنون في القرآن مذكورون في سور كثيرة، منها سورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الأنفال، وسورة المؤمنون، وسورة النور، وسورة الأحزاب، وغيرها.

فمن سورة النساء، تقرأ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠، ٦١]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وفي سورة المائدة تقرأ سلب الإيمان عمَّن لم يحكم بما أنزل الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

ونقرأ فيها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٧، ٤٨]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

وفي سورة الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فهؤلاء هم «الذين آمنوا» المأمور بطاعتهم في القرآن، وليسوا: الذين لا يتَّخذون الإسلام مرجعًا لهم، ولا يحكِّمونه في أمورهم، بل إذا قضى الله ورسوله أمرًا، كان لهم الخِيَرة من أمرهم، بل كثيرًا ما ردُّوا أمر الله ورسوله.

أولو الأمر عند التنازع يرجعون إلى الله ورسوله:

ثانيًا: أنَّ أولي الأمر هؤلاء، كما وصفهم القرآن، إذا تنازعوا في شيء ردُّوه إلى الله تعالى، وإلى الرسول، كما قال ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

وأجمع العلماء: أنَّ الردَّ إلى الله سبحانه يعني: الردَّ إلى كتابه، والردَّ إلى الرسول بعد وفاته، يعني: الردَّ إلى سنَّته. فهل هؤلاء الحكام يردُّون أمرَهم إذا تنازعوا إلى الله وإلى رسوله، وبعبارة أخرى: إلى كتاب الله وسنة رسوله؟!

الطاعة في المعروف لا في المعصية:

ثالثًا: إنَّ الطاعة لأولي الأمر المذكورة في الآية قد قيَّدتها النصوص الأخرى، بالطاعة «في المعروف»، كما قال ﷺ: «**إنَّما الطاعةُ في المعروف**»[(١)]. وفي رواية: «**لا طاعةَ لبشرٍ في معصية الله**»[(٢)]. وفي أخرى: «**لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الله ﷻ**»[(٣)].

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٤٥)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٠)، عن علي بن أبي طالب.
(٢) رواه أحمد (١٠٦٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٣) رواه عبد الله في زوائد المسند (١٠٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

QaradawiBooks.com

أمَّا الحاكم أو ولي الأمر الَّذي ينشر الظلم، وينهب المال العام، ويشجِّع على نهبه لأسرته وأصهاره وأتباعه، ويحمي اللصوص، ويستعين بالبلطجية والمجرمين على شعبه، ويزوِّر الانتخابات، ويوالي اليهود، ويساعد على خنق أبناء فلسطين عامَّة، وأبناء غزَّة خاصَّة، لحساب دولة إسرائيل، ويوصل إليهم الغاز بثلث ثمنه الدولي، ويبني الجدار الفولاذي لحماية إسرائيل، فليس هذا من «المعروف» في شيء.

الحاكم أجير عند الأمة:

رابعًا: أنَّ الحاكم أو ولي الأمر في نظر الأمة ليس جبَّارًا في الأرض، ولا مسلَّطًا على الناس، بل هو وكيلٌ عن الأمة، أو أجيرٌ عندها، وقد دخل الفقيه التابعي الجليل أبو مسلم الخولاني على معاوية، فسلَّم عليه قائلًا: السلام عليك أيها الأجير! فقال له مَن حوله: بل قُل: السلام عليك أيها الأمير. فقال: بل السلام عليك أيها الأجير. وكرَّروا قولهم، وكرَّر قوله، فقال معاوية: دعوا أبا مسلم، فهو أعلم بما يقول[1].

أخذ هذا المعنى أبو العلاء، فضمَّنه في شعره حين قال:

مُلَّ المُقَامُ فكم أعاشر أُمَّةً أمرتْ بغير صلاحِها أُمَراؤها
ظلموا الرعيَّةَ واستباحوا كيدَها وعَدَوْا مصالحَها وهم أُجَرَاؤها[2]

ومن هنا قال الخليفة الأول لرسول الله: أبو بكر الصديق أوَّل ما وَلِي الخلافة: أيها الناس، إنِّي قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإنْ أحسنتُ فأعينوني، وإنْ أسأتُ فقوِّموني... والضعيف فيكم قويٌّ عندي، حتَّى

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٢٥/٢)، وابن عساكر في تاريخه (٢٢٣/٢٧).
(٢) اللزوميات (٤٤/١).

QaradawiBooks.com

أريح عليه حقَّه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتَّى آخذ الحقَّ منه إن شاء الله... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[١].

وكذلك قال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في خلافته: أيها الناس، مَن رأى منكم فيَّ اعوجاجًا فليقوِّمني. فقال له رجل: والله لو رأينا فيك اعوجاجًا لقوَّمناه بحدِّ سيوفنا! فأجابه عمر: الحمد لله الَّذي جعل في رعية عمر من يقوِّم اعوجاجه بحدِّ سيفه[٢].

هذه الأقوال معروفة عند العلماء ويتداولونها في المواعظ، فإذا جاء أوان الفقه والأحكام أعرضوا عنها، وأوجبوا طاعة الحاكم، وإن عصى وانحرف، وظلم وتجبَّر وعاث في الأرض فسادًا. هذا مع أنَّ القرآن الكريم صرَّح بأنَّ طاعة الرسول المعصوم إنَّما تكون في المعروف، كما في قوله تعالى في بيعة النساء في سورة الممتحنة: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢].

أولو الأمر مأمورون بأداء الأمانات وإقامة العدل:

خامسًا: إنَّ الله تعالى أنزل في القرآن آيتين مهمَّتين في السياسة الشرعيَّة، وبعبارة أخرى في تنظيم الولاية والإمارة بين الناس: آية تتعلَّق بالأمراء وما يجب عليهم، والأخرى تتعلَّق بالرعية، وبتعبير عصرنا: «الشعب» وما يجب عليهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ

(١) سبق تخريجه صـ١٥٣.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٢٩) بنحوه. وانظر: كفاية الطالب الرباني لأبي الحسن المنوفي مع حاشية العدوي (١٢٢/١)، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

﴿ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٨ ـ ٥٩].

وقد تحدَّثنا عن الآية الثانية المتعلِّقة بطاعة الرعية للراعي، وهنا نتحدَّث عن الآية الأولى المتعلِّقة بأولي الأمر، الذين أمرهم الله بأمرين أساسيين:

الأول: أداء الأمانات إلى أهلها، بكلِّ ما تتَّسع له كلمة «الأمانات».

والثاني: الحكم بين النَّاس بالعدل.

وعلى هاتين الآيتين أقام شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه القيم: «السياسة الشرعيَّة في إصلاح الراعي والرعية».

ومن النَّاس مَن يركِّز على الآية الثانية، فيوجب على الرعية طاعة أولي الأمر، دون أن يراعي قيد: ﴿مِنكُمْ﴾ في الآية. ثم هو لا يلتفت إلى الآية الأولى فيما على ولي الأمر من أداء الأمانات، والحكم بين النَّاس بالعدل.

الإسلام الَّذي تصوِّرُه هذه الفتاوى:

إنَّ فتاوى هؤلاء العلماء الَّتي تحرِّم مجرَّد الاحتجاج السلمي ضدَّ الحاكم الظالم، وتحرِّم نزول الشعب إلى الشارع في مظاهرات سلمية، تقول: لا للظلم. ولا تحمل سيفًا ولا بندقية، ولا حتَّى عصًا ولا حجرًا، وتطالب هذه الفتاوى كلَّ الشعب بالاستسلام لإرادة الحاكم الظالم، ووجوب الطاعة المطلقة له ومَن يمثِّله من جنود فرعون وهامان: إنَّما تصوِّر هذه الفتاوى الإسلام تصويرًا في غاية السوء، تصوِّره دينًا عاجزًا

QaradawiBooks.com

عن مقاومة الحكم الاستبدادي الطاغي، الَّذي يبغي على الناس، ويفسد في الأرض، ويسوق النَّاس كالقطعان بسيف القهر والجبروت.

بل على العكس يصوِّرون الإسلام وكأنَّه يحمي هذا الحكم المتجبِّر، المستكبر في الأرض، وإن تفاقم ظلمه، وازداد علوُّه وطغيانه، فسفك الدماء، وانتهك الحرمات، وانتهب الثروات، وزوَّر الانتخابات، واستعان على قهر شعبه بالبلطجية والعصابات، فليس للناس أكثر من أن يموتوا ويستريحوا، ولا يستخدموا ما يستخدمه المعارضون للحكام في أنحاء العالم من المقالات الصحفية، والرسوم الكاريكاتورية، والقصائد الشعرية، والأناشيد الثورية، والمسيرات السلمية، والإضرابات والاعتصامات التضامنية، فإن حاول النَّاس استخدام هذه الوسائل في المقاومة، قيل له: اسمع وأطع، وإن جلد ظهرك، وأخذ مالك! وهذا ما أعطى الماركسيين حجَّة ليقولوا: الدين أفيون الشعوب!

هذا مع أنَّ الإسلام يشرع في مقاومته الظلم ـ الَّذي يتمثَّل في الطغيان والفساد ـ كلَّ وسيلة ممكنة، ماديَّة أو أدبية، تُنهي الظلم والفساد والمنكر، أو تقلِّله وتضيِّق دائرته، حتَّى إنَّ ألفاظ قنوت الوتر في المذهب الحنفي تحمل هذه العبارات الثورية: «**نشكرُكَ اللهمَّ ولا نكفُرُكَ، ونخلعُ ونتركُ من يفجرك**»[1].

والإسلام يجعل السكوت عن الظلم ظلمًا، ويجعل الساكت عن الحقِّ شيطانًا أخرس.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

(١) سبق تخريجه صـ١٣٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

موقف الإسلام من الظلم والظالمين:

لم نرَ مثل الإسلام ديانة أو شريعة تكره الظلم، وتنكره وتحاربه بكلِّ وسيلة. فالقرآن يقول: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٥]، إلى آخر الآيات.

والإسلام ينكر الظلم ويحاربه من كلِّ الناس، وخصوصًا من الحاكم؛ لأنَّه المأمور أن يقيم العدل بين الناس، ويحكم به: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

ومن هنا اشتدَّت عناية السُّنَّة، واستفاضت الأحاديث في التنويه بالإمام العادل، ومنزلته عند الله.

فهو من السبعة الذين يُظلُّهم الله في ظلِّه يومَ لا ظل إلَّا ظلُّه[١]، ومن الثلاثة الذين لا تردُّ دعوتهم[٢]، ومن الذين يكونون عن يمين الرحمٰن يوم القيامة، وكلتا يديه يمين[٣].

وفي مقابل ذلك يكره الإسلام الإمام أو السلطان الظالم، أو الجائر عن الحقِّ، وكم يعدُّ الله له من العذاب الأليم يوم القيامة بقدر جَوره على رعيَّته.

وكما ينكر الإسلام الظلم ويحرِّمه، ينكر إعانة الظالم على ظلمه، بأيِّ وسيلةٍ من الوسائل، حتَّى إنَّ القرآن ليشرك جنود فرعون وهامان معهما في

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٨٠٤٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٨٢٧)، وأحمد (٦٤٩٢)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

الإثم: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨]، وقال عن فرعون: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠].

بل إنَّ القرآن ليحرِّم مجـرَّد الركون إلى الظلمة، أي الميل إليهم، وإن لم يصل إلى درجة الإعانة، كما قال سـبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، فمع إيعادهم بمسِّ النار، زادهم الحرمان من ولاية الله ونصرته.

الإسلام يقف في وجه الحكام الظالمين:

وممَّا يجب أن يعرفه كلُّ مسلم: أنَّ الإسـلام يقف في وجه الحكام الظالمين، ولا يأمر بالخنوع لهم، والاستسلام لمظالمهم وطغيانهم، كما يُشيع بعض الناس. فإنَّ هذا سبب نزول عقوبة الله على المجتمع كلِّه، أمَّا الظالم فلظلمـه، وأمَّا غير الظالم، فلسـكوته عن الظلم، ولهذا يُسـمَّى الساكت «شيطانًا أخرس».

وفي هذا يقـول القـرآن: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، وروى سيدنا أبو بكر، عنِ النبيِّ ﷺ: «**إنَّ النَّاس إذا رَأَوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمَّهم اللهُ بعقابه**»[(١)].

ويحرِّض النبي ﷺ أمَّته على تغيير المنكـر إذا وقع من حاكم أو محكوم ـ بشرط أن يكون منكرًا أجمَع العلماء على إنكاره وتحريمه ـ بيده أو بلسانه أو بقلبه، حسب استطاعته، فيقول فيما رواه أبو سعيد:

(١) رواه أحمد (٣٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، والترمذي (٣٠٥٧)، وقال: حسـن صحيح. وابن ماجه (٤٠٠٥)، كلاهما في الفتن، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٥٦٤)، عن أبي بكر الصديق.

QaradawiBooks.com

«**مَن رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه، فإن لم يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[١]. ويقول فيما رواه ابن مسعود في الموقف من الحكَّام المنحرفين: «**فمَن جاهدَهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بلسانِه فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خَرْدَل**»[٢]. ومعنى التغيير بالقلب والجهاد بالقلب، ضدَّ المنكر والفساد والظلم، هو غليان القلب بالغضب عليها، والثورة ضدَّها، وهو يتضمَّن الكراهية، وشدَّة الإنكار القلبي، حتَّى ينفجر بعد ذلك في عمل إيجابي، وإلَّا ما سُمِّي تغييرًا ولا جهادًا.

ومن التغيير والجهاد باللسان ما جاء في الحديث عنِ النبيِّ ﷺ: أنَّه سئل: أيُّ الجهاد أفضل؟ فقال: «**كلمةُ حقٍّ عند سُلطانٍ جائر**»[٣].

فهل يمنع عالم مسلم فردًا مسلمًا، أن يقول لأمير أو رئيس كلمة الحقِّ، يأمره فيها بالمعروف، وينهاه عن المنكر؟!

وهل تشرع كلمة الحقِّ إذا قالها واحد، فإذا كانوا عشرة أو مائة أو ألفًا مُنعت، مع أنَّها إذا كثُر قائلوها كانت أدعى إلى الاستجابة؟!

ومثل كلمة الحقِّ الَّتي تُقال عند السلطان الجائر: التظاهرة السلمية، فهي نوع من الجهاد السلمي، أشبه بالجهاد باللسان. وهذه وسيلة سلمية ابتكرها العالم للاحتجاج والإنكار.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٤١.

(٢) رواه مسلم (٥٠)، وأبو عوانة (٩٨)، كلاهما في الإيمان.

(٣) رواه أحمد (١٨٨٢٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والنَّسائي في البيعة (٤٢٠٩)، عن طارق بن شهاب.

QaradawiBooks.com

ولو أنَّ مَن تكلَّم بكلمة حقٍّ عند السلطان الجائر تعرَّض لأن يُؤذَى أو يُسجَن أو يُعذَّب، فهو في سبيل الله، بل لو فقد حياته فهو شهيد عند الله، ويدخل في الحديث الشريف: «**سيِّدُ الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجلٌ قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله**»[1].

حديث: «وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع» منقطع:

وأمَّا الحديث الَّذي يجعلونه عمدتهم في الاستسلام للحكَّام الظالمين، وهو ما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي سلَّام، قال: قال حُذَيْفة بن اليمان: قلتُ: يا رسولَ الله، إنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فجاء الله بخيرٍ، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرٌّ؟ قال: «**نعم**». قلتُ: هل وراء ذلك الشرِّ خيرٌ؟ قال: «**نعم**». قلتُ: فهل وراء ذلك الخيرِ شرٌّ؟ قال: «**نعم**». قلتُ: كيف؟ قال: «**يكونُ بعدي أئمَّة لا يهتدون بهُداي، ولا يستنُّون بسُنَّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**». قال: قلتُ: كيف أصنع يا رسولَ الله، إن أدركتُ ذلك؟ قال: «**تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرَك، وأخذ مالك، فاسمعْ وأطعْ**».

فهذا الحديث رواه مسلم فعلًا في الإمارة (١٨٤٧)، ومن المعروف لدى علماء الحديث: أنَّ صحيح مسلم يحتوي على نوعين من الأحاديث:

الأول: أحاديث تُسمَّى «أحاديث الأصول»؛ وهذه يُدقِّق فيها مسلم ولا يتساهل في أسانيدها.

الثاني: أحاديث تسمَّى «متابعات»؛ وهذه قد يدخلها شيء من الضعف. وهذا الحديث من هذا النوع. ولذا قال الإمام الدارقطني في

(١) سبق تخريجه صـ١٣٩.

QaradawiBooks.com

كتابه «الإلزامات والتتبُّع» (٥٣): وأخرج مسلم حديث معاوية بن سلام، عن زيد، عن أبي سلام، قال: قال حذيفة: كُنَّا بشرٍّ، فجاءنا الله بخير... قال الدارقطني: وهذا عندي مرسل (أي منقطع)، أبو سلام لم يسمع من حذيفة، ولا من نظرائه الذين نزلوا العراق؛ لأنَّ حُذَيْفة توفي بعد قتل عثمان رضي الله عنه بليال، وقد قال مسلم فيه: قال حُذَيْفة (أي لم يقل: سمعت أو حدثني)، فهذا يدلُّ على إرساله.

قال المزي في ترجمة أبي سلام: روى عن حذيفة، ويُقال: مرسل. وقال ابن حجر: أرسل أبو سلام عن حُذَيْفة وأبي ذر وغيرهما. وأيد ذلك العلائي في جامع التحصيل، في الرواة المحكوم على روايتهم بالإرسال.

وقال النووي في شرح مسلم: «قال الدارقطني: لكن المتن صحيح متَّصل بالطريق الأول، وإنَّما أتى مسلم بهذا متابعة كما ترى، وقد قدَّمنا في الفصول وغيرها: أنَّ الحديث المرسل إذا رُوي من طريق آخر متَّصلًا، تبينَّا به صحَّة المرسل، وجاز الاحتجاج به، ويصير في المسألة حديثان صحيحان»[1].

وما قاله النووي رحمه الله مسلَّم إذا لم تكن الزيادة المرسلة تحمل أحكامًا جديدة مغايرة لما أفاده الحديث الأصلي المتصل السند. وإلَّا أثبتنا هذه الزيادة ـ الَّتي قد تكون خطيرة ـ بمجرَّد رواية مرسلة (أي منقطعة).

على أنَّ حديث حُذَيْفة ـ إن صحَّ ـ هو خطاب خاصٌّ لا يحمل صفة العموم، فلم يرِد في صيغه لفظ من ألفاظ العموم المعروفة، فلعلَّها وصيَّة خاصَّة لحذيفة. والله ولي التوفيق.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٢٣٧/١٢، ٢٣٨)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

QaradawiBooks.com

الإسلام يحافظ على حياة الأفراد

س: ندعو الله ﷻ أن تصلكم رسالتنا هذه وأنتم بأتم الصحة والعافية، أكتب لحضرتكم بخصوص الموقف الشرعي من موضوع الألغام المضادَّة للأفراد، حيث تجري حاليًّا حملات إعلامية على المستوى الدولي لإقناع الحكومات والدول المصنِّعة لهذه الأسلحة إيقاف تصنيعها وتخزينها وتبادلها، حيث إنَّ الغالبية العظمى من المتضرِّرين من هذه الألغام هم من المدنيين، وبالأخص بعد انتهاء فترة الحرب، ونظرًا للأضرار الَّتي تسبِّبها للأفراد والشيوخ والأطفال، والعمال والفلاحين، فأعتقد ـ والله أعلم ـ أنَّ هذا الموضوع ممَّا يعارضه الإسلام وشريعته السمحة، خصوصًا ـ كما تعلمون ـ أنَّ الإسلام دين رحمة لكل زمان ومكان، لذا نرجو أن تبيِّنوا الموقف الشرعي من هذه الأسلحة الَّتي تضر ولا تنفع، وهناك شك في جدواها العسكرية مع تقدم التكنولوجيا وأجهزة المراقبة، أرجو أن تفيدونا، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة مصححة
QaradawiBooks.com

(وبعد)

لا شك أنَّ الإسلام حريصٌ على أرواح البشر، والحرب في الإسلام لا ينبغي للمسلم أن يدخلها إلَّا لضرورة، وكان النبي ﷺ يقول: «**أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ ﷻ عبدُ الله وعبدُ الرحمٰن، وأصدقُها حارث وهمَّام، وأقبحُها حرب ومُرَّةُ**»(١). حتَّى مجرَّد اسم «حرب» كرهه الإسلام، وحينما صالح المسلمون المشركين في الحُدَيْبِيَة سمَّى القرآن هذا: فتحًا، بل فتحًا مبينًا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]. قال الصحابة: يا رسولَ الله، أفتحٌ هو؟ (يعجبون من كونه فتحًا من غير حرب) قال: «**نعم والذِي نفْسُ محمَّدٍ بيده، إنَّه لفَتْح**»(٢).

وامتنَّ الله على المسلمين فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]. ومن المعقول أن يمتنَّ الله على المسلمين بكفِّ أيدي الكفار عنهم، أمَّا أن يمتنَّ عليهم بكفِّ أيديهم عن الكفار، فهذا معناه أنَّه يريد السلام للبشر جميعًا.

وحينما انتهت غزوة الخندق أو الأحزاب، عقّب القرآن عليها بقوله: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]. وهذا يدل على أنَّ المسلمين ليسوا هواة قتال، ولا متعطشين للدماء، كما يزعم أعداء الإسلام، فالله يمتنُّ على المؤمنين

(١) رواه أحمد (١٩٠٣٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٩٥٠)، والنَّسائي في الخيل (٣٥٦٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٠٤، ١٠٤٠)، عن أبي وهب الجشمي. وعلَّل الإمام الخطابي قبح اسم «حرب» لما في الحرب من المكاره.

(٢) رواه أحمد (١٥٤٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الجهاد (٢٧٣٦)، وابن أبي شيبة في المغازي (٣٨٠٠٢)، والحاكم في قسم الفيء (١٣١/٢)، وصحَّح إسناده ووافقه الذهبي، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٥٨٧)، عن مجمع بن جارية.

QaradawiBooks.com

أنَّ المعركة انتهت بغير دماء وبغير قتال، ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

ولذلك إذا حارب المسلمون فهم أرحم النَّاس في حربهم، فالنبي ﷺ نهاهم أن يقتلوا وليدًا، أو يقتلوا امرأةً، أو يقتلوا شيخًا، أو يقتلوا أجيرًا، ونهاهم كذلك أن يقتلوا الرهبان في الصوامع، أو يقتلوا الزُّرَّاع في الأرض، فكل من لا يشارك في الحرب لا يُقتل، إنَّما يُقتل من يقاتل، فعن أنس بن مالك، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**انطلقوا باسم الله وبالله، وعلى ملَّة رسول الله، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلًا، ولا صغيرًا، ولا امرأةً، ولا تغلُّوا، وضُمُّوا غنائمكم، وأصلحوا، ﴿وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾** [البقرة: ١٩٥]»[(١)]. وعن بُرَيْدة الأسلمي، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**اغزوا باسمِ الله، وفي سبيلِ الله، وقاتلوا من كفرَ بالله، اغزوا، ولا تغدروا، ولا تغلُّوا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تقتلوا وليدًا**»[(٢)].

ورأى النبيُّ ﷺ في بعض مغازيه النَّاس مجتمعين على شيء، فبعث رجلًا، فقال: «**انظرْ علام اجتمع هؤلاء؟**». فجاء فقال: على امرأةٍ قتيلٍ. فقال: «**ما كانت هذه لتُقاتل**». قال رباح بن ربيع راوي الحديث: وعلى المقدمة خالد بن الوليد، فبعث رجلًا، فقال: «**قلْ لخالد: لا يقتلنَّ امرأةً ولا عسيفًا**»[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦١٤)، وابن أبي شيبة في الفضائل (٣٣٧٩٠)، والبيهقي في السير (٩٠/٩)، وقال عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الوسطى (٤٢/٣ ـ ٤٣): خالد بن الفزر ليس بقوي. وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٤٥٠)، وحسن عوَّامة إسناد أبي داود في تعليقه على مصنف ابن أبي شيبة، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٣١)، وأحمد (٢٣٠٣٠).

(٣) رواه أحمد (١٥٩٩٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٢٦٦٩)، وابن ماجه (٢٨٤٢)، والحاكم (١٢٢/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الجهاد. عن رباح بن الربيع.

QaradawiBooks.com

الألغام المضادَّة للأفراد:

ولذا فالإسلام يضيِّق دائرة الحرب، ويرحِّب بأيِّ دعوة لمنع هذه الألغام الَّتي تقتل الَّذي يحارب والذي لا يحارب، وللأسف في الحروب الماضية كانت الدول تضع هذه الألغام بالملايين، قالوا مثلًا: إنَّ السوفييت وضعوا في أفغانستان حوالي ثلاثين مليون لَغْم مضاد للبشر، وانتهت الحرب بين الأفغان والسوفييت، لكنَّ حربهم مع الألغام مستمرة.

وفي مصر ملأ الإنجليز والألمان صحراء مصر الغربيَّة بالألغام، في أثناء الحرب العالمية الثانية، وما زالت هذه الألغام إلى الآن تصيب الناس، ولذلك يجب أن نرحِّب بالدعوة إلى منع هذه الألغام، وخصوصًا ـ كما أشار الأخ السائل ـ أنَّ الجيوش عندها من التقنيات الآن ما يكشفها، فالذي يقع ضحيةً لها ليسوا المحاربين بل المدنيين، خصوصًا بعد انتهاء الحرب.

فلذلك نحن نرحِّب بكل دعوة لمنع هذه الألغام، بل يجب أن نتبنَّى نحن هذه الدعوة، وأن نقود دعوات مشابهة تدعو إلى منع هذه الألغام: منع تصنيعها، ومنع الاتجار فيها، وليس فقط إزالتها؛ لأنَّها آفة خطرة على البشرية، ودماء البشر محترمة في ديننا، فالله تعالى يقرِّر في القرآن: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. فيجب أن نحرص على حياة الناس، بل على حياة الحيوان، فالنبيُّ ﷺ يقول: «**عُذِّبت امرأةٌ في هرَّة حبستها حتَّى ماتت جوعًا، فدخلت فيها النَّار**»[1]. فما بالك بحياة الإنسان؟

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

من أجل ذلك نقول: إنَّ الموقف الشرعي أنَّه يجب منع هذه الألغام المدمِّرة القاتلة، الَّتي تقتل البرآء الذين لا ناقة لهم ولا جمل في الحرب، وأكثر ما تصيب المدنيين العُزَّل، الذين لا سلاح معهم ولا سيف ولا رمح، ولا بندقية ولا مدفع، وتظل آثارها سنوات وسنوات، تظل إلى عشرات السنين، وقد تستمر قرونًا، فهي خطرة على البشر، فيجب منع هذه الألغام، وتأييد كل دعوة إلى منع ذلك.

* * *

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حكم الخونة المتعاونين مع الأعداء

س: ما قولكم في هؤلاء الفلسطينيِّين الذين شذُّوا عن جماعتهم، وخرجوا على صفِّهم، وخانوا قومهم، فتعاونوا مع اليهود الغزاة، يكشفون لهم العورات، ويدلُّونهم على أماكن رجال المقاومة، فيسهِّلون لهم اغتيالهم، إلى غير ذلك من الأعمال الَّتي لا يشكُّ أحدٌ في اتهامهم بالخيانة؟

نرجو من فضيلتكم بيان الحكم الشرعي فيما يستحقه هؤلاء المجرمون؟

نفع الله بكم، وجزاكم عن الإسلام وأهله خيرًا.

جماعة أبناء القدس

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

انتساب هؤلاء إلى الفلسطينيِّين عارٌ وشَنَارٌ، فهذا الشعب الَّذي سجَّل بسطور من نور هذه البطولات الأسطورية الَّتي لفتت أنظار العالم في جنين وغيرها، وأثبت رجاله ونساؤه، وشبانه وشيوخه، وكباره ورجاله:

QaradawiBooks.com

هذا الصمود الخارق الَّذي لا يكاد يعرف له نظيـــر في دنيانا المعاصرة: هذا الشعب لا يجوز أن يُنسب إليه هؤلاء الذين لا يجوز أن ينسبوا إلى الفلسطينيين، ولا إلى العرب ولا إلى المســـلمين. فالجميع يبرأ منهم، والجميع يلعنهم، ناهيك بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ولكن جرت سنة الله في خلقه: أن يكون في كل شعب خونة يبيعون آخرتهم بدنياهم، ويبيعون أمتهم بأعدائهم، حتَّى في عهد الرســـول ﷺ كان هناك منافقون: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

ولقد اجتهد الكيان الصهيوني منذ زمن طويل لتجنيد عدد غير قليل من أبناء فلسطين، ليعملوا لحســـابه، وتنفيذ خططه، واستخدم في ذلك كل وسائل الإغراء والترغيب، وغسيل المخ، وبذرهم في وسط أقوامهم، ليقوموا بدورهـــم الخائن، فيتجسَّســـوا على أهليهم لحســـاب عدوِّهم، ويدلوهم على مواطن رجـــال المقاومة، من حمـــاس والجهاد، وكتائب الأقصى، وغيرهـــم من رجال الفصائل المناضلـــة، وكل رجل اغتيل من هذه الفصائل المجاهدة؛ فإنَّما تمَّ ذلك بمســـاعدة هؤلاء الخونة، الذين يعاونون أعداء أمتهم على الإثم والعدوان.

هؤلاء حكمهم حكم اليهود المحتليـــن؛ لأنَّ ولاءهم لهم، وعونهم لهم، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٥١].

بل الحـــق أنِّي أرى هؤلاء شـــرًّا من اليهـــود الغـــزاة المعتدين، فإنَّ اليهودي عدوٌّ واضـــح معروف، وهذا عـــدو من بني جلدتنـــا، ويتكلم بلســـاننا، فهو من المنافقين الذين قـــال الله عنهم: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

QaradawiBooks.com

فالمنافق شرٌّ من الكافر ولا شك، فعبد الله بن أبيٍّ شرٌّ من أبي جهل، لأنَّ أبا جهل صرَّح بكفره فيُحذر منه، أمَّا ابن أبيٍّ ومن سار في ركبه، فهم الذين ينخرون في عظام المجتمع، ويهدمونه من داخله.

وقد قرر الفقهاء: أنَّ عقوبة الجاسوس القتل، ولا سيَّما من يتجسَّس لعدوه على قومه.

وحينما أرسل حاطب بن أبي بلتعة في فتح مكة رسالة إلى أهل مكة يخبرهم فيها بمقدم الجيش المحمدي، واعتذر الرجل بكلام يدل على حسن نيته، وإنَّه لا يريد الضرر بالمسلمين، قال عمر: يا رسولَ الله، دعني أضرب عنقه فقد نافق! فقال ﷺ: «**وما يدريكم أنَّ الله تعالى اطَّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فإنِّي قد غفرتُ لكم**»[1].

وقد استنبط العلماء من قصَّة حاطب ـ كما قال ابن القيِّم ـ جواز قتل الجاسوس، وإن كان مسلمًا، لأنَّ عمر طلب قتل حاطب، وأجابه الرسول بأنَّ ثمَّة مانعًا من قتله، وهو شهوده بدرًا، وفي هذا الجواب تنبيه على مشروعية قتل الجاسوس؛ إذا لم يكن عنده مثل هذا المانع. وهذا مذهب مالك وأحد الوجهين في مذهب أحمد. وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا يقتل، ولكن يعزر.

وقال سحنون من المالكية: إذا كاتب المسلم أهل الحرب قُتل ولم يُستتب (أي لم تطلب منه التوبة كما تطلب من المرتد).

وقال ابن القاسم: يُقتل، ولا يعرف لهذا توبة، وهو كالزنديق.

وقال غيرهما من أصحاب مالك: يجلد جلدًا وجيعًا، ويطال حبسه، ويُنفى من موضع يقرب من الكفار.

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الجهاد (٣٠٠٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٤)، عن علي.

QaradawiBooks.com

وقال ابن القيم: والصحيح أنَّ قتله راجع إلى الإمام، إن رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله، وإن كان استبقاؤه أصلح استبقاه. والله أعلم[١].

ورأيي: أنَّ هذا أيضًا يرجع إلى مدى جريمة الجاسوس، ومقدار توغله في خدمة الأعداء ومساندتهم، وماذا ترتب على ذلك من مضار، كأن سهل قتل مسلم، أو دلَّهم على مواضع السلاح، أو نحو ذلك.

ويجب أن يردَّ ذلك إلى محكمة مسلمة تنظر في جرائمهم، وتقيم حكمها على أساس البيِّنات، لا مجرد الدعاوى أو الشبهات، فمن أعان الأعداء على أهله وقومه، ودلَّ على عوراتهم، حتَّى ترتب على ذلك سفك دم حرام: وجب أن يُقتل لا محالة؛ لأنَّه شرٌّ من قطاع الطريق الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فسادًا.

ومَن لم يبلغ هذه الدرجة عُوقب بما يناسبه إذا ثبت عليه. وينبغي التشديد في الإثبات حتَّى لا يعاقب أحد بغير حق.

كما ينبغي فتح باب التوبة لمن تورَّط منهم في هذا الجرم، ثم تبيَّن له خطؤه وخطيئته، وأن يشجَّع على ذلك، فإنَّ باب التوبة مفتوح، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. والله يحب التوابين ويحب المتطهرين. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

فرغم أنَّهم عذَّبوا المؤمنين والمؤمنات لم يحرمهم من التوبة، ولم يغلق بابها في وجوههم لو أرادوا.

---

(١) زاد المعاد (٣/٣٧١، ٣٧٢)، (٥/٦٤، ٦٥)، وانظر: نيل الأوطار للشوكاني (٨/١٠ ـ ١٢)، تحقيق عصام الدين الصبابطي، نشر دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

فمن صحا ضميره، وأراد أن يكفر عن ماضيــه؛ فباب الجهاد أمامه واسع، عسى الله أن يبدِّل سيئاتهم حسنات، وكان الله غفورًا رحيمًا.

وقد تاب كثير من أهــل الردَّة، الذين ارتدَّوا عن الإســلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، وتبعوا الأنبياء الكذبة من قبائلهم، مثل مسيلمة، وسجاح، والأســود، وحاربوا المســلمين، ثم أعلنوا توبتهم، وعادوا إلى حظيرة الإسلام، وكانوا من أحســن النَّاس بلاءً في حرب فارس والروم، تكفيرًا عن سيئاتهم الماضية. وإنَّما الأعمال بالخواتيم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

في مفهوم الكفر والكافر والموقف منه

س: نودُّ أن نوجِّه إلى إمامنا القرضاوي هذه الأسئلة المهمة، ليجيبنا عنها بما أفاء الله عليه من علم.

أولًا: ما معنى الكفر والكافر في الإسلام؟ وما هو معناه اليوم؟

ثانيًا: تردُّد وصف بلاد الغرب عمومًا بالكفر وأهله بالكفار، وتحديدًا الولايات المتحدة، فهل الأمريكان كفَّار؟

ثالثًا: كيف نتعامل في عالم اليوم مع هؤلاء الكفار كأفراد وكدول؟

رابعًا: هل بالضرورة تكـــون علاقتنا بالكفار علاقة قتال وحرب؟ وهل ذلك يبرِّر القيام بعمليات إرهابية ضـــدَّ تلك الدول وأهلها من المدنيين؟

خامسًا: هل تستعاد الحقوق بمثل هذه العمليات؟

سادسًا: هل تنطبق معايير الكفر وتوجه إلى أفراد أو جماعات داخل المجتمعات الإســـلاميَّة من أصحاب الأفكار السياسيَّة المخالفة، أو من أهل الديانات الأخرى؟

مجموعة من المثقَّفين من المغرب

QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أولًا: الكفر له عدة معان، فمن معانيه: «الإلحاد» أي الجحود بوجود الله تعالى، وبرسالات السماء، وبالدار الآخرة. وهذا ما يؤمن به الماديون الذين لا يؤمنون بما وراء الحس، ويقولون: لا إلٰه، والحياة مادة فقط، فهم ينكرون أنَّ للكون إلٰهًا، وأنَّ للإنسان رُوحًا، ويقول قائلهم: ليس صوابًا أنَّ الله خلق الإنسان، بل الصواب أنَّ الإنسان هو الَّذي خلق «الله»! أي أنَّ «الألوهيَّة» فكرة اختلقها الإنسان.

وهؤلاء يُسَمَّون «الدهريِّين» وقد حكى القرآن قولهم: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وهناك كفر آخر هو كفر «الشرك» بالله تعالى، وأصحابه لا يؤمنون بوحدانية الله تعالى، بل يقرُّون بتعدُّد الآلهة مع الله أو من دون الله، ويتخذون مع الله آلهة أخرى من الأفلاك كالشمس والقمر، أو من الحيوانات كالبقر، أو من النبات كالشجر، أو من الجن والبشر، أو من الوثن والحجر. وهذا هو الَّذي شاع في أمم شتى، وأرسل الله الرسل ليحرِّر البشر منه. ولهذا كان النداء الأول في كل رسالة: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وكان العرب في الجاهليَّة على هذا الشرك قبل أن يؤمنوا برسالة التوحيد الَّتي بُعث بها محمد ﷺ.

QaradawiBooks.com

وهناك الكفر بدين الإسلام، وبرسالة محمد ﷺ، فكل مَن لم يؤمن بأنَّ محمدًا ﷺ رسول من عند الله، وأنَّ القرآن كلام الله المنزل عليه من ربه، فهو كافر برسالة محمد، وبالقرآن وبدين الإسلام، وإن كان من أهل الكتاب، أي يهوديًّا أو نصرانيًّا، فكفره هنا ليس بمعنى أنَّه وثني مشـرك، ولا بمعنى أنَّه جاحد ملحد، ولكن بمعنى كفره بدين محمد. فهو من أهل الكتاب حقيقة، ولكنَّه من الذين كفروا من أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١].

وكل ذي دين يعتبـر المخالف لدينه كافرًا به، وهـذا من حقِّه، ولا حرج عليه. ومن المعلوم أنَّ الفاتيكان لا يعترف إلى اليوم بأنَّ الإسـلام دين سماوي.

وفي مؤتمر الحوار الإسلامي المسـيحي الَّذي عقد في القاهرة منذ أسـابيع رفض بعض الإخوة المشاركين اعتبار الإسـلام ضمن الأديان السماوية، واعتبار قيمه ضمن القيم الربانية.

ثانيًا: إذا عرفنا مفهوم الكفر بأحد المعاني الثلاثة السـابقة، استطعنا أن نحكم على الغرب وأهله ـ وخصوصًا الولايات المتحدة ـ بما يناسبها من الكفر الَّذي ذكرناه. فليسـوا كفَّارًا بمعنى أنَّهـم ملحدون، وإن كان منهم ملحدون ومـن لا يؤمنون بأيِّ دين، وليسـوا كفَّـارًا بمعنى أنَّهم وثنيون؛ ولكنَّهم كفار بدين محمد.. وهذه حقيقة لا أحسبهم يجحدونها، وإلَّا لآمنوا به وبكتابه. قال تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمـران: ١١٠]، وأعتقـد أنَّ ما يجري من نزاع بين كثير من المسـلمين والولايـات المتحدة، ليس بسبب الكفر، بل بسبب الظلم، فهم يصفون الأمريكيين بأنَّهم ظالمون،

QaradawiBooks.com

منحازون للصهيونية، مستكبرون في الأرض بغير الحق، كما نراهم اليوم في موقفهم في محاربة ما سمَّوْه «الإرهاب» الَّذي يحددونه على هواهم، ويدخلون فيه كل جماعات المقاومة المشروعة، ثم يقولون: من ليس معنا فهو مع الإرهاب.

ثالثًا: إذا كان لا بدَّ من مسلمين وكفار، فكيف تكون علاقة المسلمين بهؤلاء الذين كفروا بدينهم؟ أهي علاقة حوار أم علاقة صراع؟ أهي علاقة سلم أم علاقة حرب؟ أهي علاقة تعصُّب أم علاقة تسامح؟

أودُّ أولًا أن أقرر أنَّ القرآن لم ينادِ أحدًا من مخالفيه بصيغة «الكفار» بل كان ينادي مشركي مكة بعبارة «يا أيها الناس» وينادي اليهود والنصارى بعبارة «يا أهل الكتاب» باستثناء مرَّة واحدة نادى فيها المشركين بلفظ الكفر، لقطع المساومات في عبادة غير الله، كما كانوا يعرضون على النبي ﷺ، فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦]، وبهذا جمعت السورة في بدايتها بين نهاية التمسك بالتوحيد والرفض للشرك، ونهاية التسامح بختامها: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾.

وأنا شخصيًّا لا أستعمل في كتاباتي ومحاضراتي كلمة «الكفَّار» بل أوثر دائمًا أن أستخدم بدلها «غير المسلمين». وهذا من الجدال بالتي هي أحسن، الَّذي أمرنا به.

ثم أقول ثانيًا: إنَّ علاقة المسلم بمخالفيه في الدين هي علاقة حوار وتسامح وسلام؛ فالمسلم مأمور بحوار غيره في قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، كما أنَّه مطالب بالتسامح مع الآخرين، ومن

QaradawiBooks.com

المعروف أنَّ الإسلام يتسامح مع أهل الكتاب أكثر من غيرهم، حتَّى إنَّه أجاز مصاهرتهم والتزوج من نسائهم، كما أعلن القرآن أنَّ النصارى أقرب مودة للمسلمين من غيرهم. كما قال الرسول في حديثه: «**أنا أولى النَّاس بعيسى ابن مريم في الدُّنيا والآخرة**»[١].

وهناك جملة اعتبارات عقدية وفكرية وخلقية تجعل المسلم رحْبَ الأفق، عظيم التسامح مع مخالفيه. منها:

أ ـ اعتبار أنَّ اختلاف الخلق في الدين واقع بمشيئة الله تعالى المرتبطة بحكمته، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

ب ـ أنَّ الَّذي سيحاسب الكافرين على كفرهم ويجازيهم عليه، هو خالقهم سبحانه، وليس الإنسان، وموعده في الآخرة، وليس في الدنيا، ولذا قال القرآن: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٨، ٦٩]، ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

ج ـ أنَّ الإسلام يحترم الإنسان، ويؤمن بكرامته من حيث هو آدمي، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وروى البخاري عن قيس بن سعد وسهل بن حنيف أنَّهم مروا على رسول الله ﷺ بجنازة «ميت» فقام لها واقفًا، فقالوا: يا رسولَ الله، إنَّها جنازة يهودي! فقال: «**أليست نفسًا؟**»[٢]. فما أروع الموقف، وما أروع التعليل!

---

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣٦٥)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ١٨٩.

QaradawiBooks.com

رابعًا: إنَّ القرآن الكريم حدَّد العلاقة بين المسلمين وبين غيرهم في آيتين من كتاب الله، تعتبران بمثابة الدستور في هذا المجال، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

والمسالمون من الكفار ـ أو من غير المسلمين كما أوثر التعبير ـ لهم البر والقسط من جانب المسلمين، والقسط هو العدل، والبر هو الإحسان، وهو فوق العدل.

العدل: أن تعطي الواجب، والبر أن تعطي فوق الواجب.. العدل أن تأخذ حقك، والبر أن تتنازل عن بعض حقك. ويكفي أنَّ القرآن اختار في معاملة المسالمين من غير المسلمين كلمة ﴿تَبَرُّوهُمْ﴾ وهي كلمة يعبر بها المسلمون عن أقدس الحقوق بعد حق الله، وهي كلمة «بر الوالدين».

فليس بالضرورة إذن أن تكون علاقتنا مع الكفار علاقة قتال وحرب، ما داموا لم يقاتلونا في الدين، ولم يخرجونا من ديارنا، ولم يظاهروا على إخراجنا. وقد قال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].

إنَّما يقاتل المسلمون من يقاتلونهم، ويعتدون على أرضهم وحرماتهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

والقتال في الإسلام له آدابه وأخلاقياته وضوابطه الشرعيَّة، فلا يقتل إلَّا من يقاتل، ولهذا حين رأى النبي ﷺ في إحدى المعارك امرأةً مقتولة،

QaradawiBooks.com

أنكر ذلك، فقال: «**ما كانت هذه لتُقاتل**»[1] ونهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ الكبار، كما نهى خلفاؤه الراشدون: أبو بكر وعمر عن قتل الرهبان في الصوامع، وعن قتل الحرَّاثين الذين لا ينصبون لهم الحرب، وعن قتل التجار وأمثالهم من المدنيين.

خامسًا: لا تُستعاد حقوق المسلمين بالعمليات الإرهابية الَّتي يقتل فيها المدنيون البرآء، الذين لا ناقة لهم في السياسة ولا جمل، بل ربَّما ألَّبت النَّاس على المسلمين، ومن خصائص الإسلام أنَّه لا يقبل مبدأ أنَّ الغاية تبرر الوسيلة، ولا يرضى الوصول إلى الغاية الشريفة إلَّا بالوسيلة النظيفة.

ولقد أصدرت فتوى منذ ما يقرب من عشرين عامًا حرَّمت فيها خطف الطائرات، ولو من أجل نصرة قضية عادلة، لأنَّك تروع برآء لا ذنب لهم، وتعاقب أقوامًا بجرائم غيرهم، ولا تزر وازرة وزر أخرى. ولكن من المهم هنا أن نفرِّق بين ما حدث في تفجيرات نيويورك، وما يحدث من عمليات استشهاديَّة ضدَّ الكيان الصهيوني في إسرائيل. فالمجتمع الإسرائيلي مجتمع عسكري كله، رجاله ونساؤه مجندون، ثم إنَّ الفلسطيني يقاوم الغزاة المحتلين، وحق الدفاع عن الوطن حق مشروع بلا ريب، ثم هو لا يستخدم أحدًا في الهجوم على الأعداء، ولكن يضحي بنفسه، ليرهب عدو الله وعدوه.

سادسًا: قضية تكفير الأفراد والمجتمعات قضية في غاية الخطورة، وقد حذَّر الرسول الكريم من التكفير أشد التحذير، فلا يجوز أن يُتَّهم

(١) سبق تخريجه صـ٢٣٧.

QaradawiBooks.com

أحد من المسلمين بالكفر إلَّا بأدلة قاطعة، لأنَّ إسلامه ثابت بيقين، واليقين لا يزال بالشك، والاحتمال يفسَّر لمصلحة إسلام المسلم، والحكم بالردَّة والكفر على مسلم إنَّما هو من اختصاص القضاء وحده؛ فلا يجوز لأحد أن يجعل من نفسه مفتيًا وقاضيًا ومنفذًا، فيفتي بكفر الشخص ويصدر حكمه عليه بالقتل، ويتولى تنفيذه.

أمَّا غير المسلمين في الوطن الإسلامي، فهم من أهل دار الإسلام، كما قرر الفقهاء.. أي بتعبيرنا المعاصر: مواطنون، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا. ودماؤهم وأموالهم معصومة، وحرماتهم وأعراضهم مصونة، فلا يجوز لأحدٍ الاعتداء عليهم بغير حق، ومن فعل ذلك استحق عقوبة الدنيا، وعذاب الآخرة.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الاستعانة بالمشرك في الحرب

س: في أثناء غزو العراق للكويت حدث خلاف بين علماء الشريعة الإسلاميَّة حول شرعيَّة الاستعانة عسكريًّا بدولة غير إسلاميَّة، فما رأي فضيلتكم في ذلك؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الحق أنَّ الفقهاء قد اختلفوا كثيرًا في موضوع استعانة المسلم بغير المسلم في القتال المشروع، فذهب جماعة من الفقهاء إلى أنَّه لا يجوز الاستعانة بكافر في القتال؛ واستدلوا بقول النبي ﷺ: «**إنَّا لا نَستعينُ بمُشرِكٍ**»[1]. ولأنَّ الكافر لا يؤمَن أن يخون المسلمين أو يغدر بهم، ويُطلع عدوَّهم على عوراتهم.

والقتال في الإسلام ديني الهدف والصبغة، وهو من أرقى ما يتعبَّد به المسلم لربه، بل هو أفضل ما يتطوَّع به، فلا يخلص فيه إلَّا أهل

(١) رواه مسلم في الجهاد (١٨١٧)، وأحمد (٢٤٣٨٦)، عن عائشة.

نسخة خاصة بالمكتبة

الدين أنفسهم، والكفر كله ملة واحدة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]، فكيف يخلص كافر في حرب كافر مثله، لحساب أهل الإسلام؟!

وحكى في «البحر» عن العِتْرة وأبي حنيفة جواز الاستعانة بالكفار، مستدلين بأنَّ النبي ﷺ استعان بصفوان بن أمية يوم حنين، وكان لا يزال على الشرك، استعار النبي ﷺ منه دروعًا[١]. وقال صفوان: لَأن يَرُبَّني رجل من قريش أحب إليَّ من أن يَرُبَّني رجل من هوازن[٢]. وخرجت خزاعة مع النبي ﷺ على قريش عام الفتح، وهم مشركون. وفي حديث ذي مِخْمَرٍ: «**ستصالحون الرُّوم صلحًا آمنًا، وتغزون أنتم وهم عدوًّا من ورائكم**» الحديث[٣].

والذي يترجَّح لي أنَّه يجوز الاستعانة بغير المسلم في القتال المشروع بضوابط وشروط منها:

أن تتحقَّق الحاجة إلى ذلك، فإذا لم توجد هذه الحاجة، بأن كان المسلمون من العدد والعدة والقوة، بحيث يمكنهم الظفر بأعدائهم، فلا مبرِّر للجوء إلى ذلك عملًا بحديث: «**دَع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك**»[٤].

---

(١) رواه أحمد (١٥٣٠٢)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود في البيوع (٣٥٦٢)، والنَّسائي في الكبرى في العارية (٥٧٤٧)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (١٥١٣)، عن صفوان بن أمية.

(٢) رواه أبو يعلى (١٨٦٣)، وابن حبان في السير (٤٧٧٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. عن جابر بن عبد الله.

(٣) رواه أحمد (١٦٨٢٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٦٧)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٨٩)، وابن حبان في التاريخ (٦٧٠٨)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤٢١/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن ذي مخبر، ويقال: ذو مخمر بن أخي النجاشي.

(٤) رواه أحمد (١٧٢٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في صفة القيامة والرقائق =

QaradawiBooks.com

ومنها الاطمئنان إلى حسن ولاء المُستَعان بهم للمسلمين، وعداوتهم لأعدائهم، وإلَّا كانوا أخطر عليهم من عدوهم المحارب.

وألَّا يكون داعية إلى دينه أو نحلته، فيفسد عقول المسلمين، أو يبلبل أفكارهم، في وقت أحوج ما يكونون فيه إلى صلابة الإيمان، وقوة اليقين، ووحدة الصف.

وألَّا يكون في مركز قيادي يوجه فيه المسلمين ويأمرهم، ويحرِّكهم كما يشاء، بل يكون تحت سلطان أهل الإسلام.

ومع هذا كله ينبغي أن يقتصر استخدامهم على موضع الضرورة أو الحاجة، أخذًا بالحذر، وعملًا بالأحوط، مع دوام اليقظة والاحتراس.

أمَّا استعانة المسلم بغير المسلم على أخيه، فهذه استعانة لا يتوفر فيها أي شرط ممَّا اشترطه الفقهاء لجواز الاستعانة بغير المسلمين.

أولًا: لأنَّها استعانة بالكافر على المسلم.

وثانيًا: أنَّ هذا الكافر غير مأمون على المسلمين، فله مصالحه وأهدافه الإستراتيجية الخاصة في ديار المسلمين.

وثالثًا: أنَّه ليس تحت سلطان المسلمين، ولا خادمًا لهم، بل الواقع أنَّ المسلمين هم الذين كانوا تحت إمرته وسلطانه.

ورابعًا: أنَّ تسمية هذا النوع من التعامل «استعانة بالكافر» هو لون من الخداع للنفس، فالمستعين لا بدَّ أن يكون أصلًا، والمستعان به فرعًا مكمِّلًا. وفي وضع حرب الخليج لم يكن الأمر كذلك البتة. وربَّما يقال: في الواقع إنَّه هو الَّذي استعان بنا، ولم نستعن نحن به.

= (٢٥١٨)، وقال: صحيح. والنَّسائي في الأشربة (٥٧١١)، وصحَّح إسناده الحافظ في التغليق (٢١١/٣)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (١٢)، عن الحسن بن علي.

QaradawiBooks.com

موقف الإسلام من اتفاقيات منظمة الأمم المتَّحدة

س: هل يعتبر انضمام الدول الإسلاميَّة إلى منظمات الأمم المتحدة، والتوقيع على اتفاقاتها إلزامًا شرعيًّا على المسلمين، حتَّى ولو كانت مجحفة لهم؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

نحن ملزمون باتفاقات الأمم المتحدة بأن نفي باتفاقنا معها، الله تعالى يقول:

﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١]. والنبيُّ ﷺ يقول: «**المسلمون على شروطهم، إلَّا شرطًا حرَّم حلالًا، أو أحلَّ حرامًا**»(١).

(١) رواه الترمذي في الأحكام (١٣٥٢)، وقال: حسن صحيح. وقال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير (١٥٨٨) بعد أن ذكر تصحيح الترمذي: في هذا نظر؛ فكثير (ابن عبد الله) أجمعوا على ضعفه. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٥٨/٥): وكثير بن عبد الله ضعيف عند الأكثر، لكن البخاري ومن تبعه كالترمذي وابن خزيمة يقوون أمره. وقال في بلوغ المرام =

QaradawiBooks.com

فالأشـــياء الَّتي تحلُّ الحـــرام، أو تحرِّم الحلال، لســـنا ملزمين بها، ولذلك رفضنا في مؤتمر الســـكان الَّذي عقد بالقاهرة في صيف ســـنة ١٩٩٤م الأشياء الَّتي ضدَّ الإســـلام، واتفق الأزهر والفاتيكان على رفض هذه الأشـــياء، ووقفا معًا ضد إباحة الإجهاض، وضدَّ الشذوذ الجنسي، وإباحة الأســـرة من جنس واحد، نحن لسنا ملزمين أن ننفِّذ هذه الأشياء الَّتي لا تقبلها شريعتنا.

فما يخالف شـــريعتنا نرفضه، والأمور العامة نوافق عليها، فنقبل الحرية والإخاء والمســـاواة، وإقامة العدل بين البشـــر، والوقوف مع الضعيـــف ضـــد القوي، ومـــع المظلـــوم ضـــد ظالمـــه، والحصانة الدبلوماسية للسفراء والقناصلة، فهم في بلادنا آمنون، ونحن نحترم هذا، وهم يعاملوننـــا بالمثل، فالمعاملة بالمثـــل مبدأ، ولكن لو كان هناك مبدأ أو شـــرط أو اتفاق حرَّم حلالًا، أو أحلَّ حرامًا، أو أسقط فريضة، فهذا لا نقبله.

* * *

= (٨٧٦) بعد أن ذكر كلام الترمذي: وأنكروا عليه... وكأنه اعتبره بكثرة طرقه. وقال الألباني في الإرواء (١٣٠٣): صحيح لغيره.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

لجوء الدول الإسلاميَّة إلى محكمة العدل الدولية

س: العديد من الدول الإسلاميَّة لجأت إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي؛ لفض المنازعات والخلافات، سواء أكانت النزاعات بين الدول الإسلاميَّة بعضها مع بعض، أو بين دولة إسلاميَّة وأخرى غير إسلاميَّة، حتَّى إنَّ قطر والبحرين لجآ إليها في حل نزاع حدودي بينهما، فهل تعتبر قراراتها ملزمة وواجبة التنفيذ؟ وهل ينطبق مفهوم الطاغوت الَّذي ورد في الآية الكريمة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] على هذه المحكمة؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

المسلمون أعضاء في هيئة الأمم المتحدة، ووافقوا على المجالس والمؤسسات والهيئات التابعة لها، ومن هذه المؤسسات محكمة العدل الدولية، الَّتي تفصل في المنازعات الَّتي تحدث بين الدول بعضها وبعض، إذا لم تستطع أطراف النزاع حلَّها وديًّا، أو بالتحكيم الإقليمي،

QaradawiBooks.com

وهذه المحكمة فيها قضاة المفترض أنَّهم محايدون، ومن دول شتى، وكان فيها في وقت من الأوقات قاضٍ مصري، هو الدكتور عبد الحميد بدوي رَحِمَهُ اللَّهُ، والآن فيها قضاة من بلاد عربية وإسلاميَّة، فلا مانع أنَّنا نحتكم إلى هذه المحكمة.

صحيح أنَّ الأولى بنا أن تكون لنا محاكمنا الخاصة، أولى بالعرب أن تكون لهم محكمة عدل عربية، تحكم في المنازعات بين البلاد العربية بعضها وبعض، وأن نرضى بحكمها، ونعيِّن نحن قضاتها، ونختارهم من أشرف النَّاس ونبهائهم، ومن المعروفين بالنزاهة وقوة الشخصية، ومن الذين لا يتأثرون بأحد، ولا يحابون أحدًا، ولا يعملون على إرضاء أحد، بل يعملون لإرضاء الله وحده.

وكذلك الدول الإسلاميَّة ينبغي أن تكون لهم محكمة عدل إسلاميَّة، تحكم في المنازعات بين البلاد الإسلاميَّة بعضها وبعض، ولا ينبغي أن نترك النزاعات بين دولنا العربية أو الإسلاميَّة تتفاقم، وكم من النزاعات على الحدود بين الدول العربية، لم تحل إلى الآن.

فالذي أرجِّحه وأفضِّله أن يكون للعرب محكمة عدل دولية عربية خاصَّة، تفصل في المنازعات بينهم، هذا هو اللائق بأمة العرب، وكذلك أمة الإسلام تكون لهم محكمتهم الإسلاميَّة، الَّتي تحكم بين المسلمين، وتحكِّم الشريعة الإسلاميَّة بينهم.

ولكن إذا لم توجد للعرب ولا للمسلمين هذه المحكمة الخاصة بهم، فهم مضطرون إلى اللجوء إلى المحكمة الدولية، الَّتي رضيناها باعتبارها من لوازم الأمم المتحدة ومؤسساتها، ولا يكون هذا من باب الاحتكام إلى الطاغوت؛ لأنَّ الطاغوت هو الَّذي يحكم بغير ما أنزل الله،

QaradawiBooks.com

ويرفض ما أنزل الله ﷻ، وهذه المحكمة تحكِّم القوانين الدولية، ومعظم هذه القوانين متفقة مع الإسلام، بل إنَّ كثيرًا من أسس ما يُسَمَّى «القانون الدولي» مستقاة من تراثنا الفقهي، بل إنَّ الإمام محمد بن الحسن الشيباني، صاحب أبي حنيفة، يعتبرونه واضع أسس القانون الدولي، فالقوانين الدولية في معظمها تلتقي مع الشريعة الإسلاميَّة.

وعمل المحكمة الدولية هو التحكيم في النزاعات بين الدول، مثلًا: إذا حدث خلاف حدودي بين دولتين على منطقة متنازع عليها، تبحث المحكمة الدولية، وتنظر في مستندات كل دولة وأدلتها، الَّتي تثبت أنَّ هذه المنطقة ضمن سيادتها وفي نطاق حدودها، ويقارنون بين مستندات الطرفين، ويبحثون في الناحية التاريخية، وبعد النظر في هذه القضايا والملابسات، يصدرون الحكم.

هذا ليس احتكامًا إلى الطاغوت كما يظنُّ الأخ أو يتوهم، بل هو احتكام إلى العدالة الطبيعية، الَّتي يحتكم إليها الناس، الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. النَّاس هم الذين يقومون بالقسط، يتعلَّمون من الكتاب الَّذي أنزله الله، ومن الميزان الَّذي أنزله الله، ميزان الفطرة والعدالة، فيقيمون العدل بأنفسهم، وهذه المحكمة أشبه بحلف الفضول ـ لكن في صورة أوسع نطاقًا ـ الَّذي أقرَّه الرسول ﷺ وأثنى عليه حين قال: «**لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جُدعان حِلْفًا، ما أحبُّ أنَّ لي به حُمْر النَّعَم، ولو أُدعَى به في الإسلام لأجبتُ**»[1].

(١) رواه البيهقي في قسم الفيء والغنيمة (٣٦٧/٦)، عن طلحة بن عبد الله بن عوف. وقال ابن حجر في نتائج الأفكار (٩/٥): وهذا مرسل، وقد وصله الواقدي من وجه آخر فقال: عن =

QaradawiBooks.com

فلا أرى حرجًا في الاحتكام إلى محكمة العدل الدولية، في المنازعات بين البلاد العربية بعضها مع بعض، وإن كُنَّا نتمنَّى أن توجد محكمة عربية تحكم في النزاعات بين الدول العربية، كالخلاف الَّذي كان بين قطر والبحرين، والذي ذكره الأخ السائل، وهذان بلدان شقيقان، بينهما من الروابط ما بينهما، روابط القربى والجوار والمصاهرة، حتَّى إنَّ بعض القبائل نصفها هنا ونصفها هناك، وكذلك بين الجزائر والمغرب، وبين مصر والسودان، نتمنَّى أن تكون هناك محكمة تحكم بين العرب وبين المسلمين بعضهم وبعض، فإذا لم يكن هذا فنحن مضطرون إلى أن نُحكِّم محكمة العدل الدولية.

* * *

= طلحة، عن عبد الرحمٰن بن أزهر، عن جبير بن مطعم. ووصله الزبير بن بكار من حديث عائشة. وسند كل منهما ضعيف، لكن يتقوى بهما المرسل.

QaradawiBooks.com

توقيع الدولة الإسلاميَّة على لائحة حقوق الإنسان

س: هل يعتبر توقيع الدول الإسلاميَّة على لائحة حقوق الإنسان ملزمًا بتنفيذ موادها داخل هذه الدول، حتَّى لو كانت تعارض القوانين، أو أحكام الشريعة الإسلاميَّة، مثل الحرية الجنسيَّة، أو حرية المعتقد الَّتي قد تؤدي إلى الردَّة عن الإسلام؟

وهل كان لكم موقف تجاه مؤتمر السكان في القاهرة سنة ١٩٩٤م، ومؤتمر المرأة في بكين سنة ١٩٩٥م؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

نعم كان لي موقف معارض لهذين المؤتمرين، وفي مصر ألقيتُ عدة محاضرات في بعض النقابات المهنية حول هذا الموضوع، وفي قطر خطبتُ خطبة جمعة في مسجد عمر بن الخطاب عن مؤتمر القاهرة، وعن مؤتمر بكين.

وأقول: نحن نقرُّ من لائحة حقوق الإنسان ما يوافق ديننا ومعتقداتنا،

QaradawiBooks.com

نقرُّ حرية الرأي، وحرية القــول، وحرية النقد، وحرية التنقل، والحريات المدنيَّة، كحرية اختيار الإنســان عملَه، وحرية الإنســان داخل مسكنه، وهذه الحريات ســبق به الإســلام، وقد كلفتني اللجنة الثقافية لمنظمة المؤتمر الإســلامي، فوضعتُ ميثاق حقوق الإنسان في الإسلام، وكان ذلك بمناسبة قدوم القرن الخامس عشر الهجري، وقدَّمتُ هذا المشروع، وعُدِّلت فيه بعض التعديلات، وأُخــذ ببعضه، ولم يؤخذ ببعضه الآخر، فنحن مع حقوق الإنسان جملة.

أمَّا ما يراه غيرنا حقوقًا للإنسان، ونرى فيه مخالفة لديننا ومعتقداتنا وشــريعتنا، وأخلاقنا وقيمنا، فنعارضه، كدعوتهم إلى المساواة المطلقة بين الرجــل والمرأة، بحيث تضيع قوامة الرجل على الأســرة، ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]. أو تجعل المرأة ترث كما يرث الرجل، أو تحرِّم على الرجــل الطلاق، أو تحــرِّم عليه تعــدد الزوجات، فهذه لا نقبلها؛ لأنَّها تحرِّم ما أحل الله، وتحل ما حرَّم الله.

ولذلك وقفنا ضدَّ مؤتمر الســكان في القاهــرة؛ لأنَّه كان يدعو إلى الإباحية الجنســيَّة، يريد أن ينشــأ أبناؤنا على الإباحة الجنسيَّة، وليس للآباء أن يتدخلــوا، ولا للأمهــات أن يتدخلن، رفضنــا ذلك، ورفضه الأزهر، ورفضته الكنيســة، ورفضه الفاتيكان، وكذلك الإجهاض، أراد مؤتمر القاهرة أن يكون مباحًا إباحة مطلقة، ووقفنا جميعًا ضده.

ولذلك نحن مع حريَّة الإنســان، ومع حقوق الإنســان، ومع كرامة الإنسان، ومع كل ما تقرِّره الأمم المتحدة، وما تقرِّره الدساتير الحديثة، وما تقرِّره مواثيق حقوق الإنسان، إلَّا ما حرَّم حلالًا، أو أحل حرامًا، أو أســقط واجبًا، فنحن لا نقبله؛ لأنَّنا نعلم أنَّ الله لا يحرِّم إلَّا ما فيه ضرر

QaradawiBooks.com

على الناس، ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. ولا يوجب الله على النَّاس إلَّا ما فيه منفعتهم في دينهم ودنياهم، وفي أولاهم وأخراهم، فما خالف ذلك وناقضه فنحن لا نقبله بحال.

* * *

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

التنازل عن القدس خيانة لله ورسوله وللأمَّة كلِّها

س: نريد من سماحتكم بيان حكم الشرع في موقف الرئيس ياسر عرفات من رفضه التنازل عن «القدس الشريفة» بما فيها من مقدسات إسلاميَّة ومسيحيَّة مثل المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، ومسجد عمر بن الخطاب، وغيرها من الأوقاف الإسلاميَّة كما أنَّ فيها كنيسة القيامة، وطريق الآلام الَّذي مشى فيه المسيح عليه السلام، وغير ذلك من المقدسات المسيحيَّة.

وهل كان يسع الرئيس عرفات أن يتنازل عن القدس، استجابةً للضغوط الأمريكيَّة والإسرائيليَّة؟ وهل يسع العرب والمسلمين في أنحاء العالم السكوت عن هذه الفعلة لو ارتكبت؟

شباب من أبناء غزة

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لا يجوز للرئيس ياسر عرفات، ولا غيره أن يتنازل عن أيِّ جزءٍ من أرض الإسلام، فأرض الإسلام ليست ملكًا لرئيس ولا لأمير، ولا لوزير ولا لجماعة من الناس، حتَّى نتنازل عنها تحت أي ضغط أو ظرف؛ وإنَّما

QaradawiBooks.com

الواجب على الأفراد والجماعات الجهاد والنفير، والمقاومة لتحرير أي أرض احتلها الأعداء، أو لاستعادتها إذا اغتصبها مغتصب، والأمة كلها مسؤولة بالتضامن عن ذلك، لا يملك حاكم ولا محكوم التفريط في هذا الأمر!

وإذا عجز جيل من أجيال الأمة أو تقاعس، فلا يجوز له أن يفرض عجزه أو تقاعسه، على كل أجيال الأمة القادمة إلى يوم القيامة، فيتنازل عمَّا لا يجوز له التنازل عنه.

ولهذا أصدرنا فتوانا بتحريم بيع الأرض للأعداء، أو قبول التعويض عن أرض فلسطين بالنسبة للاجئين المشرَّدين في أنحاء العالم، ولو بلغ ما بلغ من المليارات، فأوطان الإسلام لا تقبل البيع ولا التنازل أو التعويض عنها بحال من الأحوال. ومن فعل ذلك فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين.

وإذا كان هذا الحكم في شأن أي أرض إسلاميَّة، فكيف إذا كانت هذه الأرض هي القدس الشريف، أولى القبلتين، وبلد المسجد الأقصى، وثالث المدن المعظمة في الإسلام بعد مكة والمدينة، والأرض الَّتي انتهى إليها الإسراء، وابتدأ منها المعراج. وحسبنا في فضلها قول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١].

ولهذا كان للقدس مكان في قلب كل مسلم، في المشرق أو المغرب، تمس شغافه، وتتغلغل في أعماقه، حبًّا لها، وحرصًا عليها، وغيرةً على حرماتها، واهتمامًا بشأنها. ومن أجلها أصبحت قضية فلسطين هي قضية المسلمين الأولى، لها يفزعون، وعليها يحافظون، وفي سبيلها يدافعون ويقاتلون، ولا يضنون عليها بنفس ولا نفيس.

QaradawiBooks.com

والقدس هي رمز قضية فلسطين، المشـير إليها والمعبر عنها، وهي جوهر القضية وروحها، وهي كما قال القائل[١]:

فمـا معنـى فلسطيـنٍ بـلا أقصـى ولا قُـدْسِ؟
فلسطيـنُ بـلا قـدسٍ كجثمانٍ بـلا رَأْسِ!

ولقد أحسـن الرئيس عرفات في رفضه المساومة على القدس في قمة «كامب ديفيد» الثانية، وإن أخفقت وفشلت هذه القمة، فهذا الفشل هو عين النجاح، ولا غرو أن يُستقبل عرفات بعد عودته بكل الترحاب والتكريم.

وقال عرفات في ذلك كلمة حق تحسـب له، في رفض التنازل عن القدس: حتَّى إذا كان في ذلك قتلي، فلأن أقتل بيد إسـرائيلي متعصب خير من أن أقتل بيد عربي مسلم!

إنَّ القدس ليسـت ملك الفلسـطينيين وحدهم، إنَّها ملك المسـلمين جميعًا، عربهم وعجمهم، كما أنَّها ملك العرب كافة، مسلميهم ومسيحيِّيهم.

ولا يجوز للفلسـطينيين وحدهـم أن يتصرَّفوا فـي مصير القدس، ويفتئتوا على المسـلمين في أنحاء الأرض. وهـذا بالتالي يوجب على المسـلمين ـ حيثما كانـوا ـ أن يقومـوا بواجبهم في الدفـاع عن بيت المقدس، والمسـجد الأقصى، وهذا فرض عليهم جميعًا، يتكافلون في الذود عنه بأنفسهم وأموالهم، وكل ما ملكت أيديهم، وإلَّا حقَّت عليهم عقوبة الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا

(١) انظر القصيدة بكاملها في ديواننا: المسلمون قادمون صـ ٩٣ ـ ٩٧، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩].

وكثيرًا ما سألني شباب مسلمون في جولاتي المختلفة في بلاد الإسلام، وضعوا رؤوسهم على أكفهم، وقالوا بحرارة وحرقة: كيف نبرئ ذمَّتنا ونسقط الفرض الواجب في أعناقنا في الدفاع عن القدس؟ وكيف الطريق إليها؟

ولقد رأينا كيف هاج العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، حينما حاول يهودي متعصب إحراق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩م، فتنادى المسلمون في كل مكان، وعقدت القمة الإسلاميَّة الأولى، الَّتي انبثق عنها إنشاء «منظمة المؤتمر الإسلامي».

وحينما احتلَّ الصليبيُّون القدس قديمًا، كان الذين عملوا على تحريرها مسلمين من غير العرب، مثل عماد الدين زنكي التركي، وابنه نور الدين محمود الشهيد، وتلميذه صلاح الدين الأيوبي الكردي، الَّذي تحرَّرت القدس على يديه.

ولا يزال المسلمون في كل مكان ـ أكثر من مليار وثلث ـ مستعدين للبذل والتضحية من أجل القدس العزيز، وهذا ما لمسته لدى كل الشعوب الَّتي زرتها، ابتداءً من الفليبين وإندونيسيا في الشرق، إلى المغرب العربي في الغرب، وإن لم ينعكس هذا بصورة قوية وواضحة لدى حكام المسلمين للأسف، فمعظمهم من أسرى الاستعمار الثقافي، وعبيد الفكر الغربي، هذا إن كان لديهم فكر ما، وكثير منهم إنَّما أكبر همه البقاء في «كرسيِّ الحكم» الَّذي أمسى لهم صنمًا معبودًا، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

QaradawiBooks.com

ومع هذا لا يستطيع هؤلاء الحكام إلَّا أن ينافقوا شعوبهم، ويعلنوا عن تمسُّكهم بالقدس، لترضى عنهم الجماهير المسلمة.

إنَّ القدس جزءٌ عزيز من دار الإسلام، وأرض الإسلام، ووطن الإسلام، وقد صار للمسلمين فيها أربعة عشر قرنًا من الزمان، ولم يأخذوها من اليهود، فقد انتهى الوجود اليهودي فيها منذ مئات السنين، كما انتهت دولتهم قبل ذلك بمئات السنين، فلم تقم لليهود دولة في فلسطين إلَّا بضع مئات من السنين، وكان العرب اليبوسيون والكنعانيُّون فيها منذ آلاف السنين.

لقد تسلَّم عمر بن الخطاب القدس من «بطريركها» النصراني صفرنيوس، وكان ممَّا شارط عليه عمر: ألَّا يساكنهم فيها يهود!

إنَّ السيادة على القدس يجب أن تكون إسلاميَّة عربية فلسطينيَّة، وهذا لا يمنع المسيحي، كما لا يمنع اليهودي، أن يقيم شعائر دينه فيها بكل حرية وسماحة، عرف بها الإسلام على توالي العصور.

على أنَّ القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة ومجلس الأمن ـ رغم تحيُّزها في كثير من الأحيان ضد العرب والمسلمين ـ تؤكِّد أنَّ القدس ضمن الأراضي العربية المحتلة منذ سنة ١٩٦٧م.

ومن ثم نجد الأدلة كلها من التاريخ ومن الدين ومن القانون الدولي: متضافرة على إثبات حقِّ الفلسطينيين في القدس. ويجب أن يكون موضوع «القدس» هو البند الأول في جدول أعمال «القمة الإسلاميَّة» الَّتي ستعقد في دولة قطر في شهر نوفمبر سنة ٢٠٠٠م.

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

QaradawiBooks.com

قبول التعويض عن أرض فلسطين من أكبر الكبائر

س: لعلَّ فضيلتكم قد تابعتم ما يدور الآن في دهاليز السياسة، وصفقات المفاوضات بين الفلسطينيين والصهاينة الإسرائيليين حول القضايا المعلَّقة ـ كما يسمُّونها ـ ومنها: قضية اللاجئين، وحقهم في العودة إلى وطنهم وديارهم الَّتي أُخرجوا منها بغير حق، وشُردوا في أنحاء الأرض، ورغم قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن، في إعطاء اللاجئين حق العودة إلى ديارهم وبيوتهم، فإنَّنا نرى إسرائيل تتنكَّب عن هذا الحق اليقين، وتريد أن تعيد ألوفًا محدودة، بقيود وشروط وضعتها هي، أمَّا الملايين الأربعة المشردون في العالم ـ وربَّما كانوا أكثر ـ فلا حق لهم في نظر إسرائيل في العودة، ويمكن أن يُعوَّضوا عن هذه العودة ببعض المليارات من الدولارات، يُعطى بعضها للأفراد، وبعضها للدولة الفلسطينيَّة.

والذي نسأل عنه فضيلتكم هنا، ونريد إجابتكم عنه بصراحة وجلاء: هل يجوز للفلسطيني أن يتنازل عن أرضه لإسرائيل والصهاينة، ويقبل التعويض عنها؛ وإن علا وارتفع، أو لا يجوز ذلك؟

البعض هنا يقول: لنكن واقعيِّين، فما دمنا لا نملك القوة الَّتي نستعيد بها أرضنا، فلنأخذ العوض عنها: نستمتع به، ونستفيد منه، بدلًا من أن تضيع علينا الفرصة، فهل هذا المنطق مقبول شرعًا؟!

QaradawiBooks.com

نرجو البيان بما يشفي الصدور، ويزيح الشكوك، ويزيل البلبلة والحيرة، لدى بعض الناس، الذين يشكِّكهم المشككون، ويوسوس لهم شياطين الإنس والجن.

وفقكم الله تعالى، ونفع بكم المسلمين في كل مكان.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فيجوز للمسلم أن يبيع أرضه الخاصة المملوكة له بما يرضى من الثمن، إذا كان يبيعها لمواطن مثله، كما يجوز أن يتنازل عنها بمقابل مادي أو أدبي، أو بغير مقابل هبة أو صدقة أو نحو ذلك، إذا كان ذلك لمواطن مثله.

وذلك أنَّ الأرض في هذه الحالة تنتقل ملكيتها من يد إلى يد، ولكنَّها تبقى في مجموعها في دائرة الملكية العامة للأمة: أي في دار الإسلام، ولم تنفصل ملكيتها إلى أمة أخرى؛ بحيث تخرج من دار الإسلام إلى دار أخرى.

أمَّا بيع الأرض أو التنازل عنها بأيِّ تعويض ـ مهما علا ـ لأمة أخرى، سواء تمثَّل ذلك في دولة أم في أفرادها، فلا يجوز بحال؛ لأنَّه في هذه الحال يُعطي باختياره من يُعوضه حقَّ نقل ملكية الأرض الإسلاميَّة إلى أمة أخرى، ولا سيَّما أنَّ هذه الأمة هي العدو، الَّذي اغتصب هذه الأرض، وأخرجه منها بالحديد والنار والدم، وبهذا تخرج الأرض الإسلاميَّة من دار الإسلام إلى دار أعدائه.

QaradawiBooks.com

فهــذا ليس مجرد حرام، بل هــو من أكبر الكبائــر، الَّتي تصل بمن يستحلها إلى الكفر الأكبر، والعياذ بالله تعالى.

ويتضاعف الإثم إذا تمَّ ذلك بصفة جماعية، فهو بمثابة بيع شــعب لوطنه في المزاد، والأوطان لا تُباع بملء الأرض ذهبًا.

فكيف إذا كان هذا الوطن بلد المقدســات وأرض النبوَّات، الأرض الَّتي بارك الله فيها للعالمين؟!

ثم إنَّ هذه الأرض ليســت ملك صاحبها، الَّــذي معه صك ملكيتها وحده، بل ليست ملك الشعب الفلســطيني وحده؛ حتَّى يملك بيعها لو أصابه الوهن، وقُبِلَ البيع، بل هي في الواقع ملك الأمة الإســلاميَّة في مشارق الأرض ومغاربها، يجب أن تدافع عنها بالنفس والنفيس.

بل هي ليست ملك هذا الجيل وحده، بحيث لو وهن وتهاون وقبل التفريط في حرماته ومقدســاته؛ فلا يجوز أن يفرض وهنه وهوانه على الأجيال القادمة، ولا يحل له بحــال: أن يتنازل عن أملاك تلك الأجيال وحقوقها وحرماتها لأعداء الأمة.

إنَّ هنــاك تصرفات تجوز للأفراد بأشــخاصهم، وذلــك فيما يتعلق بحقوقهم الفرديَّة، وشؤونهم الخاصة، أمَّا التصرفات الَّتي تتعلق بمجموع الأمة ومصيرها ومنها ملكية الأرض، فلا يملــك فرد ولا أفراد ولا أحد حق التصرف فيها، أو التنازل عنها بحال من الأحوال.

إنَّ الإسلام يفرض على المسلمين فرضًا دينيًّا مؤكدًا أنَّه إذا اغتصب جزء من أرضهم: أي دخله أعداؤهم واحتلوه بالقوة، فإنَّه يجب عليهم أن يقاتلوا لاسترداد هذا الجزء، وطرد العدو منه، مهما كلَّفهم ذلك، ويُعتبر

QaradawiBooks.com

هذا القتال شـــرعًا «فرض عين» على أهل البلد: رجاله ونسائه، حتَّى إنَّ المرأة لتخـــرج إليه بغير إذن زوجهـــا، والابن بغيـــر إذن أبيه؛ لأنَّ حقَّ الجماعة مقدَّم على حقوق الأفراد.

كما يجب علـــى الأمة أن تقاتل إذا أُخرجت مـــن ديارها، وأن تقاتل لتعود إليهـــا، كما قـــال تعالـــى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦].

أمَّا منطق الواهنين، الذين يقولون: نقبل التعويض؛ لأنَّنا لا نملك القوة الَّتي نســـتردُّ بها الأرض، فهذا منطق أوهن من موقفهم نفسه، ومَن لا يملك القوة اليوم، فقد يملكها غدًا، وهو يملك أن يقول: لا، بملء فِيه، وبـــكل قوة، ولا يتنـــازل عن أرضه، كمـــا لا يتنازل عن عرضه، ويملك أن يعدَّ العدة للغد، فإنَّ الأيام دول، ودوام الحال من المحال، والله تعالى يقرِّر هذه الســـنة فيقول: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

أمَّا الجائز لا الواجب للاجئين الفلســـطينيين فهو تعويضهم عن معاناة السنين الطويلة، أكثر من نصف قرن من الزمان عانوا فيها هم وأبناؤهم وأحفادهم، من عذاب الغربة والتشريد والضياع، ممَّا يجعل لهم كل الحق أن يُعوَّضوا عمَّا أصابهم من الأضرار والخسائر الماديَّة والأدبية، والنفســـيَّة والدينيَّة؛ من جراء التشريد والإخراج من الديار، الَّذي جعله القرآن مع القتل في سياق واحد؛ إذ قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ [النساء: ٦٦].

QaradawiBooks.com

لقد كسبت إسـرائيل عشـرات، بل مئات المليارات من الماركات والدولارات وغيرهما من العمـلات، تعويضًا عما أصـاب اليهود فيما زعموا، أو تعويضًا لإسرائيل عن بعض ما تعتبره تنازلًا منها.

فلماذا لا يُعوَّض اللاجئون الفلسطينيون المُعْتَدى عليهم عن عذابهم ومعاناتهم، وهم أحق بهذا التعويض وأهله؟!

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

السلام مع إسرائيل

س: نشرت الصحف فتوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية حول السلام مع إسرائيل، أفادت أنَّ الشيخ الجليل يقرُّ هذا السلام ـ مع ما فيه من ثغرات ـ ما دام ولي الأمر يرى فيه المصلحة، فما تعليق فضيلتكم على ذلك؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز واحد من كبار علماء المسلمين المرموقين في هذا العصر. وفتاواه معتبرة في الأوساط العلميَّة والدينيَّة، وهو رجل يوثق بعلمه ودينه. نحسبه كذلك ولا نزكِّيه على الله تعالى.

ولكنَّه ـ على كل حال ـ ليس بمعصوم؛ فهو بشر يصيب ويخطئ، وقد تعلَّمنا من سلفنا الصالح: أنَّ كل واحدٍ يؤخذ من كلامه ويترك إلَّا النبي ﷺ. ومن أجل هذا جاء التحذير من «زلات العلماء»، ومن «زَيْغة الحكيم» كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه، فيما رواه أبو داود.

QaradawiBooks.com

وقد قال معاذ: احذروا زَيْغة الحكيم، ولا يثنينَّكم ذلك عنه، فإنَّه لعلَّه أن يُراجِع[١].

وفتوى العلَّامة ابن باز الَّتي نشرت حول السلام مع إسرائيل ـ إن صحَّت عنه ـ يخالفه فيها الكثير من علماء المسلمين، وأنا منهم، على الرغم من مودَّتي وتقديري الكبير له. ولكن كما قال ابن القيِّم عن شيخه الإمام الهروي: شيخ الإسلام حبيب إلينا، ولكنَّ الحقَّ أحبُّ إلينا منه[٢]!

في رأيي أنَّ موضع الخطأ في فتوى الشيخ حفظه الله ليست في الحكم الشرعي والاستدلال له، فالحكم في ذاته صحيح، والاستدلال له لا غبار عليه، ولكنَّ الخطأ هنا في تنزيل الحكم على الواقع. فهو تنزيل غير صحيح، وهو ما يُسَمِّيه الأصوليُّون «تحقيق المناط»، فالمناط الَّذي بُني عليه الحكم لم يتحقَّق. وأوضِّح ذلك فيما يلي:

بنى الشيخ ابن باز فتواه على أمرين أو على دليلين:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

الثاني: أنَّ الهدنة تجوز شرعًا: مؤقتة، ومطلقة، وكلاهما فعله النبي ﷺ مع المشركين. فقد صالح النبي ﷺ مشركي مكة على ترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، وصالح كثيرًا من قبائل العرب صلحًا مطلقًا؛ فلمَّا فُتحت مكة: نبذ إليهم عهودهم، وأجَّل من لا عهد له أربعة أشهر.

---

(١) رواه أبو داود في السُّنة (٤٦١١)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤٦٠/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. عن معاذ بن جبل.

(٢) مدارج السالكين (٣٨/٢)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

وعلى أساس هذين الدليلين قال الشـــيخ: يجوز لولي الأمر أن يعقد الهدنة؛ إذا رأى المصلحة في ذلك.

وننظر في الدليل الأول للشيخ العلامة؛ وهو الآية الكريمة من سورة الأنفال، فنقول: لا مشـــاحَّة في أنَّ العدو إذا جنح للسلم؛ ينبغي لنا نحن أن نجنح لها متوكِّلين على الله. ولكن تطبيق هذا على واقع اليهود معنا غير صحيح، لأنَّ اليهود الغاصبين لم يجنحوا للسلم يومًا!

وكيف يعتبر اليهود جانحين للســـلم، بعد أن اغتصبوا الأرض، وسفكوا الدماء، وشـــرَّدوا الأهل، وأخرجوا النَّاس من ديارهم بغير حق؟!

ما مثل اليهود مع أهل فلســـطين إلَّا كمثل رجـــل اغتصب دارك، واحتلها بأهلـــه وأولاده وأتباعه بالقوة والســـلاح، وأخرجك وأهلك وعيالـــك منها، وشـــرَّدك في العـــراء، وظللت أنت وعيالـــك تقاومه وتحاربه، وتقاتله ويقاتلك، لكي تسترجع دارك، وتسترد حقك.. وبعد مدة طالت من الزمن قال لك: تعال أصالحك وأسالمك.. سأترك لك حجرة من الدار الكبيرة ـ دارك أنت ـ على أن تسالمني ولا تحاربني، وتسلِّم لي ولا تنازعني، فســـأترك لك الأرض مقابل سلامي، مع أنَّ الأرض أو الحجـــرة الَّتي ســـيتنازل عنها في زعمه هـــي أرضك أنت مقابل سلامه هو!

فهل يعتبر مثل هذا المغتصب المصر على اغتصابه جانحًا للسلم؟!

إنَّ الآية الَّتي يجب أن نذكرها هنا ليست آية «سورة الأنفال»، بل آية «ســـورة محمد» وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

QaradawiBooks.com

وننظر في الدليل الثاني للشيخ، وهو أنَّ الهُدنة تجوز مؤقتة ومطلقة، فنقول: إنَّ الهدنة معناها وقف القتال، ولكن هـل الَّذي وُقِّع مع اليهود مجرَّد هدنة تترك فيها الحرب، ويوقف فيها القتال، ويكف النَّاس بعضهم عن بعض؟!

الواقع يقول: إنَّ الَّذي حدث بين اليهود والفلسطينيين ليس مجرد هدنة، بل هو شـيء أكبر وأخطر، هو اعتراف لليهود بأنَّ الأرض الَّتي اغتصبوها بالحديد والنار، وشـرَّدوا أهلها بالملايين، أصبحت ملكًا لهم، وأصبحت لهم السـيادة الشـرعيَّة عليها، وغدت حيفا ويافا وعكا واللد والرملة وبير السبع ـ بل القدس نفسها ـ أرضًا إسرائيليَّة. وأنَّ هذه البلاد العربية الإسلاميَّة الَّتي ظلت أكثر من ثلاثة عشر قرنًا مع المسـلمين، صارت جزءًا من دولة إسرائيل اليهودية الصهيونية، ولم يعد لنا حق فيها، ولا حتَّى مجرد المطالبة بها. ومعنى هذا: أنَّ ما أُخذ بالسلاح والقوة اكتسب الشرعيَّة!

ما حدث إذن ليس مجـرد هدنة كما تصوَّر شـيخنا الكريم، بل هو اعتراف كامل بحق إسـرائيل في أرضنا الإسلاميَّة العربية، وفي سيادتهم عليها، وأنَّها خرجت من أيدينا إلـى الأبد! فقد وقعنا على ذلك العقود، وأشهدنا على ذلك الشهود!

إنَّنا هنا نخالف سماحة الشيخ في تطبيق الحكم الشرعي على الواقع الراهن، فهو تطبيق ـ في نظرنا ـ غير سليم.

وقد جـرت عادة الشـيخ معنا في المجمـع الفقهي لرابطـة العالم الإسلامي الَّذي يرأسه سـماحته، ألَّا نفصل في الأمور الَّتي تحتاج إلى رأي الخبراء المتخصصين؛ إلَّا بعد أن نسمع شروحهم، وننصت لآرائهم، ثم يحكم الفقهاء بعد ذلك.

QaradawiBooks.com

هذا ما يحدث في الأمور المالية والاقتصادية حيث يُدْعَى لشرحها خبراء المال والاقتصاد.

وهو ما يحدث في الأمور الطبيَّة، حيث يُدعى لشرحها كبار المتخصصين من رجال الطب، في الفرع الَّذي يُبحث فيه.

ويحدث هذا في الأمور العلميَّة والفلكية، حيث يُدعى الأساتذة المتخصصون فيها، لسماعهم والحوار معهم، قبل أن يحكم أهل الفقه.

وكان على الشيخ الكبير في هذا الموضوع الخطير؛ الَّذي يتعلَّق بعدوٍّ ظللنا نحاربه ـ لبغيه وعدوانه ـ ما يقرب من خمسين سنة بعد قيام دولته، وعشرات السنين الأخرى قبل قيام الدولة: أن يستمع إلى رأي الخبراء في السياسة والسلم والحرب.. الخبراء الثقات المأمونين، الذين لا يدورون في فلك الحكام الخونة أو المتخاذلين، ليعلم منهم: هل جنح اليهود للسلم فعلًا؟ هل ما حدث مجرد هدنة، أم اعتراف كامل يسقط حقَّنا بالكليَّة؟!

والأمر واضح كل الوضوح، فالمغتصب لا يعدُّ جانحًا للسلم حتَّى يردَّ ما اغتصبه إلى أهله، والاعتراف بسيادة المغتصب على ما انتهبه من أرض ليس هو الهدنة الَّتي أجازها الفقهاء ـ مطلقة، أو مؤقتة ـ ومارسها صلاح الدين الأيوبي في حروبه مع الصليبيين أو مع بعضهم، حتَّى مكَّنه الله منهم، ونصره عليهم في «حِطِّين» وفي «فتح بيت المقدس»، بعد أن ظلَّ تسعين عامًا في أيديهم.

لا أريد أن أتطرق إلى موضوع هذا السلام الهزيل النحيل، وما فيه من ثغرات هائلة، فقد أخذت فيه إسرائيل ولم تُعطِ، وأعلنت من أوَّل يوم بكل تبجح: أنَّ القدس الموحَّدة هي العاصمة الأبدية لشعب إسرائيل؛

QaradawiBooks.com

فبقيت مشكلات القدس واللاجئين والمستوطنات والحدود معلَّقة، فماذا حل هذا السلام المزعوم من مشكلات إذن؟!

ومع هذا أنا لا أتحدَّث هنا عن السلام من ناحية الموضوع، ولكن من ناحية المبدأ.. فالسلام بهذه الصيغة مرفوض شرعًا! ولطالما قلت، ولا زلت أؤكد: إنَّ فلسطين كلها أرض إسلاميَّة، فليست هي ملك الفلسطينيين وحدهم؛ حتَّى يتصرفوا فيها دون الأمة الإسلاميَّة، فهي ملك الأمة كل الأمة، في سائر أجيالها، ولو فرَّط جيل وتقاعس لا يجوز أن يفرض تقاعسه وتخاذله على سائر أجيال الأمة المسلمة، لو فرَّط الفلسطينيون وتقاعسوا؛ لوجب على الأمة أن تدافع عن حقها، وتقاتل عن أرضها، وعن مسجدها الأقصى، فإن لم تستطع الدفاع والمقاتلة، فلتخاصم عنها بالبيان والتبليغ. فكيف والفلسطينيون أنفسهم يرفضون هذا الاستسلام، ويقاومونه بكل ما يستطيعون؟!

والمسلمون في ديار الإسلام يعجبون من العرب: كيف تغيَّروا ما بين عشية وضحاها، وجعلوا العدو صديقًا، ووضعوا أيديهم في يد من قاتلهم وقتلهم، وأخرجهم من ديارهم وأبنائهم؟!

والموقف السليم هنا ما حكاه القرآن: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦].

اللهمَّ أرِنا الحقَّ حقًّا وارزقْنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه. آمين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ردُّ العلامة ابن باز
صلح الحُدَيْبِيَة كان مع قريش وهي مغتصبة لأموال المسلمين

إيضاح وتعقيب على مقال فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي المنشور في مجلة «المجتمع» العدد ١١٣٣ الصادرة يوم ٩ من شعبان ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٥/١/١٠م. حول الصلح مع اليهود، وما صدر منِّي في ذلك من المقال المنشور في صحيفة «المسلمون» الصادرة في يوم ٣١ من رجب ١٤١٥هـ جوابًا لأسئلة موجهة إليَّ من بعض أبناء فلسطين.

وقد أوضحت أنَّه لا مانع من الصلح معهم إذا اقتضت المصلحة ذلك؛ ليأمن الفلسطينيون في بلادهم، ويتمكَّنوا من إقامة دينهم.

وقد رأى فضيلة الشيخ يوسف أنَّ ما قلته في ذلك مخالف للصواب؛ لأنَّ اليهود غاصبون؛ فلا يجوز الصلح معهم.. إلى آخر ما ذكره فضيلته.

وإنَّني أشكر فضيلته على اهتمامه بهذا الموضوع، ورغبته في إيضاح الحق الَّذي يعتقده، ولا شك أنَّ الأمر في هذا الموضوع وأشباهه هو كما قال فضيلته ـ يرجع فيه للدليل ـ وكل أحد يُؤخذ من قوله ويترك؛ إلَّا رسول الله ﷺ.. وهذا هو الحق في جميع مسائل الخلاف؛ لقوله الله ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشُّورَى: ١٠]. وهذه قاعدة مجمع عليها بين أهل السنة والجماعة.

QaradawiBooks.com

ولكن ما ذكرناه في الصلح مع اليهود قد أوضحنا أدلته، وأجبنا عن أسئلة وردت إلينا في ذلك، من بعض الطلبة بكلية الشريعة في جامعة الكويت، وقد نشرت هذه الأجوبة في صحيفة «المسلمون» الصادرة في يوم الجمعة ١٤١٥/٨/١٩هـ الموافق ١٩٩٥/١/٢٠م وفيها إيضاح لبعض ما أشكل على بعض الإخوان في ذلك.

ونقول للشيخ يوسف ـ وفقه الله ـ وغيره من أهل العلم: إنَّ قريشًا قد أخذت أموال المهاجرين ودورهم، كما قال الله سبحانه في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]. ومع ذلك صالح النبي ﷺ قريشًا يوم الحُدَيْبِيَة سنة ست من الهجرة، ولم يمنع هذا الصلح ما فعلته قريش من ظلم المهاجرين في دورهم وأموالهم؛ مراعاةً للمصلحة العامة الَّتي رآها النبي ﷺ لجميع المسلمين من المهاجرين وغيرهم، ولمن يرغب الدخول في الإسلام.

ونقول أيضًا جوابًا لفضيلة الشيخ يوسف عن المثال الَّذي مثَّل به في مقاله وهو: لو أنَّ إنسانًا غصب دار إنسان، وأخرجه إلى العراء، ثم صالحه على بعضها.. أجاب الشيخ يوسف بأنَّ هذا الصلح لا يصح.. وهذا غريب جدًّا، بل هو خطأ محض، ولا شك أنَّ المظلوم إذا رضي ببعض حقه، واصطلح مع الظالم في ذلك؛ فلا حرج لعجزه عن أخذ حقه كله.. وما لا يدرك كله لا يترك كله؛ وقد قال الله ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]. ولا شكَّ أنَّ رضا المظلوم بحجرة من داره أو حجرتين أو أكثر يسكن فيها هو وأهله، خيرٌ من بقائه في العراء.

QaradawiBooks.com

وأمَّا قولــه ﷻ: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]. فهــذه الآية فيمــا إذا كان المظلوم أقوى من الظالم، وأقــدر على أخذ حقه؛ فإنَّه لا يجوز لــه الضعف، والدعوة إلى السلم، وهو أعلى من الظالم وأقدر على أخذ حقه.

أمَّا إذا كان ليس هو الأعلى في القوة الحسيَّة؛ فلا بأس أن يدعو إلى الســلم كما صرَّح بذلك الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية[1]. وقد دعا النبيُّ ﷺ إلى السلم يوم الحُدَيْبية، لمَّا رأى أنَّ ذلك هو الأصلح للمســلمين والأنفع لهم، وأنَّه أولى من القتال.. وهو ﷺ القدوة الحسنة في كل ما يأتي ويذر، لقــول الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨]. ولمَّا نقضوا العهد وقدر علــى مقاتلتهم يوم الفتح: غزاهم في عقر دارهم، وفتح الله عليه البــلاد، ومكَّنه من رقــاب أهلها؛ حتَّى عفا عنهم، وتم له الفتح والنصر؛ ولله الحمد والمنة.

فأرجو من فضيلة الشيخ يوسف وغيره من إخواني أهل العلم، إعادة النظر فــي هذا الأمــر بنــاءً على الأدلــة الشــرعيَّة، لا علــى العاطفة والاستحســان. مع الاطلاع على ما كتبته أخيرًا من الأجوبة الصادرة في صحيفة «المسلمون» في ١٤١٥/٨/١٩هـ الموافق ١٩٩٥/١/٢٠م. وقد أوضحت فيها أنَّ الواجب هو جهاد المشركين من اليهود وغيرهم مع القدرة؛ حتَّى يسلموا، أو يؤدوا الجزية، إن كانوا من أهلها، كما دلَّت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبويَّة.

(١) تفســير ابن كثير (٣٢٣/٧)، تحقيق ســامي بن محمد سلامة، نشــر دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

وعند العجز عن ذلك لا حرج في الصلح، على وجه ينفع المسلمين ولا يضرهم، تأسِّـيًا بالنبي ﷺ، فـي حربه وصلحه، وتمسُّـكًا بالأدلة الشرعيَّة العامة والخاصة، ووقوفًا عندها، فهذا هو طريق النجاة، وطريق السعادة والسلامة في الدُّنيا والآخرة، والله المسـؤول أن يوفقنا وجميع المسلمين قادةً وشـعوبًا لكلِّ ما فيه رضاه، وأن يمنحهم الفقه في دينه، والاستقامة عليه، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يصلح قادة المسلمين ويوفقهم للحكم بشريعته والتحاكم إليها، والحذر ممَّا يخالفها.. إنَّه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسـلم على نبينا محمـد، وآله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

جهاد الدفع فرض عين واليهود معتدون ولم يجنحوا للسلم (تعقيب على رد الشيخ ابن باز)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(وبعد)

فقد اطلعتُ على ما كتبه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله، تعقيبًا على ردِّي على الفتوى التي صدرت من سماحته إجابة عن أسئلة وجهتها إليه مجلة «المسلمون» في ٢١ من رجب سنة ١٤١٥هـ، حول السلام مع دولة الاغتصاب الصهيوني (إسرائيل).

ويؤسفني أن أخالف سماحته في تعقيبه، كما خالفته في أصل الفتوى، وليس في العلم كبير، والحق أحق أن يتبع. وقد أكد الشيخ الأصل الأصيل الذي لا يحيد عالم عنه، وهو: أن كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك، إلا النبي ﷺ.

وقد بنيتُ ردِّي السابق على حقيقة مهمَّة ومسلَّمة لدى أهل العلم، وهي أن الفتوى لا تكون صحيحة واقعة موقعها، إلا إذا امتزج فيها فقه النصوص والأحكام بفقه الواقع، فإذا انفصل أحدهما عن الآخر وقع الخلل، وقد ذكرت أن الخلل الذي وقع في فتوى سماحة الشيخ لم يجئ من عدم معرفة النصوص والأحكام، بل من عدم معرفة الواقع على حقيقته.

QaradawiBooks.com

ومعرفة الواقع وفقهه قد يصل إليه الفقيه بنفسه، وقد يحتاج إلى خبراء يقرأ لهم أو يستمع إليهم، كما في الأمور الطبية والفلكية والاقتصادية وغيرها، والقرآن الكريم يقول: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

وكنتُ أودُّ من فضيلة الشيخ أن يرد على ما أثرته واستشكلته في فتواه حفظه الله، ولكنه ردَّ على أمور جانبية وترك الأساس في القضية.

قلت في كلمتي تلك: إن الشيخ استدل بالآية الكريمة: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]. والآية محكمة في نظرنا، والحكم المستنبط منها مُسلَّم في عمومه، ولكن تطبيقه على الواقع غير مُسلَّم، فاليهود لم يجنحوا يومًا للسلم، وإنما هم مغتصبون معتدون، أخذوا الأرض من أهلها بالقوة والسلاح والعنف والإرهاب، وشرَّدوهم منها، وأقاموا دولتهم العنصرية الظالمة عليها.

وقد قلت: إن الغاصب لا يعتبر جانحًا للسلم، إلا إذا ردَّ ما اغتصبه إلى أهله، أما أن يغتصب داري ويسمح لي بحجرة منها أسكنها بإذنه وتحت سلطانه، فليس هذا جنوحًا للسلم بحال. هذا ما قلته ولم أقل: إن من استطاع أن يأخذ حجرة من داره المغتصبة، فليس له أن يأخذها، ويجاهد لأخذ الباقي واسترداده، وهو الذي استنبطه الشيخ من قولي، وقال: إنه خطأ محض. وهو ما لم أقله.

لقد استدلَّ الرئيس المصري الراحل أنور السادات ـ حين عقد اتفاقه مع إسرائيل ـ بالآية الكريمة: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ ...﴾. فقاطعه العرب جميعًا وخوَّنوه، وقالوا: إن اليهود لم يجنحوا للسلم. وأعتقد أن الموقف لم يتغير. بل إن اتفاق عرفات أسوأ من اتفاق السادات، باعتراف الجميع،

QaradawiBooks.com

ومَن نظر في التاريخ، وفي حديث القــرآن عنهم، وفي واقعهم العملي، يجزم بأنهم لم يجنحوا للسلم أبدًا.

كيف وقد رأينــا منهم مذبحة المســجد الإبراهيمــي، وقتل الركع الســجود في بيت الله، وفي شــهر رمضان؟ كما رأيناهم يغتصبون شطر المسجد ويحرمون على المسلمين دخوله؟!

وكيف يعتبر جانحًا للسلم مَن يقيم المستوطنات إلى اليوم في أرض العرب والمسلمين، وينتـزع الأرض الزراعية من أيدي أصحابها وملاكها، ويأتي بالآلات (البلدوزرات) لتســويتها وإلحاقها بأملاك اليهود، وأهل الأرض يصرخون ويستغيثون ولا مغيث؟

كيف يعتبر جانحًا للسلم مَن يقيم الحفريات حول المسجد الأقصى ومن تحته، ويُعِــدُّ العُدَّةَ لبناء الهيكل على أنقاض المســجد، وهو أحد أحلامه الكبرى؟

كيف يعتبر جانحًا للســلم مَن يهدد المنطقة كلَّها بترســانته النووية وأســلحته الكيماوية والجرثومية، ويمتنع عن مجرَّد التوقيع على اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية؟

الحق أن كل البراهين والشــواهد تدل بوضوح علــى أن اليهود في طبيعتهم العــدوان، وفي مخططهــم العدوان، فهم لا يزالــون يحلمون بإســرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل، فإلى أرض خيبر ومواقع بني قينقاع وقريظة والنضير!

وإنما سعى اليهود إلى هذا الســلام المُدَّعى حين رأوا تنامي الجهاد وحركة المقاومة الإسلامية التي غدت مصدر قلق ورعب لليهود، فأرادوا

QaradawiBooks.com

أن يضربوا الحركة (الأصولية) الفلسطينية بأيدي الفلسطينيين أنفسهم وهو ما نتمنَّى ألا يكون.

وأما ما ذكره الشيخ ابن باز من مصالحة النبي ﷺ لمشركي قريش في الحديبية، وعقد هدنة معهم لعشر سنين، مع ظلمهم للمسلمين في دورهم وأموالهم، واستدلاله بذلك على جواز ما يصنع اليوم مع إسرائيل، فهو استدلال مردود، للفرق الشاسع بين الموقفين:

فقريش ليست عنصرًا دخيلًا على مكة، بل الدار دارها، والبلد بلدها، والمسلمون هاجروا إلى الله ورسوله مختارين لنصرة دينهم، لا لدنيا يصيبونها، ولم يكن المشركون يحبُّون هجرتهم، ولهذا هاجروا مستخفين، إلا ما كان من عمر رضي الله عنه. وإن عبَّر القرآن عن ذلك بأنهم: ﴿أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ [الحشر: ٨]. لما كان عليهم من التضييق والإيذاء.

بخلاف إسرائيل، فهي كيان دخيل على المنطقة، احتلَّ الأرض، وأقام عليها دولته، وشرَّد أهلها، وفرض على العرب والمسلمين دولة دخيلة معادية في قلب دار الإسلام ووطن العرب.

ثم إن ما فعله الرسول الكريم معهم ليس أكثر من مهادنة تتوقَّف فيها الحرب بين الفريقين مدة من الزمن، وهذا ما يمكن قبوله للضرورة أو للمصلحة، إذا رأى ذلك أهل الحل والعقد. أما الذي حدث مع اليهود فهو ـ كما ذكرنا من قبل ـ شيء أكبر وأعظم؛ إنه اعتراف بحق اليهود فيما اغتصبوه من أرض، وأنه غدا جزءًا من دولتهم، وأن لهم حق السيادة عليه، وأن سلطانهم عليه سلطان شرعي، وأنه لم يعد لنا حق شرعي في المطالبة به، وناهيك بالجهاد لاسترداده، بعد أن وقعنا على ذلك العقود،

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وأشهدنا الشهود من الدول الكبرى والأمم المتحدة! وهذا ما لم يرد عليه الشيخ الجليل سدده الله.

وأما استشهاد الشيخ بقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ [النساء: ١٢٨]. فليس على إطلاقه، فالصلح الذي يُضَيِّع حقوق الأمة، أو يملِّك أرض الإسلام لغاصبيها ليس خيرًا، وفي الحديث المعروف الذي رواه الترمذي: «**الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحًا حرَّم حلالًا، أو حلَّل حرامًا**»[(١)]. فحتى الصلح بين المسلمين ليس خيرًا بإطلاق، بل هو مقيَّد بقيود لا تخفى على أهل العلم.

وقد عقّب سماحة الشيخ ابن باز على قولي بأن الآية التي ينبغي ذكرها هنا هي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٥]. إن هذا فيما إذا كان المظلوم أقوى من الظالم، وأقدر على أخذ حقِّه، فإنه لا يجوز له الضعف والدعوة إلى السلم، وهو أعلى من الظالم. أما إذا كان ليس هو الأعلى في القوة الحسية، فلا بأس أن يدعوا إلى السلم، كما صرح بذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره[(٢)] اهـ.

وأقول للشيخ: إن سياق الآية لا يدلُّ على ما ذهب إليه، بل الآية تنهى عن الدعوة إلى السلم من منطلق الضعف، لا من منطلق القوة، بدليل عطف الدعوة إلى السلم على الوهن في الآية: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ﴾. ويجوز أن تكون الواو للمعية، والآية تذكرة لهم بأنهم ﴿ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾

(١) رواه الترمذي (١٣٥٢) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢٣٥٣)، كلاهما في الأحكام. عن عوف المزني. ورواه أبو داود في الصلح (٣٥٩٤)، وابن حبان في الصلح (٥٠٩١)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. عن أبي هريرة.

(٢) تفسير ابن كثير (٣٢٣/٧).

QaradawiBooks.com

دائمًا، لأنهم أصحاب الدين الذي يعلو ولا يعلى، فحقُّهم أعلى من باطل المشركين، وتوحيدهم أعلى من شركهم، وحججهم أعلى من شبهاتهم، والعاقبة لهم: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى في سورة آل عمران، وبعد هزيمة أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وما فهمه الشيخ من الآية: أن يحارب المسلمون إذا قووا، ويدعوا إلى السلم إذا ضعفوا لا يشرِّف المسلمين، بل يجعلهم جماعة من الانتهازيين، الذين لا يحكِّمون الاعتبارات الأخلاقية، بل الاعتبارات النفعية وحدها. وهذه في الواقع سوءة خُلقية، وتهمة يبرأ منها الشرفاء.

والمفسرون الكبار يخالفون ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما ذهب إليه، فهذا شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري يقول في تفسير الآية: يقول تعالى ذكره: فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد المشركين، وتجبنوا عن قتالهم.

وقوله: ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥]. يقول: ولا تضعفوا عنهم وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة وأنتم القاهرون والعالون عليهم، والله معكم بالنصر لكم عليهم[١].

ويقول العلامة الألوسي في تفسير الآية: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾: «أي إذا علمتم أن الله تعالى مبطل أعمالهم ومعاقبهم، فهو خاذلهم في الدنيا والآخرة، فلا تبالوا بهم، ولا تظهروا ضعفًا... ولا تدعو الكفار إلى الصلح خورًا وإظهارًا للعجز، فإن ذلك إعطاء الدنية ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ الأغلبون، والعلو بمعنى الغلبة مجاز مشهور. والجملة حالية مقررة لمعنى النهي، مؤكدة

(١) تفسير الطبري (١٨٧/٢٢، ١٨٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لوجوب الانتهاء. وكذا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾، أي ناصركم، فإن كونهم الأغلبية، وكونه ﷻ ناصرهم من أقوى موجبات الاجتناب عن الذل والضراعة»[١].

وما أشار إليه سماحة الشيخ في إيضاحه لجريدة «المسلمون»، من وجوب جهاد المشركين من اليهود وغيرهم ـ مع القدرة ـ حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية، إلخ. فهذا في (جهاد الطلب) لا في (جهاد الدفع).

ونحن الآن في جهاد الدفع ـ دفع العدو المعتدي على أرض الإسلام وأهلها ـ وهو غير جهاد الطلب، حين يكون العدو في دياره، لا في ديارنا، ونحن نتعقبه من باب (الحرب الوقائية)، وهذا هو الذي قرَّر الفقهاء أنه فرض كفاية بخلاف جهاد الدفع، فهو فرض عين على مَن وقع عليه، ثم على مَن يليه، حتى يشمل الأمة كافة. وعلى جميع المسلمين مساعدته حتى ينتصر على عدوه، ويخرجه من دياره.

وأما ما ذكره الشيخ أكرمه الله من أن أولي الأمر إذا اجتهدوا فيما رأوا فيه المصلحة فعلينا إطاعتهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩]، فأولوا الأمر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من الفقهاء الكبار: أصحاب الأمر وذووه، وهم الذين يأمرون الناس. وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة، وأهل العلم والكلام، فلهذا كان أولو العلم صنفين: العلماء والأمراء. فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس[٢].

(١) روح المعاني (٨٠/٢).
(٢) مجموع الفتاوى (١٧٠/٢٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومما يدلُّ كذلك قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، فعطف ﴿أُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ على ﴿ٱلرَّسُولِ﴾، وقد كان هو الإمام الأعظم ورئيس الدولة، فدلَّ على أن أولي الأمر جماعة معه، يردُّ إليهم الأمر، كما يردُّ إليه، ووصفهم ـ أو وصف بعضهم ـ بالعلم والاستنباط، وفي هذا دليل على أن ﴿أُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ في المفهوم القرآني أشمل وأوسع من مجرَّد أصحاب السلطة والحكم.

وللشيخ رشيد رضا في تفسير الآية في «المنار» شرح مستفيض يجب الرجوع إليه[1].

وإذا سلمنا بأن أولي الأمر هم الحكام وحدهم، فهذا في حاكم بايعته الأمة على الكتاب والسنة، ووافقه أهل الحل والعقد، وله اليد والقدرة أي السيادة والسلطة على أرضه وشعبه، أما حاكم ليست له سلطة إلا في حدود ما يسمح به أعداؤه له، فليس هذا هو ولي الأمر الشرعي الواجبة طاعته.

على أن الطاعة لولي الأمر الشرعي ليست مطلقة، إنما هي في (المعروف) كما صحَّت به الأحاديث، وكما أشار إليه القرآن فمن أمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة. ومن القواعد المقرَّرة فقها وشرعًا: أن تصرُّف ولي الأمر على الرعية منوط بالمصلحة، فإذا تصرف تصرفًا لا مصلحة فيه، فهو ردٌّ. أي مردود عليه، ولا مصلحة في التنازل عن أرض الإسلام لليهود الغاصبين، والاستسلام لهم إلا إذا كانت مصلحة بني صهيون، فهم المستفيد الأوحد من هذا السلام المزعوم.

(١) تفسير المنار (٥/٢٤٢ ـ ٢٤٦).

QaradawiBooks.com

وأحبُّ أن أنبِّه هنا على أمر ذي بال أشرت إليه من قبل، وهو أن قضية فلسطين ليست قضية عادية، وأرض فلسطين ليست كغيرها، ففيها القدس، والمسجد الأقصى منتهى الإسراء ومبتدأ المعراج، والقبلة الأولى في الإسلام، فليست شأنًا يخص الفلسطينيين وحدهم، وإنما هي قضية الأمة الإسلامية كلها، وقد ربط الله في كتابه بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، فلا يجوز التفريط في أحدهما من مسلم.

وقد حرَّك إشعال حريق المسجد الأقصى العالم الإسلامي كلَّه، وحفز الملك فيصل بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إلى دعوة قادة العالم الإسلامي في صورة مؤتمر قمة لمواجهة المشكلة، ومن خلال ذلك ولدت منظمة المؤتمر الإسلامي لتتحدَّث باسم الأمة الإسلامية.

فماذا يكون الحال اليوم والمسجد الأقصى يتعرَّض لخطر الهدم والضياع بالكلية؟ ورابين يعلن ويكرِّر بتبجُّح وصفاقة: أن القدس الموحدة هي العاصمة الأبدية لإسرائيل.

هذا وإن خلافي مع سماحة الشيخ عبد العزيز لا ينفي ما أكنُّه له من ود واحترام، وظنِّي أنه لم يعرف الواقع السياسي على حقيقته، فجاء حكمه على قدر ما علم. وقد أثبت الواقع أن الفلسطينيين لم يحصلوا أي مصلحة من وراء ذلك السلام المزعوم، وأن المستفيد الأوحد منه هو اليهود.

وإني لأرجو من الشيخ أن يمعن النظر فيما أوردت من أدلة واعتبارات، عسى أن يراجع رأيه، فهو ـ فيما علمت ـ رجَّاع إلى الحق. وقد قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في رسالته الشهيرة في القضاء: ولا يمنعنك قضاء

QaradawiBooks.com

قضيته بالأمس، أن تراجع فيه نفسك اليوم، فإن الحق قديم والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل[1].

اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا ووفقنا لاجتنابه والحمد لله أولًا وآخرًا.

* * *

(١) رواه الدارقطني في الأقضية (٤٤٧١)، والبيهقي في آداب القاضي (١١٩/١٠). وانظر: رسالة عمر في القضاء وشرحها في إعلام الموقعين لابن القيم (٨٥/١) وما بعدها.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

السفر لزيارة المسجد الأقصى

س: هل يجوز السفر لزيارة المسجد الأقصى؛ وهو واقع تحت براثن الاحتلال الإسرائيلي، وذلك رغبة في الأجر المعلوم لمن يصلِّي فيه؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإنَّ الإسلام يفرض على المسلمين أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم؛ لاسترداد أرضهم المغصوبة، ولا يقبل منهم أن يفرِّطوا في أي شبر أرض من دار الإسلام، يسلبها منهم كافر معتد أثيم، وهذا أمر معلوم من الإسلام للخاصة والعامة، وهو مجمع عليه إجماعًا قطعيًّا من جميع علماء الأُمَّة، ومذاهبها كافَّة، لا يختلف في ذلك اثنان، ولا ينتطح فيها عنزان كما يقال!

وهذا الحكم في أي جزء من دار الإسلام، أيًّا كان موقعه، من بلاد العرب أو العجم، فكيف إذا كان هذا الجزء هو أرض الإسراء والمعراج، ومربط البراق، ودار المسجد الأقصى الَّذي بارك الله حوله: أولى القبلتين في الإسلام، وثالث المساجد العظيمة الَّتي لا تشد الرحال إلَّا إليها؟!

QaradawiBooks.com

إنَّ هذا يؤكد وجوب الجهاد والقتال في سبيل الله، والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان.

وإذا قصَّر المسلمون في الجهاد للذود عن أوطانهم، والدفاع عن حماهم، واسترداد ما اغتصب من ديارهم، أو عجزوا عن ذلك لسبب أو لآخر؛ فإنَّ دينهم يفرض عليهم مقاطعة عدوهم؛ مقاطعة اقتصادية واجتماعيَّة وثقافية لعدة أسباب:

أولها: أنَّ هذا هو السلاح المتاح لهم، والقدر الممكن من الجهاد، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فلم يأمرنا الله إلَّا بإعداد المستطاع، ولم يكلِّفنا ما لا طاقة لنا به؛ فإذا سقط عنَّا نوع من الجهاد لا نقدر عليه، لم يسقط عنَّا أبدًا ما نقدر عليه. وفي الحديث الصحيح: «**إذا أمرتكم بأمرٍ، فأتوا منه ما استطعتم**»[(١)].

وثانيها: أنَّ تعاملنا مع الأعداء: شراءً منهم، وبيعًا لهم، وسفرًا إلى ديارهم.. يشدُّ من أزرهم، ويقوي دعائم اقتصادهم، ويمنحهم قدرة على استمرار العدوان علينا، بما يربحون من ورائنا، وما يجنونه من مكاسب ماديَّة، وأخرى معنويَّة لا تقدَّر بمال. فهذا لون من التعاون معهم، وهو تعاون محرَّم يقينًا؛ لأنَّه تعاون على الإثم والعدوان. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

وثالثها: أنَّ التعامل مع الأعداء المغتصبين استقبالًا لهم في ديارنا، وسفرًا إليهم في ديارهم، يكسر الحاجز النفسي بيننا وبينهم، ويعمل

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٨)، ومسلم في الحج (١٣٣٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ـ بمضي الزمن ـ على ردم الفجوة الَّتي حفرها الاغتصاب والعدوان، والتي من شأنها أن تُبقي جذوة الجهاد مشتعلة في نفوس الأمة، حتَّى تظل الأمة توالي من والاها، وتعادي من عاداها، ولا تتولى عدو الله وعدوها المحارب لها، المعتدي عليها، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]. وهذا ما يعبِّرون عنه بـ «التطبيع» أي جعل العلاقات بيننا وبينهم «طبيعيَّة» سمنًا على عسل، كأن لم يقع اغتصاب ولا عدوان؛ وهم لا يكتفون اليوم بالتطبيع الاقتصادي، إنَّهم يسعون إلى التطبيع الاجتماعي والثقافي وهو أشد خطرًا.

ورابعها: أنَّ اختلاط هؤلاء النَّاس بنا، واختلاطنا بهم، بغير قيد ولا شرط، يحمل معه أضرارًا خطيرة بنا، وتهديدًا لمجتمعاتنا العربية والإسلاميَّة، بنشر الفساد والرذيلة والإباحية، الَّتي ربُّوا عليها، وأتقنوا صناعتها، وإدارة فنونها، وما وراءها من أمراض قاتلة فتاكة، مثل «الإيدز» وغيره.. وهم قوم يخطِّطون لهذه الأمور تخطيطًا ماكرًا، ويحدِّدون أهدافهم، ويرسمون خططهم لتحقيقها بخبث وذكاء؛ ونحن في غفلة لاهون، وفي غمرة ساهون.

لهذا كان سد الذرائع إلى هذا الفساد المتوقع فريضة وضرورة: فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتِّمها الواقع.

في ضوء هذه الاعتبارات نرى أنَّ السفر أو السياحة إلى دولة العدو الصهيوني ـ لغير أبناء فلسطين ـ حرام شرعًا، ولو كان ذلك بقصد ما يسمُّونه «السياحة الدينيَّة» أو زيارة المسجد الأقصى، فما كلف الله المسلم أن يزور هذا المسجد، وهو أسير تحت نير دولة يهود، وفي

QaradawiBooks.com

حراسة حراب بني صهيون، بل الَّذي كُلِّف المسلمون به هو تحريره وإنقاذه من أيديهم، وإعادته وما حوله إلى الحظيرة الإسلاميَّة؛ وخصوصًا أنَّه يتعرَّض لحفريات مستمرة من حوله ومن تحته لا ندري عواقبها، إنَّما يدري بها اليهود الذين ينوون أن يقيموا هيكلهم على أنقاضه. ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

إنَّنا جميعًا نَحِنُّ إلى المسجد الأقصى، ونشتاق إلى شدِّ الرحال إلى رحابه المباركة، فإنَّ الصلاة فيه بخمسمائة صلاة في المساجد العادية.

ولكنَّا نبقي شعلة الشوق متقدة؛ حتَّى نصلي فيه إن شاء الله بعد تحريره وما حوله، وإعادته إلى أهله الطبيعيين؛ وهم أمة العرب والإسلام.

ويستطيع المسلم الَّذي يريد أن يكسب أجر مضاعفة الصلاة في المسجد الأقصى: أن يشدَّ رحاله إلى المسجد النبوي الشريف، فإنَّ الصلاة فيه بألف صلاة في المساجد العادية، أي أنَّ أجرها ضعف أجر الصلاة في المسجد الأقصى.

بل يستطيع أن يشدَّ رحاله إلى المسجد الحرام الَّذي هو أفضل بيوت الله على الإطلاق، وأول بيت وضع في الأرض لعبادة الله تعالى.. والصلاة فيه بمائة ألف صلاة فيما سواه إلَّا المسجد النبوي، والمسجد الأقصى.

ومعنى هذا أنَّ الصلاة في المسجد الحرام بمكة المكرمة تعدل مائتي صلاة في المسجد الأقصى، فمن اشتاق إلى المسجد الأقصى اليوم فليطفئ حرارة شوقه بالسفر إلى المسجد النبوي بالمدينة، أو المسجد الحرام بمكة، حتَّى يمكِّن الله الأمة من إعادة الحق إلى نصابه، ورد الأمانات إلى أهلها، ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الروم: ٤].

QaradawiBooks.com

وأمَّا دعوى أنَّ السلام قد حلَّ محل الصراع بيننا وبين بني صهيون، فهي دعوى لا تقوم على ساقين، والقدس لم ترد إلينا، بل لا زال قادة الكيان الصهيوني يعلنون أنَّ القدس هي العاصمة الأبدية لدولتهم، ولا زالوا يزرعون المستوطنات من حولها ويغيرون من معالمها، ولا زال المسجد الأقصى تحت رحمتهم، أو قسوتهم، ولا زال اللاجئون الفلسطينيون مشردين في الأرض.. ولا زال السلام المزعوم كله في مهب الريح، ولا زال.. ولا زال!

هذا لو قبلنا مبدأ السلام مع مغتصبي الأرض، فكيف وهو مرفوض شرعًا، كما بيَّنَّا ذلك في فتاوى سابقة، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

هذا ما أقوله للأمة في هذه الآونة الخطيرة، الَّتي يُراد لها أن يغيب عنها وعيها بقضاياها، وأن تحقن بمخدِّرات من الأفكار تفقدها القدرة على الحركة، بل على التمييز بين الصواب والخطأ، لكنَّ الأخطر من هذا كله أن تجرَّأ بعض من ينتسبون إلى الدين ـ ممَّن فقدوا العلم الواسع، أو التقى الرادع ـ ليفرِّخوا فتاوى تجيز للأمة أن تضع أيديها مختارة في أيدي قاتليها ومغتصبي ديارها، مؤثرين المصالح الآنية الجزئية المحدودة المظنونة، على المصالح الكبرى الأساسية الكليَّة، الدائمة والقطعية. ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

اللهمَّ أرِنا الحقَّ حقًّا وارزُقْنا اتباعه، وأرِنا الباطل باطلًا وارزُقْنا اجتنابَه، اللهمَّ آمين.

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

علاقتنا بإسرائيل
لا موادَّة بيننا وبين القتلة السفَّاحين

س: سمعنا أنَّ سفارة العدو الإسرائيلي في القاهرة، تنوي إقامة مأدبة لإفطار الصائمين الفقراء طوال شهر رمضان، كما أنَّ السفير الإسرائيلي حاول الحصول على فتوى من لجنة الفتوى بالأزهر: تجيز مشروعية إفطار المسلم على نفقة اليهودي، والسؤال الآن شيخنا الجليل: هل يحق لليهودي أن يقيم مأدبة الرحمٰن في رمضان؟ وهل يحقُّ للمسلم الصائم أن يفطر على هذه المائدة؟ وما الرأي فيمن يقبل دعوة اليهودي للإفطار معه على طاولة واحدة؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فقد وضع الإسلام دستورًا للعلاقات مع غير المسلمين، يتمثَّل في آيتين من كتاب الله تعالى في سورة «الممتحنة» حيث يقول سبحانه: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

QaradawiBooks.com

فالإسلام لا ينهانا عن البرِّ والقسط مع المخالفين، إذا كانوا لم يقاتلونا في الدين ولم يخرجونا من ديارنا، وخصوصًا إذا كانوا أهل كتاب، حتَّى إنَّ الإسلام أجاز مؤاكلتهم ومصاهرتهم باعتبارهم أهل دين سماوي في الأصل، وإن حرفوا فيه وبدلوا.

أمَّا المخالفون الذين ينهانا الله تعالى أن نتولاهم ونتودَّد إليهم ونقترب منهم، فهم الذين قاتلونا في الدين، وأخرجونا من ديارنا، وظاهروا على إخراجنا ـ وهذا هو شأننا مع يهود اليوم عامة، والإسرائيليين منهم خاصَّة ـ فهؤلاء قد حادُّوا الله ورسوله، وعادوا أمة الإسلام، وحاربوا العرب والمسلمين، وفرضوا كيانهم الدخيل المغتصب بقوة الحديد والنار، والعنف والدم. فالمعركة بيننا وبينهم قائمة منذ اغتصبوا أرض الإسراء والمعراج، وأسروا المسجد الأقصى، وسفكوا دماء أبناء فلسطين، وأخرجوهم من ديارهم بغير حق إلَّا أن يقولوا: ربنا الله، ولا زالوا إلى اليوم يتبجَّحون ويعلنون بدعاويهم العريضة، وأحلامهم الكبيرة عن «إسرائيل الكبرى» الَّتي طالما قالوا عنها: إنَّها من الفرات إلى النيل، ومن الأرْز إلى النخيل!

ورغم تخاذل «المهرولين» من العرب الذين رفعوا رايات السلام، مخالفين قول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

لا زلنا نرى الصهاينة ـ منذ عهد رابين إلى عهد نتنياهو ـ يعلنون صباح مساء: أنَّ القدس الموحدة هي العاصمة الأبدية لإسرائيل؛ وقد حفروا الأنفاق تحت المسجد الأقصى، ولا زالت الحفريات جارية، ولا ندري تمامًا ما مصير المسجد؟!

QaradawiBooks.com

ولا زالت مشكلة «الاستيطان» اليهودي كما هي، إضافة إلى المشكلات الأساسية المستعصية؛ مثل مشكلة اللاجئين، ومشكلة الحدود، ومشكلة الدولة الفلسطينيَّة؛ الَّتي قال نتنياهو: إنَّها لن تقوم في يومٍ ما!

وهؤلاء الأعداء القتلة السفَّاحون، المغتصبون المحاربون، المستكبرون في الأرض، المغرورون بقوتهم وترسانتهم النووية، المتعزِّزون بأمريكا وقوتها العالمية.. كيف يجوز لمسلم أن يقترب منهم، ويتودَّد إليهم، ويأكل طعامهم، وهو طعام مغموس بالدم، دم إخوانه في القدس والخليل، دم الذين قتلوا من أجل القدس، والذين قتلوا وهم رُكَّع وسجود في المسجد الإبراهيمي، وغيرهم، وغيرهم؟!

بل إنِّي لأعجب كيف يجترئ هؤلاء على مجرَّد الإعلان عن هذا الأمر، وكأنَّهم بذلك يسخرون من أمة العرب، وأمة الإسلام.. يذبحونهم باليمين، ويقدمون لهم الفتات المسموم بالشمال.

إنَّ المسلم الَّذي يصوم رمضان إيمانًا واحتسابًا، لا يتصوَّر منه أن يصوم عمَّا أحله الله تعالى، ثم يفطر على ما حرم الله: على طعام خبيث يقدمه اليهود أكلة الربا والسحت، والذين لا يزالون يغتصبون أراضي الفلسطينيين جهارًا نهارًا كل يوم أمام أعيننا، وعلى مرأى ومسمع من العالم المتحضر!

إنَّ الشعب المصري الَّذي لقَّنهم درسًا لم ينسوه، ولم يستجب لفكرة التطبيع المزعومة هو الَّذي سيعلِّمهم اليوم ـ لو تبجحوا أو فعلوا ـ أنَّه لن يأكل طعامهم، ولن يفسد صومه ويضيع أجره بارتكاب هذه الجريمة؛ في اللحظة الَّتي يقول فيها: ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله.

QaradawiBooks.com

إنَّ السفير الإسرائيلي يظنُّ أنَّه سيستغل فقر بعض المصريين، ليتودَّد إليهم، ونسي السفير أنَّ أفقر مصري أغنى من مليونيرات الصهاينة! وهو ينفر من أولئك الذين لعنهم الله، وغضب عليهم، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت.

ثم ما هذا الكرم الَّذي نزل فجأةً على اليهود، فأمسوا يطعمون الطعام، ويجودون بالمال، وهم أعرق خلق الله في الشحِّ والبخل؛ وكما وصفهم الله بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣] إنَّنا لا نريد من الصهاينة أن يجودوا بالمال، إنَّما نريد منهم أن يردُّوا الأموال الَّتي نهبوها جهرة، أو اختلسوها خفية، إلى أصحابها الشرعيين، إن كانوا صادقين.

ولا أدري كيف اجترأ هؤلاء الأفَّاكون على طلب الفتوى من شيخ الأزهر، ولا أحسب شيخ الأزهر ولا من دونه يجيبهم إلى ما يريدون، وهم في كل يوم يقترفون ما يقترفون من الجرائم والموبقات.

إنَّ الَّذي بيننا وبين هؤلاء الصهاينة: شيء واحد، ولا شيء غيره، ولن يذعنوا لسواه، وهو «الجهاد» في سبيل الله؛ حتَّى نستردَّ الأرض المغصوبة، ونسترجع الكرامة المسلوبة، ونعيد المشردين إلى ديارهم معزَّزين مكرَّمين.

وشهر رمضان بما فيه من ذكريات النصر المبين في يوم الفرقان في بدر، ويوم الفتح الأعظم بمكة: جدير أن يمدَّنا بالأمل والرجاء في غدٍ آتٍ لا ريب فيه، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٤ ـ ٦].

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

عداؤنا لليهود لأنَّهم محتلُّون

س: لقد اطَّلعت في بعض المجلات الإسلاميَّة على كلام لفضيلتكم، مضمونه أنَّ الخلاف بيننا وبين اليهود خلاف سياسي وليس خلافًا عقائديًّا، فكيف يصحُّ هذا القول ودولة إسرائيل لم تقم إلَّا على أساس العقيدة، واليهود لم يتركوا بلادهم ويتعنَّوْا في الهجرة إلى فلسطين، إلَّا من أجل الديانة، وكذلك النصوص الشرعيَّة عندنا تدلُّ على أنَّ صراعنا معهم صراع عقائدي، وأنَّ الجولة الأخيرة معهم إتمام لوعد الله للمسلمين بالتمكين الكامل على وجه الأرض.

وكذلك تقولون ـ يا فضيلة الشيخ ـ بعدم جواز الصلح مع اليهود، فإذا كان الخلاف سياسيًّا وليس عقديًّا، فما المانع من الصلح معهم على أساس التكتيك السياسي؟ أرجو أن تبيِّنوا لنا ـ مأجورين ـ حتَّى يزول عنَّا اللبس، والله يوفقكم ويرعاكم.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة مجانية

(وبعد)

أنا يا أخي قلتُ: إنَّ أساس المعركة بيننا وبين اليهود ليس سببه العقيدة، ولكن سببه الأرض. يعني: نحن لم نقاتل اليهود من أجل أنَّهم حرَّفوا التوراة، أو أنَّهم شبَّهوا الله بخلقه، أو أنَّهم قالوا: يد الله مغلولة. لم نقاتلهم من أجل العقيدة، بدليل أنَّهم عاشوا بين ظهرانينا أهلَ ذمَّة في بلاد المسلمين، وكانوا على عقيدتهم، ولم نقاتلهم، وإنَّما بدأت المعركة بيننا وبينهم عندما خطَّطوا أن يغتصبوا أرضنا، ويقيموا دولتهم على أرضنا.

قامت الحركة الصهيونيَّة، وهي حركة علمانيَّة سياسيَّة، تتخذ الدين مطيَّةً لها، فالذين أنشؤوا هذه الحركة الصهيونية، أرادوا أن يجمعوا يهود العالم الذين شتَّتهم الله، وقطَّعهم في الأرض أممًا، وعاقبهم على إجرامهم وعلى خطاياهم بهذا التقطيع في الأرض والتشتيت.. أرادوا أن يجمعوا شتات اليهود في أرض، وعرضت عليهم في أوَّل الأمر أماكن في البرازيل، أو في الكونغو، وكادوا يقبلون هذا، ولكن وجدوا أنَّهم لن يستطيعوا أن يجمعوا اليهود في هذه البلاد، ففكَّروا في بلدة يمكن أن تجمع اليهود، فقالوا: فلسطين؛ لأنَّ هذه أرض الميعاد بالنسبة لهم، رأوا أنَّ البعد الديني هو الَّذي يستطيع أن يجمع شتات اليهود، وخططوا لذلك.

واجتمع «هرتزل» مؤسس الحركة الصهيونية بزعماء اليهود في مدينة «بال» في سويسرا سنة ١٨٩٧م، في مؤتمر سياسي تخطيطي، قرَّروا فيه أنْ تقوم دولة إسرائيل بعد خمسين سنة، وفعلًا خطَّطوا ونفَّذوا، وبعد واحد وخمسين سنة قامت دولة إسرائيل، قامت في سنة ١٩٤٨م، فقد تتابعت الهجرات الجماعية المخططة الَّتي تأتي من أوربا ومن أمريكا ومن غيرهما إلى فلسطين، وأنشئت المستعمرات، وخصوصًا بعد عهد الانتداب البريطاني.

QaradawiBooks.com

كما نعرف أنَّ بريطانيا في الحرب العالميـــة الأولى، وعدت اليهود الذين ساعدوها في الحرب مساعدات علميَّة وعمليَّة، بإقامة وطن قومي لهم في فلســـطين، على لســـان وزير خارجية بريطانيا فـــي ذلك الوقت «بلفور»، ودخلت بريطانيا سنة ١٩١٧م إلى القدس، وقال القائد البريطاني «اللنْبي» قولته الشـــهيرة: اليوم انتهت الحروب الصليبية. أي: الآن دخلنا بيت المقدس وتمكَّنَّا منه، وبعد ذلـــك تمكَّنُوا، ومكَّنوا اليهود من إقامة مســـتعمرات، وهجرات بالآلاف، وكان اليهود لا تبلغ نســـبتهم خمسة بالمائة من ســـكان فلسطين في أوَّل القرن العشـــرين، وما زالوا يكثرون ويكثرون، حتَّى أصبحوا في ســـنة ١٩٤٨م قوة، لم يكونوا كثرة في العدد ولكن قوَّة في العُدد، ودخلوا فلسطين، وقاوم العرب ما قاوموا.

نحن لم نحارب اليهـــود، بل هم الذين حاربونا، لســـنا نحن الذين قاتلناهم أولًا، فلـــو كان قتالنا إياهم مـــن أجل العقيـــدة لكنَّا نحن من بدأناهم بالقتال، لكن هـــم الذين قاتلونا، هم الذين بـــدؤوا بقتالنا، هم الذين اغتصبـــوا أرضنا، وســـفكوا دماءنا، وشـــرَّدوا أهلنـــا، وفعلوا بنا الأفاعيل، وعملوا المجازر الهائلة في فلســـطين، في دير ياسين وغيرها، فهم الذين قاتلونا، ولسنا نحن الذين قاتلناهم، قاتلونا واغتصبوا الأرض، وشرَّدوا أهلها، من أجل ذلك قامت المعركة.

لا نريد أن نخلط الأمور أيها الإخوة، لو كان القتال من أجل العقيدة فلِمَ لَمْ نُحارب النصارى أيضًا؟ ولماذا لم نقاتل الوثنيين قبلهم؟ لو كانت المســـألة من أجل العقيدة كُنَّا نحارب الوثنيين، وكنَّا نحارب الملحدين الشيوعيين.

الحرب بيننا وبين اليهود من أجل الأرض، فلو أنَّهم ما اغتصبوا أرضنا ما قامت المعركة بيننـــا وبينهم، وما زالـــت الأرض مغتصبة، حتَّى الآن،

QaradawiBooks.com

وحتى بعد تنازل العرب عمَّا قبل (٦٧)، ومطالبتهم بإزالة آثار العدوان، لم يرضَ اليهود، فكيف يكون بيننا وبينهم صلح؟ هم لم يجنحوا للسلم، ما زالوا يقاتلوننا إلى اليوم، فالمسألة ليست مسألة خلاف سياسي.

وليس معنى كلامي هذا أنَّ الدين بعيد عن المعركة، لا، نحن نقاتلهم باسم الإسلام؛ لأنَّ الإسلام يفرض علينا أن نقاتل من يغتصب أرضنا، من يحتل بلادنا، كل مذاهب الفقه الإسلامي سنية وشيعية وإباضية، وكل مذاهب الفقه قديمًا وحديثًا تقول: إذا غزا العدو أرض المسلمين، فعلى أهل البلاد أن يقاوموه، وعلى غيرهم أن يساعدوهم، وإذا عجزوا أو جبنوا أو تقاعسوا يجب أن يقاتِل من بعدهم دفاعًا عن أرض الإسلام، حتَّى لا يأخذ العدو قطعة أرض من أرض الإسلام، فمن أجل هذا نحن نقاتل اليهود.

نحن نقاتل اليهود؛ لأنَّ الدين يفرض علينا ذلك، نحن نقاتل باسم الدين، باسم الإسلام، الَّذي يجعل الجهاد فرض عين إذا دِيس شبر من أرض الإسلام، ويجعل الأمة كلها مشتركة في هذا، ومن قُتل في هذا القتال فهو شهيد، فنحن لا ننحِّي الدين عن المعركة، لا، بالعكس، بل إنَّ تنحية الدين عن المعركة هو سبب هزيمتنا، فنحن نقاتل باسم الإسلام.

نقاتل عن كل شبر يُغتصب من أرض المسلمين في أي مكان كان، فما بالنا بأرض الإسراء والمعراج، أرض النبوات، أرض المسجد الأقصى الَّذي بارك الله حوله؟!

فالدين جزء أساسي في معركتنا مع اليهود، بل اليهود أنفسهم دخلوا المعركة باسم الدين، فلا يجوز لنا أن ندخل المعركة بغير الدين، هم يحاربونا باليهودية فلنحاربهم بالإسلام، يحاربون بالتوراة فلنحاربهم

QaradawiBooks.com

بالقرآن، يقولون: الهيكل. فلنقل: المسجد الأقصى. يقولون: السبت. فلنقل: الجمعة. هكذا ينبغي أن يكون الدين هو قائد المعركة؛ لأنَّنا لا يمكن أن ننتصر إلَّا بهذا.

والأحاديث النبويَّة تشير ـ كما قال الأخ ـ إلى أنَّ الفئة الَّتي ستنتصر هي الفئة المتديِّنة، أهل الإسلام والعبودية لله، لأنَّ النبي ﷺ يقول: «**لا تقوم الساعة حتَّى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتَّى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجرُ أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهوديٌّ خلفي، فتعالَ فاقتلْه، إلَّا الغرقد، فإنَّه من شجر اليهود**»[1]. كل شيء سيكون معنا ضدَّ اليهود في ذلك الوقت، حتَّى الحجر والشجر ينطق، سواء نطق بلسان الحال أو بلسان المقال يقول: «**يا مسلم، يا عبد الله**». لا عبد الشهوة، ولا عبد المرأة، ولا عبد الكاس والطاس، ولا عبد الماركسية، ولا عبد الليبرالية، إنَّما عبد الله.

حينما يدخل المسلمون المعركة عبادًا لله، ومسلمين له، ساعتها يقال لأحدهم: يا مسلم. لا يقول له الحجر: يا فلسطيني، ولا يا أردني، ولا يا سوري، ولا يا قومي، ولا يا عروبي، وإنَّما يا مسلم. حينما ندخل تحت شعار الإسلام، وتحت راية العبودية لله، في هذه الحالة سننتصر، فهذا ما ينبغي أن يعرفه الأخ السائل، فلا يظن أنِّي أُبعد الدين عن المعركة.

لا يمكن أن أبعد الدين عن المعركة، إذا أبعدنا الدين عن المعركة لن ننتصر، فإنَّنا لن ننتصر إلَّا بالإيمان.

---

(١) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٩٢٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

شرعيَّة العمليات الاستشهاديَّة في فلسطين المحتلَّة

س: تساءل الكثيرون بعد التفجيرات الأخيرة الَّتي تمَّت في القدس وتل أبيب وعسقلان، وقُتل فيها من قُتل من الصهاينة، نتيجة العمليات الاستشهاديَّة الَّتي قام بها شباب من حركة المقاومة الإسلاميَّة «حماس»، تساءلوا عن حكم هذه العمليات الَّتي يسمُّونها «انتحاريَّة» هل تعدُّ جهادًا في سبيل الله أو إرهابًا؟ وهل هؤلاء الشباب الذين يضحون بأنفسهم في هذه العمليات يعتبرون شهداء أو يعتبرون منتحرين؛ لأنَّهم قتلوا أنفسهم بأيديهم؟ وهل يعتبر عمل هؤلاء من باب الإلقاء باليد في التهلكة الَّذي نهى عنه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]؟!

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أودُّ أن أقول هنا: إنَّ هذه العمليات تعدُّ من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله، وهي من الإرهاب المشروع، الَّذي أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

نسخة مجانية

وتسمية هذه العمليات «انتحارية» تسمية خاطئة ومضلِّلة، فهي عمليات فدائية بطولية استشهاديَّة، وهي أبعد ما تكون عن الانتحار، ونفسيَّة من يقوم بها أبعد ما يكون عن نفسيَّة المنتحر!

إنَّ المنتحر يقتل نفسه من أجل نفسه، وهذا يقدِّم نفسه ضحيةً من أجل دينه وأمته.. والمنتحر إنسان يائس من نفسه ومن روح الله، وهذا المجاهد إنسان كله أمل في روح الله تعالى ورحمته.. المنتحر يتخلَّص من نفسه ومن همومه بقتل نفسه، والمجاهد يقاتل عدو الله وعدوه بهذا السلاح الجديد، الَّذي وضعه القدر في يد المستضعفين ليقاوموا به جبروت الأقوياء المستكبرين: أن يصبح المجاهد «قنبلة بشريَّة» تنفجر في مكان معيَّن وزمان معيَّن، في أعداء الله والوطن، الذين يقفون عاجزين أمام هذا البطل الشهيد، الَّذي باع نفسه لله، ووضع رأسه على كفِّه مبتغيًا الشهادة في سبيل الله.

فهؤلاء الشباب الذين يدافعون عن أرضه ـ وهي أرض الإسلام ـ وعن دينهم وعرضهم وأمتهم: ليسوا بمنتحرين، بل أبعد ما يكونون عن الانتحار، وإنَّما هم شهداء حقًّا، بذلوا أرواحه ـ وهم راضون ـ في سبيل الله، ما دامت نيَّاتهم لله، وما داموا مضطرِّين لهذا الطريق لإرعاب أعداء الله، المصرين على عدوانهم، المغرورين بقوتهم، وبمساندة القوى الكبرى لهم. والأمر كما قال الشاعر العربي قديمًا:

إذا لم يكُنْ إلَّا الأَسِنَّةُ مَرْكَبٌ فما حيلةُ المضْطَرِّ إلَّا رُكُوبُها[1]

وليسوا بمنتحرين، وليسوا بإرهابيين، فهم يقاومون ـ مقاومة شرعيَّة ـ من احتل أرضهم، وشرَّدهم وشرَّد أهلهم، واغتصب حقهم، وصادر

(١) البيت لكميت بن يزيد، جمهرة أشعار العرب صـ ٧٩٠، تحقيق علي محمد البجادي، نشر دار نهضة مصر، القاهرة.

QaradawiBooks.com

مستقبلهم، ولا زال يمارس عدوانه عليهم؛ ودينهم يفرض عليهم الدفاع عن أنفسهم، ولا يجيز لهم التنازل باختيارهم عن ديارهم، الَّتي هي جزء من دار الإسلام.

ولا يعد عمل هؤلاء الأبطال من الإلقاء باليد إلى التهلكة، كما يتصوَّر بعض البسطاء من الناس، بل هو عمل من أعمال المخاطرة المشروعة والمحمودة في الجهاد؛ يقصد به النكاية في العدو، وقتل بعض أفراده، وقذف الرعب في قلوب الآخرين، وتجريء المسلمين عليهم.

والمجتمع الإسرائيلي مجتمع عسكري، رجاله ونساؤه جنود في الجيش، يمكن استدعاؤهم في أي لحظة؛ وإذا قُتل طفل أو شيخ في هذه العمليات، فهو لم يُقصد بالقتل، بل عن طريق الخطأ، وبحكم الضرورات الحربية، والضرورات تبيح المحظورات.

ولا بأس أن أسوق هنا ما ذكره الفقهاء في هذا الجانب، وما ذكره المفسِّرون في آية: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ما قاله الجصَّاص الحنفي:

قال الإمام الجصَّاص الحنفي في كتابه «أحكام القرآن» في تفسير هذه الآية: قد قيل فيه وجوه:

أحدها: ما حدثنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح، قال: حدثنا ابن وهب، عن حيوة بن شريح وابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم أبي عمران، قال: غزونا بالقسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمٰن بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس:

QaradawiBooks.com

مه، مه! لا إلٰه إلَّا الله! يلقي بيديه إلى التهلكة! فقال أبو أيوب: إنَّما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار؛ لمَّا نصر الله نبيَّه وأظهر دينه الإسلام، فقلنا: هلمَّ نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة، أن نقيم في أموالنا فنصلحها وندع الجهاد.

قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتَّى دُفن بالقسطنطينية، فأخبر أبو أيوب أنَّ الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله، وأنَّ الآية في ذلك نزلت[1]. ورُوي مثله عن ابن عبَّاس وحذيفة، والحسن وقتادة، ومجاهد والضحاك.

وروي عن البراء بن عازب وعَبِيدة السَّلْماني: الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة هو اليأس من المغفرة بارتكاب المعاصي[2].

وقيل: هو الإسراف في الإنفاق؛ حتَّى لا يجد ما يأكل ويشرب فيتلف.

وقيل: هو أن يقتحم الحرب من غير نكاية في العدو، وهو الَّذي تأوَّله القوم الذين أنكر عليهم أبو أيوب، وأخبر فيه بالسبب، وليس يمتنع أن يكون جميع هذه المعاني مرادة بالآية؛ لاحتمال اللفظ لها، وجواز اجتماعها من غير تضادٍّ ولا تنافٍ.

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥١٢)، والترمذي في التفسير (٢٩٧٢)، وقال: حسن صحيح غريب. والحاكم في الجهاد (٢٧٥/٢) وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٨٨). والموقعة كانت بين المسلمين والروم، والقصة كاملة ذكرها الإمام الواحدي في أسباب النزول صـ ٥٨، تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، نشر دار الإصلاح، الدمام، ط ٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥٨٨/٣)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

QaradawiBooks.com

فأمَّا حمله علـــى الرجل الواحـــد يحمل على حلبـــة العدو، فإنَّ محمد بن الحسن ذكر في السير الكبير: أنَّ رجلًا لو حمل على ألف رجل، وهو وحده لـــم يكن بذلك بـــأس، إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية!

فإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية؛ فإنِّي أكره له ذلك؛ لأنَّه عرض نفسه للتلف من غير منفعة للمسلمين.

فإن كان لا يطمع في أيِّ نجاة ولا نكاية ولكنَّه يجرِّئ المسلمين بذلك، حتَّى يفعلـــوا مثل ما فعل، فيقتلون وينكـــون العدو فلا بأس بذلك إن شـــاء الله؛ لأنَّه لو كان طمع من النكاية في العدو ولا يطمع في النجاة، لم أَرَ بأسًـــا أن يحمل عليهم، فكذلك إذا طمع أن ينكي غيره فيهـــم بحملته عليهم؛ فلا بـــأس بذلك، وأرجـــو أن يكون فيه مأجـــورًا، وإنَّما يكره له ذلـــك: إذا كان لا منفعة فيـــه على وجه من الوجوه، وإن كان لا يطمع فـــي نجاة ولا نكايـــة، ولكنَّه ممَّا يرهب العـــدو، فلا بـــأس بذلـــك لأنَّ هذا أفضـــل النكايـــة، وفيـــه منفعة للمسلمين[1].

قال الجصَّـــاص: والذي قال محمد من هـــذه الوجوه صحيح، لا يجوز غيره، وعلى هذه المعاني يحمل تأويل مـــن تأوَّل في حديث أبي أيوب أنَّه ألقى بيده إلى التهلكة بحمله على العدو، إذ لم يكن عندهم في ذلك منفعة.

وإذا كان كذلك؛ فلا ينبغي أن يتلف نفسه من غير منفعة على الدين ولا على المسلمين، فأما إذا كان في تلف نفسه منفعة عائدة على الدين،

(١) انظر: شرح السير الكبير صـ ١٥١٢، ١٥١٣.

QaradawiBooks.com

فهذا مقام شريف مدح الله به أصحاب النبي ﷺ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١]، وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، في نظائر ذلك من الآيات الَّتي مدح الله فيها من بذل نفسه لله.

قال: وعلى ذلك ينبغي أن يكون حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أنَّه متى رجا نفعًا في الدين، فبذل نفسه فيه حتَّى قتل كان في أعلى درجات الشهداء. قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وقد رُوي عن جابر عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**سيِّدُ الشهداء حمزةُ بن عبد المطلب، ثم رجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ فأمره ونهاه فقتله**»[(١)].

وروى أبو سعيد الخُدْري عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أفضلُ الجهاد كلمةُ حقٍّ عند سلطانٍ جائر**»[(٢)]، وذكر الجصَّاص هنا حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**شرُّ ما في الرجل: شحٌّ هالع، وجبنٌ خالع**»[(٣)]. قال: وذم الجبن يوجب مدح الإقدام والشجاعة، فيما يعود نفعه على الدِّين، وإن أيقن فيه بالتلف، والله تعالى أعلم بالصواب[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه صـ١٣٩.

(٢) سبق تخريجه صـ١٣٠.

(٣) رواه أحمد (٨٠١٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٥١١)، وابن حبان في الزكاة (٣٢٥٠)، عن أبي هريرة.

(٤) أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص (٣١٩/١)، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

ما قاله القرطبي المالكي:

وقال الإمام القرطبي المالكي في تفسيره: اختلف العلماء في اقتحام الرجل في الحرب وحمله على العدو وحده، فقال القاسم بن مُخَيْمِرَة والقاسم بن محمد وعبد الملك من علمائنا: لا بأس أن يحمل الرجل وحده على الجيش العظيم إذا كان فيه قوة، وكان لله بنية خالصة، فإن لم تكن فيه قوَّة فذلك من التهلكة.

وقيل: إذا طلب الشهادة وخلصت النية فيحمل؛ لأنَّ مقصوده واحد منهم، وذلك بيِّن في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وقال ابن خويز منداد: فأمَّا أن يحمل الرجل على مائة، أو على جملة العسكر، أو جماعة اللصوص المحاربين والخوارج؛ فلذلك حالتان: إن علم وغلب على ظنِّه أنَّه سيقتل من حمل عليه وينجو فحسن، وكذلك لو علم أو غلب على ظنِّه أن يُقتل، ولكن سينكي نكاية، أو سيُبلي، أو يؤثر أثرًا ينتفع به المسلمون فجائز أيضًا.

وقد بلغني أنَّ عسكر المسلمين لمَّا لقي الفرس نفرت خيل المسلمين من الفيلة، فعمد رجل منهم، فصنع فيلًا من طين وأنس به فرسه حتَّى ألفه، فلمَّا أصبح لم ينفر فرسه من الفيل، فحمل على الفيل الَّذي كان يقدمها، قيل له: إنَّه قاتِلُك. فقال: لا ضيرَ أن أُقْتَل، ويُفتح للمسلمين!

وكذلك يوم اليمامة لمَّا تحصنت بنو حنيفة بالحديقة، قال رجل من المسلمين: ضعوني في الحَجَفة ـ ترس من الجلود ـ وألقوني إليهم، ففعلوا وقاتلهم وحده حتَّى فتح الباب[1].

(١) قائل هذا هو البراء بن مالك. انظر: تفسير القرطبي (٣٦٤/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال القرطبي: ومن هذا ما رُوي أنَّ رجلًا قال للنبي ﷺ: أرأيت إن قتلت في سبيل الله صابرًا محتسبًا؟ قال: «**فلك الجنَّة**» فانغمس في العدو حتَّى قُتل[١].

وفي صحيح مسلمٍ، عن أنس بن مالك: أنَّ رسولَ الله ﷺ أُفرد يوم أُحُدٍ في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه ـ قربوا منه ـ قال: «**من يردُّهم عنَّا وله الجنَّة؟**». فتقدَّم رجل من الأنصار، فقاتل حتَّى قُتل، فلم يزل كذلك حتَّى قَتَل السبعة، فقال النبيُّ ﷺ: «**ما أنْصَفْنا أصحابَنا**»[٢]. هكذا الرواية «**أنصفْنا**» بسكون الفاء «**أصحابَنا**» بفتح الباء، أي لم ندلَّهم للقتال حتَّى قتلوا، ورُوِيَ بفتح الفاء ورفع الباء، ووجهها أنَّها ترجع لمن فرَّ عنه من أصحابه والله أعلم.

ثم ذكر القرطبي كلمة محمد بن الحسن: لو حمل رجل واحد على ألف رجل من المشركين وهو وحده، لم يكن بذلك بأس؛ إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية في العدو، فإن لم يكن كذلك فهو مكروه؛ لأنَّه عرض نفسه للتلف في غير منفعة المسلمين[٣].

ما قاله الرازي الشافعي:

وقال الإمام الرازي الشافعي في تفسيره: المراد من قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، أي لا تقتحموا في الحرب بحيث لا ترجون النفع، ولا

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ. وهو متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٠٤٦)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٩)، ولفظ البخاري: قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: «في الجنة» فألقى تمرات في يده، ثم قاتل حتى قتل.

(٢) رواه مسلم في الجهاد (١٧٨٩).

(٣) تفسير القرطبي (٢/٣٦٣ ـ ٣٦٤)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يكون لكم فيه إلَّا قتل أنفسكم، فإنَّ ذلك لا يحل، وإنَّما يجب أن يقتحم إذا طمع في النكاية، وإن خاف القتل، فأما إذا كان آيسًا من النكاية، وكان الأغلب أنَّه مقتول، فليس له أن يقدم عليه، وهذا الوجه منقول عن البراء بن عازب، ونقل عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال في هذه الآية: هو الرجل يستقل بين الصفين.

قال الرازي: ومن النَّاس من طعن في هذا التأويل وقال: هذا القتل غير محرَّم، واحتج عليه بوجوه:

الأول: روي أنَّ رجلًا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس: ألقى بيده إلى التهلكة! فقال أبو أيوب الأنصاري: نحن أعلم بهذه الآية؛ وإنَّما نزلت فينا.. وذكر خلاصة ما حكاه الجصَّاص في سبب نزول الآية.

والثاني: روى الشافعي رضي الله عنه : أنَّ رسولَ الله ﷺ ذكر الجنَّة، فقال له رجل من الأنصار، أرأيت يا رسولَ الله إن قُتلت صابرًا محتسبًا؟ قال ﷺ : لك الجنة. فانغمس في جماعة العدو فقتلوه بين يدي رسول الله، وإنَّ رجلًا من الأنصار ألقى درعًا كانت عليه حين ذكر النبي ﷺ الجنَّة ثم انغمس في العدو فقتلوه[1].

والثالث: روي أنَّ رجلًا من الأنصار تخلَّف عن بئر معونة، فرأى الطير عكوفًا على من قُتل من أصحابه، فقال بعض من معه: سأتقدم إلى العدو فيقتلونني، ولا أتخلَّف عن مشهد قُتل فيه أصحابي، ففعل ذلك فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال فيه قولًا حسنًا.

(١) ذكرهما الإمام الشافعي في الأم (٢٥٦/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

والرابع: روي أنَّ قومًا حاصروا حصنًا، فقاتل رجل حتَّى قتل، فقيل: ألقى بيده إلى التهلكة، فبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: كذبوا أليس يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

ولمن نصر ذلك التأويل أن يجيب عن هذه الوجوه فيقول: إنَّا إنَّما حرَّمنا إلقاء النفس في صف العدو إذا لم يتوقع إيقاع نكاية فيهم، فأما إذا توقع فنحن نجوِّز ذلك[١].

ما رواه ابن كثير والطبري:

روى الحافظ ابن كثير أنَّ رجلًا قال للبراء بن عازب الأنصاري: إن حملت على العدو وحدي فقتلوني: أكنت ألقيت بيدي إلى التهلكة؟ قال: لا. قال الله لرسوله: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: ٨٤]. وإنَّما هذه في النفقة، أي في ترك النفقة في الجهاد[٢].

وروى الإمام الطبري بسنده في تفسيره، عن أبي إسحاق السَّبِيعي قال: قلت للبراء بن عازب (الصحابي): يا أبا عمارة، الرجل يلقى ألفًا من العدو، فيحمل عليهم، وإنَّما هو وحده (يعني: أنَّه مقتول في العادة لا محالة) أيكون ممَّن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾؟ فقال: لا، ليقاتل حتَّى يُقتل، قال الله لنبيِّه ﷺ: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: ٨٤][٣].

---

(١) تفسير الفخر الرازي (٢٩٥/٥)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

(٢) تفسير ابن كثير (٥٢٩/١).

(٣) تفسير الطبري (٥٨٨/٣، ٥٨٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ما قاله ابن تيمية:

وذكر نحو ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في فتواه المشهورة في قتال التتار، مستدلًّا بما روى مسلم في صحيحه عنِ النبيِّ ﷺ من قصَّة أصحاب الأخدود، وفيها أنَّ الغلام أمر بقتل نفسه، لأجل مصلحة ظهور الدين (حين طلب إليهم أن يرموه بالسهم ويقولوا: باسم الله ربِّ الغلام)[١]. قال: ولهذا جوَّز الأئمَّة الأربعة أن ينغمس المسلم في صفِّ الكفار، وإن غلب على ظنِّه أنَّهم يقتلونه، إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين. وقد بسطنا القول في هذه المسألة في موضع آخر[٢].

ما قاله الشوكاني:

وقال الإمام الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»: «والحقُّ أنَّ الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل ما صدق عليه أنَّه تهلكة في الدين أو في الدنيا، فهو داخل في هذا. ومن جملة ما يدخل تحت الآية: أن يقتحم الرجل في الحرب فيحمل على الجيش، مع عدم قدرته على التخلص، وعدم تأثيره لأثرٍ ينفع المجاهدين»[٣].

ومعنى هذا: أنَّه إذا كان لاقتحامه أثر ينفع المجاهدين كإرهاب العدو وإفزاعه لم يعد هذا في التهلكة.

---

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٣٠٠٥)، عن صهيب.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٤٠/٢٨).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٢٢٢/١)، نشر دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.

QaradawiBooks.com

ما قاله صاحب تفسير المنار:

وفي عصرنا قال العلامة رشيد رضا في تفسير المنار: ويدخل في النهي: التطوع في الحرب بغير علم بالطرق الحربية، الَّتي يعرفها العدو، كما يدخل فيه كل مخاطرة غير مشروعة، بأن تكون لاتباع الهوى؛ لا لنصر الحق وتأييد حزبه[١].

ومفهوم هذا أنَّ المخاطرة المشروعة المحسوبة الَّتي يُرجى بها إرهاب عدو الله وعدونا، ويُبتغى فيها نصر الحق لا اتباع الهوى، لا تكون من الإلقاء باليد إلى التهلكة.

أعتقد أنَّ الحق قد تبيَّن، وتبيَّن الصبح لذي عينين، وأنَّ هذه الأقوال كلها ترد على أولئك المتطاولين، الذين اتهموا الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى، والذين باعوا أنفسهم لله، وقُتلوا في سبيله بأنَّهم قد انتحروا، وألقوا بأيديهم إلى التهلكة. فهم ـ إن شاء الله ـ في طليعة الشهداء عند الله، وهم العنصر الحي المعبر عن حيوية الأمة، وإصرارها على المقاومة، وأنَّها حية لا تموت، باقية لا تزول.

كل ما نطلبه هنا: أن تكون هذه العمليات الاستشهاديَّة بعد دراسة وموازنة لإيجابياتها وسلبياتها، وينبغي أن يتم ذلك عن طريق تفكير جماعي من مسلمين ثقات. فإذا وجدوا الخير في الإقدام أقدموا، وتوكَّلوا على الله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

(١) تفسير المنار (١٧٢/٢)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

تنبيهان مهمان في هذه القضية:

التنبيه الأول: أنَّنا أجزنا هذه العمليات للإخوة في فلسطين لظروفهم الخاصَّة في الدفاع عن أنفسهم وأهليهم وأولادهم وحُرماتهم، وهي الَّتي اضْطرَّتهم إلى اللجوء إلى هذه العمليات، إذ لم يجدوا بديلًا عنها، ولم نُجِز استخدام هذه العمليات في غير فلسطين لانتفاء الضرورة الموجبة أو المبيحة، وقياس البلاد الأخرى على فلسطين، كالذين يستخدمون هذه العمليات ضدَّ المسلمين بعضهم وبعض، كما في الجزائر ومصر واليمن والسعودية والعراق وباكستان وغيرها؛ هو قياس في غير موضعه، وهو قياس مع الفارق، فهو باطل شرعًا.

ومثل هؤلاء: الذين اتَّخذوها ضدَّ أمريكا في عُقر دارها، مثل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، فلا تدخل في هذا الاستثناء.

والتنبيه الثاني: أنَّ الإخوة في فلسطين قد أغناهم الله عن هذه العمليات، بما مكَّنهم من الحصول على صواريخ تضرب في عُمق إسرائيل نفسها، وإن لم تبلغ مبلغ الصواريخ الإسرائيليَّة، ولكنَّها أصبحت تؤذيهم وتقلقهم وتزعجهم، فلم يعد إذن المعوَّل على العمليات الاستشهاديَّة، كما كان الأمر من قبل، فلكلِّ حالة حكمها، ولكلِّ مقام مقال. والفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حول دخول مسلمي الأرض المحتلة في الكنيست

س: هل يجوز لمسلمي الأرض المحتلَّة دخول الكنيست الإسرائيلي؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

إنَّ (إسرائيل) في النظر الشرعي الإسلامي: كيان دخيل على المنطقة، فرض نفسه عليها بقوة الحديد والنار، وسفك الدماء، وتفريغ البلاد من أهلها بالرعب والإرهاب، ممَّا زرع في دار الإسلام دولة غريبة مناقضة لأهداف الأمة، معادية لأهلها، فهي بمثابة عضو غريب على الجسم العربي والإسلامي، فهو مرفوض من سائر أجزاء الجسم.

وفرض على أهل فلسطين خاصَّة فرضًا عينيًّا، وعلى المسلمين عامة: أن يقاوموا هذا الكيان العدواني المغتصب الدخيل، وأن يجاهدوا لطرده بالأنفس والأموال، ولا يهنوا في ابتغاء ذلك؛ مهما كلَّفهم من جهد ومشقة، ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

نسخة مجانية

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وقد واجه المسلمون في تاريخهم الطويل كثيرًا من المعتدين، ولكنَّهم لم يواجهوا مثل هذا العدوان الصهيوني في أهدافه ولا في وسائله.

فقد كان المعتدون السابقون من الكفار والصليبيين وغيرهم يكتفون باحتلال الديار، ولكنَّهم يبقون أهلها فيها، وحسبهم أن يحكموها، ويسيطروا عليها.

أمَّا هؤلاء فإنَّهم أرادوا تفريغ الأرض من أهلها، ليسكنوها بعدهم، ويقيموا فيها دولتهم الظالمة، وهذا ما فعلوه، وتفوقوا بذلك على الاستعمار الاستيطاني الفرنسي في الجزائر، حيث لم يفرغ الأرض من سكانها الأصليين.

وأمَّا وسائلهم، فتحدث عنها مجازر العصابات الصهيونية في قرى فلسطين، في دير ياسين وغيرها.

ومن هنا يكون الموقف الشرعي من الكيان الصهيوني هو الرفض القاطع، والمقاومة المستميتة، والجهاد الدائم، حتَّى يحق الله الحق، ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون. ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٠، ١٩١].

ويترتب على ذلك: أنَّ كل تعامل يعطي لهذا الكيان المغتصب حق الوجود، أو يمنحه حق البقاء والاستمرارية أو يوحي بأنَّ لهؤلاء المعتدين

QaradawiBooks.com

أي سلطان شرعي بأي صورة من الصور، على أرض فلسطين، هو تعامل باطل، وكل ما نشأ عن الباطل فهو باطل، فضلًا عمَّا يخشى أن يحمل شيئًا من الركون إلى الذين ظلموا، أو الولاء للذين يحادون الله ورسوله، ويحاربون الإسلام والمسلمين.

ومن أجل ذلك يجب شرعًا رفض السلام مع الصهاينة المغتصبين للأرض، المشردين لأهلها، السافكين لدمائهم، فهذا ليس بسلام، وإنَّما هو وهن واستسلام، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

وفي ضوء هذه الحقائق: ننظر فيما سأل عنه الإخوة في فلسطين المحتلة سنة (١٩٤٨م) عن جواز دخولهم في برلمان الدولة اليهودية (الكنيست) حيث يرى بعضهم أنَّ هذا يحقِّق لهم مكاسب ومصالح لجماعتهم، ويشد أزرهم في مواجهة الدولة، إلى آخر ما يقال في هذا المجال.

وربما كان هذا الاعتبار ـ تحقيق مصالح معينة ـ واردًا على الذهن لأول وهلة، وهو ما جعلني أقول شفاهة منذ مدة لمن سألني من الإخوة عن هذا الأمر: إنَّ هذا يخضع لفقه الموازنات بين المصالح والمفاسد، وهو فقه أساسي في باب السياسة الشرعيَّة.. ما إذا كانت مصالح الجماعة المسلمة في دولة الكيان الصهيوني، وما تجنيه من مكاسب للمجموع: أكبر وأرجح في الميزان من المفاسد والمضار الماديَّة والمعنويَّة، الَّتي تترتب على الدخول في برلمان العدو (الكنيست) جاز لنا أن نرجِّح الدخول؛ سببًا إلى تلك المصالح والمكاسب.

ولكنَّ الَّذي تبيَّن لي، بعد تقليب أوجه النظر، وتعميق البحث في القضية، والنظر في ملابساتها المختلفة: أنَّ الموقف الصحيح ـ من

QaradawiBooks.com

الوجهة الشـــرعيَّة ـ يقتضي رفض الدخول في برلمـــان العدو الصهيوني (الكنيست) لما يوحي به ذلك من اعتراف ضمني بحقهم في الوجود، أو البقـــاء علـــى الأرض المغتصبة. وهو ما يجـــب تأكيد نفيه باســـتمرار، ومعارضته على الدوام.

ولا يجوز لنا ـ نحن أصحاب الدار ـ أن نسلِّم للمعتدين بما اغتصبوا من أرض، ولا أن نتصرَّف تصرفًا يشـــعر بذلك، مهما طال المدى، فإنَّ مضي الزمن لا يحيل الباطل حقًّا، ولا يجعل الحرام حلالًا.

والمنطـــق الَّذي رفضنا بـــه الســـلام المزعوم، هو الَّـــذي نرفض به المشاركة في برلمان القوم.

على أنَّنا لو نظرنا إلى الأمر بمعيار المصلحة نظرة إمعان وتدقيق، في ضوء فقه الموازنات، لوجدنا أنَّ المصلحة الحقيقة ـ لا المتوهمة ـ والمصلحة البعيدة المدى ـ لا القصيرة الأمد ـ والمصلحة الشـــاملة لكل الشـــعب الفلســـطيني ولقضيته، ومصلحة الجهاد واســـتمراره، ومصلحة الدعوة الإســـلاميَّة وتغلغلهـــا: كلها تحتِّم منابـــذة القوم، والتعامل معهم على أنَّهـــم دخلاء غاصبون، أو لصوص ســـارقون، وبذلك يعيشـــون منبوذين في ضمير الشـــعب، مرفوضين من أبنائه، فاقدي الشرعيَّة في فكرهم ووجدانهم، وفي هذا خسارة معنويَّة كبيرة على العدو، وكســـب معنـــوي عظيم لنـــا، يضاف إلـــى رصيدنا في المقاومة والصمود.

والقواعد الفقهيَّة تقرِّر عند الموازنة بين المفاسد والمصالح، أو بين المصالح بعضها وبعض: أنَّ درء المفســـدة مقدَّم على جلب المصلحة، وأنَّ المصلحة الكليَّة مقدَّمة على المصلحة الجزئية، وأنَّ المصلحة العامة

QaradawiBooks.com

مقدَّمة على المصلحة الخاصة، وأنَّ المصلحة الطويلة الأمد مقدَّمة على المصلحة القصيرة الأمد.

وعلى هذا يحرم الاشتراك في برلمان العدو ومؤسساته المماثلة، إلَّا ما اقتضته ضرورة معينة، فلها أحكامها الخاصة، وهي تقدَّر بقدرها، ولا يتوسع فيها، حتَّى لا يصبح الاستثناء أصلًا.

وعلى أبناء فلسطين جميعًا، أن يستمسكوا بحقهم، ويعضوا عليه بالنواجذ، صابرين مصابرين مرابطين، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. وأن يدعو الله بما دعاه به المؤمنون من أصحاب طالوت:

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]. اللهمَّ آمين.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فتوى بمقاطعة البضائع الإسرائيليَّة والأمريكيَّة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فممَّا ثبت بالكتاب والسُّـنَّة وإجماع الأمة، أنَّ الجهاد لتحرير أرض الإسلام ممَّن يغزوها ويحتلها من أعداء الإسلام: واجب محتم، وفريضة مقدَّسة على أهل البلاد المغزوَّة أولًا، ثم على المسلمين من حولهم إذا عجزوا عن مقاومتهم، حتَّى يشمل المسلمين كافة.

فكيف إذا كانت هذه الأرض الإسـلاميَّة المغزوة هي القبلة الأولى للمسلمين، وأرض الإسراء والمعراج، وبلد المسجد الأقصى الَّذي بارك الله حوله؟! وكيف إذا كان غُزاتها هم أشـدُّ النَّاس عداوةً للذين آمنوا؟! وكيف إذا كانت تسـاندها أقـوى دول الأرض اليوم، وهـي الولايات المتحدة الأمريكيَّة، كما يساندها اليهود في أنحاء العالم؟!

إنَّ الجهاد اليوم لهؤلاء الذين اغتصبوا أرضنا المقدَّسة، وشرَّدوا أهلها من ديارهم، وسـفكوا الدماء، وانتهكـوا الحرمات، ودمَّـروا البيوت، وأحرقوا المـزارع، وعاثوا في الأرض فسـادًا: هذا الجهـاد هو فريضة الفرائض، وأول الواجبات على الأمة المسلمة في المشرق والمغرب.

QaradawiBooks.com

فالمسلمون يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم، وهم أمة واحدة، جمعتهم وحدة العقيدة، ووحدة الشريعة، ووحدة القبلة، ووحدة الآلام والآمال؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. وفي الحديث الشريف: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلِمه، ولا يخذله**»(١).

وها نحن نرى اليوم إخواننا وأبناءنا في القدس الشريف، وفي أرض فلسطين المباركة، يبذلون الدماء بسخاء، ويقدِّمون الأرواح بأنفس طيبة، ولا يبالون بما أصابهم في سبيل الله، فعلينا نحن المسلمين في كل مكان: أن نعاونهم بكل ما نستطيع من قوة: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

ومن وسائل هذه المعاونة، مقاطعة بضائع العدو مقاطعة تامَّة، فإنَّ كل ريال أو درهم، أو قرش أو فلس، نشتري به سلعهم يتحوَّل في النهاية إلى رصاصة تطلق في صدور إخواننا وأبنائنا في فلسطين.

لهذا وجب علينا ألَّا نعينهم على إخواننا بشراء بضائعهم؛ لأنَّها إعانة على الإثم والعدوان؛ فالشراء منهم يقويهم، وواجبنا أن نعمل على إضعافهم ما استطعنا، كما علينا أن نقوي إخواننا المرابطين في الأرض المقدسة ما استطعنا.. فإن لم نستطع أن نقويهم؛ فالواجب علينا إضعاف عدوهم. فإذا كان إضعافهم لا يتم إلاَّ بالمقاطعة، فما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب.

والبضائع الأمريكيَّة مثل البضائع الإسرائيليَّة في حرمة شرائها والترويج لها. فأمريكا اليوم هي إسرائيل الثانية، ولولا التأييد المطلق،

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

والانحياز الكامل للكيان الصهيوني الغاصب: ما استمرت إسرائيل تمارس عدوانها على أهل المنطقة، ولكنَّها تصول وتعربد ما شاءت بالمال الأمريكي، والسلاح الأمريكي، والفيتو الأمريكي.

وأمريكا تفعل ذلك منذ عقود من السنين، ولم ترَ أيَّ أثرٍ لموقفها هذا، ولا أيَّ عقوبة من العالم الإسلامي؛ احتجاجًا على مواقفها المتحيزة الجائرة.

وقد آن الأوان لأمتنا الإسلاميَّة أن تقول: «لا لأمريكا» ولشركاتها ولبضائعها الَّتي غزت أسواقنا، حتَّى أصبحنا نأكل ونشرب ونلبس ونركب ما تصنع أمريكا.

ولقد قال علي رضي الله عنه: ثلاثة عَدُوُّك: عدوُّك، وصديقُ عدوِّك، وعدوُّ صديقِك[1]. وأمريكا اليوم أكثر من صديق لعدوِّنا، إنَّها وصلت مرحلة الفناء في إسرائيل!

إنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة تبلغ اليوم مليارًا وثلث المليار من المسلمين في أنحاء العالم، يستطيعون أن يوجعوا أمريكا وشركاتها بمقاطعتها، وهذا ما يفرضه عليهم دينهم وشرع ربهم. فكلُّ مسلمٍ اشترى من البضائع الإسرائيليَّة والأمريكيَّة، ما يجد بديلًا له من دول أخرى، فقد ارتكب حرامًا، واقترف إثمًا مبينًا، وباء بالوزر عند الله، والخزي عند الناس!

وأمَّا الإخوة المسلمون الذين يعيشون داخل إسرائيل، أو داخل أمريكا، فهم مضطرون للتعامل معهم، وشراء سلعهم ومنتجاتهم، ولا

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري (٤٠٥/١)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

QaradawiBooks.com

يكلِّف الله نفسًا إلَّا وسعها. والضرورات لها أحكامها. ولكنَّها تقدَّر بقدرها، وقد قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وقال رسوله الكريم: «**إذا أمرتُكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم**»[١].

المقاطعة سلاح فعَّال:

وعلى المسلمين في داخل الولايات المتحدة أن يتعاملوا مع الشركات الأقل عداءً للمسلمين، والأقل تعصبًا وممالأة للصهيونية، وأن يقاطعوا ما أمكنهم الشركات المتحيزة للصهيونية.

كما يجب على العرب والمسلمين حيثما كانوا أن يقاطعوا كل الشركات المنحازة للصهاينة، والمساندة لإسرائيل، من أي بلد كانت، مثل (ماركس آند سبنسر)، ومن كان على شاكلته في تأييد الصهيونية، ومؤازرة دولتها (إسرائيل).

إنَّ المقاطعة سلاح فعال من أسلحة الحرب قديمًا وحديثًا، وقد استخدمه المشركون في العهد المكي في محاربة النبي ﷺ وأصحابه، فآذاهم إيذاءً بليغًا، حتَّى أكلوا أوراق الشجر.

كما استخدمه بعض الصحابة في محاربة المشركين في العهد المدني، كما روت كتب السيرة: لمَّا أسلم ثمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه، ثم خرج معتمرًا، فلمَّا قدم مكة، قالوا: أصبوت يا ثمامة؟ فقال: لا، ولكنِّي اتبعت خير الدين: دين محمد، ولا والله لا تصل إليكم حبَّة من اليمامة؛ حتَّى يأذن فيها رسول الله ﷺ. ثم خرج إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئًا. فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنَّك تأمر بصلة الرحم،

(١) سبق تخريجه صـ٢٩٦.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وإنَّك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إليه أن يخلِّي بينهم وبين الحمل[١].

وفي العصر الحديث رأينا الشعوب تستخدم سلاح المقاطعة في معاركها للتحرر من الاستعمار.. ولعلَّ أبرز من فعل ذلك المهاتما غاندي، في دعوته الشعب الهندي الكبير لمقاطعة بضائع الإنجليز، وقد كان لذلك أثره البليغ في حرب التحرير.

والمقاطعة سلاح في أيدي الشعوب والجماهير وحدها، ولا تستطيع الحكومات أن تفرض على النَّاس أن يشتروا بضاعة من مصدر معين؛ فلنستخدم هذا السلاح لمقاومة أعداء ديننا وأمتنا، حتَّى يشعروا بأنَّنا أحياء، وبأنَّ هذه الأمة لم تمت، ولن تموت بإذن الله.

على أنَّ في المقاطعة معانٍ أخرى غير المعنى الاقتصادي.. إنَّها تربية للأمة من جديد، على التحرر من العبودية لأذواق الآخرين، الذين علَّموها إدمان أشياء لا تنفعها، بل كثيرًا ما تضرها، وهي إعلان عن أخوة الإسلام، ووحدة أمته، وأنَّنا لن نخون إخواننا الذين يقدمون الضحايا كل يوم، بالإسهام في إرباح أعدائهم.. وهي لون من المقاومة السلبية، يضاف إلى رصيد المقاومة الإيجابية، الَّتي يقوم بها الإخوة في أرض النبوات: أرض الرباط والجهاد.

وإذا كان كل يهودي في العالم يعتبر نفسه مجنَّدًا لنصرة إسرائيل بكل ما يقدر عليه، فإنَّ كل مسلم في أنحاء الأرض مجنَّد لتحرير الأقصى، ومساعدة أهله بكل ما يمكنه من نفس ومال. وأدناه مقاطعة بضائع

(١) السيرة النبويَّة لابن هشام (٦٣٩/٢). وهو في الصحيحين بنحوه، رواه البخاري في المغازي (٤٣٧٢)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٦٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الأعداء. وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

وإذا كان شراء المستهلك البضائع اليهودية والأمريكيَّة حرامًا وإثمًا، فإنَّ شراء التجار لها ليربحوا من ورائها، وأخذهم توكيلات شركاتها أشدُّ حرمةً وأعظم إثمًا، وإن تخفَّت تحت أسماء يعلمون أنَّها مزورة، وأنَّها إسرائيليَّة الصنع يقينًا.

إنَّ الأمة الإسلاميَّة في أنحاء الأرض مطالبة بأن تثبت وجودها، وغيرتها على مقدساتها، وبأن تعرف ما لها وما عليها.. مَن صديقها ومَن عدوها؟ ولا يجوز لها أن تستسلم للوهن واليأس، وتقبل السلام الجائر الَّذي تفرضه عليها الصهيونية المغتصبة. يقول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٥].

وعلى أخواتنا وبناتنا من ربات البيوت دور كبير في هذه القضية.. لعلَّه أهم من دور الرجل؛ لأنَّ المرأة هي الَّتي تشرف على طلبات البيت، وشراء ما يلزم له من السلع والأدوات، وهي الألصق بتوجيه البنين والبنات من الأطفال، وإشرابهم الروح الجهادية، وتوعيتهم بما يجب عليهم نحو أمتهم وقضاياها، وما يلزمهم نحو أعدائها؛ وخصوصًا في مجال المقاطعة، وإذا وعى الأطفال ذلك التزموه بحماسة وقوة، وأصبحوا هم بعد ذلك الذين يوجِّهون الآباء والأمهات.

وإنِّي أدعو هنا كل المؤمنين بالله تعالى من المسيحيين ومن غيرهم، وكل المؤمنين بالقيم الأخلاقيَّة، وكل الأحرار والشرفاء في العالم: إلى أن يقفوا بجانبنا، وأن يساندوا الحق ضد الباطل، والعدل

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ضد الظلم، وأن ينتصروا للمستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذين يسقط منهم كل يوم قتلى وجرحى في سبيل الله، والدفاع عن حرماتهم ومقدساتهم.

كما أهيب بالعمال في بلاد العرب والمسلمين وفي أنحاء الأرض، أن يناصروا الفلسطينيين في قضيتهم العادلة، ويغضبوا لهم، ويحتجوا على أصحاب القوة الغاشمة بما يقدرون عليه من تعطيل مصالحهم.

وأخيرًا أدعو الحكماء والعقلاء وأهل الخبرة في كل بلد، أن يكوِّنوا اللجان الَّتي تنظِّم المقاطعة، وتهيِّئ البدائل، وتتفادى السلبيات، وتستمر في توعية الجماهير، حتَّى تعلو كلمة الحق، ويزهق الباطل: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التعامل مع الشركات الَّتي يشارك فيها الإسرائيليون

س: نحن نفتح شركة تجارية صناعيَّة في بعض البلاد الَّتي اصطلحت مع إسرائيل، ونقوم بمعاملات تجارية مع الشركات والمصانع، ونقوم بتجهيز المصانع بالماكينات والآلات، ولبلادنا تعاملات شتى مع اليهود، وأتاحت للشركات والمصانع والأشخاص اليهود المشاركة في بعض الشركات والمصانع بشكل كبير، ما الحكم الشرعي لتعامل شركتنا التجارية الصناعيَّة مع هذه الشركات والمصانع، الَّتي شارك فيها اليهود؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أنا ما زلتُ على رأيي الَّذي ذكرتُ منذ وقت طويل، وهو أنَّ سلاح المقاطعة الاقتصادية، والثقافية والرياضية والفنية.. إلخ سلاح فعال، خاصَّة سلاح المقاطعة الاقتصادية، فهو سلاح يملكه كل مسلم، لا يستطيع أن يمنع المسلم منه حاكم ولا سياسي.

إسرائيل ما زالت تحتل أرضنا بغير حق، بل أرضها كلها هي أرضنا، أخذتها منَّا بغير حق، أخذتها بالدم، وبالحديد والنار، وبالإرهاب

QaradawiBooks.com

والمجازر، وهؤلاء الجزَّارون الذين قتلوا منَّا ما قتلوا، وذبحوا ما ذبحوا، في دَيْر ياسين، وبحر البقر، وصبرا وشاتيلا، وفي المسجد الإبراهيمي، ومجزرة النفق، ومجزرة قانا في لبنان، وحروب غزة المتتالية، إلى ما يفعله المستوطنون اليهود إلى اليوم، وما تقوم به إسرائيل من تهديم البيوت، وإخراج أهلها منها، وتهويدها للقدس، وحفرها تحت المسجد الأقصى، هذا كله يجعلنا في حالة حرب دائمة مع إسرائيل.

فالمسلم مطالب أن يقاطع هؤلاء، وهذا أقل ما يجب على المسلم أن يفعله، أن لا يبيع لهم، ولا يشتري منهم، ولا يشاركهم، ولا يشارك من دخل معهم في شركة، فهذه الشركة الَّتي دخلت مع اليهود أصبحت في موضع التهمة هي الأخرى، فلا نتعامل مع هذه الشركات الَّتي يدخل اليهود فيها شركاء، وربَّما تكون ملكًا كلها لليهود، ولكن وضعوا بعض الأسماء فقط للتمويه، وهذا هو الواجب على المسلم، لأنَّ في مشاركتهم والتعامل الاقتصادي معهم، تقوية لهم، وإعانة لهم على ظلمهم، ولا يجوز للمسلم أن يتعاون على الإثم والعدوان، فالله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

وإعانة الظالم ذنب مثل الظلم نفسه، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]. وأحاديث إعانة الظلمة وأعوان الظلمة أحاديث صحيحة، لا يجوز للإنسان أن يكون من أعوان الظلمة بحال، ومن المعاونة للظلمة أن نشترك معهم، أو نبيع لهم، أو نشتري منهم.

فلو أنَّ العرب جميعًا، والمسلمين جميعًا وقفوا هذه الوقفة مع اليهود، لكان لها تأثيرها؛ لأنَّ اليهود مهما كانوا فهم جزيرة صغيرة في هذا البحر العربي الإسلامي، ولو صبرنا نحن لكانت العاقبة لنا، إن شاء الله.

QaradawiBooks.com

ولاة المسلمين السائرون في ركاب أعداء الإسلام

س: نرى أعداءنا على اختلاف مشاربهم ومآربهم، يختلفون فيما بينهم على كل شيء، لكنَّهم يتفقون على شيء واحد، وهو العداوة للإسلام والمسلمين، والحرب على هذا الدين، وسؤالي هو: لماذا يسير كبراؤنا في طريق التقرب من هؤلاء الذين يعادون الإسلام؟ وماذا يربحون من وراء هذا الخضوع لهم؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فهذا واقع مؤسف، ولكن ليس كل الكبراء، وليس كل الرؤساء، وليس كل الخاصة يسيرون في ركاب أعداء الإسلام، هناك من وفَّقه الله ووقف وقفة طيبة، وهناك من ذلَّت نفسه، وانحنت رأسه، وسار في الرِّكاب، وتمسَّح بالأعتاب، ومشى وراء هؤلاء الذين يعادون الإسلام، يرجو عندهم المصلحة، كما قال الله في هؤلاء: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

QaradawiBooks.com

هذا الصنف الَّذي يجري ويلهث وراء مصلحته، وليس وراء عقيدته.

فمن النَّاس إنسان مبدأ، ومنهم إنسان منفعة، منهم جندي العقيدة، ومنهم جندي الغنيمة، يتبع الغنيمة، ويسيل لها لعابه، على خلاف ما كان الأنصار رضي الله عنهم.

وقد قال عنترةُ بن شدَّاد:

هلَّا سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي؟
يخبركِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعةَ أنَّني أغشى الوَغى وأعفُّ عند المَغْنَمِ[1]!

فكثير من كبرائنا ورؤسائنا ووزرائنا وحكامنا هم من الصنف الذليل الدنيء، عبيد المنفعة، فإذا لوَّح له الأمريكان، أو لوَّح له البريطانيون أو الفرنسيون، أو من فيهم القوة، يسيل لعابه، ويلهث وراء أسياده، وإذا لوَّحوا له بالعصا وخوَّفوه خنس وأصبح فأرًا، فأر مع عدوه، وأسد على قومه، كما قال عمران بن حِطَّان الخارجي عن الحجاج بن يوسف:

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نَعَامَةٌ فَتْخَاءُ تَهْرَبُ من صَفِيرِ الصَّافِرِ[2]

وكما قلتُ في قصيدة لي عمَّن أذاقنا الويلات في سجونه، وخنع أمام الأعداء:

أفعندنا كبشُ النِّطاحِ ونعجةٌ في الحربِ جمَّاءٌ بغير قُرُونِ[3]؟

---

(١) جمهرة أشعار العرب صـ ٣٦٤.

(٢) العقد الفريد (٣٠٢/٥).

(٣) انظر ديواننا: نفحات ولفحات صـ ٤٢، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

في السجن الحربي تَضْرِب وتقتل، وفي الحرب تستسلم وتخنع، وتترك حرب الأعداء.

لا ينفع الأمة إلَّا أناس أقوياء، كما قال الله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

من الَّذي نصر الإسلام والمسلمين أيام الصليبيين وأيام التتار؟ نصره رجال أقوياء، من أمثال الشهيد نور الدين محمود، الَّذي كان يشبَّه بالخلفاء الراشدين في سيرته وعدله، وزهده وشجاعته، وتلميذه صلاح الدين الأيوبي، الَّذي نصر الله به الإسلام في معارك كبرى، مثل معركة حطين، وفتح بيت المقدس من جديد، بعد أن ظل القدس أكثر من تسعين عامًا في أيدي الصليبيين، ومثل قطز، القائد المملوكي الصالح، الَّذي نصره الله على التتار في معركة عين جالوت، في الخامس والعشرين من رمضان سنة ستمائة وثمان وخمسين للهجرة، مثل هؤلاء هم الذين يعتز بهم الإسلام، وينصر الله بهم الدين، وترقى بهم الأمة وتنهض.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إحالة المدنيِّين للقضاء العسكري

س: نودُّ أن نسأل فضيلتكم عن حكم الشرع في إخلال الدولة بقاعدة المساواة مع رعاياها، من خلال إحالة شخصيات مدنيَّة من إحدى قوى المعارضة السياسيَّة إلى القضاء العسكري الاستثنائي، في نفس الوقت الَّذي يحال فيه آخرون بجرائم أشد جسامة إلى القضاء الطبيعي، الَّذي تتوافر فيه كلُّ الضمانات للمتَّهم والدفاع؟

وقد انتهت المحاكمة العسكرية لتلك القيادات الإصلاحية بأحكام قاسية تتراوح بين السجن لمدد مختلفة، وبين مصادرة الأموال والشركات الخاصة، بما أثَّر على أسرهم، وعلى عدد كبير من أسر العاملين بهذه الشركات.

وهنا نسأل أيضًا: عن الحكم الشرعي في مثل هذه الحالات؟ وكيف يمكن معاملة الجميع على قاعدة المساواة، وما واجب المجتمع ومنظَّماته تجاه المظلومين من المحاكمين؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

(وبعد)

بغضِّ النظر عن السؤال وظروفه وما يلابسه، يؤسفني أن أقول: إنَّ الأوضاع في بلادنا مقلوبة في عصرنا الحالي، فالإنسان ممنوع من أبسط حقوقه؛ وهو التعبير عن رأيه، والدفاع عن نفسه، والمحاكمة أمام قاضيه الطبيعي!

إنَّ من أجلى مظاهر ضياع حقوق الإنسان العربي: المحاكمات العسكرية للمدنيِّين، وإلقاء الأبرياء في السجون بدون تُهَم.

إنَّ الشريعة الإسلاميَّة تشدِّد كثيرًا فيمن يُعَيَّن قاضيًا بين الناس، وتشترط فيه شروطًا علميَّة ودينيَّة وأخلاقيَّة، حتَّى لا يقضي بغير علم، أو يقضي بالهوى، فيكون من أهل النار، حتَّى إنَّ الأصل في الشريعة: أن يكون القاضي عالمًا بالشرع، قد بلغ درجة الاجتهاد.

ثم إنَّ من حقِّ الفرد الَّذي يُتَّهم اتهامًا يعتبره ظالمًا: أن يدافع عن نفسه تجاه مَن ظلمه، أو مَن يعتقد أنَّه ظلمه، ويرفع صوته جاهرًا بالحقِّ، بل أباح الله تعالى له ما لم يُبِح لغيره، رعايةً لظرفه، وذودًا عن حرمته، حين قال الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، ولا يجوز لأحد منع المتَّهم من الدفاع عن نفسه، أو محاكمته أمام قاضيه الطبيعي، فهذا حقٌّ طبيعي شرعي وقانوني، وقد أعطى الله الحرية لإبليس اللعين ليجادل عن نفسه أمام ربِّ العالمين، حين أمره بالسجود لآدم، فأبى واستكبر، فلمَّا سأله ربه: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢]، كما جعل من حقِّ كلِّ نفس يوم القيامة أن تجادل عن نفسها، كما قرَّر

QaradawiBooks.com

القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١].

ويجب على المجتمع المسلم أن يتيح لكلِّ مُتَّهم الفرصة، ويحفظ له حقَّ الحرية في هذا الدفاع عن النفس؛ بكلِّ ما يستطيع: قولًا باللسان، أو كتابةً في الصحف، أو حديثًا إلى المذياع، أو إلى التلفزيون، ولا سيَّما إذا كان شخصية عامَّة، لها وزنها وتأثيرها وتاريخها. فلا يجوز شرعًا أن يترك لمخالب خصومه وأنيابهم تفترسه جهارًا نهارًا، والمجتمع يتفرَّج، ولا يحرِّك ساكنًا، والأبواب مغلقة على المتَّهم البريء، لا يملك أن يردَّ عن نفسه أسلحة الخصوم الذين يملكون كلَّ شيء، وقد جرَّدوه من كلِّ شيء.

إنَّ الله تعالى أنزل تسع آيات في القرآن من سورة النساء تدافع عن يهودي اتُّهم بالسرقة ظلمًا، وكان السارق من المسلمين، وكاد الرسول الكريم يصدِّق قول قوم السارق، ويجادل عنهم، لولا أن نزل الوحي يبيِّن له، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۝ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝ هَاأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ

QaradawiBooks.com

﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٥ ـ ١١٣].

إنَّ هذه الآيات ـ كما بيَّنت أسباب نزولها ـ تدلُّ على أنَّ العدل في القرآن، أو العدل في الإسلام ـ وهو عدل الله سبحانه ـ لكلِّ عباد الله، وليس عدلًا للمسلمين وحدهم. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

إنَّ المجتمع المسلم مجتمع متضامن متكافل، لا يقبل أن يسقط أحد البرآء فيه ضحيةً لظلم مبيَّت، ومؤامرة مدبَّرة، وكيدٍ عظيم، وهو ساكت، فإنَّ الساكت عن الحقِّ شيطان أخرس، وهذا موقف المجتمع المؤمن المتضامن، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. والنبي ﷺ يقول: «**المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلِمُه**»[(١)]. ومعنى «**لا يُسْلِمُه**»: أي لا يتخلَّى عنه، ولا يتركه في ساعة الشدَّة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا**». قالوا: يا رسولَ الله، ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: «**تمنعُه من الظلم، فذلك نصرُك له**»[(٢)].

فالإسلام يوجب على المجتمع المسلم أن ينصر المظلوم على الظالم مهما تكن قوَّته وجبروته، وإلَّا فقدت الأمة معنى وجودها. والحديث النبويُّ يقول: «**إذا رأيتَ أُمَّتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالمُ فقد تودِّع منهم**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٢٨.

(٢) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢)، عن أنس.

(٣) سبق تخريجه صـ١٤٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد عرَف العالم المعاصر وسائل وآليات شتَّى سلمية وقانونيَّة، لمواجهة الظلم الواقع على الأفراد، ولو كان ظالمهم هو حكومتهم نفسها، وعلى مجتمعاتنا أن تستفيد من هذه الوسائل، لترفع الظلم عن المظلومين، أو تخفِّف عنهم ما استطاعت، فإنَّما تهلك الأمم إذا انتشر فيها الظلم، ولم تجد أحدًا يقاومه، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

والله يقول الحقَّ، وهو يهدي السبيل.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العمل في جيش وشرطة الانقلاب، وحكم الجندي إذا أُمر بقتل من يراه بريئًا؟

س: هل يجب على جنود وضباط الجيش ورجال الشرطة في الداخلية ترك عملهم، احتجاجًا على الانقلاب العسكري، وعلى مقتل الآلاف من المتظاهرين، الذين يتظاهرون ويعتصمون، طلبًا لعودة المؤسسات الدستوريَّة والشرعيَّة؟ وماذا عليهم أن يفعلوا إذا طُلب منهم قتل إخوانهم، الذين يرونهم بأعينهم، لا سلاح معهم، ولم يعتدوا على أحد؟! علمًا بأنَّ القوانين العسكرية تلزم هؤلاء الجنود أن يطيعوا من أمرهم، وإلَّا تعرضوا للعقوبة، وقد يتعرضون للموت. فما حكم الشرع في ذلك؟ نرجو بيان ذلك بأدلته الشرعيَّة.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

إنَّ وزارة الداخلية منوط بها حفظ الأمن الداخلي، وملاحقة اللصوص والمجرمين، ومن يتعدَّى على حرمات الأفراد والجماعات، وعلى مؤسسات الدولة وممتلكاتها، وكذلك تنفيذ أحكام القضاء في حق من اعتدى على أحد: في ماله، أو جسده، أو أهله، أو عرضه.. إلى غير ذلك.

QaradawiBooks.com

كما أنَّ وزارة الدفاع المسؤولة عن الجيش بكل مكوناته: برًّا، وبحرًا، وجوًّا، يقع على كاهلها الدفاع عن حدود مصر من أطماع الطامعين، وصدُّ أيِّ عدوان على أرضها وشعبها، وعلى مكتسبات الوطن ومقدراته، وجدير بها أن تعمل على تطوير ذاتها بالحصول على أحدث الأسلحة، والتدريب عليها، وأن تقوم برفع مستوى أفرادها وفق أحدث التدريبات القتالية، مع العمل في اتجاه الاكتفاء الذاتي من المعدات والأسلحة، الَّتي يتطلَّبها هذا الدور المنوط بها، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وهاتان الوزارتان ملك للشعب، تقومان بما لا غِنى للدولة عنه، وليس وزير الدفاع، أو وزير الداخلية، ومن تابعهما إلَّا مجموعة من الأفراد، الذين يجب أن يطيعوا من فوقهم، ولا يظلموا من دونهم. وعليهم أن يحذروا ما انتهوا إليه اليوم: أن غدوا في مقدمة الحكام الظالمين، الذين اغتصبوا السلطة اغتصابًا، ووجَّهوا عمل هاتين الوزارتين لقمع الشعب الَّذي انتفض دفاعًا عن حريته وكرامته، وحقوقه الإنسانيَّة، وعن صوته الانتخابي الَّذي أهدر في العديد من الاستحقاقات الانتخابيَّة.

وليس من عمل وزارة الداخلية، ولا وزارة الدفاع: ملاحقة السياسيين، أو قتل الثائرين، أو اعتقال الأبرياء، وإن كانوا معارضين لسياسة الدولة. فالناس في الدولة الإسلاميَّة ـ أو الَّتي رضي عنها الإسلام ـ أحرار في إبداء آرائهم، ما داموا لا يحملون سلاحًا يهددون به من يخالفهم، بل الإسلام يوجب عليهم أن يقولوا ما يعتقدونه حقًّا، ولا سيَّما إذا سكت الناس.

QaradawiBooks.com

ولكنِّي أرى هذه المحنة القائمة سحابة ابتلاء للمؤمنين، وتمحيص للمخلصين، عمَّا قريب إن شاء الله ستنقشع، وستنتصر إرادة الشعب الحرِّ، الَّذي يأبى أن يحيا ذليلًا بعد أن ذاق طعم العزة، ويرفض أن يعيش حياة العبودية بعد أن تنسَّم عبير الحرية.

أمَّا العمل في هاتين الوزارتين، فهو عمل لا بدَّ منه للحفاظ على كيان الدولة، الَّتي يجب أن تبقى مكينة مصونة، وأن نعمل جميعًا على بقائها.

ولكن على من يعمل في هذه الوظائف أن يتَّقي الله تعالى، وألَّا يكون عونًا لهؤلاء الظالمين، فلا يقتل بريئًا، أو يعين على قتله، بفعل أو قول، ولو كان قليلًا، ولا يساعد على ظلم أحد، فإنَّ الله لا يحب الظالمين، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

إنَّ الله تعالى حرَّم القتل في كتابه، وشدَّد فيه، وقرَّر القرآن الكريم مع الكتب السماوية الأخرى: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وروى البخاري، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن يزال المؤمنُ في فُسحة من دِينه، ما لم يصبْ دمًا حرامًا**». وقال ابن عمر: «**إنَّ من وَرَطات الأمور، الَّتي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفكَ الدمِ الحرام**

QaradawiBooks.com

بغير حلِّه»[١]. والورطات: جمع ورطة. وهي الهلكة، وكل أمر يعسر النجاة منه.

وروى الترمذي والنَّسَائي، عن عبد الله بن عمرو، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**لزوالُ الدُّنيا أهونُ على الله من قتل رجلٍ مسلم**»[٢].

وروى الترمذي، عن أبي سعيد وأبي هُرَيْرة، عن رسول الله ﷺ: «**لو أنَّ أهل السماء والأرض اشتركوا في دمِ مؤمنٍ، لأكبَّهم اللهُ في النَّار**»[٣].

وروى ابن حِبَّان وغيره، أنَّ ابن عمر نظر يومًا إلى الكعبة، فقال: ما أعظمَكِ وأعظمَ حُرْمَتَكِ! ولَلمُؤمنُ أعظمُ عند الله حرمةً منك[٤].

بل نجد النبيَّ ﷺ لا يكتفي بتحريم القتل، بل يحرِّم مجرد إشارة المسلم إلى أخيه بالسلاح وغيره، وإن لم يقتل، كما في الحديث المتفق عليه، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لا يشيرُ أحدُكم على أخيه بالسلاح؛ فإنَّه لا يدري، لعلَّ الشيطانَ يَنْزِعُ في يده، فيقع في حُفْرة من النَّار**»[٥].

وروى مسلمٌ عن أبي هُرَيْرة، قال: «**من أشار إلى أخيه بحديدةٍ؛ فإنَّ الملائكة تلعنه، حتَّى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمِّه**»[٦].

---

(١) رواه البخاري في الديات (٦٨٦٢، ٦٨٦٣).

(٢) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٥) مرفوعًا، وموقوفًا، ورجح الموقوف. والنَّسائي في تحريم الدم (٣٩٨٧)، والبيهقي في النفقات (٢٢/٨)، وصحَّحه السيوطي في الصغير (٧٢٣٦) والألباني في غاية المرام (٤٣٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٨) وقال: حديث غريب. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٤٢): صحيح لغيره.

(٤) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٣٢) وحسَّنه. وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٦٣)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

(٥) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٧٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٦١٧).

(٦) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦١٦).

QaradawiBooks.com

والمسؤولية في هذا الأمر تتعلق بالجميع: بمن أمر، وبمن أطاع، وبمن خطَّط، وبمن نفَّذ، فالله تعالى يخبرنا أنَّ الإثم يلحق الجنود المشاركين، كما يلحق القادة الآمرين، قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨]. ومعنى «خاطئين»: آثمين، فأشرك الجنود مع القادة. فلولا الجنود ما صنع القادة شيئًا!

وعند نزول العذاب، فإنَّ الله تعالى يعاقب من شارك في هذه الجريمة جميعًا، قال تعالى في شأن فرعون: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۞ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٠ ـ ٤٢].

وقال في سورة أخرى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات: ٤٠]

وروى الشيخان، عن ابن عمر، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**السمعُ والطاعةُ حقٌّ على المرء المسلم، فيما أحبَّ وكره، ما لم يُؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية، فلا سمعَ ولا طاعة**»(١).

وقال: «**لا طاعةَ في معصية، إنَّما الطاعة في المعروف**». كما في حديث عليٍّ(٢).

ولا شكَّ أنَّ قتل المسلم أو المسيحيِّ أو البشر عمومًا بغير ذنب معصية من كبريات المعاصي، بل هي من السبع الموبقات.

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٤٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٩).
(٢) سبق تخريجه صـ٢٢٥.

QaradawiBooks.com

ولهذا لا ينبغـــي للضابط أو الجندي أن ينفِّذ أمـــرًا يخالف أمر ربِّه، وحكم شرعه، يخرب عليه دِينه، ويُفسد عليه دنياه، ثم يوبق عليه آخرته، ليس في الإســـلام أن يقول أحد: إنَّه عبدٌ مأمور، فإنَّما هو عبدٌ مأمور لله وحده، هو الَّذي خلقه وسواه، وهو الَّذي يطعمه ويسقيه، وإذا مرض فهو الَّذي يشـــفيه، وهو الَّذي يميته ثم يحييه، وهو الَّذي يحاسبه على عمله يوم القيامة وحده، وهو الَّذي من حقِّه أن يأمره وينهاه.

لن ينفعك من أصدر لك أمرًا ظالمًا فأطعته، ولن يغني عنك من الله شيئًا قائدٌ ورَّطك في قتل امرئٍ مسلمٍ بغير حق، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢].

أدعو جميع إخواني العلماء، في كل المدن والقرى، أن يوعُّوا الجنود بهذه الحقيقة الشرعيَّة الأكيدة، الَّتي لا يختلف فيها اثنان، حتَّى لا يتورَّط أبناؤنا الجنود الطيبـــون في قتل إخوانهم، ويســـتحقوا دخول نار جهنم خالدين فيها، وهم لا يشعرون.

وعلى الآبـــاء والأمهات، والزوجـــات، والأبنـــاء، وجميع الأقارب والأصدقاء: أن يبصِّروا الجنود بالحكم الشرعي، في هذا الأمر الخطير، حتَّى لا يقتل النَّاس بعضهم بعضًا، ويبوءوا بلعنة الله وعذابه.

على أنَّ إساءة الجندي من الجيش أو الشرطة، إلى أي إنسان: مسلم أو مسيحي، صالح أو طالح، بغير حق، ولو بما دون القتل، من ضرب، أو مسٍّ بأذى، من قول أو فعل: أمر محرَّم في الإســـلام، لا يحبُّه الله ولا يرضاه، بل يعاقب عليه بعدله.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وقال تعالى في الحديث القدسي الَّذي رواه مسلم، عن أبي ذرٍّ، عن النبيِّ، عن ربِّه، أنَّه قال: «**يا عبادي، إنِّي حرَّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلته بينكم محرَّمًا، فلا تظالموا**»[1].

والله الموفِّق إلى سواء السبيل.

* * *

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

وجوب تأييد الرئيس المصري المنتخب محمد مرسي، وإبقاء الدستور، ودعوة السيسي ومن معه للانسحاب حفاظًا على الشرعيَّة والديمقراطيَّة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا وإمامنا محمد رسول الله، وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وأصحابهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه فتوى أُصدرها للشعب المصري بكل فئاته ومكوناته، ممَّن رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن إمامًا ومنهاجًا، وبمحمد نبيًّا ورسولًا، وجعل الشريعة الإسلاميَّة ـ بشمولها وتكاملها وتوازنها ووسطيتها ـ مرجعًا له، حين تلتبس الأمور، وتتعقَّد المشكلات، ويتجه النَّاس يمينًا وشمالًا، فلا يجد النَّاس أفضل، ولا أصفى من كتاب الله وسنة رسوله، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وخلاصة فتواي الَّتي يشاركني فيها كثير من علماء الأزهر في مصر، وعلماء العالم العربي والإسلامي، وعلماء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الَّذي أتشرف برئاسته: أنَّ المصريين عاشوا ثلاثين سنة ـ إن لم نقل ستين سنة ـ محرومين من انتخاب رئيس لهم، يسلِّمون له حكمهم باختيارهم، حتَّى هيَّأ الله لهم، لأول مرَّة رئيسًا اختاروه بأنفسهم وبمحض إرادتهم، وهو الرئيس محمد مرسي، وقد أعطوه مواثيقهم وعهودهم على السمع والطاعة في العسر واليسر، وفيما أحبُّوا وما

QaradawiBooks.com

كرهوا، وسلمت له كل الفئات من مدنيِّين وعسكريِّين، وحكَّام ومحكومين، ومنهم الفريق أوَّل عبد الفتاح السيسي، الَّذي كان وزير الدفاع والإنتاج الحربي في وزارة هشام قنديل، وقد أقسم وبايع أمام أعيننا على السمع والطاعة، للرئيس مرسي، واستمر في ذلك السمع والطاعة حتَّى رأيناه تغيَّر فجأةً، ونقل نفسه من مجرد وزير إلى صاحب سلطة عليا، علَّل بها أن يعزل رئيسه الشرعي، ونقض بيعته له، وانضم إلى طرف من المواطنين، ضدَّ الطرف الآخر، بزعم أنَّه مع الطرف الأكثر عددًا.

وقد أخطأ الفريق السيسي ومن وافقه في هذا التوجه، من الناحية الدستوريَّة، ومن الناحية الشرعيَّة.

أمَّا الناحية الدستوريَّة، فإنَّ الرئيس المنتخب انتخابًا ديمقراطيًّا، لا جدال ولا شكَّ فيه، يجب أن يستمرَّ إلى انتهاء مدَّته المقرَّرة له، وهي أربع سنوات، ما دام قادرًا على عمله، لم يصبه ما يعوقه تعويقًا دائمًا عن العمل.

وإذا كان له أخطاء، قد اعترف بها هو شخصيًّا، فإنَّ على الشعب وقواه السياسيَّة المختلفة أن يصحِّح له أخطاءه، وينصح له، ويصبر عليه، ولكنَّه يظل رئيسًا للجميع.

أمَّا أن يخرج جماعة عن طاعة الرئيس، ويعطوا لأنفسهم سلطة على الشعب، ويعزلوا الرئيس ويبطلوا الدستور، ويفرضوا رئيسًا آخر، ودستورًا آخر، فإنَّه عمل يصبح كله باطلًا؛ لأنَّهم أوجدوا سلطة لم يؤسِّسها الشعب، بل نقضوا عهد الله، وعهد الشعب، وأبطلوا ما قامت به ثورة عظيمة قام بها الشعب كله، وأقامت هذا النظام الديمقراطي، الَّذي حلم

QaradawiBooks.com

به الحالمون دهورًا، وضحَّت الجماهير من أجله سنين وسنين، حتَّى وصلت إليه. لهذا يرفض الدستور والنظام الديمقراطي كل ما أُعلن من إجراءات غير دستوريَّة.

وأمَّا من الناحية الشرعيَّة، فإنَّ الشرع الإسلامي الَّذي يريده أهل مصر مرجعًا لهم في دولة مدنيَّة، لا دولة دينيَّة ثيوقراطيَّة، يوجب على كل من آمن به ورجع إليه؛ طاعة الرئيس المنتخب شرعًا، وتنفيذ أوامره، والاستجابة لتوجيهاته، في كل شؤون الحياة وذلك بشرطين:

الشرط الأول: ألَّا يأمر الشعب بمعصية ظاهرة لله، بيِّنة للمسلمين. وهذا ما صحَّت به الأحاديث النبويَّة المستفيضة الَّتي رواها البخاري ومسلم وغيرهما:

«**اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبدٌ حبشيٌّ، كأنَّ رأسَه زبيبة**»[١].

«**من رأى من أميره شيئًا يكرهه، فليصبرْ، فإنَّه ليس أحدٌ يفارق الجماعة شبرًا، فيموت، إلَّا مات ميتة جاهليَّة**»[٢] عن ابن عبَّاس.

«**السمعُ والطاعة حقٌّ على المرء المسلم، فيما أحبَّ وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة**»[٣] عن ابن عمر.

«**إنَّما الطاعةُ في المعروف**»[٤] عن عليٍّ.

وهو تأكيد لما أشار إليه القرآن حين قال عن بيعة النساء: ﴿**وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ**﴾ [الممتحنة: ١٢].

---

(١) رواه البخاري في الأحكام (٧١٤٢)، عن أنس.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٠٢.

(٣) سبق تخريجه صـ١٥٤.

(٤) سبق تخريجه صـ٢٢٥.

QaradawiBooks.com

ولم يثبت في واقعة واحـدة: أنَّ الرئيس محمد مرسـي أمر مواطنًا واحدًا بمعصية ظاهرة لله تعالى، بل ما نراه من مظاهرات وتفاعلات في ميدان التحرير، هو من حسنات محمد مرسي.

والشرط الثاني: ألَّا يأمر الشعب بأمر يخرجهم به عن دينهم، ويدخلهم في الكفر البـواح، ويعني به: الكفـر الصريح، الَّذي لا يحتمل الشـك والجدال، وهو ما جاء في حديث عبادة رضي الله عنه: بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسـرنا، وأثرة علينا، وألَّا ننازع الأمر أهله، قال: «**إلَّا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان**»[1].

ومن هنا نتبيَّن بيقين: أنَّ الرئيس الشـرعي مرسي لم يأمر بمعصية، ولم يرتكب كفرًا بواحًا، بل هو رجل قرآني صـوامٌ قوامٌ، حريص على طاعة الله تعالى.

فالواجب أن يظلَّ رئيسًـا، ولا يجوز لأحدٍ أن يدَّعي على الشعب أنَّ له الحق في خلعه.

وادعاء الفريق السيسي أنَّه قام بهذا من أجل مصلحة الشعب، ومنعًا لانقسامه إلى فريقين، لا يبرِّر له أن يؤيد أحد الفريقين ضد الفريق الآخر.

ومن استعان بهم الفريق السيسـي لا يمثلون الشعب المصري، بل جزءًا قليلًا منه. فالإمـام الأكبر الدكتور أحمد الطيـب رئيس هيئة كبار العلماء ـ وأنا أحدهم ـ لم يستشـرنا، ولم نفوِّضه ليتحدَّث باسمنا، وهو مخطئ في تأييـده الخروج على الرئيس الشـرعي للبلاد، وهو مخالفٌ لإجماع الأمة، ولم يسـتند فـي موقفه إلى قرآن ولا إلى سـنة، بل كل القرآن والسُّنَّة مع الرئيس مرسـي، وخالف علماء الأمة الإسلاميَّة الذين

(١) سبق تخريجه صـ٢٠٣.

QaradawiBooks.com

لا يبيعون علمهم من أجل مخلــوق كان. كل ما قالــه الطيب: ارتكاب أخفِّ الضررين. ومن قال: أنَّ خلع الرئيس الشــرعي، ورفض الدستور الَّذي وافق عليه نحو ثلثي الشعب، وإدخال البلاد في متاهة ـ لا يعلمها إلَّا الله ـ هو أخف الضررين، بل هو الضرر الأكبر الَّذي حذَّر منه القرآن الكريم وأحاديث الرسول، وأقوال علماء الأمة.

ليت الدكتور الطيب يتعامل مع الدكتور مرســي كما تعامل من قبل مع حســني مبارك! فلماذا يكيل بمكيالين؟ فهذا تخريب لدور الأزهر، الَّذي يقف دائمًا مع الشعب، لا مع الحاكم المستبد.

وأمَّا البابا تواضروس، فلم يوكِّله الأقباط، ليتحدَّث باســمهم، وقد كان منهم من شارك مع حزب الحرية والعدالة والأحزاب الإسلاميَّة.

وأمَّا البرادعي فلم توكِّله جماعة الإنقــاذ، وليس معه إلَّا حفنة قليلة من الأفراد، ولا تدعي القوى المعارضة أنَّه يمثلها.

وأمَّا من تحدَّث باســم «حزب النــور»، فإنَّما يمثِّــل مجموعة قليلة معروفة من الأفراد، وكل الســلفيين، والجماعة الإســلاميَّة، والأحزاب الوطنية الحرة، والأفراد الشرفاء ضد هذا التوجه، الَّذي يوشك أن يودي بالبلاد، وحقوق العباد، إلى ما لا تحمد عقباه.

إنَّني أنادي الفريق السيســي ومن معه بكل محبة وإخلاص، وأنادي كل الأحــزاب والقوى السياســيَّة في مصر، وأنــادي إخواني من علماء العالم، وكل طلاب الحرية والكرامة والعدل، أن يقفوا وقفة رجل واحد، لنصرة الحق، وإعادة الرئيس مرسي إلى مكانه الشرعي، ومداومة نصحه، ووضع الخطط المعالجة والبرامــج العمليَّة، الَّتي تحفــظ علينا حريتنا وديمقراطيتنا، الَّتي كسبناها بدمائنا، ولا يجوز أبدًا أن نفرِّط فيها.

QaradawiBooks.com

إنَّ حسني مبارك ظل ثلاثين عامًا يفسد في البلاد، ويذل العباد، ويسرق الأموال، ويهربها للخارج، ويستأجر البلطجية ليحموا رجاله، إلى آخر ما يعرفه النَّاس من ألوان الطغيان والفساد، حتَّى سلَّم البلاد لمن بعده خرابًا تمامًا، ومع هذا لم يعزله الجيش، وإنَّما ترك له أن يوكِّل هو الجيش ليتولَّى الأمر من بعده، أفنصبر على حسني مبارك ثلاثين سنة، ولا نصبر على محمد مرسي سنة واحدة؟ إنَّ العيب ليس في النظام الديمقراطي، إنَّما العيب فيمن يطبِّقونه، وإصلاحه أن نعمل به لا أن نهدمه من أساسه.

حرام على مصر أن تفعل هذا، وأن تفرِّط في دستورها، وفي رئيسها المنتخب، وفي شريعة ربها، فليس وراء ذلك إلَّا مقت الله ونكاله، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

إنِّي أنادي من أعماق قلبي الشعب المصري كله، الَّذي أحبه وأفتديه، ولا أريد منه جزاءً ولا شكورًا، إنَّما أريد وجه الله وحده. أناديه في الصعيد والوجه البحري، وفي المدن والقرى، وفي الصحاري والأرياف، أناديه رجالًا ونساءً، شبابًا وشيوخًا، وأغنياء وفقراء، وموظفين وعمالًا، ومسلمين ومسيحيين، وليبراليين وإسلاميين، ليقفوا جميعًا في صفٍّ واحد، للحفاظ على مكتسبات الثورة: على الحرية والديمقراطيَّة، والتحرر من كل ديكتاتورية، ولا نفرط فيها لحاكم مستبد، عسكريًّا كان أو مدنيًّا، فهذا ما وقعت فيه بعض الأمم، ففقدت حريتها، ولم تعد إليها إلَّا بعد سنين، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

اللهم احرس مصرنا واحفظ شعبنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا. آمين.

QaradawiBooks.com

فتوى حول وجوب مقاطعة دستور الانقلابيين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لا يرتاب مؤمن صحيح الإيمان، أو عاقل سليم الجَنان، أو حر لم تخمد جذوته، أو شريف لم تتلطخ مبادئه: أنَّ ما جرى في مصر في الثالث من يوليو ٢٠١٣م هو انقلاب عسكري مكتمل الأركان، على رئيس مدني منتخب من الأمة، انتخابًا حرًّا نزيهًا، وله في عنق الشعب بيعة بأربعة أعوام.

وله سجل من الإنجازات الواضحة ـ على الرغم من محاولة أركان الدولة العميقة تعويقه وإهدار طاقته ـ شهد به المنصفون، من تحسين منظومة الخبز، والسعي نحو الاكتفاء الذاتي من القمح، ومحاصرة أباطرة السولار والبنزين، وما استجاب له من مبادرات طموحة عملاقة كمشروع محور قناة السويس، وغدونا نسمع عن أحلام وآمال كبيرة لمصر، مثل أوَّل حاسوب مصري، وأول سيارة مصرية، وظهر جليًّا توجُّهه إلى دعم تقنيات البحث العلمي وتطبيقاته، إلى جانب مشروعات التكامل الإقليمي مع دول الجوار، وبناء جسور التعاون الدولي مع العديد من بلدان العالم،

QaradawiBooks.com

مثل تركيا والبرازيل، وباكستان والهند وإيران، والصين وروسيا، وما نشأ عن ذلك من اتفاقيات كبرى في فترة محدودة من الزمن.

وظهر في عهده رغبة واضحة لبناء مؤسسات الدولة المصرية الحديثة، الَّتي لا تُقصي أحدًا، حاول فيها أن يكون مثالًا لإنكار الذات، والعفو عن المسيء، والعمل لخدمة وطنه، ولكنَّ الأيادي الملوثة الَّتي ما عهدت الطهارة، والنفوس المريضة بكسب المال الحرام، والعقول المنغلقة عن آفاق التطور والرقي: أبت إلَّا أن تقف في طريق تقدُّم مصر، وأن تضع العراقيل أمام قائدها، وأن تلقي بالحواجز أمام موكب النهضة، فعكفوا على العمل على وأد ذلك الحلم الوليد، فكان مكر الليل والنهار، اشترك فيه قادة خائنون، وإعلاميون كاذبون، وقضاة مرتشون، حيث تلاقت المصالح، وتقاربت الأهداف. ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

وقد ترتَّب على هذا الانقلاب مجازر بشعة، لم تحدث في تاريخ مصر الحديث، فقُتل الآلاف، وأُصيب واعتقل عشرات الآلاف من خيرة أبناء مصر، ومن أطهر شبابها وفتياتها، وصُودرت الحريات، وأُغلقت القنوات الإسلاميَّة، الَّتي كانت تعمل منذ عصر مبارك. وضُيِّق على الشرفاء من الصحفيين والإعلاميين، ونشطت آلة القمع، وازدادت الاعتقالات التعسفية، مع تلفيق التهم الباطلة، وانتشار المحاكمات الهزلية. ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣].

فهذه السلطة الَّتي تقوم بهذا العدوان على الحق لتخمده، وتقيم دعائم الباطل وتعضده، وتجنِّد مؤسسات الدولة لمحاربة كل ما هو

QaradawiBooks.com

منتخب، ليستبدل به كل ما هو معين، وتعبث بعقول البسطاء والعامة، حتَّى يظنوا الحق باطلًا، والباطل حقًّا، وحتى يروا النهار مظلمًا، والليل مشرقًا.

هذه سلطة زائفة لا ينبغي السير في ركابها، أو العمل على تثبيت دعائمها، أو تقوية أركانها، لا سيَّما وقد أظهرت عن وجهها القبيح، واشرأبَّ من خلالها رموز الفساد في مصر، ممَّن قامت عليهم ثورة يناير، ليقودوا الحراك باسم ثورة ٣٠ يونيو المزعومة، وينظِّروا لهذا الدستور الساقط، بعد أن عطَّلوا دستور ٢٠١٢م المستفتَى عليه من المصريِّين، وجاءت نتيجة الموافقة عليه بنسبة ٦٤٪، دون أن يكون هذا مطلبًا جماهيريًّا لمن تظاهر في ٣٠ يونيو.

وأنا أرى المشاركة في الاستفتاء على الدستور، والمساهمة في أي عمل من شأنه أن يقوِّي هذه السلطة الانقلابية، أو يمنحها الشرعيَّة، أو يطيل أمد وجودها، أو يقوِّي شوكتها؛ يعدُّ من التعاون على الإثم والعدوان، وهو عمل مُحرَّمٌ شرعًا، لقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]. وقوله ﷻ: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

ولهذا استجاب نبي الله موسى لهذا الأمر فقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧].

وحذَّر الله تعالى المؤمنين من اتِّباع الظالمين والمجرمين، والسير في ركابهم، وبيَّن كيف ينقلب هذا التحالف بينهم في الدُّنيا إلى عداوة

QaradawiBooks.com

وبغضاء يوم القيامة، حين يرون العذاب، ويتخلَّى كل فريق عن صاحبه، فصوَّر لنا مشهد الصراع المتأجِّج في الآخرة، بين هؤلاء المجرمين ومن شايعهم، ورضي بظلمهم، وسار في ركابهم في الدنيا، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

وفي الحديث الَّذي رواه أحمد في مسنده، والنَّسائي في الكبرى، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، عن كعب بن عُجْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّه سيكون أمراء، فمن صدَّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس منِّي ولستُ منه، ولا يرد عليَّ حوضي، ومن لم يُصدِّقهم بكذبهم، ولم يُعِنْهم على ظلمهم، فهو مِنِّي وأنا منه، ويَرِدُ عليَّ حوضي**»[(١)].

ولا يصح عقلًا المشاركة في استفتاء على دستور لم يقم على توافق وطني، وتمت صياغته بعيدًا عن الحوار المجتمعي، وقام به أعضاء معينون، لا يمثلون إلَّا أنفسهم ومن عينهم من الانقلابيين، بل هو دستور صاغته الأقليَّة، وأقصت فيه الأغلبية.

(١) رواه أحمد (١٤٤٤١)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. والنَّسائي في البيعة (٤٢٠٧)، وابن حبان في السير (٤٥١٤)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤٢٢/٤)، وصحَّح إسناده ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

وفي المشـــاركة في الاســـتفتاء على هذا الدستور اســـتمرارٌ للظلم والقهر وتقوية له، مع تسويغ ما يترتب عليه من مصادرة لبقايا الحريات وتعقيد للأزمة.

إنَّ المشاركة في عمليَّة الاســـتفتاء بمثابة اعتراف كامل بشرعيَّة هذا الانقلاب، وممارســـاته القمعية الاســـتبدادية، في ظـــل التزوير المؤكد حدوثه، والذي ستشـــارك فيـــه مؤسســـات الدولة، في ظـــل انعدام أية ضمانات لنزاهة عمليَّة الاستفتاء.

وأنا أرى هذه الوثيقة الَّتي سمَّوها «الدستور» منعدمة شرعًا وقانونًا، حيث نتجت عمَّن لا حقَّ لهم في استصدار مثل هذه الوثائق.

فلجنة العشرة، ثم لجنة الخمسين، الَّتي قامت بالاعتداء الصارخ على دستور مصر الشـــرعي: لجنة لقيطة، معيَّنة من ســـلطات الانقلاب، ولا تدين بالولاء إلَّا لمن عيَّنها، ولا تمُتُّ للاختيار والرضا الشَّـــعْبِي بصلة، كما أنَّها ليست منتخبة لتعبِّر عن ضمير الأمة وإرادتها، وليست معبرة عن شرائح المجتمع وتوجهاته!

بـــل تعمل على إقصـــاء تيار شـــعبي، حاز ثقـــة الناخبيـــن في عدة استحقاقات انتخابيَّة.

وهذه اللجنـــة العلمانيَّة واليســـارية، في مجملها، أقـــل ما يقال في ممارســـاتها: إنَّها لجنة إقصائية، ســـعت بكل ما تملك لمصادرة الهوية الإسلاميَّة، والانتقاص من دور الشريعة الإسلاميَّة، وإلغاء كل الضوابط الشرعيَّة والأخلاقيَّة والقيمية، الَّتي تحافظ على أخلاق وعادات وتقاليد المجتمع المصري.

QaradawiBooks.com

وقد ظهر ذلك جليًّا حين حذفوا النصَّ على أنَّ مصر جزء من الأمة الإسلاميَّة، كما لم يتحملوا ذكر كلمة الشورى مع الديمقراطيَّة، فلم يبقوا عليها، وأهدروا أخذ رأي هيئة كبار العلماء فيما يتعلق بالشريعة الإسلاميَّة، وحذفوا التفسير الَّذي وضعه الأزهر لمبادئ الشريعة الإسلاميَّة، وضيَّقوا نطاق تلك المبادئ، معتمدين تفسير المحكمة الدستوريَّة العليا لها!

وإذا كان تجريمهم إقامة الأحزاب على أساس ديني من دافع المكايدة السياسيَّة، فلا أدري لماذا حذفوا المادة الَّتي كانت تحظر الإساءة أو التعريض بالرسل والأنبياء كافة، وما الحكمة في ذلك؟!

وما معنى خلو ديباجة الدستور من أي آية قرآنية أو حديث نبوي، في حين توضع كلمة البابا شنودة: «هذه مصر وطن نعيش فيه ويعيش فينا»؟!

إنَّني أحاول أن ألتمس في عمل هذه اللجنة خيرًا، فلا أرى إلَّا عداءً للدين وشريعته، وتنكُّرًا للإسلام ومبادئه، وطمسًا للحقيقة وأركانها، وحربًا على الفضيلة ودعائمها.

كما أنَّ هذا الدستور تفوح منه رائحة العهد البائد، وتنبعث منه دلائل الحنين إلى تلك الحقبة المظلمة، والإجراءات الظالمة، فهو دستور يعزِّز سلطة الفرد الواحد، ويتجاوز كل ما هو منتخب، ويستبدله بما هو معين، وإلَّا فماذا يعني أن يوكل الدستور للرئيس المعين، الَّذي لا يملك من أمره شيئًا، في تحديد متى وكيف سيشكل كل من مجلس النواب ورئاسة الجمهورية، وهل سيكون المجلس النيابي بالانتخاب الفردي أم بالقائمة

QaradawiBooks.com

الجماعية أو الحزبية، ولا بأية نسبة سيكون كل منهما إن اجتمعا، ولا يعرف النسبة الَّتي ستخصص للعمال والفلاحين، ولا نسبة ما سيخصص للشباب وللأقباط والمعوَّقين.

لقد تمَّ هذا الدستور خِلسة، وقام أعضاؤه بالإعداد له خُفية، في سراديب القاعات المغلقة، من أناس كثير منهم مطعون في نزاهته واستقلاله، ومغموص في توجهه ومبادئه، في ثلاثة أشهر، صاروا يسوِّقون لنضجه ودقته ومثاليته، بينما وصموا دستورًا كُتب من لجنة منتخبة، من مائة شخص، تمثل شرائح المجتمع، في جلسات ومناقشات علنية، أمام شاشات التليفزيون وكاميرات الإعلام، لمدة ستَّة أشهر كاملة، تعمل في الصباح والمساء: بأنَّه دستور مسلوق!

لقد صُنِع هذا الدستور على عين العسكر، لا أعين الشعب المصري بكل فئاته، ولبى طموحات بعض قادة الجيش، لا طموحات أبناء الوطن، جعل كل ما يتعلق بالجيش يناقشه مجلس الدفاع الوطني، المكوَّن في الأساس من عسكريين، وليس لجنة داخل مجلس النواب كما في الدستور الشرعي.

لقد نزع هذا الدستور سلطة تعيين وزير الدفاع من الرئيس المنتخب، ليقوم به المجلس العسكري، الَّذي يعيِّنه وزير الدفاع، أي عادت السلطة في النهاية إلى رأس الانقلابيين، المحصَّن مدة ثماني سنوات، لا يستطيع رئيس الدولة المنتخب من الشعب أن يغيِّره أو يعترض على ممارساته، أو يعدِّل مساره!

هذا الدستور ينصُّ على كيفية عزل رئيس الدولة، أمَّا وزير الدفاع فلا سبيل إلى عزله إلَّا بعد (٨) سنوات متتالية!

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ولماذا يصر هذا الدستور على أن يجعل وزير الدفاع محصَّنًا، إلَّا إذا كان يخشى عاقبة جريرة اقترفها، وجريمة ارتكبها، ولذلك يحاول التغطية على فعلته بهذا التحصين؟!

هذا الدستور يهدف إلى تأسيس الدولة القمعية، ويكرِّس لسيطرة المجلس الأعلى للقوات المسلحة، كما يتوسَّع على نحو مفرط في محاكمة المدنيين أمام القضاء العسكري، ويرسِّخ للدولة العلمانيَّة الإقصائية، ويبارك انتهاك الحريات العامة والخاصة، ويتغاضى عن إهدار حقوق المواطنين وكرامتهم، ويشرع لتغول سلطة الجيش والقضاء، وجعلهما كدولة فوق الدولة، بلا أيِّ رقابة من الشعب أو من يمثلهم، فالقضاة مستقلُّون غير قابلين للعزل، ورئيس المحكمة الدستوريَّة العليا ونوابه، ورئيس وأعضاء هيئة المفوضين بها مستقلون وغير قابلين للعزل، وكذا أعضاء القضاء العسكري مستقلُّون وغير قابلين للعزل!

إنَّ هذا كله باطل شرعًا ودستورًا وقانونًا، وكل ما بُني على باطل فهو باطل، وكل ما بُني على جهالة فهو عبث واستهانة بإرادة المصريين.

ثم أي دستور هذا الَّذي يُستفتى عليه، في ظل الزجِّ بآلاف الرجال والشباب والفتيات والأحداث في السجون ودور الأحداث، واقتحام الجامعات والمدن الجامعية، ودخول قاعات المحاضرات من قبل القوات الخاصة، واعتقال الطلاب وضربهم بقنابل الغاز، وإجبارهم على أداء الامتحانات تحت تهديد السلاح، حتَّى قُتِل منهم من قتل، وجرح منهم من جُرِح.

QaradawiBooks.com

قالوا: دستور الحريات، بينما وأدوا كل فكرة حرة، واغتالوا كل رغبة صادقة في الإصلاح: قصفوا الأقلام، وسجنوا أصحابها.. حجبوا الصحف، وعذَّبوا محرِّريها.. عطَّلوا البرامج الحرة، وسحلوا مقدميها!

وقالوا: دستور حقوق الإنسان، وقد اكتظت السجون والمعتقلات، بل ومعسكرات الأمن، من شباب مصر الأطهار، ومن رجالها الشرفاء، يرسفون في الأغلال والقيود، ويئنون تحت وطأة القهر والتعذيب، بل كُتب هذا الدستور ودماء المصريين تسيل في الشوارع.

وقالوا: دستور حقوق الطفل، ورأينا أطفالًا بريئة في عمر الزهور، يزج بهم في غياهب السجون وأقسام الشرطة؛ لأنَّ أحدهم أشار بيده، وآخر حمل إشارة تغضبهم، وثالث مارس حقه في الانضمام لمسيرة ترفض الانقلاب!

وقالوا: دستور حقوق المرأة، ورأينا كيف تصفع وجوه الحرائر، وكيف يسحلن في الشوارع، وكيف يشار إليهن بكلمات وتهديدات بذيئة، وإشارات خسيسة، وما يمارس ضدهن من تحرشات، وانتهاكات تشيب لها الرؤوس، وتقشعر منها الأبدان، في بلد الأزهر، وقلعة الإسلام، تحت علم وسمع وبصر الرموز الدينيَّة الرسمية في الأزهر، بل ومباركتها!

قالوا: دستور العلم، وما زال الحرم الجامعي والمدن الجامعية تئن من سطوة رجال الأمن، وتستجير من بطش البلطجية، الذين يستعين بهم الأمن علنًا ويستأجرهم، منذ وطئت أقدامهم أرض الجامعات، ودنست مدرعاتهم ساحاتها، وفتكت أسلحتهم بطلابها.

وما زال الطلاب والطالبات يعانون أشد المعاناة، ويتجرَّعون مرارة البطش والقهر!

QaradawiBooks.com

وأي ضمان لنتائج هذا الاستفتاء، وإن كان نزيهًا، في ظل العصف بإرادة المصريين، والضرب بنتائج الاستفتاءات والانتخابات الخمسة السابقة عُرض الحائط، واعتقال نواب الشعب ووزرائه خلف القضبان؟!

لذلك أرى أنَّ هذا الدستور باطل، دعت إليه سلطة باطلة، وقامت بإعداده لجنة باطلة، وجاءت نصوصه لتكرِّس للباطل، فأنا أدعو المصريين في الداخل والخارج إلى مقاطعة هذا الدستور، وأفتي بحرمة المشاركة فيه، أو المساهمة في كل ما يقوي شوكة هؤلاء الانقلابيين، أو يُثَبِّت أركان حكمهم.

وأرى المقاطعة للاستفتاء عليه، هي رد الفعل الشَّعْبِي المناسب، على إلغاء تصويت المصريين في انتخابات مجلسي الشعب والشورى والرئاسة، والاستفتاء على الدستور، فلسنا مضطرِّين للتصويت على «دستور المَيْتة» كما وصفه أحد أشد المتحمسين له!

وإنَّني أحذِّر هؤلاء الانقلابين من بطش الله وسطوته، ومن غضب الجبار وانتقامه، أحذِّرهم دموع اليتامى، ودعوات الثكالى، أحذرهم سهام الليل الَّتي لا تخطئ!

أَتَهْزَأُ بالدُّعَاءِ وتَزْدَرِيهِ ... ولا تَدْرِي بما صَنَعَ الدُّعَاءُ
سِهَامُ اللَّيْلِ لا تُخْطي ولكنْ ... لها أمَدٌ وللأمَدِ انقضاءُ
فيُمْسِكُها إذا ما شاء ربِّي ... ويُرْسِلُها إذا نفذ القضاءُ[1]

(١) ذكره الزمخشري دون نسبة في ربيع الأبرار (٣٨٥/٢)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

QaradawiBooks.com

فلا يغرنهم حلمه وهو الحليم، ولا إمهاله، فإنَّه يمهل ولا يهمل، والله تعالى يملي للظالم حتَّى إذا أخذه لم يفلته، قال سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤ ـ ٤٥].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ ـ ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٠ ـ ٥٢].

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إعطاء الجنسيَّة لمن لا جنسيَّة له

س: كما هو معروف، هناك كثير من النَّاس الذين لا يملكون حق المواطنة في أي بلد، سواء من الذين لا يملكون أي وثائق إطلاقًا، أو الذين يملكون وثائق محليَّة، بالإضافة إلى الفلسطينيين الذين يحملون وثائق البلدان الَّتي استقبلتهم بعد ضياع فلسطين، وظهور الكيان الصهيوني إسرائيل، وإنِّي أتساءل عن سبب منع كثير من حق الحصول على الجنسيات الخليجية، على الرغم من أنَّهم من مواليد البلد، ولا يوجد لهم وطن آخر، وعلى الرغم من أنَّ القانون يجيز الحصول على الجنسيَّة بموجب المولد في البلد ومرور بضع سنوات.

وسؤالي هو: في ظل هذا المنع غير معروف الأسباب، فهل يجوز لنا نحن «البدون» الذين ليس معنا جنسيَّة: أن نهاجر إلى بلاد الغرب المسيحي ونستقر فيها، ونتقيَّد بعاداته ونعتنق أفكاره وسلوكه، وذلك إذا لم تنصفنا بلاد الإسلام والمسلمين ومنعونا حقَّنا في المواطنة؟

أرجو أن تكون الإجابة صريحة وواضحة.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(وبعد)

من أفكار هـذا العصـر ولوازمـه ومتغيراته ـ للأسـف ـ الأوطان الإقليمية، ففي السابق كان المسلم يخرج من بلد إلى بلد، ويدخل بلدًا بعد بلد، ولا يسأله أحد ما جنسـيتك؟ وأين جواز سفرك؟ وهل لديك تأشـيرة؟ فابن بطوطة خرج من طنجـة في المغرب وسـاح في العالم الإسلامي كله، ولم يوقفه أحد.

جاء العصر الحديث بفكرة القوميات، والأوطان الإقليمية، وأصبحت بين الدول حدود، وكل بلد تريد أن تقصر جنسيتها على أهلها الأصليِّين، ولا تعطي الجنسيَّة إلَّا لأسباب معينة، وبشروط معينة، وهذا أمر عام في بلاد الدُّنيا كلها، وهو في بلاد العرب والمسلمين أيضًا.

ولكن هناك كثير من المسـلمين وكثير من العرب جاؤوا إلى بعض البلاد وعاشوا فيها واستوطنوها منذ عشـرات السنين، وليس لهم وطن غيرها، يسـمِّيهم إخواننا في الكويت «البـدون»، يعني: الذين هم بدون جنسيَّة، لا عندهم جنسيَّة كويتية، ولا عندهم جنسيَّة إيرانية، ولا عندهم جنسيَّة باكستانية، ولا عندهم أي جنسيَّة أخرى، هم عاشوا في الكويت، وولدوا في الكويت، صار لهم في الكويت أربعون سـنة، أو خمسـون سنة، ومثل هؤلاء موجودون في قطر، وإن كانوا أقل عددًا، فهذه المشكلة موجودة في كثير من بلاد الخليج.

صحيح ـ كما قال الأخ ـ القانون يجيز للشخص الَّذي ولد في بلد وعاش فيها سنين معينة ـ وليس بضع سـنوات كما يقول ـ أن يُعطى الجنسـيَّة، فالقانون يجيزه، ولكن لا يوجبه، ولا يُلزم به، فهذا راجع إلى أهل الحل والعقد، أو إلى أهل السـلطة، وإلى أولياء الأمور، هم

QaradawiBooks.com

الذين عليهم أن ينظروا في هذه الأشياء، ويفصلوا فيها، وفقًا لمصالح البلد كما يرونها.

والذي أرجوه من أولي الأمر في قطر وفي الكويت وفي الإمارات وفي بلاد الخليج بصفة عامَّة أن ينظروا بعين العطف والرحمة والعناية، إلى الذين ولدوا في هذه البلاد، وبعضهم آباؤهم هاجروا من سنين طويلة، وبعضهم آباؤهم ولدوا في هذه البلاد، هؤلاء يجب أن ينظر إليهم نظرة عطف وإشفاق، وأن يعتبروا من أهل هذه البلاد، كثير منهم يقول: أنا لا أستطيع أن أخرج من البلاد؛ لأنِّي لا أستطيع أن أسافر؛ فأنا لا أحمل جواز سفر، بل بعضهم يقول: لا أستطيع أن أتزوَّج، ليس معي شيء يثبت شخصيتي.

فالذي أرجوه أن ينظر في وضع هؤلاء، وتقوم دول الخليج بدراسة ومسح لهذا النوع من الناس، ليُعرف من هم، وهل لهم جنسيَّة أصلية أم لا؟ فمن ليس لهم جنسيَّة أصلية، وهم مسلمون، وولدوا في هذه البلاد، واستمروا مددًا طويلة يجب أن ينظر إليهم، وأن يمنحوا الجنسيَّة، أو على الأقل يمنحوا أوَّلًا أوراقًا ثبوتيَّة تجعلهم يمارسون حياتهم بشكل طبيعي.

أمَّا قضية الهجرة، فالهجرة جائزة ولكن بشرط أن يطمئن على أنَّه يستطيع أن يحافظ على دينه ودين أولاده وذريته، أنا قلتُ للإخوة في الغرب الذين هاجروا بالفعل: إذا لم تستطيعوا المحافظة على أنفسكم وأولادكم، فابدؤوا رحلة العودة من الغد؛ لأنَّك تذهب إلى بلاد الغرب لتكسب الأموال، وتخسر أولادك، تكسب الدنيا، وتضيع الدين، ما قيمة هذا؟

QaradawiBooks.com

وأذكر أنَّ بعض الإخوة قابلني في القاهرة وسلَّم عليَّ وقال لي: أنا فلان وأنت قلتَ لنا: إذا لم تستطيعوا أن تحافظوا على أنفسكم وأولادكم فابدؤوا رحلة العودة من الغد، وأنا لم أستطع أن أحافظ على أولادي خصوصًا البنات، وجدتُهم سيضيعون في هذا المجتمع، فبدأتُ رحلة العودة، وعدت فعلًا، ووسَّع الله عليَّ من رزقه. فهذا هو الَّذي نقوله في هذه القضية.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الهجرة طلبًا للأمن

س: هل يجوز للمسلمين المضطهدين في بلادهم، والذين يعانون من البطش والاضطهاد والأذى والسجن والتعذيب ونحو ذلك: أن يتركوا أوطانهم ويهاجروا إلى بلاد أخرى؟

(ج. ل. خ)

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هذا أمر جائز بغير شك، إذا خاف الإنسان على نفسه من الإيذاء والتعذيب، ومن السجن بغير حق: يجوز له أن يهاجر، بل إذا لم يجد القدرة على إقامة شعائر الدين، وإذا كان لا يستطيع أن يصلِّي في بلده، أو كان يُجبر على أن يشرب الخمر، أو يرتكب ما لا يجوز: يجب عليه أن يهاجر، فأرض الله واسعة، ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠].

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وفي سورة النساء نقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]، ﴿ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ معنى ذلك أنَّهم ببقائهم حيث لا يستطيعون إقامة شعائر دينهم، ارتكبوا ما لا يحل لهم، ولا يقبل منهم ولا يجوز، فظلموا أنفسهم بذلك، فالملائكة تسألهم عن سبب ذلك: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾؟ قالوا: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩].

فهؤلاء المستضعفون يجب عليهم أن يهاجروا إلى أرض الله الواسعة، متى أتيح لهم ذلك، في عصرنا قد لا تتاح الهجرة؛ لأنَّ البلاد لم تعد مفتوحة، كان الإنسان في الزمن الماضي يستطيع أن يحمل متاعه على ظهره أو على دابته، ويذهب في الآفاق، إلى أرض الله الواسعة، وينتقل من بلد إلى بلد، ولم يعد ذلك ممكنًا الآن، سيُوقف عند الحدود ويُسأل: هل عنده تأشيرة الدخول أم لا؟ ولو تحصَّل على تأشيرة دخول يدخل مدة معينة، وبعد ذلك لا يُباح له البقاء، إلَّا إذا أخذ إقامة، أو يطلب اللجوء السياسي، إذا كان فارًّا من ظلم واضطهاد، وهذا قد يُجاب طلبه، وقد لا يُجاب.

لكنَّ الإنسان عليه أن يسعى، كما قال الشاعر[1]:

وَإِذَا البِلَادُ تنكَّرت لك حالُها ... فدعِ البلادَ وأَسْرِعِ التحويلَا

ليس المُقامُ عليك فرضًا واجبًا ... في موطنٍ يدع العزيزَ ذليلَا

(١) ذكره من غير نسبة: الخالديان في حماستهما صـ ٦٨، تحقيق د. محمد علي دقة، نشر وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

لماذا تُذل نفسك في هذا الموطن؟ والنبيُّ ﷺ يقول: «**لا ينبغي لمسلمٍ أن يُذِلَّ نفسه**». قيل: وكيف يُذِلُّ نفسه؟ قال: «**يتعرَّض من البلاء لما لا يُطيق**»[1]. فلا يجوز للإنسان أن يبقى في مكان يُحَمِّل نفسه فيه من البلاء ما لا يطيق، إذا وجد الفرصة للهجرة والفرار بنفسه وأهله: يفر بنفسه وأهله، وأحيانًا لا يجد الفرصة للفرار إلَّا بنفسه، فيفر بنفسه. ومتى استطاع ذلك فليفعل، إذا لم تكن وراءه مسؤولية، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

فعلى الإنسان أن يسعى سعيه، ويبذل جهده، عندما يُظلم أو يضطهد، أو يحال بينه وبين إقامة دينه، عليه أن يهاجر في بلاد الله الواسعة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، إلَّا من عجز، كما قال الله: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٨ ـ ٩٩].

* * *

(١) رواه أحمد (٢٣٤٤٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي (٢٢٥٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٤٠١٦)، كلاهما في الفتن، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٩٧)، عن حذيفة.

QaradawiBooks.com

فرض قوانين الدولة الإسلاميَّة على الأقليَّات وحرمانهم من الوظائف

س: من الأمور الَّتي يذكرها الحداثيون والعلمانيون: أنَّ الدولة الإسلاميَّة حين تقوم، يترتب على قيامها الجَور على حقوق الأقليَّات الدِّينية (المسيحيَّة خاصَّة) بسبب طبيعتها الإسلاميَّة؛ وذلك من خلال فرض أحكام وقوانين دينيَّة عليهم، ممَّا توجبه الشريعة الإسلاميَّة الَّتي لا يؤمنون بها، وحرمانهم من وظائف معيَّنة، مباحة للمسلمين.

أرجو من فضيلتكم التكرم ببيان حكم الإسلام في هذه القضايا، وبارك الله فيكم وفي جهودكم.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

١ ـ فرض القوانين الدِّينية:

أمَّا ما يقال عن فرض الأحكام والقوانين الدِّينية على غير المسلمين في المجتمعات الإسلاميَّة، فهذا يحتاج إلى بيان.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إنَّ الأحـكام والقوانين الدِّينية لا تفرض أبدًا على غير المسـلمين، فلا تفرض عليهم الأحـكام المتعلِّقة بالعبـادات والفرائض الدِّينية، من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها.

حتى الزكاة لـم يفرضها الإسـلام عليهم؛ لأنَّ فيها معنـى العبادة، ومعنى الحق المالـي، فراعى جانب العبادة فيهـا، ولم يفرضها عليهم، احتياطًا في رعاية شعورهم.

وإن كان لي رأي فـي الموضوع: أنَّه لا مانع مـن أن تفرض عليهم ضريبة مساوية للزكاة، تُسـمَّى «ضريبة التكافل» توحيدًا للمعاملة المالية بين أبناء الوطن الواحد. وقد وضَّحت ذلك بأدلته في كتابي فقه الزكاة[1].

وممَّا يلحق بالقوانين الدِّينية: القوانين الخاصة بالأحوال الشـخصية من الـزواج والطلاق والمواريـث وغيرها، فهذه تعامـل معاملة الأمور الدِّينيـة الخالصـة، ونترك لهـم حرية تنظيمهـا وتقنينها بما يتناسـب وعقائدهم. وقد أمرنا أن نتركهم وما يدينون.

وممَّا سجَّله التاريخ الإسـلامي: أنَّ المسيحيين كانت لهم محاكمهم الخاصة، وفيها قضاة منهم، تفصل بينهم وفقًا لأحكام ملَّتهم.

أمَّا القوانين المدنيَّة والجنائية وغيرها، فيجري عليهم فيها ما يجري على المسـلمين، تسـوية بين أهل البلد الواحد.. والحكم هنا يدور مع الأكثرية، كما تقضي بذلك مبادئ الديمقراطيَّة، بشرط ألَّا تجور الأكثريَّة على حقوق الأقليَّة.

(١) انظر كتابنا: فقه الزكاة (١/١١٦ ـ ١٢١)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٥، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

وأعتقد أنَّ رجوع المسيحيين إلى قوانين الأكثريَّة المسلمة: لا يتعارض مع أي معتقد عندهم، وخصوصًا أنَّ المسيحيَّة لا تحتوي على تشريعات ملزمة لهم، ويستوي عندهم أن يكون القانون الَّذي يحكمهم: قانون نابليون أو قانون محمد ﷺ.

بل أرى أنَّ قانون محمد في الواقع: أقرب إليهم من قانون نابليون لأمرين:

الأول: أنَّ قانون محمد قانون يراعي القيم الأخلاقيَّة، والمثل العليا، الَّتي جاء بها رسل الله جميعًا، وحرصت عليها كل رسالات السماء، ومنها رسالة المسيح؛ بخلاف قانون نابليون، الَّذي تغلب عليه النزعة النفعية والماديَّة والدنيوية.

والثاني: أنَّ قانون محمد أو قانون المسلمين قانون نابع من المنطقة نفسها، معبِّر عنها وعن حاجاتها ومطالبها، معالج لمشكلاتها، فهو منها وإليها؛ بخلاف قانون نابليون المستورد من خارج المنطقة، ولا صلة له بثقافتها ولا بحضارتها، ولا بمفاهيمها ولا بتقاليدها.

وأخيرًا أقول: إنَّ مصلحة غير المسلمين: أن يحتكم المسلمون إلى شريعتهم الَّتي تتجلَّى فيها طاعتهم لربهم، وإذعانهم لحكمه؛ فهذا أدعى أن يرعوا فيها حقوق النَّاس وحدود الله تعالى.

وبهذا يأخذ غير المسلمين أحكام الشريعة على أنَّها قانون عادي، ويأخذها المسلمون على أنَّها تنفيذ لشرع الله، وامتثال لأمر الله، وفي هذا من الخير ما فيه.

هذا مع ملاحظة: أنَّ بعض القوانين الجنائية المفروضة على المسلمين، لا تفرض على غيرهم، مثل عقوبة شرب الخمر؛ لأنَّها غير

QaradawiBooks.com

محرَّمة في دينهم. وهناك خلاف في تطبيق بعض الحدود على غير المسلمين. وأنا أرى هنا: الأخذ بالأيسر والأوسع في هذا المجال.

غير مرخصة للطباعة

٢ ـ الحرمان من الوظائف:

وأمَّا حرمان الأقليَّة الدِّينية من وظائف الدولة، فنودُّ أن نبيِّن هنا: أنَّ وظائف الدولة أنواع ومستويات.

فمنها: وظائف لها طابع ديني، لا يفكر المسيحي ولا اليهودي أن يكون له حظ فيها، مثل وظائف الإمامة والخطابة والأذان وخدمة المسجد، ونحو ذلك.

ومثل ذلك: الوظائف المتعلِّقة بأركان الإسلام الأخرى، مثل: الزكاة والحج وغيرها. وإن كان هناك من الفقهاء من أجاز للذمي أن يكون من «العاملين» على الزكاة، ويأخذ أجرته منها، وهذا قمة في التسامح[١].

وهناك وظائف تحتاج إلى تخصُّص في الشريعة وفقهها، مثل «القضاء» فلهذا اشترط الفقهاء فيما مضى: أن يكون القاضي مسلمًا، إذْ لا بدَّ له أن يكون عالمًا بالقرآن والسُّنَّة، عالمًا بالفقه وأصوله. وهذا ممَّا يتعسَّر ـ إن لم يتعذر ـ على غير المسلم.

وقد يتغيَّر الاجتهاد في عصرنا الَّذي أصبح فيه القضاء جماعيًّا، وغدت فيه المحكمة تتكون من عدة قضاة، وهنا يمكن أن يُقال: لا مانع من أن يكون بعض القضاة من غير المسلمين، إذا مَلَك من المؤهلات ما يمكِّنه من هذا.

---

(١) انظر: المغني (٤٨٨/٢)، وانظر: فقه الزكاة (٥٩٧/٢).

QaradawiBooks.com

على أن يترك القضاء في الأحوال الشخصية للقضاة المسلمين، لما ذكرنا: أنَّ هذه الأحوال لصيقة بالجانب الدِّيني، ولهذا قلنا: يجب أن تكون لغير المسلمين فيها محاكمهم الخاصة.

وقد تثار هنا قضية رئاسة الدولة، وهل تحرم منها الأقليَّة؟

والواقع أنَّ الدولة في الإسلام: دولة عقائدية، دولة فكرة ورسالة، وهي موصولة بالدِّين، غير منفصلة عنه.. ومن أوَّل مسؤولياتها: التمكين لدين الله، والذود عنه، ورئاسة الدولة في الإسلام لها اختصاصات ذات علاقة بالشأن الدِّيني، وبعضها لا يجوز أن يقوم به إلَّا مسلم، مثل إمامة النَّاس في الصلاة، فالإمام أو الحاكم المسلم هو إمام النَّاس في الصلاة، وقائدهم في المواجهة، وقاضيهم في الخصومات، والنائب عن رسول الله في حراسة الدِّين وسياسة الدُّنيا به، كما قال العلماء؛ فهو المسؤول الأول عن حمل الإسلام: عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، دعوة ودولة، قرآنًا وسلطانًا، دينًا ودنيًا. كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١]، فجعل أوَّل أعمال الممكَّنين في الأرض: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وهذا شأن المسلمين.

ولا مانع من أن يكون أحد نائبي الرئيس أو نوابه من غير المسلمين، وخصوصًا إذا كانت الأقليَّة غير المسلمة كبيرة، كما هو حاصل في السودان اليوم.

وما عدا هذا المنصب الحسَّاس، فالمجال مفتوح لغير المسلمين في كل ما يحصِّلون شروطه، ويمتلكون مؤهلاته. ومن ذلك منصب «الوزارة» كما ذكر الإمامان: أبو الحسن الماوردي، وأبو يعلى الفرَّاء

QaradawiBooks.com

في «الأحكام السلطانيَّة» من تولِّي أهل الذمَّة «وزارة التنفيذ»[١]. وهناك بعض الوزارات لها حساسيات واعتبارات معيَّنة، مثل: وزارة الدفاع، ووزارة الداخلية.

المهم هنا هو توافر الثقة بين الجميع، فإذا توافرت، وشاع جو الأخوة والتسامح بين أبناء الشعب الواحد: انحلت كل المشكلات.

وقد رأيت الأستاذ فارس الخوري المسيحي السوري، يرأس مجلس وزراء سوريا فترة من الزمن، وكان من أفضل رؤساء الوزارات، وكان الوزراء المسلمون على تعاون كامل معه، وكان جمهور المسلمين راضيًا عنه. وكان من أكثر النَّاس إيمانًا بوجوب تطبيق الشريعة الإسلاميَّة، وأنَّها وحدها القادرة على حلِّ مشكلات العصر، وقطع دابر الجرائم، وقد نقلت بعض أقواله في كتابي: «بيِّنات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيِّين والمتغرِّبين»[٢].

* * *

(١) الأحكام السلطانية للماوردي صـ ٥٨، نشر دار الحديث، القاهرة، والأحكام السلطانية لأبي يعلى صـ ٣٢، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) بينات الحل الإسلامي صـ ٢٣٨ ـ ٢٣٩، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٥، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مواطنون أم أهل ذمة؟

س: هل يمكن اعتبار الأقليَّات في الدولة الإسلاميَّة من «أهل الذمَّة»؟ وهذا يعني تهميشهم في المجتمع، والنظر إليهم نظرة دونية. وهل تفرض الجزية عليهم كما أمر القرآن: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

من الضروري هنا: أن نناقش بإيجاز هذه الدعاوى، ونرد عليها واحدة واحدة، بالأدلة الشرعيَّة المستقاة من المنابع الصافية، المؤيدة بالمنطق العلمي السليم.

١ ـ مسألة أهل الذمة:

أمَّا مسألة «أهل الذمَّة» فالذمَّة معناها: الضمان والعهد، أي أنَّهم في ضمان الله ورسوله وجماعة المسلمين وعهدهم، لا يجوز دينًا إخفار ذمتهم، أو نقض عهدهم المؤبَّد، الَّذي يصون حرماتهم، ويحفظ دينهم

QaradawiBooks.com

وأنفسهم، وأعراضهم ونسلهم، وعقولهم وأموالهم. والأصل في ذلك هو القاعدة الَّتي يتناقلها المسلمون خاصتهم وعامتهم: لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، أي في الجملة. وقد فصَّلنا حقوق أهل الذمة وواجباتهم في كتابنا: «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي» فليراجعْ[١].

ومع هذا، إن كان هذا المصطلح «أهل الذمَّة» يعطي انطباعًا غير حسن عند إخواننا المسيحيين ويستاؤون منه، فإنَّ الله لم يتعبَّدْنا به، ويمكننا أن نستبدل به مصطلح «المواطنة» و«المواطنين».

وممَّا يؤيد ذلك: أنَّ فقهاء الشريعة في جميع المذاهب، اعتبروا أهل الذمَّة من «أهل دار الإسلام» ومعنى «أهل الدار»: أي أهل الوطن، بمعنى أنَّهم مواطنون مشتركون مع المسلمين في المواطنة.

٢ ـ مسألة الجزية[٢]:

وأمَّا مسألة «الجزية» فقد كانت غايةً للقتال: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، ومعنى الصغار هنا: خضوعهم لدولة الإسلام، والتزامهم بأحكامه المدنيَّة، ودلالة ذلك: دفع هذا المبلغ الزهيد الَّذي يعبِّر عن إذعانهم لسلطان الدولة. وفي مقابله تقوم الدولة بحمايتهم والدفاع عنهم، والكفالة المعيشية للعاجزين منهم، كما فعل سيدنا عمر حين فرض ليهودي محتاج، ما يكفيه وعياله من بيت مال المسلمين[٣].

---

(١) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي صـ ١٧ ـ ٥٠، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٧، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

(٢) للمزيد راجع ما ذكرناه في كتابنا: نحن والغرب أسئلة شائكة وأجوبة حاسمة صـ ٢٦ ـ ٣٣، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م.

(٣) انظر كتابنا: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي صـ ٢٤، والأثر سبق تخريجه صـ١٢٩.

QaradawiBooks.com

وقد كانت هذه الجزيــة بدلًا من فريضة الجهاد، وهــي فريضة دينيَّة تعبدية، فلم يُرِد الإسلام ـ لفرط حساسيته ـ أن يفرض على غير المسلمين ما يعتبره المسلمون عبادة وقربة دينيَّة، بل أعظم القربات عند الله.

ولقــد طلبــت قبيلــة «تَغْلِــب» العربيــة الكبيرة ـ وهــي تدين بالنصرانية ـ من أمير المؤمنين عمر: أن يسقط عنهم «الجزية»؛ لأنَّهم قوم عرب يأنفون من قبول كلمة «جزية» وليأخذ منهم ما يشاء باسم الزكاة أو الصدقة[1] (قبلوا دفع الضِّعْف)، وقد تردَّد في أوَّل الأمر، ثم قَبِــل ذلــك؛ لأنَّ المقصــود أن يدفعــوا للدولة ما يثبــت ولاءهم ومشــاركتهم لها في الأعباء. ومن هنــا رأى أنَّ العبرة بالمســمَّيات والمضامين، لا بالأسماء والعناوين.

وهو اجتهاد عُمَري يجب اعتماده في هذه القضية وفي أمثالها. وهو ما جعله ﵁ يغضُّ الطرف عن هــذا المصطلح الَّذي جاء في القرآن، ما دام قد حقق المقصود منه، فكيــف بمصطلحات لم تجئ في قرآن ولا سنة؟!

وقد قرَّر الفقهاء أنَّ الذمي إذا شــارك في الدفــاع ومحاربة الأعداء؛ سقطت عنه الجزية.

واليوم بعد أن أصبح التجنيد الإجباري مفروضًا على كل المواطنين ـ مسلمين وغير مســلمين ـ لم يعد هناك مجال لدفع أيِّ مال، لا باسم جزية، ولا غيرها.

(١) رواه أبو عبيد في الأموال صـ ٦٥٠، وابن زنجويه في الأموال (١٢١١/٣)، تحقيق شــاكر ذيب فياض، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

رئاسة غير المسلم للدولة المسلمة

غير مرخصة للطباعة

س: سماحة العلامة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

هل يجوز شرعًا السماح لغير المسلم أن يرشح نفسه لرئاسة الدولة في مصر، على أساس أن يكون الترشيح لأكثر من مرشح مصري، ويكون تحديد رئيس الدولة بالانتخابات الحرة النزيهة من بين أكثر من مرشح، تتوافر فيهم الشروط المنصوص عليها في الدستور.

وهذه الشروط هي:

١ ـ أن يكون مصريًّا من أبوين وجدين مصريين.

٢ ـ أن يكون متمتعًا بحقوقه المدنيَّة والسياسيَّة.

٣ ـ ألَّا يقل سنه عن ٣٥ سنة ميلادية.

٤ ـ ألَّا يكون منتميًا إلى الأسرة الَّتي كانت تتولى الملك في مصر.

ولكم خالص الشكر والتقدير.

د. عبد المنعم أبو الفتوح

نسخة مجانية

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فالرئاسة العامة ـ أو رئاسة الدولة ـ في شريعة الإسلام، ليست مجرَّد منصب دنيوي، يصلح له أي شخص، بل هو منصب ديني ودنيوي معًا، يجمع بين ما يسمَّى بـ «السلطة الروحيَّة» و«السلطة الزمنيَّة».

ولهذا يعرِّف علماء المسلمين الخلافة أو الإمامة العظمى بأنَّها: نيابة عن رسول الله ﷺ في إقامة الدين، وسياسة الدُّنيا به.

ولهذا كان الاسم الإسلامي المصطلحي لرئيس الدولة في الإسلام: «الإمام» وهو مأخوذ من «إمامة الصلاة» والمفروض في رئيس المسلمين أن يكون إمامهم في الصلاة، كما يكون قائدهم في الحرب، وقاضيهم في الفصل بين الناس. فالإمامة في الصلاة هي الإمامة الصغرى، والرئاسة هي «الإمامة العظمى».

ولمَّا اختار النبي ﷺ أبا بكر، ليخلفه في إمامة الناس، والصلاة بالمسلمين: اعتبر الصحابة هذا بمثابة الترشيح لأبي بكر؛ ليتولى قيادتهم في السياسة والحكم. ولهذا قالوا: رضيه رسول الله لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا[1]؟!

وهذا ما جعل المسلمين يجمعون ـ بكل مذاهبهم ومدارسهم وفرقهم ـ على أن يكون الإمام مسلمًا؛ ليؤمَّهم في الصلاة، ويقودهم في السياسة، ويحكمهم بشريعة الله، ويعمل على تبليغ دعوة الله إلى الناس.

وليس من المنطق في شيء: أن يحمل غير المسلم هذه الأعباء، الَّتي تتنافى مع دينه وعقيدته الَّتي يؤمن بها. فإمَّا أن يتنازل عن دينه، وينزل

(١) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨٧٧/٣)، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

على حكم دين المسلمين وشريعتهم، وإمَّا أن يتنازل المسلمون عن دينهم وشريعة ربهم، الَّتي افترض عليهم أن يحكِّموها في حياتهم، فرضًا لا خيار لهم فيه، بمقتضى عقد الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

ولم يكتفِ علماء المسلمين في اشتراط الإسلام لإمامهم ورئيسهم، بل اشترطوا فيه العدالة. ويعنون بالعدالة: الالتزام والتقيد بأحكام الإسلام: عقيدةً وعبادةً ومعاملةً، فلا يترك فريضة، ولا يرتكب كبيرة، ولا يصرُّ على صغيرة. بحيث يكون من أهل الاستقامة، من الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

بل اشترط علماء الأمة: أن يكون الإمام عالمًا بأحكام الإسلام، بالغًا درجة «الاجتهاد» حتَّى يستطيع أن يجري أمور السياسة الداخلية والخارجية وفق أحكام شريعة الإسلام؛ وإن جوَّزوا في العصور الأخيرة ـ نزولًا على حكم الضرورة ومراعاة الواقع ـ أن يكون عالمًا مقلِّدًا، ويستشير المجتهدين.

ولهذا نصَّت دساتير البلاد الإسلاميَّة أوَّل ما استقلت، على مادة يوجبها الشرع، ويوجبها المنطق، وهو: أن يكون دين الدولة الإسلام. وهذا ما نصَّ عليه دستور (١٩٢٣) في مصر، وغيره من الدساتير.

وهذا يوجب أن يكون رئيس الدولة مسلمًا. وهذا أمر مسلَّم به لدى الجميع، مسلمين وغير مسلمين. فلم يطالب أحد من المسيحيين في

QaradawiBooks.com

مصر أو في سـوريا أو في العراق، أو غيرها من البلدان: أن يكون رئيسًا للدولة. ولا كَوَّن هذا أي حساسية أو مشـكلة لدى أي أقليَّة غير مسلمة في بلد إسلامي.

وفي اعتقادي: أنَّه حتَّى لو حذف شرط الإسـلام من رئيس الدولة، فلا يتصور أن يرشـح غير مسـلم نفسـه لهذا المنصب، وإن سمح له الدسـتور بذلك؛ لأنَّ الواقع أنَّ المسـلمين عامَّة، وكثيرًا من أهل ملَّته أنفسهم لن ينتخبوه.

والأولى أن تضبط الأمور في الدستور، ولا تترك لتثير بلبلة أو فتنة، ما أغنى النَّاس عنها!

واللهُ وليُّ التوفيق.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

غير مرخصة للطباعة

الأقليَّة المسلمة في الهند
بين التعايش السلمي والردِّ بالمثل

س: في جمهوريَّة الهند نشأت فئة من الأمة المسلمة تنادي بدعوى الدفاع عن الأقليَّة المسلمة في الهند، داعيةً الأمة إلى الانضمام إليها؛ من أجل ردِّ عدوان الهندوسيين الفاشيِّين على المسلمين، واستخدام الأسلحة ضدهم.

ويقلِّل هؤلاء من شأن الجماعات المسلمة المعتدلة؛ مثل الجماعة الإسلاميَّة الهندية، الَّتي تلتزم بمنهج السلم والحوار والمصالحة مع غير المسلمين، وتقوم بتبليغ رسالة الإسلام إليهم عبر وسائل مسموح بها، مستغلة أجواء الديمقراطيَّة والعلمانيَّة السائدة في الهند.

فالسؤال يا فضيلة الشيخ: هل يجوز استخدام الأسلحة ضد الخصوم المسلَّحين في بلد مثل الهند، حيث إنَّه يؤثِّر سلبًا على الدعوة الإسلاميَّة وإن ٩٠٪ من الهندوسيين لا يعرفون شيئًا عن الإسلام، مع أنَّهم لا يعتبرون المسلمين أعداءً لهم، بل أكثرهم يدافعون عن حقوق الأقليَّة المسلمة، ويعارضون مواقف الهندوسيين المتعصبين، وخير دليل على ذلك سقوط الحزب الهندوسي المتطرِّف في الانتخابات الأخيرة. وأمَّا الذين يهاجمون المسلمين فهم لا يمثلون إلَّا نسبة قليلة منهم. فنخشى أنَّ استخدام الأسلحة من قبل المسلمين لردِّ العدوان سيفقد المسلمين

QaradawiBooks.com

تعاطف الجمهور معهم، ويؤثِّر سلبًا على مستقبل الإسلام والمسلمين. كما نرى أنَّ ظروف منع القتال في المرحلة المكية تنطبق على ظروفنا هذه في الهند. ما رأيكم في هذه القضية؟

نرجو البيان بما عهد عنكم، من سعة العلم وقوة الحجة.. وفقكم الله.

أخوكم

د. عبد السلام أحمد

وكيل الجامعة الإسلاميَّة بكيرالا

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإنَّ من الخطأ الكبير: أن توضع الوقائع والأحداث في غير موضعها، وأن يستدلَّ على صوابها بأحكام ونصوص لم تُسق لها، بل سيقت لغيرها؛ وهو نوع من تحريف الكَلِم عن مواضعه الَّذي ذمَّه القرآن، وانتقده على اليهود والنصارى.

ومن ذلك: أن يستخدم بعض المسلمين السلاح أو القوة العسكرية في غير موضعها، ظانِّين أنَّ هذا من الجهاد الَّذي فرضه الله على المسلمين؛ باعتبار أنَّهم يدافعون عن أنفسهم ضدَّ قوات ظالمة وطاغية، تريد أن تسحقهم وتذلهم، ولا تبقي لهم من باقية، وقد قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

QaradawiBooks.com

ونسي هؤلاء الإخوة المتدينون سليمو النية: أنَّ استخدام القوة العسكرية لقتال الخصوم، له شروطه وقواعده الَّتي يجب أن تُراعى:

أولًا: لا بدَّ لاستخدام القوة: أن يكون ذلك من عمل الجماعة؛ ولذا قال فقهاؤنا: لا جهاد إلَّا بإذن الإمام. وذلك حتَّى لا يصبح الأمر فوضى، ويعلن الحرب كل من شاء، ولا يبالي ما يصيب المجتمع والأمة من خسائر وويلات.

فإذا لم يكن هناك إمام ولا دولة للمسلمين، فلا بدَّ أن يكون للمسلمين جماعة من أهل الحل والعقد، يرجعون إليهم في أمور السلم والحرب، والأمن والخوف، وتكون هذه الجماعة بمثابة الإمام في حال غيابه.

أمَّا أن تجعل كلُّ مجموعة من نفسها هي الإمام، وتعطي لنفسها سلطة الإمام، وتعلن القتال أو لا تعلن، فهذا ما لا يقبله فقيه مسلم.

ثانيًا: إنَّ من يقاتل لا بدَّ أن يملك القوة اللازمة للقتال والمواجهة: من العدد والعدة، ومن الأسلحة المناسبة لحجم العدو وقدراته. ولهذا أجاز فقهاء المسلمين للمقاتلين أن يفروا في مواجهة أعدائهم إذا كانوا أكثر من ضعفهم؛ لأنَّ الله لم يكلِّفهم أن يقتلوا أنفسهم، أو يلقوا بأيديهم إلى التهلكة.

وهذا ما جعل خالد بن الوليد والصحابة معه، ينسحبون من مواجهة الروم في معركة مؤتة؛ إذ كانوا أضعاف أضعافهم. وقد اتهم بعض المتحمسين خالدًا والصحابة معه، وقالوا لهم حين رجعوا إلى المدينة: يا فُرَّار! فردَّ عنهم النبيُّ ﷺ بأنَّهم الكُرَّار[1].

(١) رواه ابن هشام في السيرة (٣٨٢/٢)، والطبري في تاريخه (٤٢/٣).

QaradawiBooks.com

لهذا كان التصدِّي لمحاربة الهندوس بالسلاح في بلد مثل الهند، أكثريته العظمى هندوسيَّة، وبيدهم الجيش والشرطة، والسلاح والسلطة: ضربًا من الانتحار، لا تجيزه الشريعة. وقد رأينا الحديث النبوي الصحيح في تغيير المنكر يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فمَن لم يستطعْ فبلسانه، فمَن لم يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان**»[1].

ثالثًا: أنَّ المسلم لا يُقْدِم على عمل له خطره وأثره مثل القتال، حتَّى ينظر: ماذا سيكون أثره على جماعته وشعبه وواقعه؟ هل تأثيره إيجابي أو سلبي؟ نافع أم ضار؟

وممَّا لا شك فيه: أنَّ تأثير مثل هذا العمل، الَّذي قد يقوم به أفراد معدودون: له أثره الخطير، بل ضرره الكبير على المجموعة الإسلاميَّة، الَّتي تمثل أقليَّة كبيرة في الهند، قد تقارب (٢٠٠) مائتي مليون مسلم.

ولا يحل للمسلم أن يقوم بعمل يضر جماعته الكبرى؛ لأنَّ حق الجماعة مقدَّم على حقوق الأفراد.

وهذا ما يسمِّيه العلماء «فقه المآلات»: أن ينظر المرء في مآل عمله ونتائجه، وما يترتب عليه من آثار على نفسه وعلى غيره؛ ولا سيَّما الأعمال العسكرية لخطورتها.

وقد علَّمنا القرآن هذا الفقه في قصَّة موسى والخضر، حين خرق السفينة عامدًا، لينقذها من غصب الملك الظالم، وعلَّمناه أيضًا في النهي عن سبِّ الأصنام، حتَّى لا يثير ذلك المشركين، فيردوا على سبنا لآلهتهم بسبِّ الله ﷻ. قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

---

(١) سبق تخريجه صـ١٤١.

QaradawiBooks.com

وليس من الحكمة ولا من المصلحة أن تتحرَّش الأقليَّة بالأكثريَّة بما لها من قوَّة وسلطان؛ فإنَّ النتيجة في العادة خسارة الأقليَّة.

رابعًا: لقد جرَّبت الأُمَّة في عصرنا في أكثر من بلد: استخدام بعض الجماعات القوة ضد السلطة الحاكمة، ثم انتهت بإخفاقها أمام قوَّة الدولة. كما في تجربة «الجماعة الإسلاميَّة» في مصر. وقد أصدرت ذلك في كتب سمَّتها «المراجعات»؛ لأنَّها راجعت فيها نفسها، واعترفت بخطئها، وأعلنت عنه في شجاعة أدبية نادرة؛ تحسب لها، وتحمد عليها، «وقد انضمت إليها جماعة الجهاد، وسارت على نفس الدرب من الاعتراف».

خامسًا: إنَّ المنهج الَّذي ارتضاه زعماء المسلمين في الهند من علماء ودعاة ومفكرين وسياسيين، هو «التعايش السلمي» مع الأكثريَّة الهندوسيَّة، وهو ما رضيته الجماعة الإسلاميَّة، ومؤسسها العلامة المودودي، وما رضيه علماء ديوبند، وما رضيه علماء ندوة العلماء، وغيرهم من الجماعات والجمعيات العلميَّة والدعوية، والتربوية والاجتماعيَّة والسياسيَّة.

وأعتقد أنَّه هو النهج السليم والسديد، ويحسن بأبناء الأمة المسلمة في الهند أن يتجاوبوا مع أهل العلم والحكمة والتجربة في بلدهم، ولا يخرجوا عن الإرادة الجماعية لأمتهم؛ فيد الله على الجماعة، وما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحًا فهو عند الله قبيح، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه [1].

وفَّق اللهُ الجميعَ لما يحبُّ ويرضى.

---

(١) رواه أحمد (٣٦٠٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والطبراني في الكبير (١١٢/٩)، والأوسط (٣٦٠٢)، والحاكم في معرفة الصحابة (٧٨/٣، ٧٩)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٢٨/١): رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

QaradawiBooks.com

التعامل مع الجار غير المسلم في بلد غير إسلامي

س: أنا طالب علم في السنة الرابعة في الكليَّة الأوربية للدراسات الإسلاميَّة في فرنسا، أُجري بحثًا بالعنوان التالي: «التعامل مع الجار غير المسلم في بلد غير إسلامي».

وسيكون هذا البحث بحث تخرجي إن أراد ذلك المولى سبحانه.

ولقد أوقفتني مسألة فأود من فضيلتكم مساعدتي فيها وهي: إذا دعا جارٌ غير مسلم جاره المسلم إلى طعام ووضع على مائدة الطعام زجاجة من خمر:

١ ـ هل إجابة الدعوة واجبة؟

٢ ـ هل تدخل هذه الحالة في معنى قوله ﷺ: «**مَنْ كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخر فلا يقعدنَّ على مائدةٍ يُدارُ عليها الخمر**»[1].

٣ ـ هل يجوز له هذا الجلوس؟

٤ ـ في حالة ما يظن هذا بعد دعوة الجار، هل عليه أن يسأل جاره ليتأكد بعدم الوقوع في ذلك المحظور، أو يترك الأمر حتَّى يذهب إلى بيت جاره؟

---

(١) سبق تخريجه صـ١٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥ ـ هل هناك حالات يجوز فيها هذا الجلوس؟

٦ ـ هل يمكن أن ندخل في حالة الجواز سبب الدعوة، أعني: إن قصد المسلم بنفسه دعوة جاره غير المسلم إلى الإسلام، وتوقَّع ميله إليه، في هذه الحالة: هل يمكن له أن يجلس مع جاره بنية الدعوة إلى الله؛ وعملًا بالقاعدة: ارتكاب أخف المنكر؛ لإزالة منكر أكبر وهو كفر جاره.

أرجو منكم أن تفيدونا بما أفادكم الله؛ مبيِّنًا لنا أدلتكم في هذه المسألة.

ابنكم: عمر ريفي

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الابن العزيز، والطالب النابه عمر ريفي حفظه الله ورعاه وسدَّد خطاه، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأرجو أن تكون وإخوانك جميعًا بخير وعافية في دينكم ودنياكم، كتب الله لكم التوفيق وأمدكم بروح من لدنه، أقول ـ وبالله التوفيق ـ إجابة عن تساؤلاتك:

أولًا: إنَّ الإسلام يؤكد حق الجار أبلغ التأكيد، سواء كان مسلمًا أم غير مسلم، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]، والجار الجنب هو: البعيد، سواء بعيدًا في النسب، أم في الدين، أم في الدار.

QaradawiBooks.com

وقد أوصى عبد الله بن عمرو غلامه ألَّا ينسى جاره اليهودي من ذبيحة ذبحها، وأكد وصيته له حتَّى سأله الغلام عن سرِّ هذا الاهتمام، فقال: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ما زال جبريلُ يوصيني بالجار، حتَّى ظننتُ أنَّه سيُوَرِّثه**»[1].

ثانيًا: لا يجب على المسلم إجابة الدعوة الَّتي توجَّه إليه؛ إذا علم أنَّ هناك منكرًا لا يستطيع تغييره؛ وما دام لا يمكنه إزالة المنكر، فليزُلْ هو عنه.

هذا ما نصَّ عليه الفقهاء فيمن دعي إلى وليمة عرس، وعلم أنَّ فيها بعض المنكرات، حتَّى عند من قالوا: إنَّ إجابة الدعوة إلى وليمة العرس واجبة، وهناك من قال: إنَّ الإجابة مستحبة وليست واجبة.

أمَّا في غير وليمة العرس، فإنَّ إجابة الدعوة ليست واجبة بالإجماع. وإنَّما تُسْتَحَبُّ توثيقًا للروابط، وتنميةً لمشاعر المودة بين الناس، وخصوصًا إذا كانت بينهم وشائج وصلات معينة، مثل القرابة والجوار والزمالة.

ثالثًا: لعلَّ السؤال الأهم هنا: هل يجوز له أن يذهب إلى هذه الدعوة، وإن لم يكن ذلك واجبًا عليه؟

والجواب: أنَّ الأصل في ذلك ألَّا يجوز، للحديث الَّذي ذكره السائل، وهو قوله ﷺ: «**من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر، فلا يجلسْ على مائدةٍ يُدار عليها الخمر**»[2].

ولأنَّ من قواعد الإسلام: أن يُحاصر المعصية من كل جهة؛ حتَّى تنقطع جذورها؛ ولهذا يحرِّم كل عمل يؤدي إليها أو يعين عليها. وهذا

(١) سبق تخريجه صـ١٨٧.

(٢) سبق تخريجه صـ١٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ما جعل الرسـول الكريم يلعن في الخمر عشرة[١]، تشمل كل من ساعد على تناولها بصورة من الصور.

وكذلك لعن آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه[٢].

ومن هنا يكون المسـلم الَّذي يحضر مجالس الخمـر آثمًا، وإن لم يشـربها؛ لأنَّ مجرد حضوره في تلك المجالس، يقوي مرتكبيها ويشد أزرهم.

وقد ورد أنَّ عمر بن عبد العزيز أتي إليه بجماعة شربوا الخمر، ليقيم عليهم الحد، وقالـوا له: يا أميـر المؤمنين، إنَّ فيهم رجـلًا ليس ممَّن شـرب، بل هو صائم! فقال: فبه فابدؤوا؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠][٣]. فاعتبر القرآن القاعدين مع الكفار المستهزئين مثلهم، أي في أصل الإثم.

ولا يعفي من الإثم هنا إلَّا خوف ضرر بليغ يحيق به إن هو رفض الدعـوة، فهو يرتكـب بالحضور أخـف الضررين، ويرضـى بأهون الشرين، وهذا من القواعد الشرعيَّة المقررة: دفع الضرر الأعلى بتحمُّل ضرر أدنى.

ويقرب من ذلك: أن يرجو مصلحة كبيـرة بقبول الدعوة، مثل رجاء قبول هذا الجار للإسـلام، وإحساسـه ببداية انعطافه نحـو هذا الدين،

(١) رواه الترمذي في البيـوع (١٢٩٥)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه في الأشـربة (٣٣٨١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب (٢٣٥٧)، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٨)، وأحمد (١٤٢٦٣)، عن جابر بن عبد الله.

(٣) رواه الطبري في التفسير (٣٢١/٩).

QaradawiBooks.com

ويخشى أن تضيع هذه الفرصة إذا أوحش قلب الرجل، وأعرض عن قبول دعوته، فللاجتهاد هنا مجال.

أمَّا قضية سؤاله صاحب الدعوة عمَّا إذا كان يوجد خمر أو خنزير أو نحو ذلك ممَّا يحرِّمه الإسلام قطعًا، فهذا هو الأولى، حتَّى يعرف الرجل أنَّ المسلم لا يشرب خمرًا، ولا يأكل خنزيرًا إلخ، وهذا ما يفعله المسلمون الذين يعيشون في مجتمعات غير إسلاميَّة، يعرفون من يدعونهم أنَّهم لا يتناولون المسكرات، ولا يجلسون على مائدة تقدَّم فيها، وهذا ما يجعل جيرانهم وزملائهم حين يدعونهم يحترمون قيمهم ومبادئهم، ولا يُقَدِّمون لهم شيئًا من هذا.

وهذا أولى من أن يترك الأمر معمَّى، حتَّى يفاجأ بما لم يكن في حسبانه، عن عدم تلبية الدعوة، بعد أن يكون داعيه قد كلَّف نفسه، وتوقَّع حضوره. وبالله التوفيق.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

احترام قوانين وأنظمة البلد

س: ما مدى التزام المسلم بالوعود والمواثيق الَّتي يقطعها مع غير المسلمين؟ وهل يجوز له أن يخلَّ بها من غير حاجة داعية لذلك؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإنَّ المسلم ـ بمقتضى التزامه بأحكام شريعة الإسلام ـ ملزم باحترام قوانين وأنظمة البلد الَّذي يؤذن له بالدخول فيه زائرًا أو مقيمًا؛ لأنَّه دخل البلد على هذا الشرط، فيجب أن يراعيه ولا يخل به. وقد جاء في حديث النبي ﷺ: «**المسلمون عندَ شروطهم**»[1].

والمسلم إذا قال كلمة، أو وعد وعدًا، أو أعطى عهدًا، أو أقسم قسمًا، فالواجب الَّذي يحتِّمه عليه دينه: أن يصدق في حديثه، وأن ينجز

(١) علقه البخاري في الإجارة بصيغة الجزم قبل الحديث (٢٢٧٤)، رواه الترمذي في الأحكام (١٣٥٢)، وقال: حسن صحيح. وفيه: «المسلمون على شروطهم». والطحاوي في شرح معاني الآثار (٩٠/٤)، والدارقطني في البيوع (٢٨٩٢)، والبيهقي في معرفة السنن (١٤٣٤٩)، وقال الألباني في الصحيحة (٢٩١٥): صحيح لغيره. عن عمرو بن عوف المزني.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وعده، ويفي بعهده، ويبر بقسمه. حتَّى يكون من المؤمنين الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، وحتى يستجيب لأمر الله تعالى في كتابه: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وآيات القرآن في هذا المعنى كثيرة ووفيرة.

ومن لم يحافظ على هذه الأخلاق الَّتي أمر بها القرآن والسُّنَّة دخل في زمرة المنافقين الذين تكذِّب أفعالُهم أقوالَهم، وينافي سلوكهم مقتضى إيمانهم، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣]، وقال تعالى في ذم المنافقين: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]. بل استحقَّ وعيد الله تعالى ولعنته وغضبه، فقد قال سبحانه: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]، وكان من المنافقين الذين قال فيهم رسول الإسلام: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[1]، وقال: «**أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلةٌ منهنَّ كانت فيه**

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

خَصْلة من النفاق حتَّى يَدَعها: إذا اؤتمن خان،وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[(١)].

ولا يتصور مسلم ملتزم بدينه ـ ولو كان فردًا عاديًّا ـ أن يقطع على نفسه عهدًا أو ميثاقًا، ثم ينكث العهد وينقض الميثاق، ويدخل في زمرة من ذمَّهم القرآن الكريم أشدَّ الذم وأبلغه؛ في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

فما بالكم إذا كان هذا المسلم قائدًا يُشار إليه بالبنان، وأسوة يتعلم النَّاس منه فضائل الإسلام، وأخلاق الإيمان، ممَّن يخشون ربهم ويحرصون على مرضاته، ولا يبيعون دينهم بعرض من الدنيا؟!

يستوي في هذا أن يكون التعامل مع المسلمين ومع غير المسلمين، فالأخلاق عند المسلم لا تتجزَّأ، ولا تتفاوت ولا تتناقض.

وتحدِّثنا كتب السنة والسيرة أنَّ حُذَيْفة بن اليَمَانِ وأباه، لمَّا خرجا ليشهدا معركة بدر مع رسول الله ﷺ، فأخذهما مشركو قريش، ثم أطلقوا سراحهما بعد أن أخذوا منهما عهدًا ألَّا يقاتلا مع الرسول ضدهم. فأتيا النبيَّ الكريم فأخبراه بالقصَّة، يريدان أن يشتركا في القتال، فأبى الرسول عليهما، وقال: «**انصرفا، نفي لهم بعَهْدِهم، ونستعينُ الله عليهم**»[(٢)].

وفي صلح الحُدَيْبِيَة وفي أثناء كتابة عقد الصلح بين رسول الله وسهيل بن عمرو، وضمن بنوده: أنَّ من جاء من المشركين إلى رسول الله

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، كلاهما في الإيمان، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٨٧)، وأحمد (٢٣٣٥٤)، عن حذيفة بن اليمان.

QaradawiBooks.com

يرده إلى قريش. في هذه اللحظة وصل أبو جندل ابن سهيل بن عمرو نفسه، يرسف في قيوده، ويشكو من تعذيب قريش له، ويسأل الرسول أن ينقذه ممَّا هو فيه، ولكنَّ سهيلًا قال: إنَّ العقد قد تم بيني وبينك يا محمد قبل أن يأتيك هذا! وجعل سهيل يأخذ ابنه بتلابيبه، ويجرُّه ليردَّه إلى قريش، وأبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأردُّ إلى المشركين، يفتنوني في ديني؟!

وهنا قال له رسول الله ﷺ: «**يا أبا جندل، اصبرْ واحتسبْ؛ فإنَّ الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، إنَّا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله، وإنَّا لا نغدر بهم**»[1]. هذا هو الإسلام، وهذا هو موقف المسلم.

والله يقول الحقَّ، وهو يهدي السبيل.

* * *

(١) سيرة ابن هشام (٢/٣١٨ ـ ٣٢٣).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أسئلة من اليابان

س: نحن مجموعة من المسلمين المهاجرين إلى «اليابان» نعمل في مؤسسات أو شركات يابانية مختلفة، ويدعونا زملاؤنا أو رؤساؤنا في العمل، أو جيراننا في السكن إلى حفلاتهم الَّتي يقيمونها بمناسبات شتى، ونجد من المناسب أن نقبل دعوتهم، توثيقًا لعُرى المودة بيننا وبينهم، وتمهيدًا لدعوتهم إلى الإسلام، وتحبيبه إليهم عن طريق المعاشرة بالحسنى.

ولكنَّ المشكلة تكمن في أنَّهم يقدِّمون الخمر للمدعوين، ويعتبرون هذا من التكريم لهم، وهم يعلمون أنَّنا لا نشرب الخمر، فلا يقدِّمونها لنا، احترامًا لقيمنا ومشاعرنا.. فهل مشاركتنا في هذا الاحتفال، بما قد يترتب عليها من جلوس على مائدة يدار فيها الخمر: أمر جائز شرعًا لما وراءه من مصالح، أو هو حرام وممنوع لحضور مجالس الخمر، المنهي عنه بالحديث الشريف: «**من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر، فلا يجلسْ على مائدة يدارُ عليها الخمر**»[1]؟

أفتونا في هذه القضية، وأضيئوا لنا الطريق بما فتح الله عليكم.

وجزاكم الله عنَّا خيرًا.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فأحيِّي في الإخوة السائلين نيَّاتهم الطيبة، وبواعثهم الخيرة، وأجيب عن سؤالهم، وبالله التوفيق.

المحرمات في الإسلام أنواع:

مُحَرَّم لا يباح بحال:

١ ـ نوع لا يحل في أي حالة من الحالات، لا في ضرورة ولا غير ضرورة، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ إلى آخر الآية الكريمة [النساء: ٢٣].

فهذه المحرمات دائمة مؤبدة، لا يجوز يومًا ولا في أي حالة أن يتزوج المرء أمه أو بنته أو أخته أو غيرها من محارمه؛ وهذا أمر مقرر بالإجماع، ومعلوم من الدين بالضرورة.

مُحَرَّم لا يباح إلَّا في ضرورة:

٢ ـ ونوعٌ ثانٍ يحرم في حال الاختيار، ولا يحل إلَّا في حالة الضرورة وهو ما حرِّم لذاته. مثل ما ذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، فهذه الأطعمة الأربعة محرَّمة لذاتها.

QaradawiBooks.com

وقد تكرَّر هذا المعنى في أربع سور من القرآن: سورتان مكيتان: الأنعام والنحل، وسورتان مدنيتان: البقرة والمائدة. أجازت كلها تناول هذه الأطعمة المحرَّمة للضرورة.

والضرورة: ما لا يعيش الإنسان إلَّا به، وإذا تركه تعرَّض للهلاك.

محرَّم يباح عند الحاجة:

٣ ـ والنوع الثالث والأخير من المحرَّمات، هو: ما لم يحرَّم لذاته، وإنَّما حرِّم لسدِّ الذريعة إلى غيره من المحرمات، مثل تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبيَّة والنظر إليها بشهوة، واللباس المتبرج، ونحوها، سدًّا لذريعة الوقوع في فاحشة الزنى، وتحريم ربا الفضل سدًّا لذريعة الوقوع في ربا النسيئة، وتحريم كتابة عقد الربا والشهادة عليه، سدًّا لذريعة فعل الربا نفسه، وتحريم حمل الخمر وسقيها وبيعها والجلوس على موائدها، سدًّا لذريعة الوقوع في شربها.

وهذه المحرَّمات لسدِّ الذريعة تباح للحاجة، وهي أخف من الضرورة؛ فالضرورة لا يعيش الإنسان بغيرها، والحاجة يمكنه أن يعيش بدونها، ولكن مع حرج ومشقة.

ونظرًا لخفَّة هذا النوع من التحريم فقد أجيز للحاجة ودفع المشقة أو رفعها.

وعلى هذا الأساس نقول للإخوة السائلين: إنَّ حضور مجالس الخمر، أو الجلوس على مائدة يُدار عليها الخمر في تلك الأحفال الَّتي يدعى إليها المسلم، هي من نوع المحرَّم لسدِّ الذريعة وليس لذاته

QaradawiBooks.com

كشرب الخمر.. ومن ثم يجوز لحاجة التآلف مع القوم، وتوثيق الروابط بينهم وبين المسلمين، وإخراج المسلمين من سجن العزلة، حتَّى يكون لهم حضور وتأثير في المجتمع.

ولا يُقال هنا: إنَّ درء المفسدة مقدَّم على جلب المصلحة؛ لأنَّ هذا يقال في المفسدة الواقعة، لا في المفسدة المتوقعة، وهي الَّتي وقع التحريم سدًّا للذريعة إليها.

والمسلم الملتزم يبعد أن يقع في مفسدة شرب الخمر إذا حضر مجالسها، وخصوصًا إذا حضرها بروح الداعية، وبنية تأليف القلوب، وتحبيب الإسلام إلى الناس؛ فالمصلحة وراء حضوره محققة، والمفسدة مستبعدة على مثله.

وهذه قاعدة مهمة تفيد في حل إشكالات كثيرة، مثل الإقامة في بلاد الكفر، وما ورد فيها من أحاديث قد يفيد ظاهرها التحريم؛ فهذا التحريم لسدِّ الذريعة؛ فهو يجوز للحاجة.

وأعتقد أنَّ الحاجة ماسَّة إلى «وجود إسلامي» مؤثر في اليابان كما في أوربا وأمريكا، وغيرها، وهذه الحاجة تبيح للمسلم البقاء في تلك الديار، إذا استطاع أن يحافظ على شخصيته الإسلاميَّة، في نفسه وأهله وذريته، بالتعاون مع إخوانه المسلمين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الدعوة إلى الإسلام بين اليابانيين

س: نحن نعيش في اليابان من عدة سنين، ونجد في هذا البلد فضائل جمة؛ مثل حب العمل وإتقانه، والصبر عليه، واحترام النظام، وتوقير الكبير، والرحمة بالصغير، والحياء، وغيرها من الفضائل الَّتي نعتبرها فضائل إسلاميَّة أصيلة، ومع هذا أخفقنا في دعوتهم إلى الإسلام، ولم نجد منهم استجابة لنا، لعدة أسباب:

عوائق الدعوة إلى الإسلام في اليابان:

منها: أنَّ أمر الدين لم يعد يهمهم كثيرًا، إنَّما يهتمون بدنياهم ومعايشهم، فهم قوم ماديون وعمليون، وراضون بما هم عليه.

ومنها: أنَّ دينهم لا يفرض عليهم تكاليف تقيدهم، وديننا مليء بالتكاليف من فرائض تُؤدَّى، ومحرَّمات تُجتنب، وهي كثيرة جدًّا، ولم يتعوَّدوا مثلها.

ومنها: أنَّهم مولعون بشرب الخمر، فكلهم يشربون، وكلهم متعلق بها، لا يستطيع فطام نفسه عنها، وهي عندنا رجس من عمل الشيطان، وإحدى الكبائر، وأم الخبائث، وهذا عائق كبير عن الدخول في الإسلام.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

ومنها: سوء حال المسلمين، وتخلفهم وضعفهم وتفرُّقهم، وانتشار الرذائل بينهم، وهذا الواقع يلقي بظلاله على الدعوة؛ فينفر من قبولها، أو يضعف منه على الأقل.

وهذه الأسباب جعلت بعضًا منَّا ييئسون من دعوة اليابانيين، ويقولون: لا أمل فيهم.

فبماذا تنصحوننا في تقديم الدعوة إلى اليابانيين الذين نحبهم، ونتمنَّى من كل قلوبنا أن يشرح الله صدورهم لهذا الدين، ويدخلوا فيه أفواجًا، ويكونوا قوَّة جديدة تضاف إلى قوته. وفقكم الله.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أنا على عكس هؤلاء الإخوة اليائسين من دخول اليابانيين في الإسلام، وكل ما ذكروه من عوائق لا يثبت في ميزان النقد العلمي الأصيل. والمفترض أن يكون اليابانيون أقرب من غيرهم إلى الإسلام.

بواعث الأمل في استجابة اليابانيين للإسلام:

وحجتنا في رفض اليأس، وتبني الأمل، تتمثل فيما يلي:

أولًا: أنَّ الإسلام دعوة عالمية بنصِّ القرآن والسُّنَّة، والضرورة الدينيَّة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]،

QaradawiBooks.com

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال ﷺ: «**وكان النبيُّ يُبعث إلى قومه خاصَّة، وبُعثت إلى النَّاس كافَّة**»(١).

ثانيًا: أنَّ اليابانيين هم بشر من البشر، لا بدَّ أن يهمهم أمر الدين وأمر المصير؛ كما يهم كل إنسان، فالدين سرُّ الوجود، وجوهر الحياة، ولا بدَّ لكل إنسان أن يسأل نفسه هذه الأسئلة: من أين؟ وإلى أين؟ ولِمَ؟ من أين جئت وجاء هذا العالم من حولي؟ ومن الَّذي أوجدني وأوجد هذا العالم؟ وإلى أين أذهب بعد حياتي هذه؟ هل الموت فناء مطلق أم هو رحلة إلى حياة أخرى؟ ولماذا أعيش في هذه الحياة؟ وهل لي فيها رسالة؟ وما هي؟

ثالثًا: إنِّي سمعت أنَّ اليابانيين ـ ولا سيَّما القادرين منهم ـ يشترون اسمًا لهم بعد الموت، يدفعون فيه نحو عشرين ألف دولار أو أكثر للكاهن، وهذا الاسم يكون من أسباب سعادتهم في الحياة القادمة. وهذا الاهتمام بهذا الأمر والبذل فيه: يدل على مدى عنايتهم بأمر الدين والمصير.

رابعًا: أنَّ الإسلام وصل إلى الصين ـ بجوار اليابان ـ منذ القرن الأول الهجري، ووصل إلى ماليزيا وإندونيسيا منذ قرون، فما الفرق بين الجنس الملاوي والجنس الإندونيسي والجنس الصيني وبين الجنس الياباني؟ وما الَّذي جعل هؤلاء يقبلون الإسلام، واليابانيين يرفضونه؟

خامسًا: إنَّ اليابانيين شرقيون مثلنا، تجمعنا بهم الرابطة الشرقية، ونحن العرب والمسلمين في الشرق، نعتز بهم، ونفخر بتقدمهم، وفي

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٥)، ومسلم في المساجد (٥٢١)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

أدبنا وشـــعرنا العربي الحديث قصائد ومقالات رائعة في مدحهم والثناء عليهم. وهذا ممَّا يقربهم منَّا، ويقربنا منهم، ولا يجعل بيننا وبينهم فجوة.

سادسًـــا: لم يحدث بيننا وبيـــن اليابانيين صراع تاريخـــي، ولا صراع حديث، كما حدث بيننا وبين الأوروبيين المسيحيين، فقد اصطدم الإسلام بهم في القرون الماضية في حروب دامية مريرة طويلة اســـتمرت قرنين من الزمان، وهي ما عرف باســـم «الحـــروب الصليبيَّة» أو حـــروب الفرنجة، واصطدم الإســـلام بهم في العصور الحديثة، حين احتل الاستعمار الغربي ديار الإسلام من إندونيسيا شـــرقًا إلى المغرب وموريتانيا غربًا، واستمرت معارك التحرير والاستقلال حتَّى ثورة الجزائر، ولم يكتفِ الاستعمار الغربي بذلك، حتَّى زرع في قلب بلادنا هذا الجســـم الدخيل الغريب (إســـرائيل) وأمده بالمال والرجال والســـلاح والنفوذ، ليبقى ويســـيطر ويدمِّر ويعربد، بخلاف اليابان الَّتي لا يوجد بيننا وبينها شيء من هذا القبيل على الإطلاق.

سابعًا: أنَّ لدى اليابانيين كثيرًا من الخصال والأعراف الراسخة، الَّتي نعتبرها من صميم الإسلام مثل «الحياء» الَّذي نراه ظاهرة عامَّة فيهم، فلم أجد خلال زيارتي لليابان في مايو ١٩٩٧م، تلك المناظر الســـخيفة، الَّتي نشـــاهدها في أوربا وأمريكا، مثـــل القبلات والأحضان فـــي الطرقات والمحطـــات، والحدائق وعلى أرصفة القطـــارات ونحوها. و«**الحياء من الإيمان**»[1]، كما قال رسولنا الكريم.

وكذلك حرصهم على إتقان العمل، وعلى الروح التعاونية، واحترام النظام، وتوقير الكبير، ورحمة الصغير، وكل هذه أخلاق وفضائل يدعو إليها الإسلام.

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦)، كلاهما في الإيمان، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

كل هذه الأسباب وغيرها ممَّا لم نذكره، تجعلنا نؤمن بأنَّ اليابانيين ليسوا بعيدين عن الإسلام، ولا نافرين منه، ويمكننا أن نقرِّبهم منه، ونحببه إليهم، إذا عشنا بينهم، ودرسنا نفسيتهم، وأحسنَّا دعوتهم إلى ديننا، وخاطبناهم بلسانهم لنبيِّن لهم.

وصايا مهمَّة للدعاة في اليابان وأمثالها:

ونوصي هنا بعدة أمور:

١ ـ أن ندرس الإنسان الياباني، ونعرف اهتماماته وحاجاته الماديَّة والروحيَّة، ونعرف المدخل النافذ إلى عقله وقلبه، لندخل منه، ونؤثر فيه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [إبراهيم: ٤]، ومخاطبة القوم بلسانهم المبيِّن لهم تعني: أن ندخل إليهم من حيث يهتمون، ومن حيث يفهمون، ومن حيث يتأثرون.

٢ ـ أن نهتم بالأصول قبل الفروع، وبالكليات قبل الجزئيات، وأصل الأصول هو التوحيد والإيمان بالله، والإيمان بالجزاء العادل في الآخرة، والعمل الصالح، الَّذي يرضي الله تبارك وتعالى، ومنه: العمل لعمارة الأرض، وتنمية الحياة.

٣ ـ ألَّا نكثر التكاليف على الداخل في الإسلام، وإنَّما نركِّز على الفرائض الأساسية دون النوافل، وعلى كبائر المحرمات قبل صغائرها، وأن نتبنَّى التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، وفي الحديث الصحيح: «**إنَّما بعثتم مُيَسِّرين ولم تُبْعثوا مُعَسِّرين**»[(١)]، «**يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٧١.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسِّيَر (١٧٣٤)، عن أنس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٤ ـ أن نأخذ النَّاس بمنهج التدرج الحكيم، الَّذي اتخذه الإسلام في أوَّل أمره، فقد بدأ بالعقائد، ثم بعد ذلك بالأحكام، وتدرَّج في تشريع الأحكام، سواء في فرض الفرائض أم في تحريم المحرمات، كما في تحريم الخمر على مراحل معلومة في تاريخ التشريع.

ولو جاء الإسلام من أوَّل يوم، وقال لهم: لا تشربوا الخمر، لشربوها وأبوا الدخول في الإسلام، فقد كانوا مولعين بها كولع اليابانيين أو أشد.

ولهذا ليس من الحكمة أن نثير مع الياباني قضية تحريم الخمر من أوَّل الأمر، ونجعل الامتناع عنها شرطًا للدخول في الإسلام، بل نقبل منهم الإسلام، ونتعهد إيمانهم بالرعاية حتَّى يقوى ويصلب عوده، ونهيئ له بيئة إسلاميَّة يعيش فيها، تعينه على الالتزام، وترغبه في طاعة الله، وترهبه من معصيته، إلى أن يصل إلى مرحلة يترك فيها الخمر بإرادته واختياره. ولو افترضنا أنَّه ضعف عن تركها، وغلبه الإدمان، فأمره إلى الله تعالى، وحسبه أن يموت مؤمنًا.

إنَّ بعض الدعاة إلى الإسلام يعرضون على المسلم الجديد تفاصيل مذهلة، بل مرعبة، بحيث يخيل إليه أنَّ هذا الدين ليس إلَّا مجموعة من القيود، تثقل حركته، وتعوق سيره، وتحرمه الاستمتاع بطيبات الحياة.

إنَّ مزيَّة الإسلام أنَّه دين التوازن بين الدُّنيا والآخرة، بين الروحيَّة والماديَّة، بين المثالية والواقعية، بين الربانية والإنسانيَّة، بين الفرديَّة والجماعية.

فلم يُحرِّم الإسلام على النَّاس الطيبات ولا زينة الله الَّتي أخرج لعباده، وقدَّر أنَّ عمارة الأرض عبادة، وأنَّ طلب العلم فريضة، وأنَّ الله جميل يحبُّ الجمال، وأنَّ خير النَّاس أنفعهم للناس، وأنَّ الله كتب

QaradawiBooks.com

الإحسان على كل شيء، وأنَّه يحب من عبده إذا عمل أن يحسن، وأنَّ يد الله مع الجماعة، وأنَّ التعاون على البر والتقوى واجب، وأنَّ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا، وأنَّ النَّاس كلهم سواسية كأسنان المشط، لا فضل لأبيض على أسود إلَّا بالتقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

منذ نحو قرن من الزمان، والكلام يتجدد عن الإسلام في اليابان، وقد أشيع في بعض الصحف العربية والهندية أنَّ أهل اليابان يبحثون عن دين يختارونه، وأنَّهم يقيمون مؤتمرًا للأديان من أجل ذلك، ولم يكن الخبر صحيحًا، وإن شاع في بعض الأوساط، وسافر من أجله أحد علماء الأزهر على نفقته الخاصة إلى اليابان، وهو الشيخ علي الجرجاوي الَّذي باع عدة أفدنة من أرضه في الصعيد، ليشتري بها تذكرةً ليصل إلى اليابان، ويبقى هناك عدة أشهر، ويؤلف في ذلك كتابًا سمَّاه «الرحلة إلى اليابان».

ومع ذلك لم ينتشر الإسلام في اليابان، كما ينبغي، وإن دخل فيه آلاف من اليابانيين الفضلاء، أنشؤوا الجمعيات والمراكز الإسلاميَّة، ويجتهدون في نشر دينهم، أعرف عددًا منهم من خيرة المسلمين، ونسأل الله لهم التوفيق.

ورأيي أنَّنا سننجح في دعوة اليابانيين إلى الإسلام، يوم ينشأ دعاة إليه من اليابانيين أنفسهم؛ فهم أولى النَّاس بمخاطبة قومهم، وقبل هذا يجب أن نهيِّئ دعاةً يعيشون بين اليابانيين ويتقنون لغتهم، ويتزوَّجون منهم «ممَّن دخل في الإسلام منهنَّ» وقد فعل ذلك «المنصِّرون» الذين وصلوا إلى اليابان، فوجدوا اللغة حائلًا هائلًا، واستصعبوها في أوَّل

QaradawiBooks.com

الأمر، ثم فرَّغوا لها من شبابهم من أجادها كل الإجادة، وغدا يتكلمها كأهلها، وأنشؤوا الجامعات الكاثوليكية والبروتستانتية بالعشرات، وما يزالون ينشطون في نشر دينهم، قائلين للناس: لا نطلب منكم إلَّا أن تعلنوا أنَّكم مؤمنون بالمسيح، وتكتبوا أسماءكم معنا، ولا نكلِّفكم شيئًا وراء ذلك.

إنَّ أخانا الدكتور صالح مهدي السامرائي مهتم بأمر الدعوة في اليابان من قديم، منذ درس في جامعات اليابان، وحصل على درجة الدكتوراه منها، وعاش فيها مدة غير قليلة، على فترات. وهو الآن يدير المركز الإسلامي بطوكيو، وأمله واسع جدًّا في دخول اليابانيين في الإسلام.

وهو يقدر عشرات من السنين ليصبح اليابانيون كلهم أو جلهم مسلمين، وليس ذلك على الله ببعيد، ولكنَّ الأمور لا تدرك بالتمنِّي، بل بالعمل والدأب والصبر، القائم على العلم والتخطيط والتنظيم، يقوم بذلك رجال فقهوا دينهم، وعرفوا عصرهم، ودرسوا بيئتهم، ونذروا أنفسهم لله تعالى ولتبليغ دعوته، من ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وبالله التوفيق.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تهنئة أهل الكتاب بأعيادهم

أنا طالب مسلم أدرس دراسات عليا (الدكتوراه) في علوم الذرة، في بلد أوربي هو ألمانيا، وأحمد الله أنِّـي محافظ على ديني، مؤدٍّ لفرائض ربي، متعاون مع إخواني هنا على خدمة ديـني، والحفاظ على الجالية الإسلاميَّة هنا، وهي كبيرة بحمد الله.

والمشـكلة الَّتي أودُّ أن أعرضها على فضيلتكم هي: ماذا يحل لنا من مجاملة القوم في المناسـبات المختلفة وما يحـرم علينا؟ ومنها: مناسبات وطنية، وأخرى مناسبات دينيَّة، وأشهرها عيد «ميلاد المسيح» أو ما يسمَّى «الكريسماس» الَّذي يحتفل به القوم احتفالًا كبيرًا.

هل يجوز للواحد منَّا أن يجامل زميله في الدراسـة أو مشرفه على الرسـالة، أو رفيقه في العمل، أو جاره في المسكن، في هذه المناسبة، ويهنئه بها ببعض الكلمات الرقيقة المعتادة؟

فقد سـمعت من بعض الإخوة: أنَّ هذا حرام، بل من كبائر الذنوب عند الله؛ لأنَّ فيـه إقرارًا لهم علـى الباطل والكفـر، وموافقةً لهم على التمادي فيه، ومشاركةً لهم فيما هو من شأن دينهم.

وأنا حين أجاملهم بكلمة أو بهديـة لا يخطر في بالي أنِّي أقرهم على باطلهم، أو أوافقهم على كفرهم، إنَّما هو من حسـن المعاشرة

QaradawiBooks.com

الَّتي أمر بها الإسلام، ولطف التعامل مع الناس؛ ولا سيَّما أنَّهم يبادرون بتهنئتنا في أعيادنا، وقد يهدون إلينا بعض الهدايا، وأجد من الجفاء والخشونة والقسوة الَّتي لا تليق بالمسلم: أن يقابل هذا التودد من القوم بوجه عبوس، وجبين مقطَّب، وتجاهل للمناسبة، تظهر المسلم بمظهر منفِّر للقوم، مسيء للإسلام، وخصوصًا في هذه الآونة الَّتي تشتد فيها الهجمة على الإسلام، ووصفه بالعنف ووصف دعاته بالإرهاب، فنحن بهذا التعامل الخشن نعطيهم حجَّة أو سلاحًا للطعن في ديننا وأمتنا.

نرجو من فضيلتكم التكرم ببيان موقف الفقه الإسلامي المعاصر من هذه القضية الحساسة في ضوء الموازين الشرعيَّة، كما عوَّدتمونا في مثل هذه القضايا، سائلين الله تعالى أن ينفع الأمة بعلمكم، ويبارك في جهودكم وجهادكم، آمين.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فلا شك أنَّ القضية الَّتي سأل عنها الأخ قضية مهمة وحساسة كما وصفها، وقد سُئلت فيها في بلاد شتى في أوربا وأمريكا من الإخوة والأخوات، الذين يعيشون في تلك الديار، ويعايشون أهلها المسيحيين، وتنعقد بينهم وبين كثير منهم روابط تفرضها الحياة، مثل الجوار في المنزل، والرفقة في العمل، والزمالة في الدراسة، وقد يشعر المسلم بفضل غير المسلم عليه في ظروف معينة، مثل المشرف

QaradawiBooks.com

الَّذي يساعد الطالب المسلم بإخلاص، والطبيب الَّذي يعالج المريض المسلم بإخلاص، وغيرهما. وكما قيل: إنَّ الإنسان أسير الإحسان، وقال الشاعر:

أَحْسِنْ إلى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُو فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ[1]!

ما موقف المسلم من هؤلاء «غير المسلمين» المسالمين لهم، الذين لا يعادون المسلمين، ولا يقاتلونهم في دينهم، ولم يخرجوهم من ديارهم أو يظاهروا على إخراجهم؟

إنَّ القرآن الكريم قد وضع دستور العلاقة بين المسلمين وغيرهم في آيتين من كتاب الله تعالى في سورة الممتحنة، وقد نزلت في شأن المشركين الوثنيين، فقال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

ففرقت الآيتان بين المسالمين للمسلمين والمحاربين لهم:

فالأولون (المسالمون): شرعت الآية الكريمة برهم والإقساط إليهم، والقسط يعني: العدل، والبر يعني: الإحسان والفضل، وهو فوق العدل، فالعدل: أن تأخذ حقك، والبر: أن تتنازل عن بعض حقك.

العدل أو القسط: أن تعطي الشخص حقه لا تنقص منه. والبر: أن تزيده على حقه فضلًا وإحسانًا.

---

(١) انظر: قصيدة عنوان الحكم لأبي الفتح البستي صـ ٣٦، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

وأمَّا الآخـــرون الذين نهت الآية الأخرى عـــن موالاتهم: فهم الذين عادوا المســـلمين وقاتلوهم، وأخرجوهم من أوطانهـــم بغير حق إلَّا أن يقولوا: ربنا الله، كما فعلت قريش ومشركو مكة بالرسول ﷺ وأصحابه.

وقد اختار القرآن للتعامل مع المسالمين كلمة «البرِّ» حين قال: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ وهي الكلمة المستخدمة في أعظم حقٍّ على الإنسان بعد حقِّ الله تعالى، وهو «بر الوالدين».

وقد روى الشـــيخان عن أســـماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنَّها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رســـولَ الله، إنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عليَّ وهي مشركة، وهي راغبة (أي في صلتها والإهداء إليها) أفأَصِلُها؟ قال: «**نعم، صِلِي أُمَّكِ**»[1].

هذا وهي مشركة، ومعلوم أنَّ موقف الإسلام من أهل الكتاب أخف من موقفه من المشركين الوثنيين.

حتى إنَّ القرآن أجـــاز مؤاكلتهم ومصاهرتهـــم، بمعنى: أن يأكل من ذبائحهم، ويتزوج من نسائهم، كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [المائدة: ٥].

ومن لوازم هذا الزواج وثمراته: وجود المودة بين الزوجين، كما قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وكيف لا يود الرجل زوجته وربة بيته، وشريكة عمره وأم أولاده؟! وقد قال تعالى في بيان علاقـــة الأزواج بعضهم ببعض: ﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

---

(١) سبق تخريجه صـ١٨٥.

QaradawiBooks.com

ومن لوازم هـذا الزواج وثمراتـه: المصاهرة بين الأسـرتين، وهي إحدى الرابطتين الطبيعيتين الأساسـيتين بين البشـر، كما أشار القرآن بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

ومن لوازم ذلك: وجود الأمومة وما لها من حقوق مؤكدة على ولدها في الإسلام، فهل من البرِّ والمصاحبة بالمعروف أن تمرَّ مناسبة مثل هذا العيد الكبير عندها ولا يهنئها به؟ وما موقفه من أقاربه من جهة أمه، مثل الجد والجدة، والخال والخالة، وأولاد الأخوال والخالات، وهؤلاء لهم حقوق الأرحام وذوي القربى، وقد قـال تعالى: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقـال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

فإذا كان حق الأمومة والقرابة يفرض على المسلم والمسلمة صلة الأم والأقارب بما يبيِّن حسـن خلق المسلم، ورحابة صدره، ووفاءه لأرحامه، فإنَّ الحقوق الأخرى توجب على المسـلم أن يظهر بمظهر الإنسـان ذي الخلق الحسن، وقد أوصى الرسـول الكريم أبا ذر بقوله: «**اتَّقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأتْبع السيِّئةَ الحسـنةَ تمحُها، وخالقْ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَن**»[1] هكذا قال: «**خالقْ النَّاس**» ولم يقل: خالق المسلمين بخلق حسن.

كما حثَّ النبيُّ ﷺ علـى «الرفق» في التعامل مع غير المسـلمين، وحذَّر من «العنف» والخشونة في ذلك.

ولمَّا دخل بعض اليهـود على النبي ﷺ، ولووا ألسـنتهم بالتحية، وقالوا: السام عليك يا محمد. ومعنى السام: الهلاك والموت. وسمعتهم

(١) رواه أحمد (٢١٣٥٤)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

عائشة، فقالت: وعليكم السَّامُ واللعنةُ يا أعداء الله. فلامها النبيُّ ﷺ على ذلك، فقالت: ألم تسمع ما قالوا يا رسولَ الله؟ فقال: «**سمعتُ، وقلتُ: وعليكم** ـ يعني: الموت يجري عليكم كما يجري علي ـ **يا عائشة، إنَّ الله يحبُّ الرفق في الأمر كلِّه**»(١).

وتتأكد مشروعية تهنئة القوم بهذه المناسبة إذا كانوا ـ كما ذكر السائل ـ يبادرون بتهنئة المسلم بأعياده الإسلاميَّة، فقد أُمرنا أن نجازي الحسنة بالحسنة، وأن نردَّ التحية بأحسن منها، أو بمثلها على الأقل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

ولا يحسن بالمسلم أن يكون أقل كرمًا، وأدنى حظًّا من حسن الخلق من غيره، والمفروض أن يكون المسلم هو الأوفر حظًّا، والأكمل خلقًا، كما جاء في الحديث: «**أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا**»(٢) وكما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّم مكارمَ الأخلاق**»(٣).

ورُوِيَ عن الشَّعْبِي أنَّه قال لليهوديِّ: عليك السلام ورحمة الله. فقيل له تقول ليهوديٍّ: ورحمة الله؟ فقال: أليس في رحمةِ الله يعيش؟(٤).

ويتأكَّد هذا إذا أردنا أن ندعوهم إلى الإسلام ونقربهم إليه، ونحبب إليهم المسلمين، فهذا لا يتأتى بالتجافي بيننا وبينهم، بل بحسن التواصل.

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في الآداب (٢١٦٥)، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (٢٤٦٧٧)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره. والترمذي في الإيمان (٢٦١٢)، وقال: صحيح. عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

(٤) المنتقى شرح الموطأ (٢٨١/٧)، نشر مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٣٢هـ.

QaradawiBooks.com

وقد كان النبيُّ ﷺ حَسَن الخلق، كريم العشرة، مع المشركين من قريش، طَوال العهد المكي، مع إيذائهم له، وتكالبهم عليه، وعلى أصحابه. حتَّى إنَّهم لثقتهم به عليه الصلاة والسلام كانوا يودعون عنده ودائعهم الَّتي يخافون عليها، حتَّى إنَّه ﷺ حين هاجر إلى المدينة، ترك عليًّا رضي الله عنه، وأمره بردِّ الودائع إلى أصحابها.

فلا مانع إذن أن يُهنِّئهم الفرد المسلم، أو المركز الإسلامي بهذه المناسبة، مشافهةً أو بالبطاقات الَّتي لا تشتمل على شعار أو عبارات دينيَّة تتعارض مع مبادئ الإسلام مثل «الصليب»؛ فإنَّ الإسلام ينفي فكرة الصليب ذاتها: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٦].

والكلمات المعتادة للتهنئة في مثل هذه المناسبات لا تشتمل على أيِّ إقرار لهم على دينهم، أو رضا بذلك، إنَّما هي كلمات مجاملة تعارفها الناس.

ولا مانع من قبول الهدايا منهم، ومكافأتهم عليها، فقد قبل النبي ﷺ هدايا غير المسلمين؛ مثل المقوقس عظيم القبط بمصر وغيره، بشرط ألَّا تكون هذه الهدايا ممَّا يحرم على المسلم؛ كالخمر ولحم الخنزير.

أنا أعلم أنَّ بعض الفقهاء، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية قد شدَّدوا في مسألة أعياد المشركين وأهل الكتاب والمشاركة فيها، وذلك في كتابه القيم: «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم».

وأنا معه في مقاومة احتفال المسلمين بأعياد المشركين وأهل الكتاب الدينيَّة، كما نرى بعض المسلمين يحتفلون بـ «الكريسماس» كما يحتفلون بعيد الفطر، وعيد الأضحى، وربَّما أكثر، وهذا ما لا يجوز، فنحن لنا أعيادنا، وهم لهم أعيادهم، ولكن لا أرى بأسًا من تهنئة القوم

QaradawiBooks.com

بأعيادهم لمن كان بينه وبينهم صلة قرابة أو جوار أو زمالة، أو غير ذلك من العلاقات الاجتماعيَّة، الَّتي تقتضي المودة وحسن الصلة ولطف المعاشرة الَّتي يقرها العرف السليم

ولا يخفى أنَّ شيخ الإسلام قد أفتى في هذه القضية في ضوء أحوال زمنه، ولو عاش رضي الله عنه في زمننا ورأى تشابك العلاقات بين النَّاس بعضهم وبعض، لغيَّر رأيه ـ والله أعلم ـ أو خفَّف من شدته، فقد كان رضي الله عنه يراعي الزمان والمكان والحال في فتواه.

هذا كله في الأعياد الدينيَّة، أمَّا الأعياد الوطنية، مثل عيد الاستقلال أو الوحدة، أو الأعياد الاجتماعيَّة مثل: أعياد الأمومة والطفولة والعمال والشباب ونحوها، فلا حرج على المسلم من أن يهنئ بها أو يشارك فيها باعتباره مواطنًا أو مقيمًا في هذه الديار، على أن يحرص على تجنب المحرَّمات الَّتي قد تقع في تلك المناسبات، وبالله التوفيق.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

دفن المسلم في مقبرة النصارى

غير مرخصة للطباعة

س: ما حكم دفن الميت المسلم في مقابر النصارى، لعدم وجود مقبرة للمسلمين، أو مع وجود مقبرة للمسلمين، لكنَّها بعيدة عن أهل الميِّت، بحيث لا يتيسر لهم الزيارة لميتهم بسهولة كلَّما أرادوا؟

اتحاد الطلبة المسلمين في الجمهورية التشيكية

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هناك أحكام شرعيَّة مقرَّرة تتعلق بشأن المسلم إذا مات، مثل تغسيله وتكفينه والصلاة عليه، ومن ذلك دفنه في مقابر المسلمين. ذلك: أنَّ للمسلمين طريقة في الدفن واتخاذ المقابر، من حيث البساطة والاتجاه إلى القبلة، والبعد عن مشابهة المشركين والمترفين وأمثالهم.

ومن المعروف: أنَّ أهل كل دين، لهم مقابرهم الخاصة بهم، فاليهود لهم مقابرهم، والنصارى لهم مقابرهم، والوثنيون لهم مقابرهم، فلا عجب أن يكون للمسلمين مقابرهم أيضًا. وعلى كل مجموعة إسلاميَّة في البلاد غير الإسلاميَّة أن تسعى ـ بالتضامن فيما بينها ـ إلى

اتخاذ مقبرة خاصَّة منفصلة للمسلمين، وتجتهد في إقناع المسؤولين بذلك، ما وجدت إلى ذلك سبيلًا.

فإذا لم يستطع المسلمون الحصول على مقبرة خاصَّة مستقلة، فلا أقل من أن يكون للمسلمين رقعة خاصَّة في طرف من أطراف مقبرة النصارى، يدفنون فيها موتاهم.

فإذا لم يتيسَّر هذا ولا ذاك للمسلمين، ومات لهم ميت، فليعملوا على نقله ـ إن تيسر لهم ـ إلى مدينة أخرى فيها مقابر للمسلمين، وإلَّا فليدفنوه في مقابر النصارى، حسب استطاعتهم، وَفْقًا لأحكام الضرورة، ولا يُكلِّف الله نفسًا إلَّا وسعها، ولن يضير المسلم الصالح إذا مات أن يدفن في مقابر غير المسلمين في مثل هذه الحال، فإنَّ الَّذي ينفع المسلم في آخرته هو سعيه وعمله الصالح، وليس موضع دفنه، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩].

بقي أن أقول للأخ السائل بأنَّ بُعْدَ المقبرة عن أهل الميت لا يسوِّغ دفن الميت في مقبرة غير المسلمين، فإنَّ دفن المسلم في مقبرة المسلمين فريضة كما يبدو من إجماع العلماء على ذلك، وزيارة الميت نافلة، ولا يجوز أن تضيع فريضة من أجل نافلة!

كما أحبُّ أن أبيِّن هنا أنَّ الأصل في زيارة المقابر إنَّما شرعت أساسًا لمصلحة الزائر، للعبرة والاتعاظ، كما جاء في الحديث: «**كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور، أَلَا فزُوروها، إنَّها تُرِقُّ القلبَ، وتُدْمع العَيْن، وتُذَكِّر الآخرة**»[(١)].

أمَّا الميت فيستطيع المسلم أن يدعو له ويستغفر له، ويصله الثواب بفضل الله تعالى، في أيِّ مكان كان الداعي والمستغفر له.

---

(١) رواه أحمد (١٣٤٨٧)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨١٥٧): فيه يحيى بن عبد الله الجابر وقد ضعفه الجمهور وقال أحمد: لا بأس به وبقية رجاله ثقات. عن أنس.

QaradawiBooks.com

زيارة مقابر غير المسلمين من الأقارب

غير مرخصة للطباعة

س: من العادات المتوارثة لدى العائلات «التشيكية»: زيارة مقابر موتاهم بانتظام. والسؤال: هل يجوز للأخوات التشيكيات اللاتي هداهن الله إلى الإسلام، أن يشاركن عوائلهن غير المسلمة، في زيارة مقابرهم ممَّن ماتوا على غير الإسلام؛ لأنَّ عدم مشاركة الأخت المسلمة لعائلتها في هذا الأمر، يسبِّب لهن بعض الحرج والإشكال، مع أسرهن وأقاربهن؟ أفيدونا أفادكم الله، وجزاكم عنا خيرًا.

اتِّحاد الطلبة المسلمين في الجمهورية التشيكيَّة

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

يوجب الإسلام على المسلم أن يكون بارًّا بوالديه، وصولًا لرحمه، وإن كانوا كفارًا بدين الإسلام، وحسبنا هنا قول الله تعالى في برِّ الوالدين: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ [لقمان: ١٥].

والمسلم مطالب ببرِّ غير المسلمين والإحسان إليهم، كما أنَّه حين يحسن خلقه مع أهله وأرحامه من غير المسلمين، إنَّما يحبِّب إليهم الإسلام، ويرغِّبهم فيه، بخلاف ما إذا عاملهم بغلظة وفظاظة وجفاء.

على أنَّه لا مانع شرعًا من مشاركة الأخت المسلمة لأهلها في زيارة موتاهم، ولا سيَّما إذا كان امتناعها من ذلك سيؤدي إلى سوء العلاقة بينها وبينهم، وقد شرع الإسلام زيارة مقابر الكفار للعظة والاعتبار، وقد أذن الله تعالى لرسوله ﷺ أن يزور قبر أمه آمنة بنت وهب، ولم يأذن له أن يستغفر لها.

والاتعاظ بالموت لا يقتصر على المسلمين، بل هو أمر يعم المسلمين وغيرهم، وقد جاء في الصحيحين: أنَّ النبيَّ ﷺ مرُّوا عليه بجنازة فقام لها واقفًا، فقالوا: يا رسولَ الله، إنَّها جنازة يهودي! فقال: «**أَلَيْسَتْ نفْسًا؟!**»[1].

فلا مانع إذن أن تشارك الأخت أقاربها في ذلك، ناوية الاتعاظ بزيارة المقابر، وتذكر الآخرة، فهذا هو المقصود من زيارة القبور، فهي في الأصل لمصلحة الزائر قبل المزور، وإن كانوا يرتكبون أشياء مخالفة للشرع الإسلامي، فتتجنبها، ولا تتبعهم فيها. والحمد لله أولًا وآخرًا.

* * *

(١) سبق تخريجه صـ١٨٩.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ميراث المسلم من غير المسلم

س: أنا رجل هداني الله للإسلام منذ أكثر من عشر سنوات، وأسرتي أسرة مسيحيَّة بريطانية الجنسيَّة، وقد حاولت دعوتهم وتحبيب الإسلام إليهم، طوال هذه السنين، ولكنَّ الله لم يشرح صدورهم للإسلام، وبقوا على مسيحيَّتهم. وقد ماتت أمي منذ سنوات، وكان لي منها ميراث قليل، ولكنِّي رفضت أخذه، بناءً على أنَّ المسلم لا يرث الكافر، كما أنَّ الكافر لا يرث المسلم.

والآن مات أبي وترك لي مالًا كثيرًا، وتركة كبيرة، وأنا وارثه الوحيد، والقوانين السائدة تجعل هذه التركة أو هذا الميراث كله من حقِّي. فهل أرفض هذه التركة الكبيرة وأدعها لغير المسلمين ينتفعون بها، وهي ملكي وحقي قانونًا، وأنا في حاجة إليها، لأنفق منها على نفسي وعلى أسرتي المسلمة: زوجتي وأطفالي، وأوسع بها على إخواني المسلمين، وهم أحوج ما يكونون إلى المساعدة، وأساهم منها في المشروعات الإسلاميَّة النافعة والكثيرة، والتي تفتقر إلى التمويل، فلا تجده؟

ثم إنَّ معظم المسلمين ضعفاء اقتصاديًّا، ولا يخفى على فضيلتكم أنَّ المال عصب الحياة، وأنَّ الاقتصاد هو الَّذي يؤثر في السياسة اليوم،

QaradawiBooks.com

فلماذا ندع فرصة يمكن لأحد المسلمين أن يكسب من ورائها قوَّة اقتصادية، وهي تواتيه بلا معاناة، ولا ارتكاب لحرام أو شبهة؟

أرجو أن أجد عند سماحتكم حلًّا لهذه المشكلة، فهي ليست مشكلتي وحدي، بل مشكلة الألوف وعشرات الألوف من أمثالي، ممَّن شرح الله صدورهم لهذا الدين العظيم، فآمنوا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا ورسولًا.

وفَّقكم الله وسدد خطاكم، ونفع بكم.

مسلم من بريطانيا

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

جمهور الفقهاء يذهبون إلى أنَّ المسلم لا يرث الكافر، كما أنَّ الكافر لا يرث المسلم، وأنَّ اختلاف الملة أو الدين مانع من الميراث. واستدلوا بالحديث المتفق عليه: «**لا يرثُ المسلمُ الكافر، ولا الكافرُ المسلم**»[(١)]، والحديث الآخر: «**لا يتوارث أهلُ مِلَّتَيْن شتَّى**»[(٢)].

وهذا الرأي مروي عن الخلفاء الراشدين، وإليه ذهب الأئمَّة الأربعة، وهو قول عامَّة الفقهاء، وعليه العمل كما قال ابن قدامة.

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤)، كلاهما في الفرائض. عن أسامة بن زيد.

(٢) رواه أحمد (٦٨٤٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٢٩١١)، وابن ماجه (٢٧٣١)، كلاهما في الفرائض، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٧٦١٤)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

ورُوي عن عمر ومعاذ ومعاوية رضي الله عنهم: أنَّهم ورَّثوا المسلم من الكافر، ولم يورِّثوا الكافر من المسلم. وحُكي ذلك عن محمد ابن الحنفيَّة، وعليِّ بن الحسين، وسعيد بن المسيب، ومسروق، وعبد الله بن معقل والشعبي، ويحيى بن يعمر، وإسحاق[١].

ورُوي أنَّ يحيى بن يعمر اختصم إليه أخوان: يهودي ومسلم، في ميراث أخٍ لهما كافر، فورَّث المسلم، واحتج لقوله بتوريث المسلم من الكافر، فقال: حدثني أبو الأسود أنَّ رجلًا حدثه، أنَّ معاذًا حدثه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ الإسلام يزيدُ ولا ينقص**»[٢]، يعني: أنَّ الإسلام يكون سببًا لزيادة الخير لمعتنقه، ولا يكون سبب حرمانٍ ونقصٍ له.

ويمكن أن يذكر هنا أيضًا حديث: «**الإسلامُ يعلو ولا يُعلى**»[٣].

وذلك لأنَّنا ننكح نساءهم، ولا ينكحون نساءنا، فكذلك نرثهم ولا يرثوننا. وأنا أرجِّح هذا الرأي، وإن لم يقل به الجمهور، وأرى أنَّ الإسلام لا يقف عقبة في سبيل خير أو نفع يأتي للمسلم، يستعين به على توحيد الله تعالى وطاعته ونصرة دينه الحق، والأصل في المال أن

---

(١) المغني (٣٦٧/٦).

(٢) رواه أحمد (٢٢٠٠٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. وأبو داود في الفرائض (٢٩١٢)، وأبو داود الطيالسي (٥٦٩)، والحاكم في الفرائض (٣٨٣/٤) وصحَّح إسناده ووافقه الذهبي، والبيهقي في الفرائض (٢٥٤/٦) من عدة طرق، وقال عقبه: إن صح الخبر فتأويله غير ما ذهب إليه إنَّما أراد أنَّ الإسلام في زيادة ولا ينقص بالردة. وهذا رجل مجهول فهو منقطع. عن معاذ بن جبل.

(٣) رواه الدارقطني (٣٦٢٠)، والبيهقي في اللقطة (٢٠٥/٦)، وحسن إسناده الحافظ في فتح الباري (٢٢٠/٣)، وكذا الألباني في إرواء الغليل (١٢٦٨)، عن عائذ بن عمرو المزني.

QaradawiBooks.com

يُرصد لطاعة الله تعالى لا لمعصيته، وأولى النَّاس به هم المؤمنون، فإذا سمحت الأنظمة الوضعيَّة لهم بمال أو تركة، فلا ينبغي أن نحرمهم منها، وندعها لأهل الكفر يستمتعون بها في أوجه قد تكون محرمة أو مرصودة لضررنا.

وأمَّا حديث: «**لا يرث المسلمُ الكافر، ولا الكافرُ المسلم**» فنؤوله بما أوَّل به الحنفيَّة حديث: «**لا يُقتل مسلمٌ بكافر**»، وهو أنَّ المراد بالكافر: الحربي، فالمسلم لا يرث الحربي ـ المحارب للمسلمين بالفعل ـ لانقطاع الصلة بينهما.

ترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم:

هذا، وقد عرض الإمام ابن القيِّم لهذه القضية ـ ميراث المسلم من الكافر ـ في كتابه: «أحكام أهل الذمَّة» وأشبع القول فيها، ورجح هذا القول، ونقل عن شيخه ابن تيمية ما كفى وشفى. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأمَّا توريث المسلم من الكافر فاختلف فيه السلف، فذهب كثير منهم إلى أنَّه لا يرث كما لا يرث الكافر المسلم: وهذا هو المعروف عند الأئمَّة الأربعة وأتباعهم. وقالت طائفة منهم: بل يرث المسلم الكافر، دون العكس. وهذا قول معاذ بن جبل، ومعاوية بن أبي سفيان، ومحمد ابن الحنفيَّة، ومحمد بن عليٍّ بن الحسين (أبو جعفرٍ الباقرُ)، وسعيد بن المسيب، ومسروق بن الأجدع، وعبد الله بن معقل، ويحيى بن يعمر، وإسحاق بن راهويه. وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية. قالوا: نرثهم ولا يرثوننا، كما ننكح نساءهم ولا ينكحون نساءنا. والذين منعوا الميراث: عمدتهم الحديث المتفق

QaradawiBooks.com

عليه: «**لا يرثُ المسلمُ الكافر، ولا الكافرُ المسلم**»[١]. وهو عمدة من منع ميراث المنافق الزنديق، وميراث المرتد.

قال شيخنا (يعني: ابن تيمية): وقد ثبت بالسُّنَّة المتواترة أنَّ النبيَّ ﷺ كان يجري الزنادقة المنافقين في الأحكام الظاهرة مجرى المسلمين، فيرثون ويورثون. وقد مات عبد الله بن أبيّ وغيره ممَّن شهد القرآن بنفاقهم، ونُهي الرسول ﷺ عن الصلاة عليه والاستغفار له، ووَرِثَهم وَرثَتُهم المؤمنون: كما ورَّث عبد الله بن أبيّ ابنه، ولم يأخذ النبي ﷺ من تركة أحد من المنافقين شيئًا، ولا جعل شيئًا من ذلك فيئًا، بل أعطاه لورثتهم وهذا أمر معلوم بيقين.

فعلم أنَّ الميراث: مداره على النصرة الظاهرة لا على إيمان القلوب والموالاة الباطنة. والمنافقون في الظاهر ينصرون المسلمين على أعدائهم، وإن كانوا من وجه آخر يفعلون خلاف ذلك. فالميراث مبناه على الأمور الظاهرة لا على ما في القلوب.

وأمَّا المرتد فالمعروف عن الصحابة مثل عليّ وابن مسعود: أنَّ ماله لورثته من المسلمين أيضًا. ولم يدخلوه في قوله ﷺ: «**لا يرثُ المسلمُ الكافر**»، وهذا هو الصحيح.

وأمَّا أهل الذِّمَّة، فمن قال بقول معاذ ومعاوية ومن وافقهما يقول: قولُ النبي ﷺ: «**لا يرثُ المسلمُ الكافرَ**». المراد به: الحربي لا المنافق، ولا المرتد، ولا الذمي: فإنَّ لفظ «الكافر» ـ وإن كان قد يعم كل كافر،

(١) سبق تخريجه صـ٤٢٧.

QaradawiBooks.com

فقد يأتي لفظه والمراد به بعض أنواع الكفار، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]. فهنا لم يدخل المنافقون في لفظ «الكافرين». وكذلك المرتد، فالفقهاء لا يدخلونه في لفظ «الكافر» عند الإطلاق. ولهذا يقولون: إذا أسلم الكافر لم يقض ما فاته من الصلاة، وإذا أسلم المرتد ففيه قولان.

وقد حمل طائفة من العلماء قول النبيِّ ﷺ: «**لا يُقتَلُ مسلمٌ بكافر**»، على الحربي دون الذمي، ولا ريب في أنَّ حمل قوله: «**لا يرثُ المسلمُ الكافر**» على الحربي أولى وأقرب محملًا؛ فإنَّ في توريث المسلمين منهم ترغيبًا في الإسلام لمن أراد الدخول فيه من أهل الذمة، فإنَّ كثيرًا منهم يمنعهم من الدخول في الإسلام خوف أن يموت أقاربهم ولهم أموال فلا يرثون منهم شيئًا.

وقد سمعنا ذلك من غير واحد منهم شفاهًا؛ فإذا علم أنَّ إسلامه لا يسقط ميراثه ضعف المانع من الإسلام وصارت رغبته فيه قوية. وهذا وحده كافٍ في التخصيص. وهم يخصُّون العموم بما هو دون ذلك بكثير، فإن هذه مصلحةٌ ظاهرة يشهد لها الشرع بالاعتبار في كثير من تصرفاته؛ وقد تكون مصلحتها أعظم من مصلحة نكاح نسائهم، وليس هذا ممَّا يخالف الأصول، فإنَّ أهل الذمة إنَّما ينصرهم ويقاتل عنهم المسلمون ويفتدون أسراهم، والميراث يستحق بالنصرة، فيرثهم المسلمون، وهم لا ينصرون المسلمين فلا يرثونهم: فإنَّ أصل الميراث ليس هو بموالاة القلوب؛ ولو كان هذا معتبرًا فيه كان المنافقون لا يرثون ولا يورثون. وقد مضت السُّنَّة بأنَّهم يرثون ويورثون» انتهى.

QaradawiBooks.com

وأمَّا المرتد فيرثه المسلمون، وأمَّا هو فإن مات له ميت مسلم في زمن الردة ومات مرتدًّا لم يرثه؛ لأنَّه لم يكن ناصرًا له. وإن عاد إلى الإسلام قبل قسمة الميراث فهذا فيه نزاع بين الناس. وظاهر مذهب أحمد: أنَّ الكافر الأصلي، والمرتد إذا أسلما قبل قسمة الميراث ورثا، كما هو مذهب جماعة من الصحابة والتابعين، وهذا يؤيد هذا الأصل، فإنَّ هذا فيه ترغيب في الإسلام[1].

قال شيخنا: «ومما يؤيد القول بأنَّ المسلم يرث الذمي ولا يرثه، أنَّ الاعتبار في الإرث المناصرة، والمانع هو المحاربة، ولهذا قال أكثر الفقهاء: إنَّ الذمي لا يرث الحربي، وقد قال تعالى في الدية: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، فالمقتول ـ إن كان مسلمًا ـ فديته لأهله، وإن كان من أهل الميثاق فديته لأهله، وإن كان من قوم عدو للمسلمين فلا دية له؛ لأنَّ أهله عدو للمسلمين وليسوا بمعاهدين، فلا يعطون ديته؛ ولو كانوا معاهدين لأعطوا الدية. ولهذا لا يرث هؤلاء المسلمين، فإنَّهم ليس بينهم وبينهم إيمان ولا أمان.

قال المانعون: الكفر يمنع التوارث، فلم يرث به المعتق، كالقتل.

قال المورثون: القاتل يُحرم الميراث لأجل التهمة، ومعاقبة له بنقيض قصده.

وهاهنا علة الميراث الإنعام، واختلاف الدين لا يكون من علله. وهذه المسائل الثلاث من محاسن الشريعة: وهي توريث من أسلم على ميراث قبل قسمته، وتوريث المعتق عبده الكافر بالولاء، وتوريث

(١) أحكام أهل الذمة لابن القيم صـ ٨٥٣ ـ ٨٥٦، تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، نشر رمادي للنشر، الدمام، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

المسلم قريبه الذمي، وهي مسألة نزاع، بين الصحابة والتابعين، وأمَّا المسألتان الأخيرتان فلم يعلم عن الصحابة فيهما نزاع، بل المنقول عنهم التوريث»[١].

قال شيخنا: «والتوريث في هذه المسائل على وفق أصول الشرع، فإنَّ المسلمين لهم إنعام وحق على أهل الذمة بحقن دمائهم، والقتال عنهم، وحفظ دمائهم وأموالهم، وفداء أسراهم. فالمسلمون ينفعونهم وينصرونهم ويدفعون عنهم: فهم أولى بميراثهم من الكفار.

والذين منعوا الميراث قالوا: مبناه على الموالاة: وهي منقطعة بين المسلم والكافر، فأجابهم الآخرون بأن ليس مبناه على الموالاة الباطنة الَّتي توجب الثواب في الآخرة، فإنَّه ثابت بين المسلمين وبين أعظم أعدائهم، وهم المنافقون الذين قال الله فيهم: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]. فولاية القلوب ليست هي المشروطة في الميراث، وإنَّما هو بالتناصر، والمسلمون ينصرون أهل الذمة فيرثونهم، ولا ينصرهم أهل الذمة فلا يرثونهم»[٢]. والله أعلم اهـ.

ويمكن اعتبار هذا الميراث من باب الوصية من الأب المتوفى لولده، والوصية من الكافر للمسلم، ومن المسلم للكافر غير الحربي: جائزة بلا إشكال، وعندهم يجوز للإنسان أن يوصي بماله كله، ولو لكلبه! فلابنه أولى.

على أنَّا لو أخذنا بقول الجمهور الذين لا يورِّثون المسلم من غير المسلم، لوجب علينا أن نقول لهذا المسلم الَّذي مات أبوه: خذ هذا

(١) أحكام أهل الذمة صـ ٨٥٦، ٨٥٧.
(٢) أحكام أهل الذمة صـ ٨٧٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المال الَّذي أوجبه لك القانون من تركة أبيك، ولا تأخذ منه لنفسك إلَّا بقدر ما تحتاج إليه لنفقتك ونفقة أسرتك، ودع الباقي لوجوه الخير والبر الَّتي يحتاج إليها المسلمون وما أكثرها، وما أحوجهم إليها كما قلت في رسالتك. ولا تدع هذا المال للحكومة، فقد يعطونها لجمعيات تنصيرية ونحوها.

وهذا على نحو ما أفتينا به في المال المكتسب من حرام، مثل فوائد البنوك ونحوها، فقد أفتينا وأفتت بعض المجامع الفقهيَّة، بعدم جواز تركه للبنك الربوي، ولا سيَّما في البلاد الأجنبيَّة، ووجوب أخذه لا لينتفع به، بل ليصرفه في سبيل الخير ومصالح المسلمين.

وبالله التوفيق.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فتوى لجميع المسلمين في روسيا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإنَّ المسلمين حيثما كانوا إخوة، بعضهم أولياء بعض، تجمعهم العقيدة الواحدة، والشعائر الواحدة، والآداب الواحدة، والقبلة الواحدة، يؤمنون برب واحد، ورسول واحد، وكتاب واحد، وصفهم الله تعالى فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ووصفهم رسوله ﷺ فقال: «**المسلمُ أخو المسلم لا يظلمُه ولا يُسْلِمُه**»[(١)]: أي لا يتخلَّى عنه، وقال: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضه بعضًا**»[(٢)]، وقال: «**المسلمون يسعى بذِمَّتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم**»[(٣)].

وصور الرسول الكريم المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم

(١) سبق تخريجه صـ٣٢٨.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٠٩.

(٣) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧٣)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

بالجسد الواحد، «**إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالحُمَّى والسهر**»[١].

ومن هنا وجب على المسلمين عامة، وعلى مسلمي روسيا خاصَّة نصرة إخوانهم الشيشان الذين أصابهم القرح وأوذوا في سبيل الله، وأُخرجوا من ديارهم بغير حق إلَّا أن يقولوا: ربنا الله، فقتل منهم من قتل، وشرد منهم من شرد في سبيل الله، وهدمت ديارهم، وخربت مساجدهم ومدارسهم، وشنت عليهم حرب إبادة وحشية، بدعوى زائفة، وهي قتال الإرهابيين، وكأنَّ الشعب الشيشاني كله إرهابيون، برجاله ونسائه وشيوخه وأطفاله وحتى رئيس جمهوريته إرهابي!

والحقيقة أنَّ الإرهابي الأعظم، والسفاح الأكبر، هو «فلاديمير بوتين» رئيس روسيا بالإنابة، الَّذي انكشف قناعه، وظهر على حقيقته، وحشًا مفترسًا يسفك دماء الأبرياء، ويقتل المدنيين العزل، ويهدم ويحرق بغير حساب، والآن يعلن أنَّه سيمحو غروزني من خريطة الوجود، مدلًّا بقوته الماديَّة، مغرورًا بترسانته النوويَّة، مستفيدًا من التواطؤ الأمريكي، والسكوت الغربي، والعجز الإسلامي، في تحطيم قوَّة الشيشان الأبطال. وقد أظهرت الأيام الأخيرة، والصور الَّتي التقطها بعض الصحفيين الغربيين مدى وحشية بوتين ورجاله في قتل النَّاس بالجملة، ودفنهم في مقابر جماعية بطريقة همجية، وربط الرجال بالسيارات تجرهم وتهشمهم وتمثل بهم أشنع تمثيل، ممَّا أثار العالم كله، ممَّا رآه من انتهاك فظيع لحقوق الإنسان.

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

إنَّ على المسلمين جميعًا أن يعتبروا هذا الطاغية الجبار، وهذا الفرعون المتأله (بوتين) عدوًّا لهم، وأن يدعوا الله تعالى في سجودهم وقنوتهم أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر، وأن ينزل عليه بأسه الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين.

وعلى مسلمي روسيا خاصَّة أن يحرموه من أصواتهم في انتخابات الرئاسة المقبلة، إمَّا بانتخاب من هو أقرب إلى المسلمين منه، مثل «بريماكوف» وإمَّا بالامتناع عن التصويت نهائيًّا، وهذا الَّذي نطلبه من المسلمين هو الحد الأدنى في إثبات الولاء لله ولرسوله وللذين آمنوا، وإثبات العداوة لأعداء الله، فأوثق عُرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله والموالاة لله، والمعاداة لله.

والإسلام كما ينهى المسلم أن يكون ظالمًا، ينهاه أن يكون عونًا لظالم، فأعوان الظلمة كلاب جهنم، ومن أعان ظالمًا كان شريكًا له في الإثم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

فاعتبر مجرد الركون ـ أي الميل ـ إلى الظالمين سببًا لمس النار، وعذاب النار، وحرمان الولاية والنصرة من الله تعالى.

فما بالكم بمن يعطي صوته للظالم الجبار، مؤيدًا له ومعينًا له على النجاح؟ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]، وهو يسعى في فلاحهم. ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، وهو بالتصويت له يعلن عن حبّه وتأييده لهم.

إنَّ إعطاء الصوت لمرشح ما شهادة له بأنَّه رجل صالح، وقوي أمين، فإذا كان هذا الرجل ظالمًا معتديًا، وسفاحًا جبارًا، كانت هذه

QaradawiBooks.com

«شـــهادة زور» وهي من أكبر الكبائر، وقد قرنها الله تعالى بالشرك فقال: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

أيها الإخوة المســلمون في روســيا، كيف تســمح لكم ضمائركم، وكيف يجيز لكم دينكم وشــرع ربكــم أن تنتخبوا رجــلًا لا تزال يداه ملطختين بدماء أهليكــم وإخوانكم، ولم تجف دماؤهم بعد، بل ما زال يقتل ويحرق ويدمر، دون أن يخشى خالقًا أو يرحم مخلوقًا؟

إنَّ الله تعالى قال عــن الذين يقعدون مع من يســتهزؤون بآيات الله ـ مجرد قعود ـ ولــم يقاطعوا مجلســهم: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النســاء: ١٤٠]، فكيف بمن ينتخبونهم ليكونوا مسؤولين عن الأمة، وهم: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ [الفجر: ١١، ١٢].

إنَّ المسلمين في أنحاء العالم يقفون مساندين لإخوانكم في الشيشان، وأنتم ـ أقرب النَّاس إليهم ـ أولى أن تشدوا أزرهم، وتسندوا ظهرهم، ولا تطعنوهم من خلفهــم، وأدنــى حقوقهم عليكــم ألَّا تصوِّتــوا لقاتلهم، ومشردهم، وميتِّم أطفالهم، ومخرِّب ديارهم، وإلَّا كنتم مسؤولين أمام الله تعالى يوم القيامة: لماذا خذلتم إخوانكم؟ ولماذا كنتم مع قاتلهم عليهم؟

وثقوا أيها الإخوة، أنَّ عاقبة المظلوم هي النصر، وخصوصًا إذا كان يدافع عن حق؛ فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، وإنَّ نهاية الظالم هــي الدمــار: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ [النمل: ٥٢]، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

إهداء الكافرِ الخمرَ للمسلم

س: لي أخ يعيش في أوربا، ويعمل طبيبًا، وقد قال لي: إنَّه عالج أحد المرضى من المسيحيين، فأرسل إليه زجاجة من الخمر تعبيرًا عن عرفانه، وتقديرًا لما بذله من جهد. وأخي يسألني: ماذا أفعل فيها؟ هل أُتلفها، أم أردُّها له وأخبره أنَّ المسلم لا يشرب الخمر، وأنَّ الإسلام حرَّمها، أم أعطيها لزميل مسيحي؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

نحمد الله تعالى أنَّ المسلمين ما زالوا على خير، وهم أقل أمة في العالم شربًا للخمر، على الرغم من أنَّ هناك ناسًا فاسدين، لكنَّهم بفضل الله قلة في المسلمين.

والمسلمون يمتنعون عن الخمر؛ لأنَّ الله حرَّمها، واعتبرها رِجسًا من عمل الشيطان، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩١]،

QaradawiBooks.com

وقال رسول الله ﷺ، فيما رواه أبو داود عن أبي هريرة: «**إنَّ الله حرَّم الخمر وثمنها، وحرَّم الميتة وثمنها، وحرَّم الخنزير وثمنه**»(١).

فالرجل لا يعرف هذا عند المسلمين، فأرسل إلى أخيك بزجاجة الخمر، ولا يجوز لأخيك أن يبيعها، ولا أن يُهديها لغيره، والذي أراه أنَّ الأولى بدل أن يتلفها أن يرجعها إليه، ويعرِّفه أنَّ المسلمين لا يشربون الخمر، وأنَّها في دينهم من كبائر الإثم، وأنَّها أم الخبائث، كما قال عثمان رضي الله عنه (٢). فعن أنس بن مالك قال: لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له(٣).

فعلى هذا الأخ الكريم أن يبعث إلى من أهداه بزجاجة الخمر هديته، ويرفق معها رسالة: أشكرك على شعورك الطيب، ولكن نحن المسلمين لا نشرب الخمر، ولا نهديها لغيرنا، ولا نبيعها؛ لأنَّ الإسلام أمرنا أن نجتنب الخمر والمسكرات، وأن نقاومها بكل وسيلة.

لعل هذا يفتح له بابًا ليعرف الإسلام، ويقرأ فيه ويطالع، فيكون ذلك سببًا في إسلامه، وقد قال النبي ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه: «**فوالله لأنْ يهدي اللهُ بك رجلًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم**»(٤).

---

(١) رواه أبو داود (٣٤٨٥)، والدارقطني (٢٨١٦)، كلاهما في البيوع، وحسَّن إسناده ابن الملقن في تحفة المحتاج (١١٧٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٥٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه النَّسائي في الأشربة (٥٦٦٦) موقوفًا.

(٣) سبق تخريجه صـ٣٩٦.

(٤) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الجهاد (٣٠٠٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٦)، عن سهل بن سعد.

QaradawiBooks.com

وأهل المسيحيَّة مختلفون في الخمر، بعضهم يرفض الخمر، وبعضهم يقبلها، وقد ورد في الإنجيل: لا تكن فيما بعد شرَّاب ماء، بل استعمل خمرًا قليلًا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة (الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، إصحاح ٥: ٢٣) أمَّا عندنا في الإسلام نجد هذه الآيات الحاسمة: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩١].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

لمس غير المسلم للمصحف

س: هل يجوز لغير المسلم لمسُ كتاب تفسير للقرآن الكريم، إذا كان التفسير بالإنجليزية وآيات القرآن بالعربية؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لا حرج في ذلك؛ حتَّى عند من قال بمنع غير المسلم من مسِّ المصحف؛ لأنَّ المترجم هو تفسير معاني القرآن، وليس بقرآن، وكذا لو كان التفسير بالعربية، إذا مسَّه غير المسلم، أو من ليس على طهارة فلا حرج، فالترجمة والتفسير ليس لهما حكم القرآن.

وأقول: كيف نوصِّل الإسلام إلى غير المسلمين؟

لا بدَّ أن نكتب لهم ما يرغِّبهم في الإسلام، وبعض النَّاس مهما كتبنا لهم رسائل وكتبًا عن الإسلام بلغتهم، عندهم من النهم المعرفي ما يدفعهم إلى أن يعلموا ماذا في القرآن، ماذا في الكتاب المقدس

عند المسلمين، لذا فلا بدَّ أن نترجم معاني القرآن باللغات الأخرى، وبعض الترجمات فيها الأصل العربي، وهذا جيد، كأنَّك تقول هذا هو القرآن الحقيقي: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وهذه ترجمة معانيه، أو ترجمة تفسيره، فترجمة معاني القرآن ضرورة من أجل إبلاغ دعوة الله تعالى.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

انخراط الأقليَّات الإسلاميَّة في الحياة السياسيَّة الغربيَّة

س: هل تكتفي الأقليَّات في حياتها بالدِّين وتنعزل عن السياسة؟ أو تتمسك بالدِّين وتنخرط في السياسة؟ وإذا دخلت في السياسة فهل تدخل فيها مشاركة لغيرها من الأحزاب، أو مستقلة بذاتها؟

وجزاكم الله خيرًا، ودمتم للإسلام والمسلمين.

إخوتكم وأبناؤكم في الجالية الإسلاميَّة بأوربا

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

إنَّ مزية الشريعة الإسلاميَّة: أنَّها شريعة واقعية، تراعي حاجات الإنسان ومطالبه، روحية كانت أو ماديَّة، دينيَّة كانت أو سياسيَّة، ثقافية كانت أو اقتصادية، سواء كان يعيش في المجتمع المسلم أم خارج المجتمع المسلم، وأنَّها في كل ما شرعته من أحكام: تيسِّر ولا تعسِّر، وترفع الحرج، وتمنع الضرر والضرار، ولا سيَّما من يعيش خارج المجتمع المسلم، فهو أولى بالتخفيف ورعاية الحاجات.

QaradawiBooks.com

ومن حاجة الأقليَّة المسلمة: أن تعيش متمسكة بدينها وعقيدتها، وشعائرها وقيمها وآدابها، ما دامت لا تؤذي غيرها، وأن تندمج في المجتمع الَّذي تحيا فيه، تُنتج وتُبدع، وتبني وترقّي، وتُشارك في كل أنشطته: تفعل الخير، وتُشيع الهداية، وتدعو إلى الفضيلة، وتقاوم الرذيلة، وتؤثِّر في المجتمع بالأسوة والدعوة ما استطاعت، ولا تذوب فيه، بحيث تفرِّط في مقوماتها وخصائصها العقائدية والدِّينية.

وليست كل الأقليَّات الإسلاميَّة مهاجرة، فبعضها من أهل البلاد الأصليين، كلهم أو بعضهم؛ حتَّى يقول بعض الناس: يجب أن يعودوا إلى ديارهم.

ولهذا تحتاج الأقليَّة في أي بلد إلى أصوات تعبِّر عنها في المجالس التشريعية والبلدية، وتدافع عن حقوقها، حتَّى لا تصدر تشريعات تجور عليها، وتحرِّم عليها ما أحلَّ الله، أو تعوقها عن أداء ما فرض الله، أو تلزمها بأمور ينكرها الشرع.

ومن الخير وجود مسلمين منتخبين في هذه المجالس ـ مستقلين أو منضمين إلى حزب معيَّن ـ يعملون للذود عن حرماتهم، والمحاماة عن حقوقهم، باعتبارهم أقليَّة، لهم الحق في ممارسة حياتهم الدِّينية، وشعائرهم التعبُّدية، بما لا يضرُّ الآخرين، وهم سيستميلون معهم وإلى صفهم الأحرار والمنصفين، الذين يناصرون العدل والحرية في كل زمان ومكان.

قواعد شرعيَّة مرشدة:

وعندنا هنا جملة قواعد شرعيَّة ترشدنا في هذه المسيرة:

١ ـ قاعدة «ما لا يتمُّ الواجب إلَّا به فهو واجب» فإذا كان حصول

QaradawiBooks.com

المسلمين على حقوقهم الدِّينية والثقافية وغيرها، لا يتم إلَّا بالمشاركة في السياسة، ودخول الانتخابات، فإنَّ هذا يصبح واجبًا عليهم.

٢ ـ قاعدة «الأمور بمقاصدها» وهي قاعدة متفق عليها، مأخوذة من الحديث المشهور: «**إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»[(١)]. ومن نصوص أخرى كثيرة، فمن قصد بالمشاركة السياسيَّة: الدفاع عن حقوق المسلمين، وحريتهم الدِّينية، وهويتهم الثقافية، ومصالحهم الجماعية، وكذلك المساهمة في الخير العام للجماعة كلها، فهو مأجور على ذلك عند الله، ومحمودٌ عند المسلمين.

٣ ـ قاعدة «سدِّ الذرائع» فإذا كان اعتزال الأقليَّة للسياسة، وعدم مشاركتها فيها، يشكِّل خطرًا على وجودهم الدِّيني والجماعي، ويجعلهم مهمَّشين، ويحرمهم من مزايا كثيرة، ويوقعهم في مآزق ومفاسد؛ قد يعرف أولها ولا يعرف آخرها، فإنَّ من المطلوب منهم: أن يسدُّوا الذرائع إلى هذه الأخطار، ويتوقَّوْا هذه المفاسد والآفات، وفي الحديث: «**مَن يتَّقِ الشرَّ يُوقَه**»[(٢)].

٤ ـ قاعدة «الضرورات تبيح المحظورات، والحاجة تُنَزَّل منزلة الضرورة، خاصَّة كانت أو عامَّة» فإذا كان بالجماعة المسلمة في غير المجتمعات الإسلاميَّة ضرورة أو حاجة، إلى من يدافع عن حقوقها في بلاد الديمقراطيات، وكان من وراء ذلك بعض ما يُخشى من المحظورات؛ مثل القسم على احترام الدستور ـ الَّذي قد يتضمن

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر.

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٨٤/١٠)، تحقيق د. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٣٤٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ما يخالف الشرع ـ ونحو ذلك، ممَّا يتحرَّج منه بعض المتدينين، فإنَّ هذا الحظر يُرفع بحكم الضرورة أو الحاجة: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

٥ ـ قاعدة «المصالح المرسلة» وهي المصالح الَّتي لم ينص الشرع على اعتبارها ولا إلغائها، ولكنَّها إذا عرضت على العقول تلقَّتها بالقَبول، وتحقِّق فائدة، ماديَّة أو معنويَّة للجماعة المسلمة. وقد اعتبرها الصحابة في كثير من الأمور، المهم ألَّا تصادم نصًّا قطعيًّا، ولا قاعدة شرعيَّة قطعية، وأن يكون فيها للجماعة المسلمة نفع حقيقي لا متوهم!

وفي ضوء هذه القواعد: نرى أنَّ الأولى بالمسلمين أن يشاركوا في السياسة، تحقيقًا لمصلحتهم الدِّينية والجماعية، ودرءًا للأخطار والمفاسد عنهم، ولا سيَّما أنَّهم إذا تركوا السياسة فإنَّ السياسة لا تتركهم.

يستطيع المسلمون أن ينشئوا حزبًا يطالب بحقوقهم وحقوق غيرهم إذا كان لهم عدد وقوة وقدرات تكفي لقيام حزب مستقل، وكان الدستور والقانون يسمحان لهم بذلك.

ويمكن للمسلمين أن يُقدِّموا برنامجًا للإصلاح والترشيد، مقتبسًا من أصول فكرتهم الإسلاميَّة، ومطعَّمًا بالنظرة والتجربة الغربيَّة وما فيها من آفاق جديدة، تتفق مع مقاصد الشريعة وروح الإسلام.

ولا مانع أن ينضم إلى هذا الحزب أعضاء من غير المسلمين، فهو مقدَّم للمسلمين خاصَّة، وللمواطنين عامة.. والمفترض في النظام الإسلامي: أنَّه يقدِّم الخير والمصلحة الحقيقية للناس كافة، مسلمين وغير مسلمين.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويمكن للمسلمين أيضًا: أن ينضمُّوا إلى أحد الأحزاب الموجودة والمؤثرة، مرجحين أي الأحزاب أقرب إلى مبادئهم وقيمهم، فيؤثرونه على غيره، أو أنَّه أقرب إلى مصالحهم والحفاظ على كيانهم وهويتهم، وفي ذلك يجب أن تقدَّم دراسات، وتقوم مناقشات حرة، لتختار المجموعة المسلمة ما هو الأصلح لها على نور وبيِّنة.

وقد ترى أنَّ مصلحتها أن تتوزع بين الأحزاب، ولا تنخرط المجموعة كلها في حزب واحد، فإذا سقط هدَّت مصلحتها كلها.

وبالله التوفيق.

* * *

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

المشاركة في الأحزاب العلمانيَّة في بلاد الغرب

س: هل يجوز المشاركة في الأحزاب العلمانيَّة في بلاد الغرب، وهل يجوز للمسلم الترشح للمجالس النيابية فيها؟ ثم إنَّ دخول المسلم في السياسة، يلزم منه الإقرار بالدساتير الوضعيَّة القائمة في الدول الغربيَّة وغيرها، والقسم على احترام النظام العام والعمل بالدستور؟ هل هذا يتعارض مع العقيدة الإسلاميَّة؟

مسلمون مقيمون في بريطانيا

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فأقول: إنَّ هذه التساؤلات نفسها تطرحها بعض الفصائل الإسلاميَّة في كثير من أقطار الإسلام ذاتها.

ومن هذه الفئات: من يرى تحريم تكوين الأحزاب السياسيَّة، أيًّا كانت أهدافها وبرامجها، ويعدها بدعة محدثة، وضلالة في الدِّين.

ومنهم من يرى تحريم الدخول في الانتخابات، والسعي إلى عضوية

QaradawiBooks.com

المجالس النيابية، بل بعضهم يراها ضد العقيدة، ويُسمِّيها «المجالس الشركيَّة» وبعضهم ألَّف رسالة سمَّاها «القول السديد في أنَّ دخول المجلس النيابي ينافي التوحيد».

وبعضهم يعترض على صيغة القسم الَّتي يقسمها الأعضاء على احترام الدستور، وإطاعته إلخ. وبعض الإسلاميين حلَّ هذا الإشكال، بقوله بعد كلمة الطاعة في القسم: «في غير معصية»، يقولها بصوت مسموع.

فإذا كان هذا يقال في داخل بلادنا الإسلاميَّة، فماذا عسى أن يقال في خارج البلاد الإسلاميَّة؟

ومن هنا لا ينبغي أن تستمد الأقليَّة المسلمة فقهها السياسي من هذه الفئات الَّتي بَعُدَ بها «الغلوُّ» عن سواء الصراط، فهذه الفئات ترى الوجود الإسلامي في هذه البلاد محظورًا، لا يُجاز إلَّا من باب الضرورات، وهي ترى العيش في هذه البلاد من باب الاضطرار، كما يضطر المرء إلى استخدام المراحيض، برغم ما بها من نجاسة! كما قال بعضهم من اللاجئين السياسيين في لندن!

ومن هؤلاء من يُحرِّم على المسلم الحصول على جنسيَّة هذه الدول، وقد يكفِّر من حصل عليها؛ لأنَّه يعتبرها من الولاء للكفَّار[1]، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

(١) في بعض الأوقات أصدر علماء تونس: فتوى تحكم بالردة على من يحصل على الجنسية الفرنسية من التونسيين؛ لأن تونس كانت ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسي الظالم المتجبر، وكان الحصول على الجنسية حينئذٍ بمثابة إعلان الولاء والتأييد للمستعمر الكافر، فهو ردة دينية، وخيانة وطنية، بخلاف حصول المسلم على الجنسية اليوم، فهي تقوي المسلم، وتشد أزره، وتمنحه قوة ـ مع إخوانه ـ في المحافظة على هويته، وتمكنه من تبليغ دعوته، وتعطيه امتيازات كثيرة، منها: حق الانتخاب والترشيح، دون أن يفرط في شيء من دينه.

QaradawiBooks.com

ومنهم من يُحرِّم مجرد الإقامة في هذه البلاد إلَّا لضرورة، والضرورة تقدَّر بقدرها. ولهم في ذلك شبهات ردَّ عليها المحققون من العلماء.

يستطيع المسلمون أن ينضموا إلى أيِّ حزب من الأحزاب السياسيَّة الَّتي تعمل على الساحة، فلا مانع من ذلك، وعليهم أن يختاروا منها ما كان أقرب إلى المبادئ الإسلاميَّة من ناحية، وما كان أكثر تعاطفًا مع المسلمين ومصالحهم من ناحية أخرى. وما كان فيه من أشياء تخالف الإسلام، يتحفَّظون عليها.

ولا بدَّ أن يكون ذلك بعد دراسة علميَّة عمليَّة موضوعية، يقوم بها خبراء ومتخصصون، وأن تناقش هذه الدراسة بين أهل الحل والعقد من الأقليَّة المسلمة في البلد. وبعد الدراسة والمناقشة والمقارنة، يقرِّر المسلمون: أيهما أفضل لهم دينًا ودنيا: أهو تكوين حزب لهم أم الدخول في حزب قائم؟ وأي الأحزاب أقرب إليهم وأولى بهم؟

وقد يجدون الأولى من ذلك كله: ألَّا يكوِّنوا حزبًا، ولا يدخلوا في حزب، ولكن يبقون كتلة حرة مؤثرة في الانتخابات: تؤيد هذا أو ذاك، وتعطي أصواتها لهذا المرشح أو ذاك، تبعًا لرؤيتها ومصلحتها الدينيَّة والدنيوية.

وعند ذاك يخطب المرشحون ودَّها، ويتقربون إليها، لأنَّ هذه الأقليَّة، كثيرًا ما يكون لها تأثير كبير في ترجيح بعض المرشحين على بعض، ولا سيَّما من يكون الفرق بينهما غير كبير، فتأتي أصوات الأقليَّة مع أحدهما، فترجح كفة ميزانه، ويفوز على خصمه.

وإذا كان بالجماعة المسلمة في غير المجتمعات الإسلاميَّة ضرورة أو حاجة إلى من يدافع عن حقوقها في بلاد الديمقراطيات، وكان من وراء

QaradawiBooks.com

ذلك بعض ما يخشى من المحظورات مثل القسم على احترام الدستور ـ الَّذي قد يتضمن ما يخالف الشرع ـ ونحو ذلك، ممَّا يتحرج منه بعض المتدينين، فإنَّ هذا الحظر يرفع بحكم الضرورة أو الحاجة: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٧٣].

والقاعدة تقول: «الضـــرورات تبيح المحظـــورات»، و«الحاجة تُنَزَّل منزلة الضرورة، خاصَّة كانت أو عامَّة».

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

أسئلة حول الأسرى والسجناء في أرض العدو الصهيوني

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

صلاة الأسير أو السجين

س: كيف يصلِّي الأسير أو السجين في فترة التحقيق معه، وهو مقيد اليدين والرجلين، ومثبَّت بالحائط، ورأسه مغطى بكيس، وعلى غير طهارة من الحدثين، بل ربَّما حرم من قضاء الحاجة بالطريقة المعتادة عدة أيام، وهو على هذه الحالة.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

نسأل الله تعالى لإخواننا الأسارى والمسجونين أن يفكَّ بفضله أسرهم، ويجبر برحمته كسرهم، ويتولى بعنايته أمرهم، ونقول جوابًا عن السؤال:

الصلاة واجبة على المسلم في كل حال: في الصحة والمرض، في العافية والبلاء، في الحضر والسفر، في السلم والحرب، ولا عذر لترك الصلاة بحالٍ من الأحوال ما دام المسلم واعيًا.

قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩].

نسخة مجانية

فأشارت الآية أنَّ المسلم يصلِّي في حالة الخوف: أي عند اصطلاء الحرب وقيام القتال بالفعل؛ راجلًا (ماشيًا) أو راكبًا، كيف استطاع؛ أي: يصلِّي في مصفَّحته أو دبابته أو طائرته؛ حسب استطاعته.

وقال ﷺ لعِمْرَان بن حُصَيْن: «**صَلِّ قائمًا؛ فإنْ لم تستطعْ فقاعدًا، فإنْ لم تستطعْ فعلى جنبٍ**»[(١)].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقال الرسول الكريم: «**إذا أمرتكم بأمرٍ، فأْتوا منه ما استطعتم**»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ومن المقرر المعلوم في دائرة الفقه الإسلامي: أنَّ الشروط المطلوبة لصحة الصلاة، مثل الطهارة من الحدث والطهارة من الخبث، واستقبال القبلة، وستر العورة وغيرها من شروط الصحة، تسقط عند العجز.. ومثلها الأركان مثل: القيام والركوع والسجود وغيرها، فمن فقد الطهارة بالماء وقدر على التيمم: صلَّى بالتيمم، وأغناه عن الوضوء وعن الغسل جميعًا.

ومن كان لا يستطيع التيمم كما في الحالة المسؤول عنها، سمَّاه الفقهاء «فاقد الطهورين» أي الماء والتيمم، فهو يصلِّي بدونهما ولا حرج. قال العلامة ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» معلِّقًا على حديث: «**إذا أمرتُكم بأمرٍ فأْتوا منه ما استطعتم**»: فيه دليل على أنَّ من عجز عن فعل المأمور به كله، وقدر على بعضه، فإنَّه يأتي بما أمكنه منه»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في الجمعة (١١١٧).

(٢) سبق تخريجه صـ٢٩٦.

(٣) جامع العلوم والحكم (٢٥٦/١)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

ومن عجز عن استقبال القبلة، مثل هذا السجين المثبت بالحائط، ولا يستطيع التوجه إلى القبلة، صلَّى كيف استطاع.

ومن عجز عن الصلاة قائمًا أو قاعدًا، بركوع وسجود، صلَّى بالإيماء، مشيرًا برأسه أو بحاجبه كيف استطاع، وهذا فرضه، ولا يكلِّفه الله غيره. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

فينبغي للمسلم ـ وهو في كربه هذا ـ أن يعتصم بالله، ويستعين بالصلاة، كما يستعين بالصبر، فهما عدَّته في معركته مع أعداء الله، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

ولا عذر لترك الصلاة إلَّا في حالة «الغيبوبة» الَّتي يفقد الإنسان فيها الوعي، ويسقط عنه التكليف، ويرفع عنه القلم. والله أعلم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قِبلة الأسير أو السجين في زنزانته

س: كيف يصلِّي الأسير الَّذي يقيم في زنزانة مغلقة، ولا يعرف اتجاه القبلة؟ وهل إذا صلَّى إلى غير القبلة ثم عرفها بعد ذلك يعيد الصلاة؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الاتجاه إلى القبلة في الصلاة: فرض من الفرائض الأساسية، الَّتي ثبتت بالكتاب والسُّنَّة والإجماع.

قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وثبت توجه الرسول ﷺ وأصحابه إلى القبلة في كل صلاة؛ بالسُّنَّة القولية والعمليَّة المتواترة؛ كما أجمعت على ذلك الأُمَّة إجماعًا مقترنًا بالعمل في كل القرون.

وعلى المسلم إذا أراد الصلاة أن يتحرَّى جهة القبلة؛ فيصلِّي إليها إن كانت معلومة، أو يسأل أحدًا من أهل المكان إن كان يجده، أو يستخدم

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية

ساعة من السـاعات الحديثة الَّتي تشـير إلى جهة القبلة في أي بلد، أو يجتهد هو بعلامة معيَّنة كأن يرى الشمس بالنهار أو القمر أو نجمًا معيَّنًا بالليل؛ يمكن أن يهتدي به إلى الجهة. مثل النجم القطبي، أو غير ذلك، فإن لم يجد دليلًا ولا علامةً تساعده ـ ولو ظنًّا ـ على معرفة الجهة، فليصلِّ إلى أي جهة شاء. وفي مثل هذا نزل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

ومن المعلوم أنَّ فروض الصلاة من الشروط والأركان؛ إنَّما تجب وتلزم عند القدرة، وتسقط عند العجز، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقال الرسول ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمرٍ فَأْتوا منه ما استطعتم**»[1].

وإذا عرف القبلة بعد ذلك، فلا إعادة عليه، فقد أدى الواجب عليه، وصحت صلاته بذلك، فلا مبرر لإعادتها؛ والله أعلم.

* * *

(١) سبق تخريجه صـ٢٩٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

صوم الأسير والسجين

س: ما حكم صيام الأسير أو السجين الَّذي هو تحت الاستجواب والتحقيق؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فالصوم حرمان من الشهوات، وإمساك وامتناع عن المفطرات: من الطعام والشراب، ومباشرة النساء؛ بنية التقرب إلى الله تعالى، ويستطيع المسلم أن ينوي الصيام على أي وضع كان، ولو كان أسيرًا أو سجينًا، ما دام قد تحقق ركنا الصيام، وهما الإمساك والنية.

ولكن قد يعجز المسلم السجين أو الأسير عن الصوم إذا كان لا يؤتى له بالطعام إلَّا أثناء النهار، ولا يسمح له بتأجيل تناوله إلى الليل، فهنا يكون معذورًا في الإفطار، ولا يُكَلِّف الله نفسًا إلَّا وسعها. وما جعل عليكم في الدين من حرج!

وقد رأى النبي ﷺ رجلًا مسافرًا، وهو في حالة مشقَّةٍ ومعاناة، والناس

نسخة مجانية

من حوله يرشون عليه الماء، فلمَّا سأل عنه قالوا: هو صائم، فقال ﷺ: «**ليس من البرِّ الصيامُ في السفر**»[١]. أي في مثل هذا السفر الشاق.

فأنكر الرسول الكريم على من يصوم في هذه الحالة، وأحق منه بالإنكار من يصوم وهو سجين أو أسير لدى الأعداء، ولا يمكَّن من الطعام والشراب، في الوقت المناسب، فيهلك من الجوع، وهذا ما يريدونه: أن يروه يسقط أمامهم.

فعلى المسلم أن يفطر لهذا العذر، كما يفطر المريض والمسافر، وأن ينوي قضاء ما أفطره في أيام أُخَر، حينما يفك الله أسره، ويخرجه من سجنه، أو تتحسَّن حالته، وتتغيَّر معاملته. ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

* * *

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥)، كلاهما في الصوم، عن جابر.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تعرض الأسير للأذى بسبب الصمود وعدم الاعتراف

س: صمود الأسير، ورفضه الاعتراف، والكشف عن معلومات قد تؤدي إلى اعتقال بعض إخوانه، والإضرار بهم: قد يتسبب في حدوث أذًى بالغ له، وتكثيف التعذيب عليه، وربَّما أدَّى به ذلك إلى الاستشهاد تحت وطأة التعذيب القاسي، فما حكم الشرع في ذلك؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لا شك أنَّ هذا الصمود، وتحمُّل الأذى والصبر على العذاب الشديد من الأسير؛ بغية إنقاذ إخوانه من الأسر والاعتقال والمحاكمة، يعدُّ من دلائل صدق الإيمان، ومن أعظم الأعمال الَّتي يتقرب بها المسلم إلى ربه، فهو يفدي إخوانه بنفسه، ويتعرض لكل هذا البلاء من أجلهم، وربَّما يعلم أنَّهم أضعف طاقة منه، وأعجز عن احتمال ما يحتمل من البلاء، فقد يعرضهم هذا لفتنة في دينهم.

إنَّ الأسير الَّذي يصبر على كل هذا لله وحده، ليدفع الضرر والأذى

نسخة مجانية

عن إخوانه في الله؛ لهو من المؤمنين الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. ولا يصبر على مثل هذا إلَّا أولو العزم من الرجال، وقليل ما هم.

وإذا كان قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. قد نزل في مدح الأنصار والثناء عليهم، والإشارة إلى أنَّهم من أهل الفلاح، وقد نزلت فيمن آثر بطعامه ضيوفه، وبات هو وأهله جائعين، فكيف بمن آثر إخوانه بنفسه وجسده ودمه وراحته؟ إنَّ هذا لمن أعلى درجات الإيثار وأعظمها عند الله تبارك وتعالى، وأهل هذه الدرجة من أهل الفلاح والفوز برضوان الله تعالى وجناته إن شاء الله.

وقد عرفت من هؤلاء من سقطوا صرعى، واستعذبوا الموت في سبيل الله في السجن الحربي، ولم يكشفوا ستر إخوانهم.

فلا نملك إلَّا أن ندعو الله لهم أن يكرمهم ويعزَّهم أحياءً، ويغفر لهم ويرحمهم أمواتًا؛ فهم أحق بهذه الآية الكريمة: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

اعتراف السجين على إخوانه تحت التعذيب الشديد

س: ما حكم من يعترف على غيــره من إخوانه تحت وطأة التعذيب الشديد؟ وهل تجب عليه كفَّارة؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

من اعترف على أحد من إخوانه أمام المحقِّق، تحت وطأة التعذيب الشــديد المكثَّف، الَّذي نفد صبــره معه، وعجزت طاقته عن اســتمرار احتماله، فهو داخل في باب «المُكره» الَّذي فقد إرادته، في هذه الحالة، وهي مع العقل أساس التكليف.

وقد رخَّص القرآن للمكره أن ينطق بكلمة الكفر، فرارًا من شدة الإيذاء، وفداحة التعذيب، ما دام قلبه مطمئنًا بالإيمان، كما حدث لســيدنا عمار بن ياسر، حين نطق مكرهًا بمدح آلهة المشــركين، وذم النبي ﷺ، وذلك كله بطرف لســانه، وقلبه على عكس ذلك، فنــزل في ذلــك قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦].

غير مرخصة للطباعة
نسخة
QaradawiBooks.com

وجاء في الحديث النبويِّ: «**إنَّ الله وضع عن أُمَّتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[١]. والمطلوب من المسلم في هذه الحال أن يوطِّن نفسه على الصبر واحتمال الأذى ما اســتطاع، فإذا نفد صبره وطاقته فاعترف، فلا إثم عليه إن شاء الله، ولا كفارة. إلَّا أن يسأل ربه العفو والمغفرة عمَّا صدر منه، فهذا محمود ومطلوب في كل حال.

* * *

(١) سبق تخريجه صـ٨٦.

QaradawiBooks.com

إضراب الأسير عن الطعام

س: ما حكم إضراب الأسير عن الطعام في سجنه وأسره؟ وهي الطريقة الأكثر تأثيرًا وفعالية لدى آسريه، والتي لا يملك غيرها الأسير للمطالبة بحقوقه، ولفت الأنظار إلى معاناته الطويلة، وقد عرف أنَّ هذا الأسلوب يغيظ الاحتلال حسب التجربة.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لا بأس للأسير باللجوء إلى هذا الإضراب، ما دام يرى أنَّه الوسيلة الفعَّالة والأكثر تأثيرًا لدى الآسرين، وأنَّه الأسلوب الَّذي يغيظ الاحتلال وأهله، وكل ما يغيظ الكفار فهو ممدوح شرعًا، كما قال تعالى في مدح الصحابة: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال في شأن المجاهدين: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠].

فإذا كان هذا الأسلوب يغيظ الكفار، ويسمع صوت الأسرى المظلومين والمهضومين والمنسيِّين إلى العالم، ويحيي قضيَّتهم،

QaradawiBooks.com

ويســـاعدهم على نيل حقوقهم، فهو أمر مشروع، بل محمود، بشرط ألَّا ينتهي إلـــى الهلاك والموت، فالمســـلم هنـــا يتحمَّل ويصبـــر إلى آخر ما يمكنه من الصبر والاحتمال، حتَّى إذا أشرف على الهلاك بالفعل، قبل أن يأكل، وأن ينجي نفسه من الموت. فإنَّ نفسه ليست ملكًا له، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

طلب زوجة السجين الطلاق لسجنه

س: امرأة حكم علـى زوجها بالمؤبَّد (وأحيانًـا أكثر من المؤبد ٥٠ سنة، ومائة سنة، إلخ) فهل يجوز لها أن تطلب الطلاق من الزوج؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الأولى بالزوجة في مثـل حالة الإخوة في فلسـطين وجهادهم مع العدو الغاصب: أن تصبر علـى زوجها، وتنتظر عودتـه إليها بإذن الله، مكايدةً للعدو، وإشعالًا لناره، وغيظًا له، فالمعركة يخوضها الشعب كله برجاله ونسائه، ومن نصيب المرأة في الجهاد الصبر على الزوج الأسير والسجين، ولا سيَّما إذا كان معها أولاد منه.

فإذا لم يكن معها أولاد، أو كانت الزوجة شـابة فـي أوائل الحياة الزوجية، فلا بأس أن تطلب الطلاق من الزوج الَّذي حكم عليه بالمؤبد أو نحو ذلـك، كما في بعض المذاهب الإسـلاميَّة، إذا غاب الزوج عن زوجته أربع سنين فأكثر، بسجن أو غيره.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والأفضل في هذه الحالة: أن يبادر الـزوج فيمنحها الخيار، ويجعل أمرها بيدها، دون أن تضطـر إلى طلب الطلاق من المحكمة.. وهذا هو الأكرم للعلاقات بين المسـلم والمسـلمة، وخصوصًا إذا كانا من أهل الدعوة والجهاد. وهذا ما أعلمه من تصرف الإخوة الصادقين.

وقد عرفت في مصر أخوات صبرن على أزواجهن حتَّى خرجوا من السجن بعد عشر سـنين، أو بعد عشرين سـنة، ورفضن طلب الطلاق ليتزوَّجن، برغم ضغط أهلهن وأقاربهن عليهن.

وعرفـت بعضًا منهـن خضعن لهـذه الضغوط، وطلبـن الطلاق، وحصلن عليه وتزوجن، ثم تغيَّرت الأوضاع السياسيَّة، فأفرج عن الزوج السـجين، فكانت حالة الزوجة في غاية الضيق والكرب، وبخاصَّة أنَّه كانت بينهما (بنت).

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الحجُّ عن الأسير

س: هل يجوز أداء الحج عن الأسير؟ وهل يتوجَّب طلب الإذن منه قبل ذلك؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الأصل في الحج أنَّه عبادة ذاتية شخصية، يؤديها الإنسان بنفسه وبدنه: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩].

ولكنَّ الله تعالى ـ فضلًا منه وكرمًا ورحمةً ـ رخَّص في بعض العبادات أن يؤديها عنه غيره في حالات معينة، مثل أن يموت الإنسان ولم يُيسَّر له أن يؤدي فريضة الحج، وخصوصًا إذا كان مستطيعًا إليه سبيلًا ثم قصَّر؛ فتفضل الله سبحانه بإجازة أن يحج عنه ابنه أو قريبه؛ كما جاء في الحديث الصحيح.

ومثل الحج عن الميت: الحج عن الشيخ الكبير، الَّذي لا يستطيع أن يسافر لأداء فريضة الحج؛ لا بالسيارة ولا بالطائرة، ولا يمكنه أن يؤدي

QaradawiBooks.com

أركان الحجِّ ماشـــيًا أو راكبًا أو محمولًا. ومثله المريـــض مرضًا مزمنًا، لا يُرجى شفاؤه، وفق سنة الله المعتادة، مثل المشلول ونحوه.

أمَّا الأسير فليس من هؤلاء، ويرجى أن يفكَّ الله أسره، فدوام الحال من المحـــال، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمـــران: ١٤٠]. ويجب علينا ألَّا نفقد الأمل في الغد، والثقة بالنصـــر، ولا نيئس أبدًا، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

ومن هنا يكون قياس الأسير على الشـــيخ الكبير أو المريض مرضًا مزمنًا مُقْعدًا، قياسًا في غير موضعه، وهو غير صحيح.

فلا يجوز إذن الحج عن الأسير لا بإذنه، ولا بغير إذنه. والله أعلم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الحجُّ عن الشهيد

س: هل يجوز الحج عن الشـــهيد؟ وإن لم يكـــن أوصى بذلك قبل استشهاده؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

نعم، يجـــوز الحج عن الشـــهيد إذا مات ولم يحج حجَّة الإســـلام في حياته، ولا يشترط أن يوصي بذلك. والأولى أن يحجَّ عنه أولاده أو إخوته أو أقرباؤه، فإن لم يتيسَّر ذلك حجَّ عنه بعض إخوانه، باعتبار أنَّ أخوَّة الدين قائمة مقام أخوة الدم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وإنَّما قلنا: الأقارب أولى، لأنَّ الأحاديث الَّتي وردت في النيابة في الحج، كلها في نيابة الولد ـ ذكرًا أو أنثى ـ عن أبيه أو عن أمه، وكذلك حديث الرجل الَّذي قال: لبَّيْك عن شُـــبْرُمة. وســـأله الرسولُ ﷺ: «**مَن شُـــبْرمة؟**» قال: أخٌ لي. أو: قريبٌ لي. قال: «**هل حججتَ عن نفسك؟**» قال: لا. قال: «**حُجَّ عن نفْسِك، ثم حُجَّ عن شُبْرُمة**»[(١)].

(١) رواه أبو داود (١٨١١)، وابن ماجه (٢٩٠٣)، وابن خزيمة (٣٠٣٩)، ثلاثتهم في المناسك، وصحَّحه ابن حجر في الفتح (٣٢٧/١٢)، والألباني في صحيح أبي داود (١٥٨٩)، عن ابن عبَّاس.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الأضحية عن الأسير أو السجين

س: هل تجوز الأضحية عن الأسير أو السجين، بتوصية منه أو بغير توصية؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الأضحية عند جمهور الفقهاء سُنَّة، وعند أبي حنيفة واجب على أهل اليسار. وإذا كان هذا حكمها، فلا ضرورة لأن يضحِّي أحد عن أحد؛ إنَّما أناب الشرع في الفرائض فضلًا من الله ورحمة.

ولكن لو كان عنــده مال يمكن أن يوصي من يشــتري له الأضحية ويذبح عنه، وهذا بتوصية منه ولا بد؛ إذ لا يجوز لأحدٍ أن يتصرف في ماله إلَّا بإذنه.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

دفع زكاة المال لأسر الشهداء والأسرى والمسجونين

س: ما حكم دفع زكاة المال لأسر الشهداء والأسرى والسجناء؟ وما حكم التكافل والتعاون مع أهليهم؟ وما فضل ذلك في الدين؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

دفع الزكاة لأسر الشهداء والأسرى والسجناء: أمر مشروع، بل واجب إذا كانوا من مصارف الزكاة وأهل استحقاقها، كأن يكونوا من الفقراء والمساكين، أو الغارمين أو أبناء السبيل (ومنهم اللاجئون والمشرَّدون).

والزكاة على هؤلاء أولى وأفضل من الزكاة على غيرهم؛ لأنَّ فيها سدًّا لحاجة المحتاج من ناحية، وإعانةً على الجهاد في سبيل الله من ناحية أخرى.

وعلى المسلمين أن يساندوا أهالي إخوانهم الذين قُتلوا في سبيل الله، وضحوا بأرواحهم من أجل دينهم وأمتهم، والذين تحملوا الأذى ومحنة الأسْر أو السجن في سبيل الله. وأن يكونوا لهم أهلًا بعد أهلهم؛ فيكونوا للصغار آباءً، وللكبار أبناءً أو إخوانًا.

QaradawiBooks.com

والمفروض أن تكون هذه الأســر في كفالة الجماعة المســلمة وفي رعايتها، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا. ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حقوق الأسير على المسلمين

س: ما حقوق الأسير على المسلمين؟ وماذا يجب عليهم أن يفعلوا في سبيل تخليصه من الأسر؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

يجب على المسلمين أن يبذلوا كل ما يستطيعون من أجل فكِّ أسراهم، وتحريرهم من الأسر، وتحكم الأعداء الكفار في رقابهم، فإذا كان الأمر يتطلب فداءً بالأسرى من العدو، فادوهم، وبادلوا أسرى المسلمين بأسرى العدو.

وإن كانوا يحتاجون إلى الفداء بالمال، دفعوا لهم من المال ما يخلِّصهم. قال الإمام مالك: يجب على المسلمين أن يفكوا أسراهم ولو استغرق ذلك جميع أموالهم[1]. ذكره القرطبي في تفسيره.

(١) تفسير القرطبي (٢٤٢/٢).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال عمر: لأن أستنقذ رجلًا من المسلمين من أيدي الكفار، أحب إليَّ من جزيرة العرب[١].

ويجب على أمراء المسلمين أن يسلكوا كل سبيل تؤدي إلى فكاك الأسرى من أيدي الأعداء. ومن ذلك المفاوضة معهم. وإن كان تحريرهم يتوقف على إعلان الجهاد جاهدوا من أجل إنقاذهم، ولا سيَّما إذا كانوا يعانون من الإيذاء والتضييق والتعذيب.

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

والمهم: أنَّ من فروض الكفاية على الأمة أن تخلِّص أسراها، ولا تدعهم فريسةً لأعدائهم، وفي الحديث الصحيح: «**أطعموا الجائعَ، وعودوا المريضَ، وفُكُّوا العانيَ**»[٢]. والعاني: هو الأسير.

فإذا لم يجد المسلمون وسيلة لاستنقاذ أسراهم، فالواجب عليهم أن يدعوا الله تعالى لهم في صلواتهم وقنوتهم وخلواتهم، كما كان يفعل النبي ﷺ في دعائه للنفر الذين أسرتهم قريش، دُبر كل صلاة[٣].

* * *

(١) رواه ابن أبي شيبة في السير (٣٣٩٢٨).

(٢) رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٣)، وأحمد (١٩٥١٧)، عن أبي موسى الأشعري.

(٣) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٠٩٠)، ومسلم في المساجد (٦٧٧)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز، هل كان جاهلًا بالسياسة؟

س: لقد قرأنا في كتب التاريخ، وفي كتب التربية الإسلاميَّة وغيرها: أنَّ عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي؛ من أعظم حكام المسلمين عدلًا وفضلًا، وفقهًا وحسن سياسة، حتَّى وُصف بأنَّه «الخليفة الراشد»، واعتبره الكثيرون من المؤرِّخين والعلماء «خامس الراشدين».

ولكنَّنا فوجئنا بكاتب علماني منتفش مغرور، يكتب في بعض المجلات الَّتي تبنَّت كل ما يعادي الإسلام ودعوته، يهاجم عمر بن عبد العزيز بما لم يهاجمه به أحد قط فيما نعلم.

ولا بد أنَّكم اطلعتم على ذلك؛ فيما كتبه حسين أحمد أمين، الَّذي لا ندري لحساب من يسوِّد هذه الصحائف، ومن المستفيد من وراء تشويه كل شيء في تراثنا وتاريخنا!

يقول هذا المتطاول الجريء: «لم ير الأتقياء في حكم أحد من الخلفاء الأمويين ما يوافق مثلهم العليا، إلَّا عمر بن عبد العزيز، الَّذي أسهم جهله بالشؤون السياسيَّة في تدهور أحوال الدولة ثم سقوطها، وانتقال السلطة من أيدي العرب إلى الفرس!» (مجلة المصور، القاهرة في ٩ ديسمبر ١٩٨٣م).

وفي عدد آخر من «المصور» ١٤٠٤/٤/١٧هـ ـ ١٩٨٤/١/١٩م يحمل على الفقهاء، ثم على المؤرخين ويتَّهمهم بالتواطؤ على تزوير التاريخ، حتَّى

QaradawiBooks.com

تكوَّنت عند النَّاس النظرة «الرومانسية» ـ كما سمَّاها ـ وبات المسلمون ينظرون إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز؛ على أنَّه من أعظم الخلفاء، على حين يصفه الكاتب بأنَّه: لم تجلب سياسته المالية والإدارية إلَّا خراب الدولة! ثم يقول:

«وإنَّ المسلمين لا يزالون يمصمصون شفاههم؛ إعجابًا بموقفه من واليه على حمص الَّذي كتب إليه: إنَّ مدينة حمص قد تهدَّم حصنها، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إصلاحه، فردَّ عليه عمر بقوله: أمَّا بعد، فحصنها بالعدل».

ويعقب الكاتب المتحامل على هذا قائلًا: «وهذا ردٌّ رغم ما فيه من بلاغة تستهوي العرب، فإنَّه يستوجب المؤاخذة البرلمانية، في أي نظام حكم ديمقراطي»!

ورجاؤنا أن تبيِّنوا حقيقة موقف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وهل لهذه الدعوى الَّتي يدعيها الكاتب أصل أو دليل يعتمد عليه؟

وفقكم الله لرد هذا التطاول على أحد رموز الأمة، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لقد قرأت ما كتبه الكاتب المذكور عن عمر بن عبد العزيز، وعن السلف الصالح، وعن الشريعة الإسلاميَّة، ولا أدري كيف يُسمح لمثله أن يصول ويجول ويقول ما يشاء، ويحطم ما يريد، ولا يُسمح لأحد أن يردَّ عليه.

QaradawiBooks.com

دعوى لا أساس لها:

ولا أدري على أي أســاس علمي بنى هذا المتطاول الجريء دعواه العريضة، عن عمر بن عبد العزيز؟! فإنَّ المنطق يرده، والإجماع يرفضه، وتاريخ عمر نفسه يكذِّبه، وآثار حكمه تنقضه.

أمَّا المنطق، فليس من المعقول أن يكون عمر بن عبد العزيز جاهلًا بالسياســة والإدارة وهو ابن الأســرة الأموية القح، أبوه عبد العزيز بن مروان، وعمه عبد الملك بن مروان، المؤسس الثاني لدولة بني أمية.

وأبنــاء عمومته الخلفاء: الوليد، وهشــام، وســليمان، وهم أصهاره كذلك، فإنَّ فاطمة زوجته بنت عبد الملك، وهي الَّتي قال فيها الشاعر[1]:

بنــتَ الخليفةِ، والخليفــةُ جَدُّها أختُ الخليفــةِ، والخليفةُ بَعْلُها!

وقد كان أبوه أميرًا على مصر، وتولَّى هو إمارة المدينة ومصر.

فليس يُعقل ممَّن نشأ هذه النشأة، وتقلب في المناصب، حتَّى رُشِّح لأعلى منصب في الدولة ـ الخلافة ـ أن يكون جاهلًا بالسياسة والإدارة! إلَّا أن يكون مجرد التدين والالتزام بالعدل والتقوى ســببًا لحرمانه من الكفاية السياسيَّة، الَّتي تمتَّع بها أهله وذووه جميعًا!

وأمَّا الإجماع، فقد اتَّفقت الأمَّة كلُّها على أنَّــه لم يأتِ بعد الخلفاء الراشدين خير من عمر بن عبد العزيز، ولهذا سموه: خامس الراشدين.

حتى العباسيون وأشياعهم حين اندفعوا أوَّل استيلائهم على الحكم؛ فنبشوا قبور بني أمية، لم يفكر أحد منهم في نبش قبر ابن عبد العزيز.

وأمَّا تاريخ عمر، فهو ينطق بأنَّه كان سياسيًّا وإداريًّا من الطراز الأول.

---

(١) الأغاني للأصبهاني (٤٤٣/٦)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

وأنا أذكر هنا بعض الوقائع الَّتي تدل على حنكته وحكمته السياسيَّة، وقدرته الإدارية، وحسن فهمه للحياة وللدِّين معًا.

رووا عن عمر بن عبد العزيز: أنَّ ابنه عبد الملك قال له يومًا: ما لك لا تنفِّذ الأمور؟! فوالله ما أبالي لو أنَّ القُدورَ غلت بي وبك في الحقِّ.

يريد الشاب التقي المتحمِّس من أبيه ـ وقد ولَّاه الله إمارة المؤمنين ـ أن يقضي على المظالم وآثار الفساد دفعة واحدة؛ دون تريث ولا أناة، وليكن بعد ذلك ما يكون! فماذا كان جواب الأب الصالح، والخليفة الراشد، والفقيه المجتهد؟

قال عمر: لا تعجلْ يا بُنَيَّ، فإنَّ الله ذمَّ الخمر في القرآن مرَّتين، وحرَّمها في الثالثة، وإنِّي أخاف أن أحمل النَّاس على الحقِّ جملة، فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة[1].

يريد الخليفة الراشد أن يعالج الأمور بحكمة وتدرج، مهتديًا بمنهج الله تعالى الَّذي حرَّم الخمر على عباده بالتدريج. وانظر إلى تعليله المصلحي الرصين، الَّذي يدل على مدى عمقه في فقه السياسة الشرعيَّة: إنِّي أخاف أن أحمل النَّاس على الحق جملة، فيدفعوه جملة! ويكون من ذا فتنة!

وروى عنه ميمون بن مهران قوله: إنِّي لأريد الأمر من أمر العامة ـ يقصد ما يتعلق بالجماهير ـ فأخاف ألَّا تحمله قلوبهم، فأخرج معه طمعًا من طمع الدنيا... فإن أنكرت قلوبهم هذا سكنت إلى هذا[2].

(١) ذكره الشاطبي في الموافقات (١٤٨/٢)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢٩/٥ ـ ١٣٠)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

يريد ألَّا يُصْدِر قرارًا من القرارات الَّتي تمس الجمهور؛ ممَّا يرى أنَّه الحق من الأعباء والتكاليف، إلَّا ومعها قرارًا آخر يتضمن مصلحة دنيوية لهم، فإن أنكروا ذاك أنسوا لهذا، وهذا ما يفعله المحنكون في السياسة إلى اليوم.

ومرة أخرى، يدخل عليه ابنه المؤمن المتوقد حماسة وغيرة، ويقول عاتبًا أو غاضبًا:

«يا أمير المؤمنين، ما أنت قائل لربك غدًا إذا سألك فقال: رأيت بدعة فلم تمتها، أو سنة فلم تحيها؟! فقال أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيرًا! يا بني، إنَّ قومك قد شدُّوا هذا الأمر عقدة عقدة، وعروة عروة، ومتى أردت مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم: لم آمن أن يفتقوا عليَّ فتقًا يكثر فيه الدماء، والله لزوال الدُّنيا أهون عليَّ من أن يُراق في سببي محجمة من دم! أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا، إلَّا وهو يميت فيه بدعة، ويحيي فيه سُنَّة؟!»[1].

بهذه النظرة الواقعيَّة العميقة كان يسوس عمر الأمور، وبهذا الأسلوب المتدرج العاقل كان يعالج الأمور الصعبة المعقدة، وبهذا المنطق القوي الرصين أقنع الأب الراشد ابنه المتوثب المتحمِّس، فهل يوصف مثل هذا السياسي الحكيم بأنَّه جاهل بالشؤون السياسيَّة؟!

إنَّ هذا لا يقوله إنسان يفهم السياسة، أو يفهم الحياة، إنَّما يقوله من لا يملك إلَّا الجرأة على الدعاوى العريضة الهائلة، دون أن يقيم عليها دليلًا.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/٢٨٢ ـ ٢٨٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأمَّا ما ذكره عمر بن عبد العزيز عن سور المدينة، وقوله لواليه: حصنها بالعدل ونقِّ طرقها من الظلم[١]، والذي زعم الكاتب العبقري! أنَّه لو كان في بلد ديمقراطي لكان موضع مؤاخذة برلمانية! فالحق أنَّ الكاتب في قوله هذا: إمَّا غبي لم يفهم ما هو في الوضوح كالشمس، وإمَّا فاهم يحرِّف الكلم عن مواضعه لهوى في نفسه.

فعمر بكلمته البليغة والحكيمة يشير إلى حقيقة اجتماعيَّة من أعظم الحقائق، وهي أنَّ المدن لا تحميها الأسوار الماديَّة، وإن علت وعظمت، إنَّما يحميها أهلها وسكانها، ولن يفعلوا ذلك إلَّا إذا شعروا بأنَّ خير هذه المدينة لهم ولذريتهم، وأنَّهم فيها آمنون مطمئنون، أمَّا إذا شعروا بأنَّ فئة محدودة هي الَّتي تُطعَم التمر، وتتبرع لهم بالنوى، وتأكل اللحم، وتدع لهم العظم، أو أنَّهم فيها خائفون مهددون في أرزاقهم، أو أعراضهم، أو حرماتهم، فليس بعيدًا أن يتقاعسوا عن الدفاع عنها، ولا يبعد أن يستغل العدو هذا الموقف، فيغير عليها، وهو آمن من غضبة الجبهة الداخلية.

لهذا كانت وصية عمر للوالي: أن يهتم بما يغفل عنه الولاة، وهو إقامة العدل ومحاربة الظلم، الَّتي تحبِّب إلى النَّاس أوطانهم ومدنهم وحياتهم، وتجعلهم يتشبَّثون بها ويدافعون عنها بالأنفس والنفائس، فأعظم سور يحمي المدن حقًّا: ما كان من البشر لا من الحجر!

ويؤكد هذا أنَّ الوالي كان يريد من عمر أن يقطع له مالًا لمرمة سور المدينة كما روى ذلك الحافظ السيوطي في: «تاريخ الخلفاء»[٢]. وعمر

(١) ذكره الطرطوشي في سراج الملوك صـ ٥٣، نشر من أوائل المطبوعات العربية، مصر، ١٢٨٩هـ ـ ١٨٧٢م.

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء صـ ١٧٤، تحقيق حمدي الدمرداش، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

من أحرص النَّاس في إنفاق الأموال، فبدل أن تتجه الأموال إلى الجوانب العسكرية الَّتي كثيرًا ما تبتلع الميزانيات، وخصوصًا عند الحكام الطامحين وأعوانهم من القادة العسكريين، يجب أن توجَّه إلى النواحي الاجتماعيَّة لسدِّ الخلل، وتحقيق الكفاية لكل محتاج.

لقد كان ابن عبد العزيز مؤمنًا كل الإيمان بأنَّ العدل هو أساس الدولة، وسناد الحكم، وحارس الملك، وليس هو الجبروت، والقوة الماديَّة الَّتي عامل بها بعض ولاة بني أمية النَّاس دهرًا قبل عمر، واعتبروها وحدها الَّتي تحفظ لهم الملك، ناسين أنَّ الظلم لن تدوم دولته، وأنَّ المظلومين لا بدَّ أن ينتفضوا يومًا ما.

ومن هنا كان رد عمر على ولاته، الذين اقترحوا عليه أن يسيروا في ولاياتهم على سنة من كان قبله من العسف والإرهاب: هو الرفض والإنكار والتنديد.

ذكر السيوطي في «تاريخ الخلفاء» ما أخرجه ابن عساكر عن السائب: «كتب الجراح بن عبد الله، إلى عمر بن عبد العزيز: إنَّ أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم، وإنَّه لا يصلحهم إلَّا السيف والسوط، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك!

فكتب إليه عمر: أمَّا بعد، فقد بلغني كتابك: تذكر أنَّ أهل خراسان قد ساءت رعيتهم، وأنَّه لا يصلحهم إلَّا السيف والسوط، فقد كذبت، بل يصلحهم العدل والحق، فابسط ذلك فيهم، والسلام»[1].

وقد دلَّت الوقائع أنَّ فلسفة عمر في الحكم، أصوب من فلسفة من

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/٧٢).

QaradawiBooks.com

سبقه من المتجبرين، وأنَّ سياسته آتت أكلها دون حاجة إلى الخروج عن أحكام الشريعة وحدودها.

قال يحيى الغساني من ولاة عمر: «لما ولَّاني عمر بن عبد العزيز الموصل: قدمتها، فوجدتها من أكثر البلاد سرقة ونقبًا؛ فكتبت إليه أعلمه حال البلد وأسأله: آخذ النَّاس بالظنة، وأضربهم على التهمة، أو آخذهم بالبيِّنة وما جرت عليه السُّنَّة؟ فكتب إليَّ أن آخذ النَّاس بالبينة، وما جرت عليه السنة، فإن لم يصلحهم الحق، فلا أصلحهم الله! قال يحيى: ففعلت ذلك، فما خرجت من الموصل حتَّى كانت من أصلح البلاد، وأقلها سرقة ونقبًا»[(١)].

وكان من حسن سياسته أنَّه يوسِّع على عمَّاله (ولاته) في النفقة، يعطي الرجل منهم في الشهر مائة دينار، ومائتي دينار، وكانت حجته أنَّهم إذا كانوا في كفاية تفرَّغوا لأشغال المسلمين.

وقد قيل له يومًا: لو أنفقت على عيالك كما تنفق على عمالك؟ فقال: لا أمنعهم حقًّا لهم، ولا أعطيهم حقَّ غيرهم[(٢)].

ومن سياساته الاقتصادية الرشيدة ما رواه أبو عبيد في «الأموال»: أنَّه كتب إلى واليه عبد الحميد بن عبد الرحمٰن وهو بالعراق أن أخرج للنَّاس أَعْطِيَاتهم. فكتب إليه عبد الحميد: إنِّي قد أخرجتُ للنَّاس أعطياتهم، وقد بقي في بيت المال مال! فكتب إليه: أن انظر كل مَن ادَّان في غير سفه ولا سرف فاقض عنه، فكتب إليه واليه: إنِّي قد قضيت

(١) انظر: تاريخ الخلفاء صـ ١٧٨.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٧٠١/١٢)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

عنهم، وبقي في بيت مال المسلمين مال! فكتب إليه: أن انظر كل بكر ليس له مال، فشاء أن تزوِّجه وأصدق عنه (ادفع له الصداق). فكتب إليه: إنِّي قد زوَّجت كل من وجدت، وقد بقي في بيت المال مال! فكتب إليه عمر: أن انظر من كانت عليه جزية، فضعف عن أرضه، فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه، فإنَّا لا نريدهم لعام ولا عامين[1].

وهنا نجد سياسته الاقتصادية لا تقوم على عدالة التوزيع فقط، بل تضم إلى ذلك تنمية الإنتاج، ومن هنا وجه واليه إلى التسليف الزراعي لأصحاب الأرض، حتَّى يقووا على الاستمرار في زراعة الأرض، الَّتي هي المورد الأول لقوت الناس.

ومن حسن سياسته أنَّه أبطل سبَّ آل البيت، وشغل النَّاس عن الخوض في الفتن بالجد في العمل، ولما سُئل عما وقع بين الصحابة من حروب، قال كلمته الشهيرة: تلك دماء طهَّر الله منها أيدينا، فلنطهِّر منها ألسنتنا!

هذا هو عمر بن عبد العزيز في سياسته وإدارته، حكيم ثاقب النظرة، واسع الأفق، يراعي الواقع، ويقدر العواقب، ويؤمن بالتدرج، ويلبس لكل حالة لبوسها.

ولقد آتت هذه السياسة الحكيمة، والإدارة العاقلة، أكلها في رخاء الدولة وأمنها واستقرارها، وشعور النَّاس بسيادة العدل والطمأنينة في كل أقطارها، وليس أدل على سلامة البذرة، من طيب الثمرة.

فإذا كان بعض النَّاس يتصوَّر حسن الإدارة ـ أو يصورها ـ في سَوْق النَّاس بالعصا الغليظة، وفرض هيبة الدولة بسيف الإرهاب، وأخذ

(١) رواه ابن عساكر في تاريخه (٢١٣/٤٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

البريء بالمسيء، حتَّى يقول الرجل لصاحبه: انجُ سعد؛ فقد هلك سُعَيد! فلهم ما يشاؤون.

ولكنَّا نقول لهم ما قاله التاريخ: إنَّ درة عمر بن الخطاب كانت أهيب لدى النَّاس من سيف الحجاج!

وأمَّا آثار خلافة عمر بن عبد العزيز في السياسة والاقتصاد والإدارة، والأمن في الداخل، والسمعة في الخارج، وانتشار الإسلام، فهي أشهر من أن تذكر.

وحسبي هنا أن أشير إلى بعض المظاهر الَّتي لها دلالتها، والثابتة في أوثق المصادر.

روى البيهقي في الدلائل، عن عمر بن أَسِيد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب، قال: إنَّما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهرًا، لا والله، ما مات حتَّى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول: اجعلوا هذه حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتَّى يرجع بماله، يتذكَّر من يضعه فيهم، فلا يجده، فيرجع بماله، قد أغنى عمر النَّاس[1].

قال البيهقي بعد رواية هذا الخبر: «فيه تصديق ما روينا في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: «**ولئن طالت بك حياةٌ لترى الرجلَ يُخرج ملءَ كفِّه ذهبًا أو فضَّة، يلتمس من يَقْبَله، فلا يجد أحدًا يقبله**»[2].

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٤٩٣/٦)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، نشر دار الكتب العلمية، نشر دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) انظر: دلائل النبوة (٤٩٣/٦).

QaradawiBooks.com

وقال يحيى بن سعيد: بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية فاقتضيتها، وطلبت فقراء نعطيها لهم، فلم نجد فقيرًا، ولم نجد من يأخذها منَّا، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس»[(١)].

ولا غرو أن أجمع علماء الأمة من فقهاء ومتكلمين، ومحدثين وصوفية، ومؤرخين، على فضل عمر بن عبد العزيز، وإعطائه مكانًا بارزًا في التاريخ الإسلامي، وسير رجاله المصلحين.

وحينما شرحوا الحديث النبوي الشريف الَّذي رواه أبو داود وغيره: «**إنَّ اللهَ يبعثُ لهذه الأُمَّة على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ من يُجدِّد لها دينَها**»[(٢)]، وأرادوا أن يطبقوه على الواقع التاريخي، أجمعوا على أنَّ عمر هو مجدد المائة الأولى، كما ذكر ذلك الحافظ السيوطي في منظومته عن المجددين. قال:

فكان عند المائة الأولى عُمَر خليفة العدل بإجماع وَقَر[(٣)]

وأمَّا الواقعة الَّتي اعتمد عليها الكاتب في اتهامه لعمر بسوء الإدارة، والتي اعتبرها كافية في تقديم الخليفة الراشد للمحاكمة بتهمة تخريب الدولة! فإنَّه ـ للأسف ـ لم يفقه معناها، ولم يدرك حقيقة مغزاها.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم صـ ٦٥، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

(٢) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (٢٨١/٢)، فلعله سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي. عن أبي هريرة.

(٣) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٢٨١/٢)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.

QaradawiBooks.com

إنَّ عمر حين قال لواليه في شأن سور المدينة: «حَصِّنْها بالعدل»، أراد أن يوجِّهه ويوجِّه أمثاله من الولاة إلى أمر عظيم لا يدرك سره الخطافون المتعجلون المتغطرسون!

هذا الأمر العظيم: أنَّ البلاد لا يحصنها من الغزوات الخارجية، ولا يحميها من الفتن الداخلية: مجرد إقامة الأسوار والتحصينات الماديَّة، إنَّما يحميها ويحصنها قبل كل شيء إقامة العدل في ربوعها، وإعطاء كل ذي حق حقه، ومحاربة المظالم، وردها إلى أهلها، فهذا هو الَّذي يجعل من أبنائها سورًا حقيقيًّا لحراستها ويجعل من كل منهم درعًا لحمايتها.

أمَّا إذا فقد العدل فمجرد الأسوار لا تحميها، وأهلها لا يبالون بسقوطها كما حكى تاريخ الجاهليَّة عن عنترة العبسي الَّذي وقف يتفرج على قبيلته، وهي تهزم أمام عينيه، وهو لا يحرِّك ساكنًا، لأنَّهم ظلموه، واعتبروه عبدًا يرعى الجمال! وقال في ذلك لأبيه حين طلب إليه أن يكر مع قومه: العبد لا يحسن الكر، وإنَّما يحسن الحلاب والصر!

ولا يعني رد عمر ـ لمن يتذوق معاني الكلام ويفقه مراميه ـ أن تهمل أسوار المدن وتحصينات البلاد، ولكنَّه أراد أن ينبِّههم إلى ما غفلوا عنه، ولكلِّ مقام مقال.

ومن العجب العاجب أنَّ الكاتب الَّذي صوَّب سهام النقد والإنكار إلى عمر بن عبد العزيز يكيل المديح والإطراء إلى الحجاج بن يوسف الثقفي، طاغية بني أمية!

يقول: قد تكونت صورة شوهاء من الصعب تغييرها عن الحجاج بن يوسف... لمجرَّد قسوته في استئصال شأفة المارقين الخارجين على

QaradawiBooks.com

الدولة، وهو الَّذي شهد له المؤرخون الأوربيون بأنَّه أحد أعظم الإداريين في تاريخ العالم.

هنا يكشف لنا الكاتب عن المؤثرات الموجهة لتفكيره وتكوين رأيه: ما يقوله الأوربيون والمستشـرقون! فإذا شهد هؤلاء للحجاج، فلنضرب عرض الحائط بشهادة المؤرخين والفقهاء وجمهور العلماء!

والغريب أن يقول هذا من يريد أن يسوق عمر بن عبد العزيز إلى قفص الاتهـام باسـم الديمقراطيَّة، فأيـن الديمقراطيَّة من سـلوك الحجاج، الَّذي كان يحبس بالظنة، ويقتل بالشبهة، ولا يبالي بسفك الدماء، وظلْم الأبرياء، في سبيل توطيد الملك لبني أمية حتَّى قالوا: إنَّه قهر العـرب وأذلَّهم، فمهَّد الطريق لظهـور الفرس، وغيرهم من العناصر الأعجمية.

والحجة الَّتي سـاقها الكاتب «الديمقراطي» لتبرير طغيان الحجاج وقسوته هي نفس الحجة الَّتي يسوقها الطغاة والجبابرة المستبدون في كل زمان، فكـم رأينا في عصرنا من برآء سـجنوا، وكم من شـهداء سَقطوا، وكم من دماء سُـفكت، وحرمات انتُهكت، وأموال صُودرت، وأسر شُـرِّدت، وجلود شُويت بالسياط، وأجساد شُـوِّهت بالتعذيب، ومدن دُمِّـرت على أهلهـا، وأطفال زغـب الحواصل فقـدوا الآباء والأمهات معًا، وعذارى اعتدي عليهن في سجون الطغاة.. كل ذلك تمَّ تحت مظلة الحفاظ على «أمن الدولة»، واسـتئصال شـأفة المارقين الخارجين عليها!

وانظر إلى الكاتب الَّذي نصب نفسه محاميًا عن قسوة الطغاة، كيف نضحت ألفاظه بمـا في نفسـه.. إنَّه يسـمِّي مثل عبد الله بـن الزبير

QaradawiBooks.com

الصحابي[١]، العالم الفارس المجاهد، أحد العبادلة الأربعة، والذي بويع بالخلافة، ونودي بأمير المؤمنين، تسع سنوات، وكاد الأمر يستتب له لولا ما قدر الله، يُسمِّيه «مارقًا»! ويسمِّي من كان معه من الصحابة والتابعين «مارقين».

ويسمِّي سعيد بن جبير وغيره من الفقهاء الذين ثاروا مع ابن الأشعث على بطش الحجاج وأمثاله «مارقين»!

إنَّ الكاتب ـ وهو خريج حقوق ـ نصب نفسه ممثل الاتهام لخصوم الحجاج ومعارضيه، وهو يذكِّرنا بممثلي الاتهام اليوم؛ الذين شاهدنا الكثير منهم ينادون بقطع الرقاب، وتوقيع أقصى العقوبة لكلِّ حركة أو جماعة تقول للحاكم: «لِمَ؟» أو «لا»!

* * *

(١) هو الوحيد الذي قيل فيه: هو صحابي وأبوه صحابي، وأمه صحابية، وجده لأمه صحابي، وأبو جده صحابي، فأبوه حواري رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين: الزبير بن العوام، وأمه ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر، وجده أبو بكر، وأبو جده أبو قحافة، رضي الله عنهم جميعًا.

QaradawiBooks.com

حول لقاء شيخ الأزهر وحاخام إسرائيل

كنت في رحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة، ولقيت أعدادًا من المسلمين هناك في مؤتمرات ومحاضرات، وفي كل منها وُوجِهْتُ بسؤال من المستمعين يقول: ما رأيك في مقابلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لحاخام إسرائيل الأعظم؟ ولم أجب عن هذا السؤال بشيء، لأنِّي لا أعلم ماذا حدث بالضبط، والمفتي إذا استفتي في واقعة معينة يجب أن يحيط بتفاصيلها، حتَّى تكون فتواه صحيحة، وهذا هو الَّذي يميِّز بين الفتوى في واقعة خاصَّة، وتقرير الحكم النظري في كتاب يصنَّف.

ولمَّا عدت إلى الدوحة من رحلتي بدأت أقرأ بعض ما كُتب عن هذه المقابلة التاريخية، الَّتي أحدثت ضجة هائلة في العالم العربي والإسلامي، والتي يرى فيها الكثيرون من أهل الفكر والعلم أنَّ الصهاينة استطاعوا أن يغزوا الأزهر ـ معقل الإسلام ـ في عقر داره، في الوقت الَّذي تجمع كل قوى الأمة الإسلاميَّة والوطنية على رفض «التطبيع» الَّذي تدعو إليه إسرائيل، وتحرص عليه، وتجهد كل جهدها في جعله حقيقة واقعة.

وحين قرأت ما قرأت عن هذه المقابلة ـ وخصوصًا ما كتبه أخي الباحث المدقق الدكتور محمد سليم العوا ـ وردود الإمام الأكبر على

QaradawiBooks.com

تساؤلات النَّاس وانتقاداتهم من شتى الاتجاهات، عجبت وأسفت، وحين شاهدت وسمعت لقاء شيخ الأزهر مع مندوب قناة الجزيرة في قطر ـ د. فيصل القاسم ـ ازددت عجبًا وأسفًا!

فالقضية من الوضوح بمكان، ولكن حين يلبِّس الشيطان على الناس، تشتبه عليهم الدروب، ويغيب الحق الأبلج، وينطق الباطل اللجلج.

وأودُّ أن أنبِّه أنَّ بيني وبين الإمام الأكبر الشيخ طنطاوي مودة قديمة يعرفها، وليس بيني وبينه من الناحية الشخصية أي شيء، إنَّما هو خلاف في الرأي والمنهج والأسلوب، وقد رددت عليه من قبل في موقفه من الربا وفوائد البنوك.

ورغم أنِّي أخالف الشيخ هنا، وقد خالفته من قبل في قضية الربا، فإنِّي لا أقبل أن يُمسَّ شخصه، أو يُنال من قدره، بكلمة نابية، أو صورة «كاريكاتورية» خارجة عن الأدب الشرعي، الواجب في حقِّ علمائنا، ولا سيَّما أنَّه يتبوأ أكبر وأعرق منصب علمي ديني في العالم الإسلامي. وقد تعلَّمنا من أدب النبوة: «**ليس منَّا من لم يرحم صغيرَنا، ويوقِّر كبيرَنا، ويعرف لعالمنا حقَّه**»[1].

وكنتُ أودُّ من الشيخ الَّذي اتَّسع صدره لمقابلة حاخام إسرائيل الَّتي هي العدو الأكبر للمسلمين: أن يتَّسع صدره لمخالفيه، ولا يوسعهم ذمًّا

(١) رواه أحمد (٢٢٧٥٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره دون قوله: «ويعرف لعالمنا حقه». والطحاوي في مشكل الآثار (٣ ٣٦٥)، والحاكم في العلم (١٢٣/١)، وقال: ومالك بن خير الزيادي مصري ثقة، وأبو قبيل تابعي كبير. وقال الذهبي: مالك ثقة مصري. وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٦٤/١)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٣)، عن عبادة بن الصامت.

QaradawiBooks.com

وشـــتمًا، ويصفهم بأقبح الأوصاف: من الجبن والعجز، والذل والسفه، والجهل والســـلبية، إلى آخر هذا القاموس، الَّـــذي لا يليق بمن كان في منصب الإمام الأكبر أن يستخدمه. وفي الحديث: لم يكن النبيُّ ﷺ سبَّابًا ولا فحَّاشًا ولا لعَّانًا[1].

ولم يعفِ من ذلك بعض من سبقوه من شـــيوخ الأزهر، الذين لقوا ربهم، وأفضوا إلى ما قدَّموا، فوصفهم بما لا يليق من مثله في مثلهم!

ومن أعجب ما قرأت وسمعت: تشكيك الشـــيخ فيما أجمعت عليه الأمة من رفض «التطبيع»، وقولـــه: ما معنى التطبيع؟ إنَّها كلمة «جوفاء» لا معنى لها!

ولم يستطع الأخ فيصل القاسم ـ للأسف ـ أن يشرح له معنى التطبيع الَّـــذي تحرص عليه إســـرائيل، ويرفضـــه جمهور أمتنا. وهـــو أن تكون العلاقات بيننا وبين إسرائيل ومؤسساتها ورجالها طبيعية؛ كأن ليس بيننا وبينهم مشكلة، يزورونا ونزورهم، ويستقبلوننا ونستقبلهم، ويبيعون لنا ونبيع لهـــم؛ فلا مقاطعة اقتصادية، ولا اجتماعيَّـــة، ولا ثقافية، وهذا هو السلاح الباقي في أيدينا نحن العرب والمسلمين.

وهم يســـعون بكل قوَّة لكســـر هذا الحاجز الحصيـــن، بينهم وبين العرب والمسلمين بأيِّ ثمن، وبأيِّ صورة، وبأيِّ وسيلة!

ومما يُذكر للشـــعب المصري بالفخر: أنَّه رفض تطبيع العلاقات مع الصهاينة برغـــم اتفاقية كامـــب ديفيد، الَّتـــي عقدتها حكومـــة الرئيس الســـادات رَحِمَهُ اللَّهُ؛ وكان من بنودها تطبيع العلاقات، فكان الإســـرائيليون

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠٣١)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

يأتون لزيارة مصر، ولكنَّ الشعب المصري لا يذهب إلى إسرائيل، ولا يشتري منهم، ولا يروج لهم شيئًا، ولا تزال القوى الشعبية من الأحزاب والنقابات مصرة على موقفها المشرِّف.

إنَّ المقاطعة أسلوب فعَّال، استخدمه النَّاس قديمًا وحديثًا في مواجهة خصومهم.

وقد عرفنا في تاريخ السيرة النبويَّة كيف قاطع مشركو قريش النبي ﷺ والمؤمنين معه، ومن انضم إليهم، عصبية من بني هاشم وبني المطلب، مقاطعة اقتصادية واجتماعيَّة، وحاصروهم في شعب: لا يبيعون لهم، ولا يبتاعون منهم، ولا يزوجونهم، ولا يتزوجون منهم، وقد كانت هذه المقاطعة من أشد ما نزل بالمسلمين من بلاء ثلاث سنين.

وعرف المسلمون أسلوب المقاطعة، بوصفه عقوبة لمن ارتكب ذنبًا أو اقترف بدعة، أو أساء الأدب، حتَّى إنَّ النبيَّ ﷺ أمر بمقاطعة الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك، فكانوا يسلِّمون على النَّاس فلا يردون عليهم السلام، حتَّى أقاربهم وألصق النَّاس بهم، إلى أن تاب الله عليهم، ونزل فيهم قرآن يصف حالتهم النفسيَّة، فقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

وألف الحافظ السيوطي رسالة سمَّاها «الزجْر بالهجْر» ذكر فيها أمثلة عديدة من هذا اللون.

فإذا كان هذا بين المسلمين بعضهم وبعض، فكيف يكون الأمر بينهم وبين من يعاديهم ويحاربهم ويتحدَّاهم، ويعتدي على مقدساتهم، ويغتصب أرضهم؟ ويزداد كل يوم عتوًّا واستكبارًا؟!

QaradawiBooks.com

إنَّ المقاطعة بكل صورها، ورفض التطبيع مع القوم سلاح مهم من أسلحة الحرب الطويلة بيننا وبين إسرائيل، ينبغي أن نحافظ عليه، وأن نبقيه مشحوذًا صارمًا، لا أن نسعى إلى فلّه وكسره.

من هنا كانت خطورة زيارة الحاخام للإمام الأكبر، إنَّها كسرت الحاجز، وفلَّت السلاح، وأضعفت المقاومة الصُّلبة، والمقاطعة الحاسمة.

ولقد قال شيخ الأزهر: ما المانع من لقاء رجل دين برجل دين آخر يهودي أو نصراني، للحوار في أمور دينيَّة؟

ونقول للشيخ: أي حوار ديني بيننا وبين القوم؟ هل النزاع القائم بيننا وبينهم نزاع على أمور العقيدة؛ حتَّى نحاورهم في أمور الألوهيَّة والنبوة والآخرة؟ أو النزاع على قضية أخرى غير العقيدة، هي قضية اغتصاب الأرض، وتشريد أهلها، ومحاولة ابتلاع ما بقي منها، وتهويد القدس الشريف، وهدم المسجد الأقصى؟

هذه هي القضية يا شيخنا، وهي لا تحتاج إلى حوار الشيخ والحاخام، إنَّما تحتاج إلى حوار رجال السياسة ورجال السلاح. وأنت باعترافك لست منهم!

إنَّ لكل مقام مقالًا، والمقام هنا ليس مقام الحوار مع رجال الدين، بل مقام الجهاد مع رجال القوة، أو المفاوضة بشروطها مع رجال السياسة.

وقد استدل الشيخ الأكبر بلقاء النبي ﷺ مع يهود بني قينقاع، ويهود بني النضير، وهذا صحيح، ولكنَّه استدلال في غير موضعه؛ لأنَّه حين ذهب إليهم كان بينهم وبينه معاهدة معروفة، فذهب يطالبهم بالوفاء بعهودهم، ولكنَّهم قابلوه بما يدل على غدرهم، فنصب لهم الحرب، الَّتي انتهت بجلاء بني قينقاع، وإجلاء بني النضير.

QaradawiBooks.com

فلم يذهب إليهم ليحاورهم في الدين، أو ليحاوروه في الدين، إنَّما ذهب لأمر من أمور السياسة، الَّتي يقوم بها بوصفه إمامًا للأمة، ورئيسًا للدولة؛ فهو يمارس صلاحياته السياسيَّة؛ فأين هذا ممَّا وقع بين الشيخ والحاخام؟

وممَّا استدل به الشيخ: ما جاء في التعامل مع أهل الكتاب، حتَّى إنَّ القرآن أجاز مؤاكلتهم وأباح مصاهرتهم، أي التزوج من نسائهم.

ونسي الشيخ أنَّ أهل الكتاب في النظر الشرعي ثلاثة أصناف: ذميون، ومعاهدون، وحربيون؛ ولكل منهم أحكامه الخاصة.

فالذميون: هم من أهل دار الإسلام؛ أي المواطنون من غير المسلمين، الذين لهم ما لنا، وعليهم ما علينا في الجملة.

والمعاهدون: الذين بيننا وبينهم عهود واتفاقيات، وهم ليسوا من أهل دارنا، فيوفى لهم بعهودهم.

والحربيون: هم الذين قامت الحرب بيننا وبينهم، وهذا هو واقع الحال بيننا وبين الإسرائيليين، فهم حربيون باتفاق الأمة، وهم الذين ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

فهؤلاء لا حوار بيننا وبينهم إلَّا بلغة واحدة هي لغة السيف والقوة؛ قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠، ١٩١].

QaradawiBooks.com

المشكلة في استدلالات الشيخ ومن وافقوه: أنَّهم يستدلون بالعموميات، ويغفلون عن مخصصاتها، ويحتجون بالمطلقات، ويهملون مقيداتها، ويستشهدون بالأقوال، وينسون سباقها وسياقها، ويتحدثون عن أهل الكتاب وكأنَّهم كلهم فئة واحدة، ويتحدَّثون عن حالة الحرب والعداوة وكأنَّها حالة السلم والمودة.

لقد رفض الشيخ أن يذهب إلى زيارة القدس ويصلِّي في المسجد الأقصى إذا كان دخوله إليها عن طريق تأشيرة تمنحها إسرائيل، إلَّا أن تكون السلطة الفلسطينيَّة هي الَّتي تعطيه التأشيرة، وهذا موقف يسجل له، وهو مبنيٌّ على فقه صحيح. فلماذا لم يقل هنا: إنَّ الصلاة في المسجد الأقصى مشروعة، وقد جاء في الحديث الصحيح شدُّ الرحال إلى المسجد الأقصى[1]؟!

وقال الشيخ: إنَّه أيَّد قرار وزير العدل الفلسطيني بتحريم بيع الأرض الفلسطينيَّة لغير الفلسطينيين، وهو قرار سليم بلا ريب، فلماذا لم يحتج هنا بأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ذلك أنَّ الفتوى الصحيحة لا بدَّ أن تدخل في اعتبارها ظروف الزمان والمكان والحال، ولا تصدر الحكم مقطوعًا عن ملابساته.

ولو مشينا مع الشيخ في الاستدلال بمطلق ما جاء عنِ النبيِّ ﷺ لأمكننا أن نستدل بتعامل النبي ﷺ مع اليهود حتَّى آخر حياته، فقد استلف من يهودي ثلاثين وسْقًا من شعير في نفقة أهله، ورهنه درعه ضمانًا لذلك، ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند اليهودي. وهذا حديث مُتَّفق عليه[2].

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في فضل الصلاة (١١٨٩)، ومسلم في الحج (١٣٩٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في المغازي (٤٤٦٧)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٣)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

يمكن أن يستدل مستدل بهذا الحديث لإبطال المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل، وينسى أنَّ هذا اليهودي الَّذي عامله النبي ﷺ لم يكن محاربًا.

وقد سأل مندوب قناة الجزيرة: الشيخ الأكبر: هل تجيز للفلسطيني الزواج من يهودية إسرائيليَّة؟ فقال له: هل أحرِّم ما أحله الله؟ الله تعالى في كتابه أباح ذلك، وتلا عليه الآية الكريمة من سورة المائدة: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [المائدة: ٥].

ونسي الشيخ أنَّ هذا في غير الحربيين، وقد جاء عن ترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قال: لا تحل نساء أهل الكتاب إذا كانوا حربًا (أي على المسلمين). وتلا هذه الآية: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [التوبة: ٢٩] الآية.

ومعنى كلام ابن عباس: أنَّ الله تعالى أمرنا بقتالهم، فكيف نصاهرهم؟ فمقتضى المصاهرة: أن تكون زوجتك منهم، وأحماؤك منهم، وأجداد أولادك وجداتهم، وأخوالهم وخالاتهم منهم، وهؤلاء لهم حقوق الأرحام وذوي القربى، من الصلة والمودة، والإسلام يوجب قطيعتهم، ويحرم موالاتهم وموادتهم.

ونقل أبو بكر الرازي (الجصَّاص) في «أحكام القرآن» عن الحكم قال: حدثتُ بذلك ـ يعني: بكلام ابن عبَّاس ـ إبراهيم (أي النَّخَعي) فأعجبه[1].

(١) أحكام القرآن للجصاص (٤١١/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال أبو بكر: ومما يحتج به لقــول ابن عبَّاس قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]. والنكاح يوجب المودة بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الــروم: ٢١] فينبغي أن يكون نكاح الحربيات محظورًا، لأنَّ قوله تعالى: ﴿يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾. إنَّما يقع على أهل الحرب، لأنَّهم في حدٍّ غير حدِّنا[١].

وهو توجيه قوي لا غبار عليه. ومن هنا يكون من يتزوج إسرائيليَّة أو يهودية اليوم يرتكب محرَّمًا، فكأنَّه يدخل بيته جاسوسة لإسرائيل.

وكنت أود من مجمع البحوث الإســلاميَّة بالأزهــر ـ ولا بدَّ أنَّ فيه ثلاثة أو أربعة أو أكثر من رجال الفقه ـ أن يكــون موقفه أبصر من هذا وأقوى، وأن يناصر الشيخ بتصويبه إن أخطأه الصواب، فكل إنسان يؤخذ من كلامه ويتــرك، إلَّا المعصوم ﷺ. فالحق فــوق كل اعتبار؛ وقد قال أبو بكر رضي الله عنه في أوَّل خطبة له بعد الخلافة: إن أحســنتُ فأعينوني، وإن أخطأتُ فسدِّدوني[٢].

كما أحيي جبهة علماء الأزهر في موقفها الشجاع في قول الحق، وإن هوَّن الشيخ من أمرها، وقال: إنَّهما شخصان كلاهما من تلاميذه! وربَّما يقصد رئيسها[٣] وأمينها العام[٤].

---

(١) أحكام القرآن (٤١١/٢).

(٢) سبق تخريجه صـ١٥٣.

(٣) د. محمد عبد المنعم البري.

(٤) د. يحيى إسماعيل.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا يضير الرجل الكبير شيئًا أن ينزل أحيانًا على رأي تلاميذه، فقد يخطئ الشيخ ويصيب تلميذه، وليس في العلم كبير، وفوق كل ذي علم عليم.

وقديمًا وقف عالم صغير أمام عالم كبير، فنقده في بعض قوله، فكأنَّما أنكر عليه ذلك، فقال: إن كنت كبيرًا فلست أكبر من سليمان، وإن كنت ـ أنا ـ صغيرًا، فلست أصغر من الهدهد؛ وقد قال لسليمان: أحطت بما لم تحط به، وجئتك من سبأ بنبأ يقين.

كنت أود من الشيخ الأكبر أن يرفض لقاء الحاخام، ولا يحقِّق له أمنيته في اقتحام الأزهر، ويرجعه خائبًا مغيظًا، فإنَّ «غيظ الكفار» المحاربين من أهداف المسلم، وممَّا نوَّه به القرآن فقد قال تعالى: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وأن يقتدي بذلك الصحابي المجاهد الَّذي وقع في أسر الروم، فحبسه قائدهم، يريد إذلاله ومنع عنه الطعام أيامًا، ثم جاء به ووضع أمامه لحمًا، فسأل: أي لحم هذا؟ فقيل له: خنزير! فقال للملك أو للقائد الرومي: أمَّا والله إنِّي لأعلم أنَّ الله تعالى أحله لي للضرورة، ولكن لن أقرَّ عينك بالأكل منه! وأبى أن يأكل، حتَّى منَّ الله عليه بالفكاك من الأسر.

لقد قال الشيخ: إنَّ الحاخام رجاه أن يقابله، فلم يرَ بأسًا في مقابلته، وكنت أتمنَّى ألَّا يحقق له رجاءه، فهو سيستغل هذه الزيارة لصالحه وصالح قضيته، والأزهر أولى المؤسسات ألَّا يمكن الصهاينة من استغلاله بالحق أو بالباطل.

وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكَّلت، وإليه أنيب.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

قتلى الصراع الداخلي الفلسطيني هل هم من الشهداء أو من أهل النار؟

س: ذهب بعض علماء فلسطين إلى أنَّ من سقط قتيلًا في الفتنة القائمة؛ الَّتي يقتتل فيها الإخوة في حركتي «فتح» و«حماس»: ليس شهيدًا، بل ينطبق على كلٍّ منهما الحديث المتفق عليه عن أبي بَكْرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتلُ والمقتولُ في النَّار!**». قالوا: يا رسولَ الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟! قال: «**إنَّه قد أراد قتلَ صاحبِه**»[1]، فهل هذا القول مسلم به؟ وهل يستوي الظالم والمظلوم، والمعتدي والمعتدى عليه؟ وأيضًا: هل يُعتبر المقتول في الصراع الداخلي شهيدًا، كالذي يقتله اليهود؟!

نرجو البيان الَّذي يريح ضمائر المؤمنين.

إخوة من الفلسطينيِّين في الدوحة

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٨٣)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٨)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

(وبعد)

أعتقد أنَّ العالم الَّذي أفتى بأنَّ من قُتل في النزاع بين حركتي فتح وحماس ليس شـــهيدًا، وإنَّما هو من أهل النار، مستشـــهدًا بالحديث الصحيح المتفق عليه: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتلُ والمقتولُ في النَّار**». أعتقـــد أنَّ هذا العالم أراد بفتواه هـــذه: أن يردع الإخوة عن الاقتتال المشـــؤوم، الَّذي لا يرضاه مسلم: أن يدع الإخوة الفلسطينيون عدوهم يحتـــل أرضهم، ويســـفك دماءهـــم، ويدمر منازلهـــم، ويقتل أبناءهم، ويغتال زعماءهم، وهم مشـــغولون بعضهم ببعض.. أيًّا كانت الأسباب والدوافع، ومع أنَّ الإسلام حرَّم ذلك أشدَّ التحريم: أن يرجع النَّاس كفارًا؛ يضرب بعضهم رقاب بعض، كما كانوا في الجاهليَّة، بل حرم الإسلام على المسلم أن يشـــير إلى أخيه بالسلاح، مجرد إشارة، جادًّا أو مازحًا.

ولكنَّ التحقيق في هذه القضية: أنَّه ليس كل مقتول في هذا الصراع بين الإخوة «شهيدًا» وكيف يكون شـــهيدًا من يحمل سلاحه على أخيه، لحســـاب اليهود الصهاينة، أو حلفائهم من الصليبيين كالأمريكان، ومن يحاول أن ينفخ في النار ليزداد لهيبها، فكلَّما اتَّفق الفريقان أو كادا، عكَّر الماء ليصطاد، وهيج جمهوره، لتفشـــل جهود الإصلاح؟ مثل هذا الَّذي يثير الفتنة، ويشعل النار، ويرمي لها بالوقود إذا قُتل لن يكون شهيدًا. فإنَّ السيف يمحو الخطايا، ولكنَّه لا يمحو النفاق.

وكذلك نقول: ليس كل من قُتل في هذه الفتنة من الفريقين يكون في النار. فلا شكَّ أنَّ هناك فرقًا بين المعتدِي والمعتدَى عليه، وبين الظالم والمظلـــوم، فمن الإخوة مـــن لا يفكِّر قط في رفع الســـلاح على أخيه،

QaradawiBooks.com

ولكنَّه يضطر إليه اضطرارًا؛ للدفاع عن نفسه أو عن أهله أو عن إخوانه. والدفاع عن النفس مشـــروع ولو بالقتل إذا اضطر إليه؛ لأنَّه قتل اضطرار لا قتل اختيار.

وهذا ما قرره الفقهاء في دفع الصائل: أن يدفع بأخف الوسائل، فإذا لم يجد الأخف لجأ إلى الأشد، ولو كان القتل، بحكم الضرورة.

وفي الحديـــث الصحيح: أرأيتَ إنْ دخلَ علـــيَّ داري؟ فقال: «**قاتلْه**». قال: فإن قتلته؟ قال: «**هو في النَّار**». قال: فإن قتلني؟ قال: «**فأنت شهيدٌ**»[1].

فقد بيَّن الحديث الشريف أنَّ المعتدَى عليه شهيد، بخلاف المعتدِي، فهو في النَّار.

وأمَّا حديث أبي بَكْرة الصحيح في التقاء المسلمين بسيفيهما، فليس على إطلاقـــه، وإلَّا حكمنا على الصحابة الكـــرام، ومنهم: علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير رضي الله عنهم بأنَّهم «في النار» وهم من العشرة المبشرين بالجنة بإجماع الأمة، ومن السابقين الأولين من المهاجرين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، بنصِّ القرآن في ســـورة التوبة، وهم من المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشـــجرة، وأعلن القرآن رضا الله عنهم: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وإنَّما ينطبق الحديث على من قاتل استجابةً لعصبية جاهليَّة، أو حبًّا للدنيا، أو اتباعًا للهوى، أو مطاوعةً لأعداء الدين والأمة، ونحو ذلك. أمَّا مـــن كان عنـــده تأويل ـ أي اجتهـــاد ووجهة نظر شـــرعيَّة ـ فـــي قتاله، فلا يدخل في الحديث، وإن كان مخطئًا فـــي تأويله، إذا كان موقفه بعد

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٤٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الاجتهاد والتحري. فهو مأجور أجرًا واحدًا على اجتهاده؛ وإن أخطأ فيه، وذلك من فضل الله تعالى ورحمته على هذه الأمة.

قال الحافظ ابن حجر: «ولذا كان الذين توقَّفوا في القتال (أي من الصحابة) في الجمل وصِفّين، أقل عددًا من الذين قاتلوا». قال: «وكلُّهم متأوِّل مأجور إن شاء الله؛ بخلاف من جاء بعدهم ممَّن قاتل على طلب الدنيا»[1] اهـ.

النية هنا هي الفيصل بين أهل الدنيا، وأهل الدين، والنية محلها القلب، والله وحده هو الأعلم بالنيات والسرائر، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

على أنَّ من المهم هنا: أن نبيِّن أنَّ الحديث نسب المقتتلين جميعًا إلى الإسلام، وقال: «**إذا التقى المسلمان**»، فلم يخرجهما عن الإسلام.

كما أنَّ الآية الكريمة في سورة الحجرات صرَّحت بإيمان المقتتلين بعضهم مع بعض، فقالت: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]. ثم قالت: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، فوصفهم بوصف الأخوة، وهي أخوة الإيمان.

وإنَّا لنحمد الله تعالى أنَّ هذه الفترة المأساوية السوداء قد انتهت إلى غير رجعة ـ إن شاء الله ـ بين الفريقين، من خلال اتفاق مكة المكرمة، الَّذي نسأل الله تعالى أن يكون خيرًا وبركةً على الفريقين، وعلى أبناء فلسطين جميعًا، ويكون بداية عمل مشترك لخدمة القضية، وتحرير أرض الإسراء والمسجد الأقصى. آمين.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٣٤/١٣).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الرد على فتوى ابن جبرين الَّتي تحرم مناصرة «حزب الله»، والدعاء له في حربه ضد إسرائيل

س: ما رأي فضيلتكم في فتوى الشيخ عبد الله بن جبرين، أحد أكبر المرجعيات الفقهيَّة السلفية بالمملكة العربية السعودية، والتي حرَّم فيها مناصرة حزب الله وعدم جواز الدعاء لهم بالنصر والتمكين؛ لأنَّهم بحسبه «روافض خارجون عن الملَّة»، كما نصح فيها أهل السُّنَّة بأن يتبرؤوا منهم، وأن يخذِّلوا من ينضمون إليهم، لأنَّهم يضمرون العداء لهم؟

المرجوّ بيان الرأي الشرعي في هذه المسألة، مسنودًا بالأدلة الشرعيَّة.

ولكم جزيل الشكر.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هذه الفتوى ـ للأسف الشديد ـ تتسم بالتسرع والسطحية في فقه الشرع، وفي فقه الواقع، وتحتاج من صاحبها ـ إذا كان يتحرى الحق ويبتغي وجه الله ـ أن يعاود النظر في فتواه، ويحاول التعمق في فقه النصوص، وفي فقه المقاصد، وفي فقه الواقع، ولا سيَّما الواقع

QaradawiBooks.com

العسكري والسياسي للأمة الإسلاميَّة، ولأعدائها الذين يتربَّصون بها الدوائر، ويريدون أن يقتلعوها من جذورها.

وإنَّ المرء ليعجب أن تصدر مثل هذه الفتوى في مثل هذا الموضوع، وفي مثل هذا الوقت العصيب، فما من عالم مسلم يحرم على المسلم أن ينصر أخاه المسلم، بل يمنعه من مجرَّد أن يدعو له بالنصر على عدوه الَّذي هو عدو الله، وعدو المسلمين جميعًا.

إنَّ النظر الأول في هذه الفتوى يجدها مصادمة لنصوص الإسلام في كتاب الله، وفي سنة رسوله.

١ ـ فهي مصادمة لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

٢ ـ وهي مصادمة لقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ومعنى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾: أي إن لم يوالِ بعضكم بعضًا، ويساند بعضكم بعضًا، ويتكتَّل بعضكم مع بعض، تحدث الفتنة والفساد الكبير في الأرض؛ حيث يكون التجمع في جانب الكفر، والتفرق في جانب الإسلام.

٣ ـ وهي مصادمة لقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ [النساء: ٧٥]، فإذا لم نقاتل فعلى الأقل نساند مَن يقاتل.

٤ ـ وهي مصادمة لقوله ﷺ: «**المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلِمه**»[1]، أي لا يتخلى عنه، ويتركه لعدوه.

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٢٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥ ـ وهي مصادمة لقوله ﷺ: «**انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»[١].

٦ ـ وهي مصادمة لقوله ﷺ: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشـدُّ بعضُه بعضًا**»[٢].

٧ ـ وهي مصادمة لقوله ﷺ: «**المسلمون يسعى بذِمَّتهم أدناهم، وهم يدٌ على مَن سواهم**»[٣].

قد يقول مَن أصدروا الفتوى: إنَّ هذه الآيات والأحاديث فيمن ثبت إسلامه وإيمانه، وهو ينفي الإيمان والإسلام عن «حزب الله»؛ لأنَّه حزب شيعي ـ أو رافضي على حسب تعبيره ـ ونحن نردُّ هذه الدعوى العريضة بما يأتي.

أولًا: أنَّ تكفير مَن يقول: «لا إلٰه إلَّا الله محمد رسـول الله» مجازفة لا يجترئ عليها عالم مسلم، شـحيح بدينه، مع علمه بالأحاديث الَّتي جاءت تحذِّر من تكفير المسلم.

ومن المؤكد: أنَّ الإنسان يدخل الإسـلام بنطق الشهادتين، وحسابه بعد ذلك على الله، ولا يخرجه من الإسلام إلَّا جحود ما أدخله فيه؛ لأنَّه مسلم بيقين، فلا يخرج منه إلَّا بيقين، واليقين لا يزال بالشك.

وكيف يحكم عالم مسـلم بالكفر ـ وأعني به الكفر الأكبر المخرج من ملة الإسلام ـ على مسـلمين يصلون ويصومون، ويزكون ويحجون، ويؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر؟

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٤٢.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٠٩.

(٣) سبق تخريجه صـ٤٣٥.

QaradawiBooks.com

وكيف إذا أضافوا إلى ذلك: الجهاد في سبيل الله، ومقاومة أعداء الأمة، الذين احتلوا الأرض، وهتكوا العرض، وسفكوا الدماء، وهدموا البيوت، وأفسدوا الزرع والضرع، وأهلكوا الحرث والنسل، فموقف هؤلاء الأبطال من حزب الله في مواجهة هؤلاء الطغاة القساة ـ الذين وصف القرآن قلوبهم بأنَّها: ﴿كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] ـ ولقَّنوهم دروسًا لا تنسى في بطولة أهل الإيمان، الذين لا يضنون بنفس ولا نفيس، ولا يبالون بالموت في سبيل الله؟

إنَّ تكفير «أهل القبلة» بسبب آراء اعتنقوها، أو ذنوب ارتكبوها: خطيئة كبرى لا يقرها الإسلام ولا علماؤه الراسخون.

وإذا كان لدى الشيعة آراء أو تصرفات ينكرها أهل السنة، فهذا لا يخرجهم من الملة، فقد يعتبرون مبتدعين في هذه المسائل أو المواقف، أو منحرفين عن السنة؛ ولكن يبقون في دائرة الأمة.

وقد يوجد لدى أهل السنة بدع أو منكرات تشبه ما عند الشيعة، مثل الاستعانة بأهل القبور، ونحو ذلك، ولا يخرج مثل هذا الابتداع أهله من الإسلام. صحيح أنَّ هناك فرقًا بين السُّنَّة والشيعة، هو أنَّ السنة يوجد من علمائهم دائمًا من ينكر هذه المبتدعات ويحاربها، على حين لا يوجد ذلك في الشيعة!

وممَّا ينبغي أن يذكر هنا: أنَّ الحديث الشهير الَّذي جاء في افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلَّا واحدة ـ وهو حديث مثخن بالجراح؛ في سنده، وفي دلالته، وقد ناقشناه في بعض كتبنا[1]،

(١) راجعه في كتابنا: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم صـ ٣٤ ـ ٣٩، ط ٣، نشر دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

وأثبتنا أنَّه لا تقوم به حجَّة ـ هذا الحديث لم يخرج الفرق المختلفة عن كونها من الأمـــة، لأنَّ نصَّه يقول: «**ســـتفترق أُمَّتي إلى ثلاثٍ وســـبعين فرقة**»[1]، فكل هذه الفرق إذن من أمته ﷺ، فلا يجوز إخراج فرد أو فرقة منه؛ إلَّا بقاطع يقيني يقطع صلته بالإسلام.

الحقيقة أنَّ هؤلاء الأبطال الذين يضحون بأرواحهم في ســـبيل الله، ينبغي أن يعتز بهم المسلمون، كل المسلمين، ويفاخروا ببطولتهم، وأن يسجل ذلك في سجل مفاخر الأمة الإسلاميَّة.

ثانيًا: أنَّ كلَّ مَن يعادي إسرائيل ويحاربها، فهو صديق لنا بوجه من الوجوه، كما روي عن عليٍّ رضي الله عنه، أنَّه قـــال: صديقك: صديق صديقك، وعدو عدوك!

وعلى ذلك، لو افترضنا أنَّ بعض الأوربيين أو الصينيين أو اليابانيين أو غيرهم، قدموا إلى المنطقة ليحاربوا إسرائيل مع الفلسطينيين أو اللبنانيين، لا لشيء، إلَّا لأنَّهم يعتبرون إســـرائيل دولة همجية وحشية، لا تبالي بالقيم ولا بالأخلاق، ولا المعاني الإنسانيَّة. أفلا نعتبر هؤلاء المتطوعين المعادين والمقاتلين لإسرائيل: أصدقاء وأنصارًا لنا، نحبهم ونواليهم ونعاونهم؟

ومن هنا أقـــول: إنَّ مقتضى الفتوى المذكـــورة ـ الَّتي تحرِّم مناصرة «حزب الله» والدعـــاء له بالنصـــر ـ مقتضاها: أنَّ المفتـــي يتمنى النصر لإســـرائيل؛ لأنَّه إذا كان هناك خصمان يتقاتلان فـــي معركة، فلا بدَّ أن تنتهي المعركة بانتصار أحدهما، وانهزام الآخر.

---

(١) رواه أحمد (٨٣٩٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في السنة (٤٥٩٦)، والترمذي في الإيمان (٢٦٤٠) وقال: حســـن صحيح. وابـــن ماجه في الفتـــن (٣٩٩١)، وابن حبان في التاريخ (٦٢٤٧)، والحاكم في العلم (١٢٨/١)، صحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

فإذا منعنا مجرَّد الدعاء لحزب الله بالنصر؛ فإنَّ معنى ذلك أنَّنا نتمنى أن يكون النصر حليف بني إسرائيل؟ فهل يتمنى ذلك صاحب الفتوى؟

ثالثًا: أنَّ المفروض في المسلم في كل حال: أن يكون مع المظلوم ضد الظالم، بغضِّ النظر عن دين كلٍّ منهما، فالمسلم لا يظلم، لأنَّ الله: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، و﴿لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وهو أيضًا لا يكون عونًا لظالم، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

وممَّا لا يشك فيه مسلم ولا منصف ـ من أي دين ـ أنَّ الصهاينة هم الظالمون الطغاة، السفاحون، فكم من دماء على أيديهم سُفكت، وكم أعراض هُتكت، وكم حرمات انتهكت، وكم من مقدسات ديست، بالإضافة إلى الجريمة الأساسية الكبرى، وهي اغتصاب الأرض، وإخراج أهلها منها، وتشريدهم في آفاق الأرض.

فهل يشك صاحب الفتوى في هذه الحقائق؟ وإذا لم يشكِّك فيها، وأيقن أنَّ العدو الصهيوني «إسرائيل» عدو ظالم باغ مستكبر، جبار مفسد في الأرض، وكان هذا الظالم يعتدي في البر والبحر والجو على بلد لم يطلق عليه رصاصة، فأين موقع المفتي: مع الظالم المتجبر القاتل، أم مع المظلوم المعتدى عليه؟!

إنَّ منطق الإيمان، ومنطق الأخلاق، ومنطق الشرع: أن يقف المسلم مع المظلوم ضد الظالم، ومع المبغي عليه ضد الباغي. فكيف استجاز المفتي لنفسه أن يقف مع الظالم ضد المظلوم، ومع الباغي ضد المبغيِّ عليه؟

QaradawiBooks.com

إنَّ المظلوم منصور من الله ومن المؤمنين، وفي حديث رواه الترمذي وحسَّنه: «**ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر** ـ أو حتَّى يفطر ـ **ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعزَّتي لأنصُرَنَّكِ ولو بعدَ حين**»[١]، و«أل» في المظلوم للجنس أو للاستغراق، فهي تفيد العموم للمظلوم، مؤمنًا كان أو كافرًا.

وفي الحديث الَّذي رواه الإمام أحمد: «**اتَّقوا دعوةَ المظلوم وإن كان كافرًا، فإنَّه ليس دونها حجاب**»[٢].

يؤيد هذا: تنويه الرسول الكريم بحلف الفضول الَّذي قام في الجاهليَّة بتحالف فئة من علية القوم على الانتصار للمظلوم، وأخذ حقه من الظالم، أيًّا كان مقامه. وهو ما قال فيه ﷺ: «**لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جُدْعان حلفًا، ما أحبُّ أنَّ لي به حُمْر النَّعَم، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبتُ**»[٣].

إنَّ كلَّ تعاليم الإسلام وتوجيهاته: توجب علينا أن نقف مع المظلوم ضد من ظلمه.

ولا يرتاب عاقل في أنَّ حزب الله في لبنان، وحركة حماس في فلسطين: لم تظلم إسرائيل شيئًا، وإذا أسر حزب الله جنديين فهذا من حقه، فالحرب لم تضع أوزارها بين إسرائيل وحزب الله. وعندها أسرى لبنانيون، وهو يريد بذلك أن يبادل أسيريه بما يراه من أسرى عندها.

---

(١) رواه أحمد (٩٧٤٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، وحسَّنه الألباني لغيره في التعليقات الحسان (٨٧١)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٢٥٤٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٢٣٥): رواه أحمد، وأبو عبد الله الأسدي لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. عن أنس.

(٣) سبق تخريجه صـ٢٦٠.

QaradawiBooks.com

وكذلك حماس إذا أسرت جنديًّا من إسرائيل، فما تجاوزت حدها، ولا غامرت مغامرة غير محسوبة، فإنَّ لديها نحو عشرة آلاف أسير، بعضهم أمضى أكثر من نصف قرن في سجونها، فإذا أسرت هذا الجندي، لتبادل به بعض أسراها، فهذا من حقها، وليس مغامرة ولا مجازفة.

يقول تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩]، ويقول: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤١، ٤٢].

إنَّ أظلم دولة في الأرض هي دولة الكيان الصهيوني، لأنَّها قامت في أساسها من أوَّل يوم ـ ومن قبل أن تقوم بسنين، بل بعقود ـ على الظلم والعدوان. وما قام على الظلم والباطل فهو باطل أبدًا.

رابعًا: يُبَيِّن لنا القرآن في أوائل سورة الروم: كيف يختار المسلم موقفه في الصراع الَّذي يدور بين القوى المعادية والمتصارعة في الأرض، وقد يكون بعضهم على الحق، وبعضهم على الباطل، وقد يكونون جميعًا على باطل، ولكن بعضهم أقرب إلى الحق من بعض، فهناك يكون موقف المسلم مع الفريق الأقرب إلى الحق، وإن لم يكن معه الحق كله.

فقد دارت الحرب بين فارس والروم في فجر الدعوة الإسلاميَّة، وهما القوتان العُظْميان في الأرض في ذلك الزمان (أشبه بما كان يقال عن أمريكا والاتحاد السوفييتي اليوم). وكان هوى المسلمين مع الروم، لأنَّهم نصارى أهل كتاب، وهوى المشركين الوثنيِّين من أهل مكة مع الفرس، لأنَّهم مجوس يعبدون النار، ويقولون بإلٰهين اثنين: واحد للخير والنور، وآخر للشر والظلمة.

QaradawiBooks.com

ولمَّا جاءت الأخبار بهزيمة الروم وانتصار الفرس في الحرب: فرح المشركون، وحزن المسلمون، وحدث بينهم جدال في مستقبل الحرب، وقال المسلمون: إنَّ المستقبل للروم، وسينتصرون عن قريب ـ وتراهنوا على ذلك ـ وفي معمعة هذا الجدال بين الطرفين: نزل القرآن يبشر المسلمين بما قالوا به: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١ ـ ٥].

نصر الله هنا هو نصر الروم على الفرس، وكلتا الأُمَّتين كافرة برسالة محمد، ولكنَّ إحداهما ـ وهي الروم ـ أقرب إلى الإسلام من الأخرى، لأنَّها في الأصل ذات كتاب سماوي، جاء به رسول من الله، هو المسيح عيسى ابن مريم.

ومن هذه الآيات، وهذا السياق يجب أن نأخذ العبرة: كيف نوازن بين فريق وآخر، وهو يدخل فيما سمَّيْته «فقه الموازنات».

فإذا كان هذا في الموازنة بين كافر وكافر، فكيف بين مسلم ـ أيًّا كان مذهبه ـ وبين الصهاينة الذين كفروا وظلموا، وارتكبوا ما لا يقره دين من الأديان؟

بقي هنا ما يمكن أن يقال من قبل المفتي وغيره، وهو: أن يتَّخذ حزب الله والشيعة عمومًا: انتصار حزب الله دليلًا على صحَّة مذهب الشيعة في ذاته، وأن يتخذ ذلك ذريعة لغزو المجتمعات السنية، ومحاولة نشر التشيع فيها، كما أصبح ذلك مشاهدًا في عدد من الأقطار العربية، والإسلاميَّة في آسيا وإفريقيا.

QaradawiBooks.com

وهذه نقطة مهمة، لا نستطيع أن ننكرها أو نتجاهلها، ونغض الطرف عنها، وهي محاولة الشيعة ـ وخصوصًا في إيران ـ التبشير بمذهبها بين أهل السنة، وقد أعدت لذلك المال والرجال، يغريها بذلك انتصار حزب الله، كما يغريها: أنَّ أهل السُّنَّة في غفلة عن ذلك، وأكثر علمائهم لا يحصنون جماهير السنة بثقافة واقية من التأثر بالدعاية الشيعية، ولا سيَّما مع دعوى الحرص على وحدة الأمة، وجمع الكلمة، والبعد عن إثارة الفتنة، وغيرها.

وهذا ما يجب أن أحذِّر منه إخواننا من علماء الشيعة ومراجعهم: أن يجازفوا بإشعال نار الفتنة بين فريقي الأمة: الفريق الأكبر والأكثر، الَّذي يمثل جمهور الأمة، وهو أهل السنة والجماعة، والفريق الأقل، وهو الشيعة!

وقد نبَّهت على هذه الحقيقة في بعض المؤتمرات الَّتي عقدت للتقريب بين السنة والشيعة، وأعلنت ذلك بصراحة في المؤتمر الَّذي عقد بالدوحة، وقد أغضب ذلك منِّي بعض من كنت قريبًا منهم من رجال الشيعة، وشرعوا يهاجمونني في صحفهم وإذاعاتهم ووسائل إعلامهم المختلفة.. ولكنِّي وجدت من الأمانة والمسؤولية الَّتي حملتها: أن أصارح أمتي بالموقف الواجب، ولا يجوز أن تضيع الحقائق أو الحقوق، من أجل مجاملات لا تحل مشكلة.

إنَّ الله تعالى حمَّلنا أمانة الدفاع عن أهل مذهب السُّنَّة والجماعة، الَّذي ندين الله به، ونعتقد أنَّه المذهب الحق، الَّذي يقوم على القرآن العظيم والسُّنَّة النبويَّة، والذي يقوم على حبِّ أصحاب رسول الله وحب آل بيته، ويعتبر الشورى هي مرجع الأمة في اختيار حكامها.. ولا نصل بالشيعة إلى مرتبة الكفر الأكبر المخرج من الملة، كما هو رأي بعض الغلاة، إلَّا مَن غلا من الشيعة، وخرج على المعلوم بالضرورة من دين الإسلام.

QaradawiBooks.com

حكم قتل الوزيرة الباكستانيَّة

س: ورد إلينا سؤال من الصحفية (Barbara Bibbo) من جريدة (Gulf News) في باكستان حول مقتل الوزيرة الباكستانية «بناظير بوتو» يوم الخميس ١٧ من ذي الحجة ١٤٢٨هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٧م. وأنَّ من قتلها قال: إنَّه فعل ذلك باسم الدين! فكان الجواب كالتالي:

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أولًا: من حق المرأة أن تشتغل بالسياسة، وأن تعمل لخدمة وطنها، وأن تبدي رأيها في القضايا العامة، شأنها شأن الرجل في ذلك، فإنَّ هذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ما قرره القرآن الكريم بوضوح حين قال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. وفي الحديث: «**إنَّما النساءُ شقائقُ الرجال**»[(١)].

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن لغيره. وأبو داود في الطهارة (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، وقال: وإنَّما روى هذا الحديث عبد الله بن عمر، عن عبيد الله بن عمر، =

QaradawiBooks.com

وليست السياسة في ذاتها أمرًا منكرًا، ولا شرًّا أخلاقيًّا، إنَّما ينكر من السياسة: إغفالها للجانب الأخلاقي، واعتمادها الكذب والمراوغة، وهذا ينكر على الرجال والنساء جميعًا.

وقد أفتينا منذ سنين[١] بأنَّ من حق المرأة أن تصوِّت في الانتخابات، وأن ترشِّح نفسها في مجالس النواب والشورى، ولا يوجد في الشرع ما يمنع من ذلك، كما لا يوجد ما يمنع من توليها المناصب الإدارية والسياسيَّة، أعني: لا توجد نصوص صحيحة صريحة، وإن كانت توجد أقوال لمجتهدين يُؤخذ منها ويُترك. كل ما يعتمد عليه خصوم المرأة، هو: حديث: «**لن يفلح قومٌ ولَّوْا أمرَهم امرأة**»[٢] وهذا له مناسبته.

وقد ذكر القرآن الكريم امرأةً حكمت قومها، وقادتهم بالحكمة وحسن السياسة، إلى خيْرَي الدُّنيا والآخرة، وهي ملكة سبأ الَّتي ذكر القرآن قصتها في سورة النمل.

والمحظور بالنسبة للمرأة هو الخلافة العُظْمى؛ كما ذكر أبو محمد بن حزم، وما عدا ذلك من المناصب ففيه مجال للاختلاف والترجيح. وقد أجاز الإمام أبو حنيفة للمرأة أن تتولى منصب القضاء في غير الحدود والجنايات، وأجاز لها الطبري والظاهرية تولي القضاء في كل المجالات.

= وعبد الله ضعَّفه يحيى بن سعيد من قبل حفظه. كلاهما في الطهارة، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.

(١) انظر كتابنا: من فقه الدولة في الإسلام صـ ١٦١ ـ ١٧٦، فتوى ترشيح المرأة للمجالس النيابية، نشر دار الشروق، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٩م.

(٢) رواه البخاري في المغازي (٤٤٢٥)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

ثانيًا: إنَّ هذا الرجل الَّذي أعطى نفسه حق الفتوى والقضاء والتنفيذ، قد جهل الشرع، وجهل الحكم في هذه القضايا، فلو أنَّ عمل المرأة في السياسة أمر يُنكر، فإنَّه لا يجيز القتل، والأصل في الدماء هو: العصمة والتحريم، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقد حدَّد الحق في أحاديث صحاح ليس فيها اشتغال المرأة بالسياسة.

ثالثًا: إنَّ من أشد الأشياء خطرًا على الأُمَّة أن يشيع فيها هذا النوع من الفكر المتطرف، الَّذي يعطي لأصحابه الحقَّ في أن يقابلوا الحكمة بالرصاصة، والرأي بالرشاش، وهذا ما ينكره الدين، كما تنكره القوانين، وتنكره الأخلاق والأعراف.

ونحذِّر أبناء أمتنا من الوقوع في هذه المهاوي، الَّتي ليس وراءها إلَّا الهلاك: هلاك الأفراد، وهلاك المجتمعات، وضياع الدين والدنيا معًا.

رابعًا: إنَّ الإسلام الحقيقي الَّذي ندعو إليه، ويدعو إليه معنا الدعاة الأصلاء، والحركات الإسلاميَّة العريقة، والمتمسكة بالمنهج الوسطي للأمة الوسط: براء من مثل هذا العمل الإجرامي، ولا ينبغي أن يُتَّهم الإسلام أو رجاله وحركاته بمثل هذه الأعمال؛ الَّتي يعلن الجميع إنكارها، وبراءتهم من فاعليها، ويجرِّمون كل من تجرَّأ على سفك دم معصوم بغير حقه. وقد قرَّر القرآن مع كتب السماء: ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

والله أعلم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حول تفجيرات قطر

س: ماذا تقولون عن التفجير الَّذي حدث فـــي قطر ليلة أمس؟ وما هي نظرة الشريعة الإسلاميَّة لمثل هذه الأعمال؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإنَّني أستنكر بشـــدة: ما حدث من تفجير في قطر، وأراه أمرًا ينكره الدين، وينكره العرف، وينكره القانون.

أمَّا الدين ونعني به دين الإســـلام، الَّذي يدين بـــه المجتمع القطري، فلأنَّه يحافظ على دماء النَّاس وأموالهم، وحرماتهم وأمنهم، ويرى الاعتداء عليها من أعظم الجرائم الَّتي تستوجب عقوبة الله في الدُّنيا والآخرة.

حتى إنَّ الرسول الكريم ﷺ حرَّم أن يروِّع المسلم أخاه المسلم، عن طريق المداعبة والمزاح، فقال: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أن يروِّع مسلمًا**»[1].

(١) رواه أحمد (٢٣٠٦٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٥٠٠٤)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٤٧)، عن رجال من أصحاب النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

فكيف بهذه التفجيرات الَّتي تُسفك فيها الدماء بغير حق، ويؤخذ فيها البريء بالمسيء، وقد قال ﷺ: «**لزوالُ الدُّنيا أهونُ عند الله من قتل امرئٍ مسلمٍ بغير حقٍّ**»(١).

وقد قرَّر القرآن مع الكتب السماوية الأخرى: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

والإسلام كما يستنكر القتل الَّذي يستوجب لعنة الله تعالى وغضبه وعذابه في نار جهنم: يستنكر إهدار الأموال، وتخريب المنشآت؛ فإنَّ هذا مال المجتمع، ومن اعتدى على شيء منه، فقد اعتدى على المجتمع كله، وخصوصًا المال العام، فهو في حرمة مال اليتيم في نظر الشرع.

أمَّا إنكار العرف، فلأنَّ المجتمع القطري مجتمع أنعم الله عليه بنعمة الأمن؛ كما أنعم عليه بالكفاية من العيش، وهما النعمتان اللتان امتنَّ الله بهما على قريش، وطلب منها أن تقوم بشكرهما بعبادة الله وحده: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾ [قريش: ٣، ٤].

والمجتمع القطري حريص على استمرار نعمة الأمن، ولا يسمح لأحد أن يسلبه هذه النعمة، أو يعكِّر عليه صفوها. وهو مجتمع متعارف متآلف متواد، يعرف بعضه بعضًا، ويألف بعضه بعضًا، ويود بعضه بعضًا، وهو ينكر بشدة هذه الأعمال الإجرامية الَّتي تهدد المجتمع في أمنه واستقراره وتماسكه، ولا يستفيد منها إلَّا أعداء الأمة وأعداء الدين، ولا يقوم بها إنسان له دين، أو حتَّى له عقل. فإنَّ العاقل لا يضر نفسه أبلغ الضرر لفائدة عدوه!

(١) سبق تخريجه صـ٣٤٧.

QaradawiBooks.com

وكأنَّ هؤلاء الحمقى استكثروا على المجتمع القطري جو الأمان الَّذي يتمتع النَّاس في ظلاله بحريَّة الحركة والنشاط، دون قيود ولا عوائق، فأرادوا أن يدخل هذا المجتمع في إجراءات التشديد والتضييق والاحتياط الزائد، وفي هذا ما فيه من ضرر على مجموع الناس.

إنَّ هذا «الفيروس» الخطر: دخيل على جسم قطر، غريب عنها، وليس من شأن أهلها ولا المقيمين فيها، لا من فكرهم ولا من أخلاقهم.. ولهذا أهيب بكل مَنْ في قطر: مواطنين، ومقيمين: أن يقفوا صفًّا واحدًا ضدَّ هذا الوباء، وأن يتعاونوا على صدِّه ومقاومته، والكشف عنه، وتتبع آثاره، حتَّى لا تنتقل عدواه إلى أحد، ولا تسري في البلد الآمن مسرى النار في الحطب.

أمَّا إنكار القانون، فكل قوانين الدُّنيا تَدين هذه الأعمال اللامسؤولة. الأعمال الدموية التخريبية، الَّتي لا تبالي بإزهاق الأرواح، ولا بتخريب الديار.. كل القوانين تقابلها بما تستحق من العقوبات الرادعة، الَّتي تردع الباغين عن بغيهم، وترد الشواذ عن الصراط المستقيم إلى سواء السبيل.

إنِّي باسمي وباسم إخواني من علماء قطر ندين هذه الجريمة المنكرة، الَّتي نرجو أن تكون أولى الجرائم وأخراها، وأن يحفظ الله هذا البلد آمنًا مطمئنًّا، وسائر بلاد المسلمين، وكل بلاد العالم، وأن يردَّ هؤلاء الشاردين المضلَّلين إلى رشدهم، وأمَّا العملاء والخونة فأدعو الله أن يأخذهم أخذًا أليمًا شديدًا، ويريح منهم البلاد والعباد.

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

العلم والتربية

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

شروط الدعوة إلى الله

س: سمعنا فضيلتكم في قناة قطر الفضائية، تتحدَّث عن أنَّ هناك شروطًا للاجتهاد، وهذا سمعناه منك مرَّات عديدة في حلقات «هدي الإسلام»، ولكن لم تتحدث ـ فضيلتكم ـ عن شروط الدعوة، مع أنَّ الدعوة أحيانًا أخطر بكثير من الاجتهاد؛ لأنَّ من يقومون بالدعوة أحيانًا يكونون غير مؤهلين للقيام بذلك، وخصوصًا من الناحية العلميَّة والفكرية، وربَّما كانت نيَّة الداعي طيبة وهو يدعو إلى عبادة الله الواحد القهار، ولكنَّ ثقافته الدينيَّة ضعيفة، ولا تسمح له بمناقشة أتباع الأديان الأخرى، أو بمناقشة الماركسيين، أو بمناقشة العِلمانيين، فما رأي فضيلة الشيخ في ذلك؟ وما هي شروط الداعية المسلم الناجح في عصرنا هذا؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

كلام الأخ صحيح وجيد، لا شك أنَّ أمور الدعوة من أهم الأشياء، ولعلها أهم من الاجتهاد ـ كما يقول ـ لأنَّ الاجتهاد محدود في إطار معين، وأهل الاجتهاد قلة من الناس، بل قلة نادرة، فمن يجمع شروط

نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

الاجتهاد عدد قليل، لكن نحن تكلَّمنا عن شروط الاجتهاد؛ لأنَّ هناك من ادَّعَوا الاجتهاد وهم ليسوا أهلًا للاجتهاد، الواحد منهم يدعي الاجتهاد، ولو جئت له بكتاب من كتب التراث، ليقرأ منه صفحة أو نصف صفحة سيخطئ عشرين خطأ نحويًّا ولغويًّا، فهم لم يؤهلوا، ويأتي أحدهم فيدعي الاجتهاد في الفقه وأصول الفقه، وفي أصول الدين، وفي القطعيات، لا يكتفي بالأمور الظنية، بل يجتهد فيما لا يجوز الاجتهاد فيه، لا يعترف بأنَّ هناك ثوابت.

للأسف أحدهم يُدعى: «سيِّد القِمْني» رأيناه في قناة «الأوربت» سأله المذيع: هل عندك خطوط حمراء؟ قال له: لا، كل شيء قابل للاجتهاد، لا خطوط حمراء، ولا ثوابت.

كل شيء قابل للنقاش! الألوهيَّة قابلة للنقاش، والنبوة، والآخرة! لا توجد قيم ثابتة! فماذا بقي من الإسلام؟ من يقل هذا الكلام يخرج من الإسلام، لا تقل لي: أنا مسلم مجتهد. أنتَ خارج الدائرة الإسلاميَّة، اجتهد كما شئت، ولكن لا تحسب نفسك على الإسلام، ولا على الأمة الإسلاميَّة.

فللاجتهاد شروط لا بدَّ أن تُراعى، فليس الباب مفتوحًا لكل من هب ودب.

الدعوة مستويان:

والدعوة إلى الله مستويان، هناك الدعوة المأمور بها كل مسلم، كما قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]. فكل من اتبع رسول ﷺ فهو داعٍ إلى الله، وداعٍ على بصيرة، ولكن حسب مقدرته، وحسب علمه، فقد يدعو إلى الله

QaradawiBooks.com

بالكلمة الطيبة، بالأسوة الحسنة، بالخلق الكريم، بحسن المعاشرة للناس والمصاحبة لهم، بأن يُهدي لهم كتابًا يقرؤونه، أو يصحب الشخص ويدله على سماع محاضرة، أو يقول له: تعالَ نسمع معًا محاضرة لفلان، أو تعال نحضر خطبة الجمعة عند الخطيب الفلاني. هذا حظه من الدعوة، وهذه الدعوة مأمور بها كل مسلم.

وهناك مستوى خاص، يقوم به المؤهَّل له، يدعو عن طريق إلقاء خطبة جمعة على منبر، أو إلقاء محاضرة في جامعة، أو في نادٍ، أو في جمعية، أو في مركز ثقافي، أو بكتابة مقال في صحيفة، أو بتأليف كتاب، أو بإلقاء درس في مسجد، وهذا المستوى له شروط لا بدَّ أن يكون هذا الداعية مستجمعًا لها، فكما قلنا: إنَّ من شروط المجتهد العلم بالقرآن، والعلم بالسُّنَّة، والعلم بالإجماع والخلاف، والعلم بأصول الفقه والقياس، والعلم باللغة العربية، والملكة الفقهيَّة، ومعرفة أحوال الناس، فالداعية أيضًا له شروط، أوَّل شرط من شروط الدعوة أن يكون مثقَّفًا.

الثقافة الدينيَّة:

وقد ألَّفت كتابًا اسمه: «ثقافة الداعية»، ذكرتُ فيه أنَّ الداعية لا بدَّ أن يكون مسلَّحًا بأنواع من الثقافات: الثقافة الأولى: الثقافة الدينيَّة، ونعني بذلك المعرفة بقدر من التفسير وعلوم القرآن، والمعرفة بقدر من الحديث وعلوم الحديث، وبقدر من الفقه وأصول الفقه، والمعرفة بالعقيدة وأصول العقيدة، والمعرفة بالسيرة النبويَّة، هذه ثقافة لا بدَّ أن يكون عنده منها قدر معيَّن، وذكرتُ في هذه الأشياء تنبيهات مهمة ينبغي أن تراجع في هذا الكتاب.

QaradawiBooks.com

الثقافة الأدبية واللغوية:

ثم هناك الثقافة الأدبية واللغوية، أي: لا بدَّ أن يكون عارفًا باللغة العربية، عارفًا بآدابها، متذوقًا للأدب العربي، حتَّى يحسن التعبير عن نفسه، ويكون كلامه سائغًا ومقبولًا، وإذا لم يكن عارفًا باللغة العربية سيقع في أخطاء كثيرة، ذكرت في كتابي أمثلة لها، فهذا أيضًا أمر لا بدَّ منه.

الثقافة التاريخية:

كذلك لا بدَّ أن يكون لديه ثقافة تاريخية، يعرف التاريخ عامة، والتاريخ الإسلامي خاصَّة، بدءًا من السيرة النبويَّة وسيرة الخلفاء الراشدين، وسير الصحابة، وخير قرون الأمة، ويعرف النقاط المضيئة في التاريخ الإسلامي، لا يعرف الجوانب المظلمة من تاريخنا وينسى الجوانب المضيئة، فينبغي أن يعرف التاريخ الإسلامي من ينابيعه الصافية معرفة متوازنة.

الثقافة الإنسانيَّة:

ثم من ناحية أخرى لا بدَّ من ثقافة رابعة، وهي الثقافة الإنسانيَّة، يكون عنده قدر من الإلمام بالعلوم الإنسانيَّة، عنده شيء من علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، عنده قدر من هذه العلوم، الَّتي تتصل بأحوال الإنسان وأحوال المجتمع، وأن يعرفها من منظور إسلامي، ومن منطلق إسلامي، وفلسفة إسلاميَّة، لا يعرفها أو يأخذها من الغربيِّين بما فيها من إسقاطات لا دينيَّة أو إلحادية أو ماديَّة، هذه هي الثقافة الرابعة.

QaradawiBooks.com

الثقافة العلميَّة:

ثم هناك ثقافة خامسة، وهي أن يكون لدى الداعية قدر من الثقافة العلميَّة، أن يعرف شيئًا من العلوم والرياضيات، وعلم الأحياء، والفيزياء والكيمياء، وعلم الفلك، بعض هذه الأشياء لا بدَّ منها، حتَّى يعرف الكون من حوله.

الثقافة الواقعية:

ثم هناك ثقافة سادسة، وهي الثقافة الواقعية، ثقافة الواقع، أن يكون عارفًا بالواقع كما هو، بلا تهوين ولا تهويل، لا يهوِّن من الأمور العظيمة، ولا يهوِّل في الأمور اليسيرة، يكون عادلًا مع الواقع.

هذه الثقافات لا بدَّ منها للداعية، لا يدعو النَّاس وهو خالي الوفاض، ليس عنده شيء، هو فقط يحفظ كلمات كالمسجِّل فيقولها، الكلام الَّذي يقوله في الشرق هو ما يقوله في الغرب، وما يقوله للعرب هو ما يقوله للعجم، لا، ليس هذا هو الداعية، لا بدَّ أن يكون عنده حصيلة قوية من الثقافة.

أن يكون الداعية مؤمنًا بما يدعو إليه:

ثم من ناحية أخرى أن يكون مؤمنًا بما يدعو إليه، فالإنسان إذا لم يكن مؤمنًا بما يدعو إليه لن يكون متحمِّسًا له، وسيظهر هذا على مستمعيه، وعلى المتلقِّين عنه، والقارئين له إذا كان يكتب، لا بدَّ أن يكون مؤمنًا كل الإيمان بما يدعو إليه، وإذا كان أهل الباطل يؤمنون بباطلهم، فلا بدَّ لأهل الحقِّ أن يؤمنوا بحقهم، إذا كان اليهودي والنصراني، والوثني والشيوعي والملحد: يدعون إلى مذاهبهم

QaradawiBooks.com

وفلسفاتهم وهم مؤمنون بها، وهم مستعدون للبذل في سبيلها، ويدخلون السجون من أجلها، فإنَّ أهل الحق وأهل الدين الخاتم، لا بدَّ أن يكونوا مؤمنين بحقهم ودينهم.

أن يكون الداعية قدوة فيما يدعو إليه:

ولا بدَّ أن يكون الداعية قدوة فيما يدعو إليه، فقد وصفتْ أمُّنا عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ حين سُئِلتْ عن خلقه، فقالت: كان خلقه القرآن[1]. فينبغي أن يكون خلق الداعية القرآن، أن يكون قرآني الأخلاق، محمدي السيرة والصفات، فهذا أمر أيضًا لا بدَّ منه.

أن يخاطب الداعية كل قوم بلسانهم:

ثم عليه أن يخاطب كل قوم بلسانهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [إبراهيم: ٤]. وأنا أقول في هذه الآية: ليس معنى بلسان قومه فقط أن يخاطب العرب بالعربية، والإنجليز بالإنجليزية، والألمان بالألمانية.. لا، ولكن أيضًا أن يخاطب الخواصَّ بلسان الخواصِّ، والعوامَّ بلسان العوامِّ، يخاطب أهل القرية بلسان أهل القرية، وأهل المدينة بلسان أهل المدينة، ويخاطب النَّاس في أوربا بلسان أهل أوربا، لا يخاطبهم بلسان أهل الشرق.

ما معنى لسانهم؟ اللسان تعبير عن العقلية، عقلية الإنسان، فلكل قوم لسان، كما قال الإمام الشافعي: لسان اليونان غير لساننا. أي: عقليتهم غير عقليتنا، وتفكيرهم غير تفكيرنا. فلا بدَّ أن يكون المدخل إلى عقولهم وقلوبهم غير المدخل إلى عقولنا وقلوبنا، تدخل إلى كل قوم بما

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

يناسبهم. فمن النَّاس من تحدِّثهم عن الحرية والعدالة الاجتماعيَّة، ومنهم من لا يحتاجون لذلك؛ لأنَّ بلادهم تتمتع بالحريات، لكنَّهم يحتاجون إلى الدفقة الروحيَّة، يحتاجون إلى الإيمان بالله والدار الآخرة.

فعلى الداعية أن ينظر ماذا يحتاج من يخاطبهم، بعض الدعاة يذهب إلى أوربا وأمريكا فيحمل حملة على الأضرحة، وزيارة الأولياء، والناس لا عندهم أضرحة، ولا أولياء، ولا قبور، فلا بدَّ أن يعرف الداعية من يخاطب.

المدعوون ليسوا صنفًا واحدًا:

هذه شروط أساسية، وعلى الداعية الَّذي يريد أن يؤثِّر فيمن يدعوه أن يتحلَّى بهذه الشروط، وعليه أن يعلم كذلك أنَّ المدعوين ليسوا صنفًا واحدًا، فدعوة غير المسلم ليست كدعوة المسلم، والمسلم الملتزم غير المسلم العاصي، والمسلم العاصي غير المنافق، الَّذي يدعي الإيمان وليس له من الإيمان شيء يذكر، هناك من المدعوين من يحتاج إلى أن تأخذه بالعزائم، وهناك من يحتاج أن تفتيه بالرخص، إذا كان المدعو مسلمًا قويَّ الإيمان فهذا يحتاج إلى العزائم، لكن المسلم ضعيف الإيمان المسرف على نفسه، يحتاج إلى الرخص وإلى التيسير، المدعو الحديث العهد بالتوبة بعد أن كان طوال عمره غارقًا في المعصية، نحاول أن نخفِّف عليه، ولا نشدِّد عليه، كذلك من كان حديث عهد بالإسلام.

بعض النَّاس يأتيه من يريد أن يدخل في الإسلام، فيسأله ماذا عليَّ إن أسلمت؟ فيقول له: عليك أن تصلِّي الصبح ركعتين فرضًا، وركعتين سنة، وتصلِّي قبل الظهر أربعًا سنة قبلية، والظهر أربعًا فرضًا، وبعده أربعًا سُنَّة بعديَّة، يا أخي قل له: عليك فقط أن تصلِّي ركعتين في

QaradawiBooks.com

الصبح، وأربعًا في الظهر، وأربعًا في العصر، وثلاثًا في المغرب، وأربعًا في العشاء. لا تأتي له بالسنن في أوَّل الأمر، النبي ﷺ لما جاءه رجل أعرابي يسأله: ما الإسلام؟ قال له: «**خمسُ صلوات في اليوم والليلة**». فقال: هل عليَّ غيرهن؟ قال: «**لا، إلَّا أن تطوَّعَ. وصيام شهر رمضان**». فقال: هل عليَّ غيره؟ فقال: «**لا، إلَّا أن تَطَوَّع**». وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلَّا أن تَطَوَّع**». قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله، لا أزيد على هذا، ولا أنقص منه. فقال رسول الله ﷺ: «**أفلح إنْ صَدَق**»[(١)].

وفي حديث مماثل: أنَّ أعرابيًّا جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، دُلَّني على عملٍ إذا عملته دخلت الجنَّة. قال: «**تعبدُ اللهَ لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**». قال: والَّذي نفسي بيده، لا أزيد على هذا. فلمَّا ولَّى قال النبيُّ ﷺ: «**من سرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنَّة فلينظرْ إلى هذا**»[(٢)].

فأداء الفرائض هو المهم، فمن يدخل الإسلام جديدًا، تُذكر له الفرائض دون النوافل، وتُذكر له المحرَّمات القطعية فقط، وليس الأمور المشتبه فيها، كالخلافيات والمكروهات، لا ينبغي الإكثار عليه، بل أوَّل ما نؤكده اجتناب الكبائر، فالإنسان الَّذي يؤدي الفرائض، ويجتنب الكبائر، نرجو إن شاء الله أن يكون من الناجين، فالله تعالى يقول: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. والكبائر قد تكون فعل محظور، مثل الزِّنَى، وشرب الخمر، وقتل النفس،

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١)، كلاهما في الإيمان، عن طلحة بن عبيد الله.

(٢) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وأكل الربا، وأكل مال اليتيم.. إلى آخر هذه الأمور، الَّتي سمَّاها النبي ﷺ: الموبقات، قال النبي ﷺ: «**اجتنبوا السبعَ الموبقاتِ**». قالوا: يا رسولَ الله، وما هنَّ؟ قال: «**الشركُ بالله، والسِّحْر، وقتلُ النَّفْس الَّتي حرَّم الله إلَّا بالحقِّ، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولِّي يــوم الزحف، وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات**»[1].

وقد تكون الكبائر ترك مأمور، مثل تــرك الصلاة، أو منع الزكاة، أو الإفطار في نهار رمضان دون عذر شرعي، أو تعمُّد ترك الحج والإعراض عنه، فإذا اجتنب الإنسان الكبائر بقســميها، وأدى الفرائض، فهذا نرجو ـ إن شاء الله ـ أن يكون من الناجين.

بعد ذلــك حينما يرتقي الشــخص، ويــؤدي الفرائــض، ويلتزمها، ويواظب عليها، ويكون عنده الشوق والرغبة أن يزداد قربًا من الله، نبيِّن له أنَّ هناك أشياء غير الفرائض، هناك السنن المؤكَّدة، ففي الصلاة هناك ركعتان قبل الفجر، وركعة الوتر، وهناك ركعتان قبل الظهر، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، بعد ذلك نقول له: هناك صلاة الضحى، وهناك قيام الليل.

وبالنسبة للصيام نقول له: هناك صيام آخر بعد صيام رمضان، هناك صيام يوم عرفة، أو التسع من ذي الحجة، وهي أفضل أيام السنة، وهناك صيام تاسوعاء وعاشوراء، وهناك صيام الستة أيام من شوال، وهناك صيام ثلاثة أيام من كل شــهر عربي، وهناك صيــام الإثنين والخميس من كل أسبوع.. وهكذا.

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ثم نقول له: إنَّ الـزكاة هي الفريضة، لكن هنـاك صدقات مندوبة، وهنـاك الإيثـار، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشـر: ٩]، ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسـان: ٨]. وهكـذا يرتقـي المدعوُّ شيئًا فشيئًا.

كذلك في جانب المنهيَّات نقول: الكبائر هذه أعلى شيء، لكن هناك الصغائر المحرمة، وهناك الشبهات، «**فمن اتَّقى الشـبهاتِ استبرأ لدينه وعِرْضه**»[1]. وهناك المكروهات، وهناك خلاف الأولى، نترقى بالشخص شيئًا فشيئًا.

نسـأل الله أن يجعلنا من الدعاة الموفَّقين، الذين يضعون الأمور في نصابها، ويخاطبون كل قوم بلسانهم.

* * *

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

وجوب التعلُّم وتشجيع الغير عليه

س: مشـــكلتي أنَّني فتاة من عائلة كبيرة جدًّا، وأعمل في أحد البنوك الكبيرة، ووظيفتي ولله الحمد جيدة، إلَّا أنَّني لا أحبُّ القراءة ولا الكتابة، وأشـــجع الأطفال والكبار على عدم الدراســـة والتعلم، علمًا بأنَّني أعرف أربع لغـــات: الإنجليزية والفرنســـية والألمانية واليابانيـــة، أعرفها تمامًا، مشكلتي أنَّني لا أحفظ إلَّا أربع سور من القرآن، أحفظ المسد والإخلاص والفلق والناس، ودائمًا أردِّدها؛ لأنِّي لا أحبُّ التعلم ولا القراءة والكتابة.

وسؤالي هو: ماذا أفعل في عملي وعندي من يقرأ عنِّي ويكتب لي، أنا فقط أوقِّع، إلَّا الأشياء الصغيرة جدًّا أقرؤها؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

سبحان الله! إذا كانت أختنا السائلة لا تحبُّ القراءة ولا الكتابة كيف تعلَّمت أربع لغات؟! وهي تقول: إنَّها تعرفها تمامًا، وتجيدها إجادة تامة، كيف هذا؟ ولنفترض أنَّها كما تقول لا تحبُّ القراءة ولا الكتابة، فلماذا تشـــجِّع الآخرين على عدم القـــراءة والكتابة؟! نحن أمة اقـــرأ، أوَّل آية

QaradawiBooks.com

أنزلت على النبي ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥]. نحن نعيب على أمة اقرأ أنَّها لا تقرأ.

اليهودي موشي ديان قال يومًا، حينما صرَّح لبعض الصحف الأمريكيَّة بأشياء، فقالوا له: فضحتنا، المفروض أنَّ هذه أشياء لا تُقال حتَّى لا يعلم بها العرب، فقال لهم: اطمئنوا فإنَّ العرب لا يقرؤون. كأنَّ أمتنا تريد أن تصدق نبوءة موشي ديان!

لا بدَّ أن نقرأ، كان النَّاس قديمًا يقرؤون، أحدهم كان يقرأ وهو على فراش الموت، وإذا لم يستطع أن يقرأ طلب من غيره أن يقرأ له، ممكن الإنسان يقرأ بواسطة غيره، كثير من النَّاس لا يقرأ، ولكن يأتي بمن يقرأ له.

فالأخت هذه إذا كانت لا تقرأ، فمن الممكن أن تأتي بمن يقرأ لها، إذا كانت لا تقرأ في المصحف فلتستمع لقراءة القرآن، والآن هناك مصاحف مرتَّلة ومجوَّدة على الأشرطة والأقراص المدمجة وفي الإنترنت، وهناك إذاعات كاملة للقرآن.

وأنصحها وهي الَّتي تجيد أربع لغات أن تحفظ شيئًا من القرآن ولو جزء عم (الجزء الثلاثين)، ألا توجد غير هذه السور الأربع الَّتي تحفظينها؟ لماذا تبقى الأخت على هذه السور الأربع، وكأنَّه لم ينزل من القرآن غيرها.

وتستطيع الأخت أن تحفظ آيات من القرآن، أن تحفظ خواتيم سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا

QaradawiBooks.com

﴿ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦].

تستطيع أن تحفظ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

تستطيع أن تحفظ أواخر سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤].

وعند الأخت المقدرة على ذلك، فهي تتقن أربع لغات، فتستطيع أن تتعلَّم آيات من القرآن الكريم، والكسل ليس عذرًا لها، وإن كانت صلاتها صحيحة، لكن لماذا تسجن نفسها هذا السجن في أربع سور قصار فقط، وتظل ترددها، وعندها القدرة أن تقرأ الآيات الأخرى؟!

ثم لماذا تشجِّع الصغار والكبار على أن لا يتعلموا؟ هي تعلمت وأصبحت في وظيفة جيدة في أحد البنوك الكبيرة، فلتدع الآخرين ليصلوا إلى ما وصلت إليه، ثم هل ضرَّها التعلُّم أم أفادها؟! أنا أرى أنَّه أفادها، فأنا أرى لغتها في هذه الرسالة لغة جيدة، وأنَّها تستطيع أن تتفاهم مع النَّاس بأسلوب حسن، فعليها أن تشجِّع الآخرين، على القراءة والكتابة.

QaradawiBooks.com

النبي ﷺ كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، وهذه معجزة له، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. وكما قال البوصيري في بردته:

كفاك بالعلم في الأميِّ معجزة في الجاهليَّة والتأديب في اليتم[1]

فهي معجزة بالنسبة للنبي ﷺ، ولكن النبي ﷺ ـ وهو النبي الأمي ـ أوَّل من حارب الأمية، حتَّى إنَّه في غزوة بدر حينما أتيحت له الفرصة ووجد بعض الأسرى الذين يحسنون القراءة والكتابة، جعل فداءهم أن يعلِّم كل واحد منهم عشرةً من أولاد المسلمين القراءة والكتابة، فكان النبي الأمي ﷺ أوَّل من حارب الأمية.

فلا بدَّ أن نقرأ ونثقف أنفسنا، ولا بدَّ أن نمحو الأمية، وليس محو الأمية أن نعرف مبادئ القراءة والكتابة، بل أن نقرأ ونثقف أنفسنا ثقافة دينيَّة، وثقافة اجتماعيَّة، وثقافة سياسيَّة، فنحن نشكو هذه الأمية، أمية الثقافة وهي ـ للأسف ـ أمية شائعة عندنا، فهذه الأخت تعلَّمت وعرفت أربع لغات، ووصلت إلى مرتبة جيدة في الوظيفة، ولكنَّها ـ للأسف ـ لا تشجع غيرها أن يتعلم، هذا عيب كبير.

كان المسلمون قديمًا يطلبون العلم من المهد إلى اللحد، ويقولون: لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم، فإذا ظنَّ أنَّه عَلِم فقد جهل. إذا وصل الشخص لحالة في العلم ظنَّ معها أنَّه أصبح عالمًا كبيرًا وترك طلب العلم فقد أصبح جاهلًا، يصبح جاهلًا بقدر العلم؛ لأنَّ العلم بحر لا شاطئ له، لا نهاية له، الله تعالى يقول لرسوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

(١) البردة مع شرح الباجوري ص-٦٥، نشر مكتبة الصفا، القاهرة.

QaradawiBooks.com

ويخاطب الله النَّاس فيقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]. تعلَّم من العلم ما شئت أن تتعلم، وخُض في بحار العلم ما شئت أن تخوض، لن تصل إلَّا إلى القليل، لا بدَّ أن يطلب الإنسان العلم طوال حياته.

قال بعض الحكماء: يحسن بالإنسان التعلم ما دام يقبح منه الجهل، وكما يقبح منه الجهل ما دام حيًّا كذلك يحسن به التعلم ما دام حيًّا. وبعضهم قال: العلم من الشيخ أوجب، لأنَّ خطأه أقبح. الصغير إذا أخطأ قد يُغفر خطؤه، أمَّا الكبير إذا أخطأ فخطؤه شنيع، فتعلمه يكون أهم وأوجب من غيره.

فأرجو من الأخت أن تتخلَّى عن هذه الفكرة، وأن تشجِّع الصغار والكبار على التعلم والدراسة، وألَّا يكتفوا بما وصلوا إليه من الدراسة والعلم، فوصية حكماء الأمة: كن طالبًا للعلم ما حييت، اطلب العلم من المهد إلى اللحد.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الإسلام وضع أسس النهضة والحضارة

س: يحثُّ الإسلام على العمل، ويدعو القرآن إلى العلم، ولكنَّنا نجد في عصرنا الحاضر من المسلمين على عكس ذلك، بل نحن متأخرون من الناحية العمليَّة والعلميَّة، ولا نكاد نعرف للابتكار سبيلًا، في حين أنَّ الغرب سبقنا في هذا الميدان، والدليل التقدم العلمي الَّذي ينعمون به، فما تفسير ذلك؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الذي يسأل عنه هذا الشاب المسلم أمر واقع، وهو أنَّ المسلمين ـ للأسف ـ أصبحوا في مؤخرة الأمم، من ناحية الابتكار والاكتشاف والاختراع، وتأخرهم هذا أمر عارض في الحقيقة، ليس لطبيعة الإسلام الَّذي يدينون به، وليس لطبيعة الأمم الَّتي تدين بالإسلام، بعض النَّاس يريد أن يأخذ من هذا التأخر حجَّة أو دليلًا على أنَّ هذا التأخر من الإسلام نفسه، ويريد أن يتَّهم الإسلام بهذا، هكذا يرى بعض النَّاس من المستشرقين أو المبشِّرين المتحاملين منهم، وهناك آخرون يريدون أن يجعلوا هذا التأخر طبيعة لهذه الأمم نفسها، وأنَّها أمم متخلِّفة، وكلا الأمرين غير صحيح.

QaradawiBooks.com

مقومات الحضارة الإسلاميَّة:

أمَّا الإسلام فهو ـ كما يقول الأخ ـ يدعو إلى العمل، ويدعو إلى العلم، ويدعو إلى كل مقومات الحضارة، وكل مقومات النهضة، الَّتي تحتاج إليها الأمم القوية، وتحتاج إليها الحضارات، كل هذه المقومات يدعو إليها الإسلام.

التخصصات العلميَّة:

إذا كانت الحضارة تحتاج إلى علم؛ فأظنُّ الكلام في أمر اهتمام الإسلام بالعلم معادًا، ويكفي أن نقول: إنَّ أوَّل آية نزلت في القرآن الكريم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. وليس هناك كتاب مثل القرآن رغَّب في العلم، وحثَّ عليه، وقال: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

القرآن هو الَّذي أشاد بالعلم وبالعلماء، وأمر بالنظر والتفكير، وجعل التفكير فريضة وعبادة، أُمرنا به كما أمرنا بالصلاة والصيام، فقد أُمرنا بالنظر والتفكر في آيات كثيرة من القرآن: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ١٠١].

ولذلك قال العقاد رَحِمَهُ اللَّهُ: التفكير فريضة إسلاميَّة. وألَّف كتابًا بهذا العنوان: «التفكير فريضة إسلاميَّة»، وفعلًا التفكير فريضة إسلاميَّة، فريضة مثل الصلاة والزكاة وبر الوالدين، إلخ. فالتفكير فريضة من الفرائض، والعلم فريضة، واتفق علماء المسلمين وفقهاؤهم على أنَّ كل علم نافع لا يُستغنى عنه في دنيا المسلمين هو فرض كفاية، كعلم الطب، وعلم الرياضيات، وعلم الكيمياء، وعلم الفيزياء والبيولوجيا والجيولوجيا والهندسة، وأي علم يحتاج إليه المسلمون في الناحية العمرانية، أو في

QaradawiBooks.com

الناحية العسكرية، أو في أي ناحية من نواحي الحياة، على المسلمين أن يتقنوا هذه العلوم ويتفوقوا فيها، بحيث لا يحتاجون إلى غيرهم.

ومعنى فرض كفاية أي يجب أن يكـــون هناك عددٌ كافٍ من الخبراء والعلماء والمتخصصين المســـلمين في كل علم من هذه العلوم، بحيث لا يحتاج المســـلمون إلى غيرهم، فيحصل لهم الاكتفاء الذاتي، فموقف الإســـلام من العلم أمر معلوم، إذا كان العلم يقوم على النظر والتفكير، فهذا ما دعا إليه القرآن ودعت إليه السنة.

الإحصاء والتخطيط:

إذا كان العلم يقوم على الإحصاء، فالنبي ﷺ استخدم الإحصاء، أوَّلَ ما ذهب إلى المدينة بعـــد الهجرة، فقد روى مســـلم، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أَحْصُوا لي كم يلفظُ الإســـلامَ**»[1]. يريد أن يعرف قوته البشـــرية، لكي يستطيع أن يخطط لأموره العسكرية، وأموره الاقتصادية، ومفاوضاته مع أعدائه.. وغير ذلك.

وإذا كان العلم يقوم على التخطيط، فنجد هذا في القرآن الكريم، في قصَّة يوسف عليه السلام، فقصة يوســـف فيها تخطيط لخمسة عشر عامًا، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوســـف: ٤٧ ـ ٤٩]. الآن هم يخططون لخمس سنين، أو عشر سنين، هذا أقصى شـــيء، في قصَّة يوسف خطة خمس عشـــرية، وربنا ســـبحانه حينما يذكر هذه القصص فـــي القرآن: لا يذكرها للتسلية، وإنَّما يذكرها للعبرة والانتفاع بها.

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٦٠)، ومسلم في الإيمان (١٤٩)، عن حذيفة.

QaradawiBooks.com

والذي يقرأ قصص القرآن يجد فيها عناية بالعلم، ففي قصَّة آدم نجد كيف تفوق على الملائكة بالعلم: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۞ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١ ـ ٣٣]. وفي قصَّة سليمان، وكيف جاءه عرش بلقيس بواسطة رجل عنده علم من الكتاب: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

فما تحتاج إليه النهضة من العلم، الإسلام دعا إليه، وحثَّ عليه، والنبيُّ ﷺ أوَّل من قام بمشروع عملي لمحو الأمية، حين جعل فداء الأسير من أسرى بدر من المشركين: أن يعلِّم الواحد منهم عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة، لا يريد منه مالًا ولا يريد منه شيئًا غير هذا، فأي تقدير للعلم فوق هذا التقدير؟!

والقرآن الكريم أقسم بالقلم، والقلم هو أداة الكتابة، ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]. ومعنى أداة الكتابة أي أداة التقدم والتعلم.

العقلية العلميَّة:

وقبل ذلك ومعه، يضع الإسلام ركنًا ركينًا من أركان النهضة العلميَّة والماديَّة، وهو تكوين العقلية العلميَّة، فهناك ما يمكن أن نطلق عليه «العقليَّة العاميَّة» أو «العقلية الخرافيَّة»، وهي الَّتي تصدِّق كل ما يُقال لها، أو يعرض عليها، ولا تضعه موضع امتحان، بل تأخذه قضية مسلَّمة، ولا سيَّما إذا جاء من قبل من تعظِّمه، مثل الأجداد والآباء، أو السادة والكبراء، فتقول: إنَّا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. أو وجدنا سادتنا على ذلك يسيرون.

QaradawiBooks.com

وفي مقابل هذه العقلية المتَّبِعة، توجد عقلية أخرى مخالفة لها في مواصفاتها وخصائصها، وهي الَّتي عمل القرآن بآياته المشرعة والموجهة على إنشائها، وصياغتها، وإبرازها لتقوم بدورها في الحياة.

ومن المقرر المعلوم: أنَّه لا يمكن أن يزدهر العلم، وتتأصل جذوره، وتمتد فروعه، بل لا يمكن أن ينشأ علم صحيح، إلَّا في مناخ نفسي وفكري يهيئ للعقول أن تفكر، وللأفكار أن تتفتح، وللآراء أن تناقش، ولصاحب الحجة أن يدلي بحجته، وهذا ما يعمل القرآن على إيجاده في الحياة الإسلاميَّة، وبعبارة أخرى: يعمل القرآن بدعوته القوية، وبتوجيهاته المتكررة على تكوين «العقليَّة العلميَّة» المتحرِّرة، الَّتي لا ينهض علم إلَّا على عاتقها، فهو يرفض «العقليَّة الخرافيَّة»، ويرفض «العقليَّة المقلِّدة»، ويرفض «العقليَّة المتخرِّصة» ويرفض «العقليَّة المتبعة للهوى».

ومن قرأ القرآن وتدبَّره بحق وجد مقومات هذه العقلية العلميَّة مجسَّمة فيه.

وأهم سمات هذه العقلية العلميَّة أنَّها ترفض الظنَّ في كل موضع يُطلب فيه اليقين، قال ﷻ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]. وحقيقة الخرص ـ كما قال الراغب في «مفردات القرآن» ـ: «كل قول مقول عن ظنٍّ وتخمين يقال: خرص، سواء أكان مطابقًا للشيء، أو مخالفًا له، من حيث إنَّ صاحبه لم

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

يقله عن علم ولا غلبة ظنٍّ ولا سماع، بل اعتمد فيه على الظنِّ والتخمين، كفعل الخارص، فيخرصه، وكل من قال قولًا على هذا النحو، قد يسمَّى كاذبًا، وإن كان قوله مطابقًا للمقول المخبَر عنه»[١].

ومن أسس تكوين العقلية العلميَّة عدم اتباع الأهواء والعواطف في مجال العلم، فالهوى يُعمي ويُصم، واتباع العواطف قد يضلِّل الإنسان عن الحق، وخصوصًا العواطف الهوجاء، مثل الحب الشديد، والكره الشديد، والغضب الشديد، ولا غرو أن جاء في الحديث الصحيح: «**لا يقضيَنَّ حكم بين اثنين وهو غضبان**»[٢]؛ لأنَّ انفعال الغضب يسد عليه منافذ الإدراك الصحيح لجوانب القضية المختلفة، فيأتي حكمه غير سليم.

ولهذا عاب القرآن على المشركين هذين الأمرين: اتباع الظن وهوى الأنفس معًا، فقال في شأن أصنامهم الَّتي اتخذوها آلهة (اللات، والعزى، ومناة الثالثة الأخرى): ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

وقال الله تعالى لداود: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وقال في خطاب رسوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

---

(١) المفردات في غريب القرآن مادة (خ. ر. ص).

(٢) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٥٨)، ومسلم في الأقضية (١٧١٧)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

ومنها رفض التقليد الأعمى للآباء والأسلاف والكبراء، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠ ـ ١٧١].

وقال على لسان أهل النار: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧].

العمل والإنتاج:

ودعا الإسلام إلى ما تحتاج إليه النهضة والحضارة من العمل والإنتاج، فالإسلام دعا إلى العمل الدنيوي، واعتبره عملًا صالحًا وعبادة، إذا صحَّت فيه النية، والتُزمت فيه حدود الله، ورُوعي فيه الإتقان والأمانة، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يحبُّ إذا عمل أحدُكم عملًا أن يُتقنه**»[(١)].

فالإسلام اعتبر العمل عبادة، واعتبره في سبيل الله، ولم يرضَ أبدًا أن يجلس الإنسان ويقعد عن طلب الرزق بدعوى التوكل على الله، أو بدعوى أنَّه متفرِّغ للعبادة؛ لأنَّه لا رهبانية في هذا الدين.

امشِ في مناكب الأرض، وتحرَّك في جوانبها، واسْعَ فيها، واطلب رزق الله، وهذا نفسه عبادة، بل جاء في الحديث عنِ النبيِّ ﷺ: «**إنْ قامت الساعةُ، وبيدِ أحدِكم فسيلةٌ، فإنِ استطاع ألَّا تقوم حتَّى يغرسها فليفعلْ**»[(٢)]. لماذا يغرسها مع أنَّ الساعة قائمة، ولن ينتفع بها، ولن

(١) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩٢٩)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٠)، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

ينتفع بها أحد غيره؟ تقديسًا للعمل في حدِّ ذاته، وأن يظلَّ المسلم عاملًا منتجًا إلى النَّفَس الأخير من حياته، إلى أن يودِّع الحياة، يغرس ولو لم يأكل من غرسه أحد. فهل رأيتم دينًا يقدِّس العمل أكثر من هذا الدين؟

الصناعات المدنيَّة والعسكرية:

نحن متأخرون في الصناعة، مع أنَّ القرآن في طيات آياته يتكلم عن صناعات مختلفة، قال عن داود: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۞ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١٠ ـ ١١]. الصناعة العسكرية، اعمل دروعًا وقدِّر حلقتها، واضبطها جيدًا. وقال الله تعالى عن سليمان: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبأ: ١٢]. صناعة مدنيَّة هي صناعة التعدين، والقطر: هو النحاس المذاب.

وتحدَّث القرآن عن صناعة السدود، عن السد العظيم الَّذي صنعه ذو القرنين: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۞ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٦ ـ ٩٧]. وبعد أن أتمَّ هذا العمل قال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ [الكهف: ٩٨]. اعتبر هذا توفيقًا من الله، أن عمل مثل هذا العمل.

وتحدَّث القرآن عن الحديد، الَّذي هو العنصر الأساس في كل صناعة حربية أو مدنيَّة، بل في القرآن سورة باسم هذا المعدن، معدن الحديد، هي سورة الحديد، يقول الله فيها: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]. ويذكر الحديد مقرونًا بالكتاب والميزان، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]. وأشار إلى المهمَّتين

QaradawiBooks.com

الأصليتين للحديد، في الناحية السلمية والمدنيَّة، وفي الناحية العسكرية، وأهمية الحديد في الصناعة لا ينكرها أحد.

الصحة العامة:

إذا كانت النهضة تحتاج إلى الصحة العامة، فهل هناك دين دعا إلى العناية بصحة الإنسان وبدنه، حتَّى قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ لجسدِك عليك حقًّا**»[١]. وقدم الجناية على البدن على الجناية على الدين، وتقرر عند المسلمين أنَّ صحَّة الأبدان مقدَّمة على صحَّة الأديان، ونهى عن كل ما يؤذي الجسم، من المخدِّرات والمسكرات والمفتِّرات، وحتى الإرهاق ولو كان من قِبَل العبادة، لا ترهق نفسك حتَّى بالعبادة؛ لأنَّ الجسم السليم هذا مهم جدًّا ليكون وعاءً للعقل السليم، وليكون مطيةً للإنسان ليقوم بأعبائه الدينيَّة والدنيوية، فعن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، وحبل ممدود بين ساريتين. فقال: «**ما هذا؟**». قالوا: لزينب تصلي، فإذا كسلت أو فترت أمسكت به. فقال: «**حُلُّوه، ليُصَلِّ أحدُكم نشاطَه، فإذا كسل أو فتر قعد**»[٢].

النظام الاقتصادي الإسلامي:

ومن عُمُد النهضة المال، فماذا كان موقف الإسلام من المال ومن الثروة ومن الاقتصاد؟ لما أسلم عمرو بن العاص رضي الله عنه، أراد النبي أن يبعثه في سرية، فقال له: «**إنِّي أريدُ أن أبعثك على جيش، فيُسلِمك الله ويُغْنِمك، وأزعبُ لك من المال زَعْبَةً صالحة**»[٣]. قال: فقلت:

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصيام، عن عبد الله بن عمرو.
(٢) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٥٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٤).
(٣) أي: أعطيك دفعة من المال. والزعبة: الدفعة من المال. النهاية في غريب الحديث مادة (ز.ع.ب).

QaradawiBooks.com

يا رسولَ الله، ما أسلمت من أجل المال، ولكنِّي أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ. فقال: «**يا عمرُو، نِعِمَّا بالمالِ الصالحِ للمرءِ الصالح**»(١).

سيدنا عمرو ظنَّ أنَّ هذا نوع من الاتهام له، يسلمك الله ويُغْنِمك؟! وهل أسلمتُ من أجل المال؟! والله ما أسلمت من أجل المال، إنَّما أسلمتُ رغبة في الإسلام، وطلبًا لما عند الله. فقال له النبي ﷺ: «**يا عمرُو، نعمَّا المالُ الصالح للمرءِ الصالح**».

المال نعمة، وليس نقمة، المال خير، كما سمَّاه الله تعالى في القرآن، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥]. فالمال خير، وليس شرًّا، المال قوام للحياة، أو كما نقول في عصرنا عصب الحياة، ولذلك أمر الإسلام بالمحافظة على المال، ونهانا أن نعطيه السفهاء، حتَّى لا يبعثروه ذات اليمين وذات الشمال، ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥].

ووضع الإسلام نظامًا اقتصاديًّا هو أعدل الأنظمة وأمثلها، فقد سلم من غلوِّ الرأسماليين، وتطرُّف الشيوعيين، نظام في الإنتاج والتوزيع والاستهلاك والتداول، لا يعدله نظام قط، فيه كل ما تحتاج إليه الحياة الفاضلة، الحياة السليمة، الحياة القوية، الحضارة المتكاملة، الَّتي لا تأخذ جانبًا وتنسى جانبًا، ولا تنظر إلى الحياة من جانب واحد.

---

(١) رواه أحمد (١٧٧٦٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في البيوع (٢/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن عمرو بن العاص.

QaradawiBooks.com

الحضارة الإسلاميَّة حضارة متكاملة:

الحضارة الغربيَّة على الرغم ممَّا وصلت إليه من رفاهية وتكنولوجيا، هي حضارة عرجاء عوراء، تمشي برجل واحدة، وتنظر إلى الإنسان وإلى الحياة بعين واحدة، تنظر إلى الجانب المادي، وتنسى الجانب الروحي، ولذلك في الحقيقة هي ليست حضارة المسيح ابن مريم، إنَّما هي حضارة المسيح الدجال، المسيح الدجال أعور، وهذه حضارة عوراء، ليست حضارة متكاملة.

أمَّا الحضارة الإسلاميَّة الَّتي يريدها الإسلام فهي حضارة متكاملة، فيها الجانب الرباني، والجانب الإنساني، فيها العلم والإيمان جنبًا إلى جنب، والروح والمادة جنبًا إلى جنب، والمسجد والمصنع جنبًا إلى جنب، هذا ما يريده الإسلام.

تأخر المسلمين ناتج عن بعدهم عن الإسلام الصحيح:

فالواقع أنَّ الإسلام ليس هو المسؤول عن تأخر المسلمين، بل الحقيقة أنَّ تأخر المسلمين هو نتيجة البعد عن الإسلام الحقيقي، سوء الفهم للإسلام، وسوء التطبيق له، إنَّنا أخذنا من الإسلام قشورًا وتركنا اللباب، لو أخذنا الإسلام متكاملًا كما أخذه سلف هذه الأمة وقرونها الأولى لانتقلنا إلى ما انتقلوا إليه، ولسُدنا العالم، ولقُدنا الحياة من جديد، لكنَّنا لم نفهم الإسلام كما ينبغي.

فلذلك الذين يقولون: إنَّ التأخر بسبب الإسلام هم مخطئون، والتاريخ منذ وجد، امتداد وانكماش، انتصار وانهزام، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. وكذا كان تاريخ المسلمين ازدهارًا وخمولًا، ومن يتتبع التاريخ يجد أنَّ الازدهار والنصر والامتداد في حياة

QaradawiBooks.com

المسلمين قرناء للتمسك بالإســلام، وأنَّ الانكماش والخمول والخمود والهزيمة ناتجة للبعد عن الإسلام، وأقصد بالإسلام: الإسلام الصحيح.

فإذا أردنــا أن ننهض، فلا بــدَّ أن نرجع إلى ديننــا الحقيقي، ونوعِّي المسلمين بحقيقة الإســلام، وننشر الثقافة الإســلاميَّة والفكر الإسلامي السليم، وننقي عقول أبناء الأمة من الخرافة، وهذا لا بدَّ منه، حتَّى يتكوَّن فكر صحيح، يكون هو القاعدة العقائدية للأمة، كل أمة تحتاج إلى فكرة، أو ـ كما يقولون في هــذا العصر ـ إلى أيديولوجية، فمــا هي عقيدتنا أو فكرتنا أو أيديولوجيتنا؟ الإسلام وحده، فلا بدَّ من فكر إسلامي صحيح.

التخلف ليس طبيعة الأمم المسلمة:

وكذلك التخلف ليس طبيعة هذه الأمم الَّتي تنتمي للإسلام؛ لأنَّ هذه الأمم من قبل نهضــت، وأقامت الحضارة الإســلاميَّة الكبيرة المتكاملة، وقبل الإسلام هذه الأمم كانت لها حضارات، حضارة الفراعنة في مصر، وحضارة الأشــوريين في بغداد، وحضارة الفينيقيين في سوريا، وحضارة الهند، فشعوب الأمة الإسلاميَّة هي منبع الحضارة في التاريخ كله، فلذلك لا ينقصنا الذكاء، فلسنا أقل ذكاءً من غيرنا، ولا أقل قدرة من غيرنا.

المســألة تحتاج إلى فهم وعزم واتحاد، أن نفهم من نحن، وماذا نريد، وإذا صدق العزم وضح الســبيل، ووضع بعضنا يده في يد الآخر، وكنَّا قوَّة وكتلة، لا أقول الكتلة الثالثة في العالم، بل نستطيع أن نكون الكتلة الأولى، لأنَّ عندنا والحمــد الله من الموارد الماديَّة الاقتصاديــة ما ليس عند غيرنا، عندنا الطاقة، والموقع، فنحن صرة العالم، عندنا الرصيد التاريخي، والقوة البشــرية، فمصادر القوة ومنابعها عندنا، لا ينقصنا إلَّا أن يتحرَّك الإنســان المسلم، وأن يعي ويفهم ويريد، ويكون من وراء ذلك الخير إن شاء الله.

QaradawiBooks.com

تربية الأولاد في الإسلام

غير مرخصة للطباعة

س: ما رأيكم في كتاب: «تربية الأولاد في الإسلام» للشيخ عبد الله ناصح علوان رَحِمَهُ اللَّهُ، فهو يحرِّم فيه مشاهدة التليفزيون؟ فهل هو كتاب جيد نأخذ بكل ما فيه؟ أفيدوني أفادكم الله.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هو كتاب جيد في الجُملة، ولكن فيه تشديد في بعض الأمور، وكثير من إخواننا من أهل الشام متشدِّدون، فهم يعتمدون في آرائهم على بعض الأحاديث الضعيفة، وعلى بعض الأقوال الفقهيَّة، خاصَّة ما عند متأخري الأحناف ومتأخري الشافعية، ولا ينظرون في بقية المذاهب، ولا ينظرون في واقع النَّاس وفي حاجات النَّاس في عصرنا.

وعلى كلٍّ، فالكتاب فيه توجيهات طيبة للآباء، ولكن ليس كل ما فيه يؤخذ، فهذه التشددات لا ينبغي أن يُؤخذ بها؛ لأنَّنا إذا أخذنا بها نسد

QaradawiBooks.com

علـــى النَّاس أبوابًا وسَّـــع الله فيها، ونعسِّـــر ما يسَّـــره الله ﷻ، وقد قال نبينا ﷺ: «**يسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّـــرُوا ولا تُنَفِّروا**»[1]. فينبغي أن يكون ديدننا التيســـير لا التعسير، والتبشـــير لا التنفير، التيســـير في الفتوى، والتبشير في الدعوة، هذا هو المنهج الَّذي أتبعه، والحمد لله.

* * *

(١) سبق تخريجه صـ٤١٠.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

طلب العلم لكبيرة السن

س: المرأة الَّتي فاتهـا قطار العلم، وعندمـا أرادت أن تدرس حتَّى تخرج من بئر الجهل أخذ النَّاس يسخرون منها، ويقولون: بعد ما شاب راح الكُتَّاب. أريد أن أتعلَّم من أجل أن أعرف القراءة والكتابة وأسـاعد أولادي، فما ردُّكم على هؤلاء؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هؤلاء مخطئون قطعًا، الإسلام يفتح باب التعلم إلى آخر العمر، الإنسـان يطلب العلم من المهد إلـى اللحد، ما دام قـادرًا على أن يتعلم، فليتعلم، صحيح أنَّ التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، وأنَّ الأفضل أن يتعلم الإنسان في صغره بقدر الإمكان؛ لأنَّ الفرصة تكون أمامه أوسع، لكن ليس معنى هذا أنَّ الدُّنيا انتهت، وإنَّما يعني أنَّ الأخت الَّتي اقتربت من الأربعين فاتها كثير، لكنَّها قد تعيش إلى السـبعين، إلى الثمانيـن، فما زال نصـف عمرها أمامهـا، فالتعلم مطلوب.

الدول الآن تحاول محو أمية الكبار، بل تتيح باب تعليم الكبار، وقد رأينا بعض النَّاس الكبار تعلموا الإنجليزية والفرنسية وهم شيوخ كبار، فتعلموا وأتقنوا، ومنهم من حصل على الثانوية العامة، ومنهم من أكمل دراسته الجامعية.

وكم رأينا من أناس تعلموا كبارًا وفاقوا الذين تعلموا في صغرهم، فبعض من تعلموا في الكبر وكان عندهم ذكاء فطري وقدرات خاصَّة تفوَّقوا، أعرف من أخذ الثانوية العامة، ودخل الجامعة، وفاق الذين تعلَّموا تعليمًا نظاميًّا طوال حياتهم؛ لأنَّ الذكاء هبة من الله ﷻ، ومن الممكن ألَّا يتاح للإنسان هذا الأمر في صغره، ولكنَّ الله هيأ له الفرصة في الكبر، فلا ينبغي أن تفوته هذه الفرصة.

الإنسان يظل يتعلم طوال حياته، سُئل بعض الصالحين: أيحسن بالشيخ الكبير أن يتعلم؟ قال: يحسن بالإنسان التعلم ما دام يقبح منه الجهل، وكما يقبح منه الجهل ما دام حيًّا كذلك يحسن به التعلم ما دام حيًّا. وسُئل بعض العلماء: إلى متى تتعلم؟ قال: إلى الممات. وروي عن الإمام أحمد: مع المحبرة إلى المقبرة[1]. وقال سفيان بن عيينة: أحوج النَّاس إلى طلب العلم أعلمهم؛ لأنَّ الخطأ منه أقبح[2].

إذا كان العلماء الكبار يتعلَّمون، فالإنسان الَّذي ليس عنده علم أولى.

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي صـ ٣٧، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، ط ٢، ١٤٠٩هـ.

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٥٨٩)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

وأختنا السائلة تريد أن تساعد أولادها في دراستهم، وهذا أمر مهم في الحياة الآن؛ لأنَّه لا بدَّ أن يتعاون البيت مع المدرسة، والأم الأمية لا تستطيع أن تساعد أولادها ولا أن تتابعهم، ولكن إذا تعلَّمت تستطيع ذلك، خصوصًا في المراحل الأولى: المراحل الابتدائية والإعدادية.

فعلينا جميعًا أن نشجِّع هذه الأخت أن تتعلَّم، وأن نشجِّع كل من يرغب في طلب العلم أن يطلب العلم، وأن يزداد علمًا، وقد قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

* * *

نسخة مجانية
غير مسموح بالطباعة

غير مرخصة للطباعة

شراء الرسائل العلميَّة

س: ما حكم قيام البعض باستخدام المال في شراء الرسائل العلميَّة، كالماجستير والدكتوراه، حيث يتم الاتفاق بين بعض الراغبين في الحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه، وبين بعض مكاتب البحوث وتحقيق التراث بالدول الفقيرة، بعلم الباحثين، وبدون علمهم أحيانًا، بترشيح موضوعات، وإعداد خطط لنيل درجة الماجستير والدكتوراه، ومن ثَم القيام بكتابتها، حيث يتم توزيع فصل أو فصلين من الرسالة على كل باحث مقابل نظير مادي متفق عليه؟

وما رأيكم في قيام بعض أستاذة الجامعات أحيانًا بالاشتراك في تلك الجريمة عبر تحديد موضوع معين للراغب في شراء الرسالة العلميَّة، ومن ثم يقوم بجمع عدة فصول من رسائل تم إعدادها مسبَّقًا تتعلق بالموضوع، ويكون منها رسالة ماجستير أو دكتوراه ليبيعها للراغبين بالاتفاق معهم؟ وما أثر ذلك على تولِّي بعض هذه النوعيات، من الحاصلين على تلك الرسائل: مناصب قيادية في الدول الَّتي ينتمون إليها؟ نرجو التوضيح لتلك القضية من سيادتكم من زواياها المختلفة.. حفظكم الله.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإنَّ هذه المسألة من المسائل الَّتي تؤرق وتحزن، يشتري أحدهم البحث أو الرسالة العلميَّة، ليذهب إلى بلده، ويصبح الشيخ أو الأستاذ الدكتور فلان، أو يتصدر لمنصب لا يمتلك القدرة على القيام بأعبائه.

فلا فرق بين من يبيع علمه بأن يكتب بحثًا أو رسالة لطالب يحصل بها على لقب علمي، وبين من يبيع عضوًا من أعضائه، فهذا يبيع كليته وأنت تبيع عقلك.

والطالب الَّذي يحصل على درجة علميَّة لا يستحقُّها ويُقدِّم بحثًا أو رسالة علميَّة لم يكتبها، بل كتبت له: غاشٌّ، وعمله هذا عين الغش، و«**مَن غشَّنا فليس منَّا**»[1]، والأموال الَّتي يدفعها حرام على دافعها، وعلى آكلها.

وهذه الدرجة يتوقع أن تخوِّل حاملها لممارسة أدوار علميَّة وعمليَّة مميزة، تتمثل في ممارسة عمليَّة التدريس، وإعداد شباب الأمة إعدادًا علميًّا وعمليًّا للمساهمة في تنمية بلادهم، والمحافظة على مكتسباتها المختلفة، كما يتوقع أن يقوم حاملو الدكتوراه إضافةً إلى التدريس بالاضطلاع بمهمة البحث العلمي، الَّذي يمكِّنهم من إثراء المعارف العلميَّة في التخصص الَّذي ينتمون إليه، ويُناط بهم كذلك الإشراف العلمي على طلاب الدراسات العليا أثناء إجرائهم لبحوث الماجستير والدكتوراه، كما يتوقع منهم إلقاء المحاضرات العامة، وعقد الندوات واللقاءات العلميَّة، وتولي المناصب العلميَّة والعمليَّة، إلخ؛ فضلًا عن أنَّ حامل شهادة الدكتوراه أو الماجستير ينظر له الجميع نظرة تقدير وإجلال، فكل هذا يجعل ما يقوم به البعض من البحث عمَّن يكتب له

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠١)، وأحمد (٧٢٩٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

مقابل أجر مادي، ما هو إلَّا عمليَّة تزييف وخداع للنفس، قبل أن يكون خداعًا للمجتمع.

ومن أمانة العلم أن يُنسب القول لمن قاله، ولا يستفيد من الغير، ثم يسند الفضل إلى نفسه، فإنَّ هذا لون من السرقة، وضربٌ من الغشِّ والتزوير.

أمَّا حكم القائم أو القائمين بالبحث، فهم مُعِينون له على الكذب والغش، ومساعدون على منح الشهادات والدرجات لمن لا يستحقها؛ لأنَّ عملهم قائم على الغش والخداع، وأكل المال بالباطل، والتعاون على الإثم والعدوان؛ لأنَّ مقصود تلك الجهات العلميَّة والأكاديمية الَّتي تمنح الترقيات والدرجات العلميَّة: تمرين الباحثين على مهارات البحث واختبار قدراتهم، فالقيام بهذا عنهم من الفساد العام، وما يحصل عليه من يقوم بهذا من مال هو سحت حرام، يمنع إجابة الدعاء، والنبي ﷺ يقول: «**إنَّه لا يدخل الجنَّة لحمٌ نبت من سُحْتٍ، النَّار أولى به**»[1].

وأكثر أهل العلم والقانون وغيرهم على أنَّه لا يجوز التنازل عن الحق الأدبي، ولا زلنا نسمع عن مؤلفات أو مخترعات من مئات السنين، منسوبة إلى أصحابها، ولا تزال أسماؤهم مقرونة بها.

لذا فإنَّه لا يجوز للمؤلف التنازل عن نسبة ما أنتجه من جهد عقلي وعلمي، وكذلك لا يجوز لأحد أن ينتحل جهد غيره، فينسبه إلى نفسه، سواء كان بموافقته أم بدونها، فإنَّ هذا بلا شك نوع من الكذب والخيانة

(١) رواه أحمد (١٤٤٤١)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. والترمذي في السفر (٦١٤)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الصلاة (١٧٢٣)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

والتلبس بثياب الـزور، قال الله تعالـى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمـران: ١٨٨]. والنبـي ﷺ يقـول فـي الحديث المتفـق عليه: «**المتشبِّع بما لم يُعطَ كلابس ثوبَيْ زُور**»(١). وهم داخلون في قوله ﷺ: «**ومن ادَّعى ما ليس له فليس منَّا، وليتبوَّأْ مقعدَه من النَّار**»(٢).

قال النووي رحمه الله: «وفي الحديث تحريم دعـوى ما ليس له في كلِّ شيء، سـواء تعلَّق به حقٌّ لغيره أم لا»(٣). وقال بعض السلف: من بركة العلم أن يُسند إلى قائله.

وأخشى على الَّذي تولَّى عملًا يحتاج إلى شهادة أو بحث، فاشتراه من غيره ليحصل على الشهادة أو اللقب العلمي: أن يَحرُم عليه ما كسبه من وراء ذلك.

وأحبُّ أن أوضـح أنَّ هناك صورة أخرى تختلـف عن هذه الصورة الَّتي هي عيـن الغش والتدليس، وهـي صورة معاونة بعـض التلاميذ للعالِم، بجمع المادة العلميَّة في المسـألة، لضيق وقتـه، وكثرة أعبائه، وازدحام الأمور عليه، ثم يقوم هو بنفسـه بتحرير المسـائل، والترجيح والنظـر فـي الأدلـة، والمناقشـة للأقـوال المتباينـة، والاجتهاد في الموضوعات المتعددة، وفق أصوله الَّتي يعتمد عليها في مناقشة القضايا المختلفة، بما يدل على أنَّه عالم ومتمكن من البحث.

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢١٩)، ومسلم في اللباس والزينة (٢١٣٠)، عن أسماء بنت أبي بكر.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٦١)، وأحمد (٢١٤٦٥)، عن أبي ذر.

(٣) شرح النووي لمسلم (٥٠/٢).

QaradawiBooks.com

ويشترط لجواز هذه الصورة ألَّا يُبنى على هذا البحث درجة علميَّة، أو ترقية وظيفية يشترط فيها أن يقوم الباحث بالعمل بنفسه؛ لمنافاته حينئذٍ مع المقصود من البحث، وهو إظهار قدرة الباحث على البحث، وإظهار وتبيين إبداعه.

ونظرًا لضعف الهمم، وهشاشة الإعداد العلمي لطلاب الدراسات العليا غالبًا، فلعل من المفيد أن ننشئ مؤسسات تُعنى بالاستشارات العلميَّة والبحثية، بحيث يأتي الراغب في عمل رسالة جامعية إلى هذه المؤسسة، فيجد المستشار الشرعي، والمستشار اللغوي، والمستشار القانوني، والمستشار العلمي، إلى غير ذلك من التخصصات، بشرط أنَّ من سيقوم بهذا العمل لا تتعدى حدود عمله حدود المشرف على الرسالة: النصح، والتوجيه، وتمهيد الطريق، بينما يقوم الباحث بإعداد رسالته بنفسه.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

خطر المدارس الأجنبيَّة

س: أستاذي، لعلَّ ممَّا غفل عنه الكثيرون في عصرنا موضوع المدارس الأجنبيَّة، فها نحن نرى كثيرًا من العائلات في قطر تتهافت على إلحاق أبنائها وبناتها بتلك المدارس، لاعتقادهم أنَّه لا يدخل تلك المدارس إلَّا أبناء الطبقة الراقية من الناس، وهم يفرحون كثيرًا ويتفاخرون بأبنائهم الذين يتكلمون الإنجليزية بطلاقة، وفي المقابل لو قارنت هؤلاء بطلاب المدارس الحكومية، فستجد فرقًا واضحًا، فمستوى طلاب المدارس الحكومية القطرية أفضل بكثير في تعلم الدين واللغة العربية، وهذا هو الأهم، فما فائدة المجتمع من عضو يتحدَّث الإنجليزية بإجادة، بينما هو فارغ دينيًّا، ولا يستطيع التحدث بلغته الأم الَّتي هي أفضل لغة وأجمل لغة، فقد اختارها الله تعالى ليُنزل بها كتابه الخالد، وهو القرآن الكريم.

وأروي لكم حادثة وقعت في إحدى رياض الأطفال الأجنبيَّة في قطر، تبيِّن مدى خطورة هذه المدارس؛ قالت المعلمة الإنجليزية للأطفال: عندما تذهبون إلى منازلكم ادعوا محمدًا أن يأتي لكم بهدية، وانظروا ماذا يحدث. وفعل الأطفال ما قيل لهم، فلم يجدوا شيئًا، فقالت لهم المعلمة في اليوم التالي: ادعوا عيسى هذه المرة. ففعلوا ذلك، وفي اليوم التالي وجدوا الهدايا تنتظرهم.

QaradawiBooks.com

فانظر إلى هـذا الخداع، وهذا الغـزو الفكري والثقافـي والديني، ولمن؟ للأطفال الذين هم عجينة لينة تتشـكل بسـهولة، ترى أي شيء هذا؟ وأي جيل هذا الَّذي يشب على أيدي هؤلاء المعلِّمات؟

أسـتاذي ومعلمي، أرجو أن تهتم بهذا الموضوع في برامجك، وفي خطب الجمعة، وفي كتاباتك، وأن تحذِّر المسـلمين من الخطر القادم، قبل أن يتحول إلى كارثة، ويتحول الشـباب إلى شـباب قـد غُزِي في عقيدته وفكره وسلوكه ولغته، وليس له من الإسلام إلَّا اسمه.

واسـمح لي أن أوجِّه رسالة شـكر لكل أسـرة لم تغرَّها المظاهر وأرسلت أبناءها إلى المعاهد الدينيَّة، والمدارس القومية، بدلًا من تلك المدارس الهدامة.

(م.ع.ع)

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هذه الرسالة تشكو ممَّا يحدث في بعض المدارس الأجنبيَّة في قطر، والتـي يذهب بعض النَّـاس بأولادهم إليهـا، وكان المفروض في هذه المـدارس أن تراعي عقائد البلـد، وتراعي دينه، وتراعـي لغته، ولكنَّ الأخت تحكي حادثة غريبة.

ومثل هذه الحادثة قد تؤثـر في نفوس الأطفـال، وربَّما لا يحكي الأطفال ذلك لآبائهم وأمهاتهم، فتتأثر نفوسـهم بما تفعله تلك المعلمة أثرًا يصعب إزالته بعد ذلك.

QaradawiBooks.com

وينبغي للأخت السائلة أن تتقدَّم إلى الجهات المسؤولة وإلى المجلس الأعلى للتعليم بما فعلته تلك المعلمة، حتَّى تُزجر عن هذا، فالمجلس الأعلى للتعليم يشرف على المدارس الأجنبيَّة والمدارس الخاصة، والدولة تُلزم هذه المدارس بتدريس منهج التربية الإسلاميَّة والعلوم الشرعيَّة، ومنهج اللغة العربية، والتاريخ القطري، فكل المدارس في قطر ـ فيما أعلم ـ ملزمة بذلك، وعليها توجيه وتفتيش من المجلس الأعلى للتعليم، والمعلمة الَّتي فعلت ذلك يجب أن تُحاسب، وأن تُساءل، كيف فعلت هذا؟ ولماذا؟ وكيف تحاول أن تفسد عقائد أبناء المسلمين في بلد إسلامي؟ وأن تحاسب المَدْرسة كيف سمحت بمثل هذا؟

كيف نقاوم هذه المدارس الأجنبيَّة؟

ولكي نقاوم هذه المدارس؛ لا بدَّ أن نرفع مستوى التعليم في مدارسنا القومية ومدارسنا الحكومية، ونرفع مستوى الأداء، ومستوى الأدب العام، ومستوى النظام؛ لأنَّه عندما تتسيَّب مدارسنا القومية والحكومية يقول الناس: لا بدَّ أن نحافظ على أولادنا. وهذه المدارس ـ للأسف ـ يجب أن نعترف أنَّها تهتم بالنظام والترتيب والتأديب، وتعلم الأولاد كيف يحافظون على أوقاتهم، ولا يهملون واجباتهم، ويؤدون ما عليهم، فهذه المدارس لها نظام في غاية الدقة، الكل يؤدي ما عليه، المدرس يؤدي ما عليه، والطالب يؤدي ما عليه، وهذا لا يوجد ـ للأسف ـ في مدارسنا، لا بدَّ أن نرتقي بمدارسنا، حتَّى نستغني عن هذه المدارس.

وأرى أنَّ هناك واجبًا على وزارة التربية، وواجبًا على الآباء والأمهات، وزارة التربية عليها أن ترتقي بمسؤوليتها تجاه هذه المدارس،

QaradawiBooks.com

وسمعتُ منذ أيام أنَّهم قرَّروا أن يكون تعليم اللغة الإنجليزية من الصف الرابع، وهذا شيء جيد؛ لأنَّ الذين يذهبون إلى المدارس الأجنبيَّة يذهبون بحجة تعليم الأولاد اللغة الأجنبيَّة، واللغة أصبحت ضرورية في الحياة الآن، ولكن ـ كما تقول الابنة العزيزة ـ يتعلم التلميذ اللغة الأجنبيَّة، ويضيع لغته الأصلية، فماذا كسب؟

واجب الأسرة تجاه الأولاد:

فلا بدَّ من رعاية اللغة الأصلية، وهذا يحتاج من البيت أن يهتمَّ بهذا الأمر، الأب والأم يقوي اللغة العربية لابنه، وقد تأتي بمدرس خاص أو مدرسة خاصَّة لتحفيظ الأولاد القرآن، وتعليمهم اللغة العربية.

وهذه المدارس قد اعترفت بها الدولة، وهي موجودة، ولن نقدر أن نلغيها، فيجب على الأسرة أن تحاول سدَّ النقص الموجود في تعلم الدين، وتعلم اللغة العربية، وتحاول أن تسدَّ النقص بتعليم الأولاد القرآن، وتعليمهم الصلاة، وربط الأولاد بكل وسيلة بدينهم ولغتهم، والآن هناك شركات مختصة تنتج برامج لتربية الأطفال وتعليمهم، مثل «دار سفير» و«أطفالنا» في مصر، وغيرهما الكثير.

فلا بدَّ من الاستعانة بمثل هذه المخرجات التربوية، حتَّى نحافظ على الشخصية الدينيَّة، والشخصية العربية لأبنائنا، كي لا يضيعوا في خضم هذه المدارس الَّتي غزتنا من كل جانب.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

اتِّكال الأمهات على الخادمات

س: هل يجوز للمرأة أن تترك أولادها مع خادمة؛ لأنَّها تكون مشغولة بأعمال في خارج المنزل، مثل الطب والتعليم والدعوة؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

إذا كانت الخادمة مأمونة، وتستطيع أن تقوم بالدور التربوي الَّذي تقوم به الأم أو قريبًا منه؛ فلا مانع، أمَّا إذا كان الأولاد سيضيعون، فإنَّ العمل الأول للمرأة هو البيت والأولاد، الشاعر حافظ إبراهيم له بيت معروف مشهور يحفظه الخواصُّ والعوامُّ يقول:

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددتَها أعددتَ شعبًا طيِّبَ الأعراقِ[1]

المدرسة الأولى الَّتي يتعلَّم فيها الطفل هي الأم، وخصوصًا في السنوات الأولى، لأنَّ السنوات الأولى هذه هي الَّتي تغرس فيها البذرة

(١) انظر: ديوان حافظ صـ ٢٧٠، ضبط وتصحيح أحمد أمين بك وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٤٨م.

QaradawiBooks.com

الأساسية، وتتكون فيها الصفات والأخلاق والعادات، فإذا كان عمل الأم سيكون على حساب أبنائها، ستكسب منه المال وتضيِّع الأولاد، فإنَّ هذه خسارة كبرى لا تعوَّض بالأموال ولو بالملايين، فعلى الأم أن توازن، وإذا كان عملها سيضيع أولادها منها، فبئس العمل، ولا يجوز لها ذلك، فالأولاد هم أولى بالرعاية من كل شيء، والنبي ﷺ قال: «**ألا كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته، فالإمام الَّذي على النَّاس راعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأة راعيةٌ على أهل بيت زوجها وولده، وهي مسؤولة عنهم، وعبدُ الرجل راعٍ على مال سيِّده، وهو مسؤول عنه، ألا فكلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته**»[1].

فإذا ما كبر الأولاد قليلًا، واستطاعوا أن يتحمَّلوا مسؤولية أنفسهم، فقد تخفُّ مسؤولية الأم.

وللأسف، فإنَّ كثيرًا من الأمهات غير العاملات يعتمدن على الخادمات، وهذا من الظواهر الاجتماعيَّة في بلاد الخليج، فتجد الأم غير العاملة، ربة البيت ـ لا هي طبيبة، ولا هي معلمة، ولا هي مشغولة بالدعوة، كما تقول الأخت ـ تترك أولادها عند الخادمة الهندية أو الفلبينية أو الإندونيسية، وتنشغل بأشياء تافهة، وتهمل أولادها.

الولد فِلذة الكبد، وهو قرة العين، ومهجة الفؤاد، وأنتِ مسؤولة عنه أمام الله، الأب مسؤول، والأم مسؤولة، وفي السنوات الأولى الأم مسؤولة أكثر؛ فالأب في عمله، والأم هي الَّتي تعايش الأولاد ليلًا ونهارًا، فيجب على الأم في هذه الحالة أن ترعى أولادها، ولا تنشغل عنهم بأيِّ شيءٍ مهما كان.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢١.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الأب ومشاكل الصغار

س: هل يجب على الزوج (الأب) المشاركة في دورة مشاكل تعليمية لحل عناد الأطفال الصغار؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لا يجب على الأب شرعًا أن يشارك في هذه الدورات الَّتي تعقد لحل مشاكل الأطفال الصغار، فإنَّ هذه الدورات لا تكاد تنتهي، فقد تعقد دورة لمشكلة العناد، وأخرى لتأخر النطق، وثالثة لتأخر المشي، ورابعة للبول، وخامسة.. وسادسة.. وعاشرة!

وإنَّما الواجب على كلٍّ من الأبِ والأمِّ أنْ يجتهدا في معرفة حلول مشاكل أطفالهما بالمشاركة في دورة أو أكثر إن تيسَّر ذلك، أو بالقراءة والتثقف في الموضوع، أو الاستماع إلى المحاضرات أو البرامج التلفزيونيَّة والإذاعيَّة، أو اكتساب الخبرة من الأمهات السابقات، والآباء السابقين، وأن يتعاون الأبوان كلاهما على حسن تربية الأولاد، فهم

أمانة في أعناقهم كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته، والرجلُ راعٍ في أهل بيته وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأةُ راعيةٌ في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها**»(١).

* * *

(١) سبق تخريجه صـ٢١.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حكم حصول الطالب على درجة لا يستحقها

س: هل يعتبر من شهادة الزور أن أحصل على الامتياز وأنا لا أستحق إلَّا درجة جيد جدًّا؟ وماذا لو كانت درجاتي بالفعل لا تؤهلني للامتياز، ولكن أخلاقي ونشاطي المدرسي يعوِّض ذلك؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

إذا كان نظام الدراسة يعطي الدرجة على مجموع ما يحصل عليه الطالب، من درجات أو تقييم لجوانب مختلفة من أنشطة وتفاعل وأخلاق: فلا بأس، أمَّا إذا كان السائل يسأل عن أن يحصل على درجات لا يستحقها، بأن يتقرَّب مثلًا من الأساتذة، أو يأخذ درسًا خصوصيًّا عند بعضهم، أو غير ذلك من الطرق الَّتي فيها غش وخداع، فلا يجوز هذا، فالإنسان لا ينبغي أن يأخذ شيئًا فوق حقه، إذا كان يستحق درجة «جيد»، فلا يأخذ درجة «جيد جدًّا»، وإذا كان يستحقُّ درجة «جيد جدًّا» لا يأخذ درجة «امتياز»، فهذا من الغش؛ لأنَّه أولًا يأخذ حقَّ غيره، فالامتياز قد يكون من حقِّ إنسانٍ آخر نابغة مجتهد، فتأتي أنت وتأخذ هذا منه، قد

QaradawiBooks.com

يكون هو الأول على دفعته، فتأتي أنت بطرق غير مشروعة فتكون الأول ويصبح هو الثاني، فـإذا احتاجت الكليَّـة إلى معيـد، تُعيَّن أنت وهو لا يُعيَّن، فتأخذ حق غيرك.

ثم من ناحية ثانية: هذا غش للمجتمع، فالمجتمع يقوِّم مستواك في تخصصك أنَّك ممتاز، والحقيقة أنَّك متوسط المستوى!

وكون أخلاقك طيبة، وتمارس بعض الأنشطة لا علاقة له بدرجتك الدراسية، فدرجة ممتاز أو جيد جدًّا تُعطى للنابغين الأذكياء، فلا ينبغي أن تأخذ درجة لا تسـتحقها، بطريقة من الغش، أو بالضغط على بعض الأساتذة، ليعطيك ما لا تستحقه، كل هذا لا يجوز، وهذا يدخل في قول النبي ﷺ: «**من غَشَّنا فليس منَّا**»[1].

(١) سبق تخريجه صـ٥٥٨.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

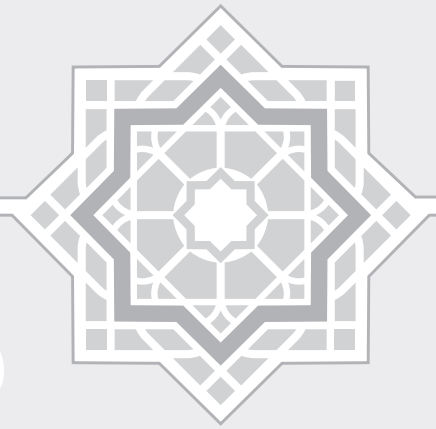

الفقـه الجنـائي

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

هل استخدام الواقي الذكري يمنع الزِّنَى

س: ما حكم الواقي الذكري للرجال؟ وهل يمنع هذا العازل وقوع جريمة الزِّنَى الشرعي، حيث تنتفي الملامسة المباشرة بين الأعضاء، كما أنَّه لا يوجد إنزال للمني داخل الرحم، ولا تختلط الأنساب؟ نرجو بيان ذلك.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الزِّنَى هو إيلاج الذكر في الفرج، فإذا أولج الرجل ذكره في فرج امرأة محرَّمة عليه فهذا هو الزنى، سواء كان بعازل أم بدون عازل، أنزل أو لم ينزل، وهذا باتِّفاق أهل العلم، يجب الحدُّ على فاعله.

وليست علة تحريم الزِّنَى مقصورة على اختلاط الأنساب، فهي ليست العلة الوحيدة، ولا العلة الجامعة المانعة؛ لأنَّها لو كانت العلة الوحيدة الجامعة المانعة لجاز للرجل أن يزني بالمرأة العاقر الَّتي لا تحمل، ولجاز زنى الرجل العقيم الَّذي لا يولد له، فلا خوف من اختلاط الأنساب، ولجاز الزِّنَى بالمرأة الحامل، أو بالمرأة الَّتي يئست

QaradawiBooks.com

من المحيض، أو بالصغيرة الَّتي لم تحض. الله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]. جعل العلة أنَّه فاحشة ـ والفاحشة: هي كل ما يشتد قبحه من الذنوب ـ وأنَّ عاقبته وخيمة، فكون الرجل يهتك حرمة امرأة ليست زوجته هذا هو الزِّنَى، سواء ترتب عليه حمل أم لم يترتَّب، وسواء أكان من ورائه اختلاط أنساب أم لم يكن، فاختلاط الأنساب علة من علل تحريم الزنى؛ لكنَّها ليست العلة الوحيدة، ولا العلة الجامعة المانعة.

علة تحريم الزِّنَى:

وتحريم الزِّنَى له علل كثيرة، منها: أنَّ الإنسان يجب أن يصون شهوته، فلا يستمتع بهذه الشهوة إلَّا مع زوجته أو ما ملكت يمينه، كما قال الله تعالى في وصف المؤمنين المفلحين: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٧].

فلا يطيع الإنسان شهوته فيكون عبدًا لها، فاتباع الشهوات هو الَّذي ضيَّع الأمم ودمَّرها، وأصابها بالانحلال، ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩]، فكم من الطاقات ضاعت، وكم من المحارم انتهكت، وكم من العقول تاهت، في سبيل الإباحية واتباع الشهوات.

والآن نحن نعلم ما أصاب المجتمع الغربي من وراء هذه الإباحية والانحلال، من تفكُّك أسري ومجتمعي، ومن تبديد طاقات الشباب، ومن.. ومن... إلخ. وما الإيدز وغيره من الأمراض إلَّا نتيجة استباحة الأعراض، وأنَّ الإنسان يستبيح ما ليس من حقه.

QaradawiBooks.com

والإسلام لا يحرِّم تصريف الطاقة الجنسيَّة في الحلال، ولا ينظر إليها نظرة استقذار، لكن المهم أن تكون هذه الطاقة الجنسيَّة في نطاق عقد مشروع، وهو عقد النكاح، فقد دعا الإسلام للزواج، وجعله آية من آياته، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، وقال رسول الله ﷺ: «**يا معشرَ الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّجْ**»[(١)]. بل جعل الإسلام تصريف الشهوة في الحلال من القربات إلى الله تعالى، قال ﷺ: «**وفي بُضْع أحدكم صدقة**». قالوا: يا رسولَ الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتُم لو وضعها في حرامٍ أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»[(٢)].

وعلى أساس عقد الزواج يتكوَّن البيت المسلم، والأسرة المسلمة، وتكون هناك المسؤولية، حق الزوج على زوجته، وحق الزوجة على زوجها، هذا هو الَّذي يريده الإسلام، لا يريد للإنسان أن يكون عبدًا لشهوته، يصرفها متى شاء وكيف شاء، لا، فإنَّ هذا هو الفساد.

* * *

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النكاح، عن ابن مسعود.

(٢) رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦)، وأحمد (٢١٤٧٣)، عن أبي ذر الغفاري.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

زواج الرجل بامرأة زنى بها

س: إذا ارتكب إنسان الفاحشة مع امرأة متزوجة، ثم مات عنها زوجها، هل يجوز له أن يتزوجها على كتاب الله وسنة رسوله؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

نعم يجوز له أن يتزوَّجها، وهذا هو الأولى، ليصلح ما أفسده معها؛ فهو قد ارتكب كبيرتين مع هذه المرأة، كبيرة الزِّنى، وكبيرة إفساد المرأة على زوجها، بأن كان سببًا في خيانتها لزوجها، وربَّما كان سببًا في أن تتمرَّد عليه، وقد رُوِي أنَّ عمر رضي الله عنه ضرب رجلًا وامرأةً في الزِّنى، وحرص على أن يجمع بينهما[1].

* * *

(١) رواه الشافعي في الأم (١٣/٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الإقرار بنسب الولد من الزِّنَى

س: إنَّني مغربي، أعيش في فرنسا، وعمري ستَّة وعشرون سنة، ولي ابن من الحرام من امرأةٍ كتابية، عمره تسعة عشر شهرًا، فقد كنت أعاشر هذه المرأة بغير عقد أيام الغفلة والمعصية، الَّتي تاب الله عليَّ منها، وقد تزوجت من هذه المرأة بعد أن حملت، فهل يعتبر هذا الطفل ابني أم لا؟ وما حكم الدين في ذلك؟ وماذا يجب عليَّ أن أفعل الآن؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الإمام ابن تيمية وابن القيِّم وبعض السلف، قالوا: إنَّ نسب ولد الزِّنَى يثبت إذا استلحقه الزاني ولم ينازعه فيه أحد. ونسب ابن القيِّم هذا القول في «زاد المعاد» للحسن البصري، وعروة بن الزبير، وسليمان بن يسار، قال ابن القيِّم: «قالا: أيُّما رجلٍ أتى إلى غلام، يزعم أنَّه ابن له، وأنَّه زنَى بأمه، ولم يدَّعِ ذلك الغلام أحد، فهو ابنه. واحتج سليمان بأنَّ

نسخة تجريبية

عمر بن الخطاب كان يُليط أولادَ الجاهليَّة (أي: يلحقهم) بمن ادَّعاهم في الإسلام، وهذا المذهب كما تراه قوَّة ووضوحًا»[١].

وهذا المذهب هو الَّذي أرتضيه وأختاره؛ حفاظًا على الابن من أن يُرمى في الطريق، وبخاصَّة أنَّ السائل يعرف أنَّه من صلبه ويعترف به.

والجمهور قالوا: يجوز أن يُقرَّ إنسان بنسب إنسان، ووضعوا لذلك شروطًا، وهي: أن يكون المقر به مجهول النسب، وألَّا ينازعه فيه منازع؛ لأنَّه إن نازعه فيه غيره تعارضا، فلم يكن إلحاقه بأحدهما أولى من الآخر، وأن يمكن صدقه بأن يحتمل أن يولد مثله لمثله، فلا يكون ـ مثلًا ـ عمره ثلاثين سنة ثم يأتي واحد عمره خمسة وعشرين سنة ويقول: هو ابني، كيف يكون ابنك والفرق بينكما خمس سنين؟! ومن الشروط أن يكون الملحَق ممَّن لا قول له، كالصغير والمجنون، أو يصدِّق المُقِر إن كان عاقلًا راشدًا.

فإقرار السائل بنسب هذا الطفل يجعله ابنه، وهذا هو الَّذي ينبغي عليه في هذه الحالة، ولا حرج عليه إن شاء الله، وندعو الله تعالى أن يغفر له ما مضى، المهم أن يصحح العلاقة بهذه المرأة بعقد شرعي صحيح، يُشهد عليه بعض الناس، بحيث تنقلب العلاقة المحرَّمة إلى علاقة مشروعة، بأن يعقد على المرأة، ويدفع لها مهرًا، ويُشهد على هذا العقد، وعفا الله عمَّا سلف، وغفر له ما مضى، ما دام قد تاب إلى الله، وأصبح ملتزمًا بتعاليم الدين، مؤدِّيًا للفرائض، مجتنبًا للمحرَّمات.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣٨١/٥).

QaradawiBooks.com

حكم الزاني المحصن

س: نحن نعلم حـدَّ الزاني الأعزب والمتزوج، ولكن سـألني أحد المسـلمين العقلاء مرَّة: ما حكم الزاني المطلَّـق أو الأرمل الَّذي ماتت زوجته؟ إنَّه عندما كان يزني لم يكن عنده امرأة!

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

حكم الزاني المطلَّـق أو الأرمل الَّذي ماتت زوجتـه، أنَّه محصن، والإحصان عبارة عن مجموعة من الشـروط، إذا توفرت في الزاني كان عقابه الرجم، وهذه الشروط هي: البلوغ، والعقل، والحرية، والوطء في نكاح صحيح: فلو تمَّ عقد النكاح ولم يقع الجماع لم يكن محصنًا، ولو وطئ في نكاح فاسد لم يتحقَّق وصف الإحصان أيضًا.

الفقهاء لا يشترطون لكي يكون الزاني محصنًا أن يكون عند الرجل زوجة سـاعة الزِّنى، وهم لا يشـترطون بقاء الزوجية إلى وقت الزِّنى، بمعنى أنَّـه لو طلَّق امرأتـه أو ماتت بعـد تحقق الشـروط، فإنَّ حكم الإحصان يلازمه، ولا يرتفع عنه.

QaradawiBooks.com

لكن كان للشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ بحث في تفسيره «تفسير المنار»، رأى فيه أنَّ المعقول أنَّ المحصن هو من عنده زوجة تحصنه وتمنعه من الزِّنَى، وقت وقوعه في الفاحشة، أمَّا من ماتت امرأته أو طُلِّقت، وليست عنده امرأة وقت وقوعه في الفاحشة، فالأقرب أنَّه ليس محصنًا[1]، وهو كلام معقول، وقاله أيضًا العلامة الشيخ مصطفى الزرقا، وسمعتُه منه حفظه الله.

* * *

(١) تفسير المنار (٢١/٥).

QaradawiBooks.com

تعرَّضت للاغتصاب في طفولتها، فماذا تفعل؟

س: لي صديقة مظلومة وبريئة، وهي بعد شـــهر ستتزوج من قريب لها، وهو يحبُّها، وهي قبلت الـــزواج منه، وهي ذات دين وخلق، ولكن المشكلة أنَّ صديقتي همست في أذني بأنَّها خائفة من الزواج، وشاهدتها أكثر من مرَّة وهي تبكي، فلمَّا ســـألتها عن سرِّ بكائها قالت لي: اعهدي لي بـــأن لا تذكري لأحد قصتي هـــذه. فعاهدتها بذلـــك. فأخبرتني أنَّها تعرَّضت لحادثة اعتداء واغتصاب وهي في مرحلة الطفولة، كان عمرها نحو تسع سنوات، وهي لم تحكِ قصَّة الاعتداء هذه لأحد، حتَّى لأمها، من خوفها، والآن هي خائفة ومرتعشة، تخشـــى أن تُتَّهم في عفتها، وأنا أعلم ـ والله ـ أنَّها مُحصنة وعفيفة وبريئة، فماذا أفعل لصديقتي هذه؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فهذه مشكلة في الحقيقة، كان عليها أن تخبر أمها على الأقل أيام أن حدث لها هذا، لتنظر من هذا الشخص الَّذي فعل هذا، ويأخذ جزاءه في هذا الوقـــت، أو يتزوجها، أمَّا الآن بعـــد هذا الســـن، ولعلَّها الآن فوق

QaradawiBooks.com

العشرين، فقد أصبحت المشـــكلة معقَّدة، وللأسف كثير من الرجال إذا قيل له مثل هذا يشـــكُّ في المرأة، ويقلق بعد ذلك، وربَّما يفض الزواج وينقضه، ويطلِّقها أو يفسخ العقد، فهي في مشكلة كبيرة.

لكن إن كان الزوج من العقلاء الحكماء، تستطيع هذه الفتاة المظلومة البريئة المعتَدى عليها أن تقـــصَّ عليه القصة، وتقول له ما حدث لها في طفولتها، والآن الأطباء باستطاعتهم أن يعرفوا البكارة: هل هي مُزالة من قريب أو من بعيد، فيمكـــن لهذا الزوج أن يأخذهـــا ويذهب إلى طبيبة ليعرف هل هذه البكارة زالت من قريب أو من بعيد؛ لأنَّ الأطباء عندهم من الوسائل والآليات ما يستطيعون أن يعرفوا به هذا الأمر.

والإنسان صاحب البصيرة يستطيع أن يعرف البريئة من غير البريئة، يســـتدل بســـلوكها على صدقها وعفتها، خصوصًا لو كانت بنت عمه أو بنت عمته، أو بنت خاله أو بنت خالته، فهو يراها كل يوم، ويعرفها من ســـنين طويلة، ويعرف أخلاقها وســـلوكها، هل هي لعوب؟ هل هي من العابثات؟ مِن اللاتي يحاولن الإغراء فيطمع الَّذي في قلبه مرض، أم هي من الجادات المحتشمات؟ يســـتطيع أن يعرف ذلك، فإذا كان الأخ من هذا النوع الحكيم العاقل يمكن أن تخبره بالحقيقة.

ونسأل الله لهذه الفتاة المظلومة ولأمثالها أن يفرِّج كربتها، ويكشف غمَّتها، ويجعل لها مخرجًا، والله تعالـــى يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطـــلاق: ٢ ـ ٣]. ويقول ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤].

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

زواج الرجل ابنة من زنى بها

س: فقد أوقعني الشيطان مرَّة من المرات، فزنيت بامرأة جاري، وهي مرَّة وحيدة، وندمت عليها ندمًا شديدًا. وهذه المرأة امرأة صالحة، وذات دين وخلق، وما عرف عنها انحراف قط، ولكنَّ الشيطان أغراني وأغراها نتيجة خلوة، وكان عمري تسعة عشـــر عامًا في ذلك الوقت، ثم انتقلت من هذا المكان الَّـــذي كانوا فيه إلى مكان آخـــر، وبعد أن مرَّت خمس سنوات ذهبت ذات يوم لهذا المكان، فنزلت فتاة من الحافلة، فأعجبت بها، فســـألت عنها، فوجدت أنَّها بنت هذه المـــرأة الَّتي وقعت معها في المعصية، ووقع حبُّ هذه الفتاة في قلبي، وسألت عنها، فقد وجدت أنَّها مستقيمة ومؤدبة وعلى خلق، وأنا الآن أريد أن أتزوج بهذه الفتاة، فبعثت ببعض أخواتي إلى أهلها، فوجدت الموافقة من الفتاة ومن أهلها.

فهل يحول ما حدث في الزمن الماضي بيني، وبين الزواج من هذه الفتاة الَّتي تعلَّق بها قلبي؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة مجانية

(وبعد)

أقول لهذا الابن التائب إلى الله: إنَّ الفقهاء مختلفون في هذه القضية، هل الزِّنَى بالأم يُحرِّم بناتها على الزاني أم لا؟ هناك من العلماء ـ وهم الأحناف ـ من يقولون: إنَّ الرجل إذا زنى بامرأة حرم عليه أصولها وفروعها، لا يجوز أن يتزوج أمها، ولا أن يتزوج بنتها.

ولكنَّ رأي جمهور العلماء أنَّ الحرام لا يحرِّم الحلال، وأنا أرجِّح هذا الرأي، وأرى أنَّ أدلته أقوى، وأنَّ الأصل أنَّ هذا الزواج حلال.

فالزِّنَى بالمرأة ليس كالزواج منها؛ والله تعالى إنَّما حرَّم على من تزوج امرأة ودخل بها أن يتزوج بنتها؛ لأنَّ بنتها في هذه الحالة تعتبر ربيبته، كما قال الله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]. ولذلك قال العلماء: العقد على البنات يحرِّم الأمهات، والدخول بالأمهات يحرِّم البنات.

ومع ذلك، ففي الزواج بهذا الفتاة من الخطر ما فيه، فربما يضعف الرجل، وربَّما تضعف المرأة، وربَّما يحنُّ أحدهما إلى الماضي، يحنُّ إلى تلك الجريمة الآثمة، والفاحشة العظيمة، فهذا أمر خطير جدًّا، فلا بدَّ أن تتأكَّد من نفسك تمامًا أنَّك ما عدت تفكر في هذه المرأة، وأنَّها لم تعد تفكر فيك، وأنَّها نادمة على ما مضى كما ندمتَ؛ لأنَّك من وقت زواجك بابنتها ينبغي أن تنظر إليها على أنَّها مثل أمك، وهي تنظر إليك أنَّك أصبحت بمنزلة ابنها، أصبحت محرمًا لها، وأصبحت محرمًا لك.

QaradawiBooks.com

فأقول للابن التائب إلى الله: إذا كان واثقًا من نفسه تمامًا، وواثقًا من حماته أيضًا أنَّها امـــرأة صالحة كما قـــال، وأنَّ ما جرى كان زلة شيطان، وزلة قدم، ولن تتكرر، ومرَّت عليهم السنوات، ولم يحصل أي شـــيء كما قال، فلا مانع أن يأخذ برأي الجمهـــور من أنَّ الحرام لا يحرِّم الحلال.

* * *

نسخة مجانية
غير مخصص للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

جريمة الزِّنَى بشقيقة الزوجة

س: رجل متزوج وأمضى سنين طويلة وهو ـ والعياذ بالله ـ يزني بشقيقة زوجته، وزوجته تعلم بذلك، والناس كذلك، فما الحكم في ذلك؟ هل تحرم عليه زوجته بارتكاب فاحشة الزِّنَى مع شقيقتها؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أعوذ بالله، هذا شيء فظيع، كيف يمكن لإنسان أن يفعل هذا؟ وكيف يمكن للزوجة نفسها أن تقبل أن يزني زوجها وهي تعلم؟ ويزني بمن؟ بأختها! وكيف تقبل المرأة المزنيّ بها وهو زوج أختها؟ المفترض أنَّ الأخت تحافظ على أختها، أمَّا أن تخون أختها؛ فهذا فساد كبير والعياذ بالله.

الأمر ليس مجرَّد أن زوجته تحرم عليه أو لا تحرم، الأمر أعظم، هو يرتكب جريمة عظيمة، إحدى الموبقات السبع، جريمة الزِّنى، ثم هو متزوج، وزِنى المتزوج أشدُّ من زِنى العزَب، ولذلك الشرع جعل عقوبة

QaradawiBooks.com

الزاني العزَب مائة جلدة، ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]. أمَّا الزاني المحصَن فعقوبته عند عامَّة الفقهاء الرجم، فهذا إنسان متزوج، ويترك زوجته الحلال الطيب ويزني بالمرأة الأخرى، ثم هو يزني بشقيقة زوجته!

إن كان ولا بدَّ طلِّق زوجتك، ثم تزوَّج أختها، فالله تعالى شرع الطلاق وشرع الزواج بأخت الزوجة، فالمحرَّم شرعًا أن يتزوج الأختين معًا، وأن يجمع بينهما في عصمته، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣].

فمن المحرَّمات: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، أي: إلَّا ما قد مضى وحدث في الجاهليَّة، وقاس النبي ﷺ على الأختين الجمع بين المرأة وعمتها، أو المرأة وخالتها، أو المرأة وبنت أخيها وبنت أختها، وقال: «**لا يُجمع بين المرأةِ وعمَّتِها، ولا بين المرأة وخالتها**»(١)، وقال: «**إنَّكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامَكم**»(٢). لأنَّك ستجعل منهما ضَرَّتَيْن، والضرائر بينهما تحاسد، ولا بدَّ أن يحدث

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨)، كلاهما في النكاح، عن أبي هريرة.

(٢) رواه ابن حبان في النكاح (٤١١٦)، وقال الأرناؤوط: حسن. والطبراني (٣٣٧/١١)، عن ابن عبَّاس.

QaradawiBooks.com

احتكاك، والشرع يريد أن يحفظ الرحم سليمة وبعيدة عن الاحتكاكات، فكيف بمن يجمع بين المرأة وأختها في الحرام؟ إذا كان ربنا منع الزواج بالأختين معًا في وقت واحد، فيأتي الرجل ويزني بشقيقة امرأته، وتزني المرأة بزوج أختها؟! هذا فساد كبير.

الزِّنَى درجات:

والإسلام جعل الزِّنَى درجات، الزِّنَى كبيرة من الكبائر بل من أعظم الكبائر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. فهو من فواحش الإثم وكبائره، ولكن أيضًا هناك درجات في الزِّنَى، فزنى الكبير غير زنى الصغير، وزنى المُحْصَن غير زنى العزَب، وزنى الرجل بحليلة جاره أعظم من زناه بغيرها، فقد سُئل النبيُّ ﷺ: أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**». قال: قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتلَ ولدَك خشيةَ أن يأكلَ معك**». قال: قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تُزَاني حليلةَ جارك**»[1]. أي: تزني بها.

فالمفروض أن يحافظ الإنسان على حليلة الجار، لا أن يزني بها، وكلمة: «**أن تزاني حليلة جارك**». تدل على تكرار الزِّنَى بها.

والإنسان عليه أن يحافظ على أقاربه وأصهاره، وهذه أخت زوجتك، ينبغي أن تكون حارسًا لها، لا أن تكون أنت من يفترسها، ثم يتكرَّر هذا منهما سنوات طويلة ـ كما تقول الأخت السائلة ـ هذا ـ والعياذ بالله ـ أمر لا يجوز أبدًا، هذا شر خطير، وفساد كبير، نسأل الله لهذين التوبة والهداية.

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٤٧٧)، ومسلم في الإيمان (٨٦)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مصير الحمل من الزِّنَى

س: امرأة متزوجة عاشرت رجلًا وحملت منه، وجاءت بطفل، فماذا يكون مصير هذا الطفل؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

حديث النبي ﷺ الصحيح المتفق عليه حسم هذه القضية، قال النبي ﷺ: «**الولد للفراش**»[1]. يعني الولد الَّذي جاء في حالة الزوجية يُنسب إلى الزوج، وذلك أنَّ الإسلام أراد مصلحة الولد الصغير، الَّذي لا ذنب له فيما جنته أمه، أراد أن يكون له أب شرعي ينسب إليه، حتَّى ولو جاء من زِنى، فماء الزاني مهدر، إلَّا إذا لاعن امرأته، واتَّهمها بالزنى، وقال هذا الولد ليس مني، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۞ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٠٥٣)، ومسلم في الرضاع (١٤٥٧)، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦ ـ ٩].

يشـــهد أربع مرَّات أي: يقســـم ويحلف بالله إنَّه من الصادقين، فيما رماها به من الزِّنى، أو في نفـــي الولد منه، وآخر مرَّة وهي الخامســـة يقول: لعنة الله عليَّ إن كنتُ من الكاذبين فيما رميتها به. والمرأة تشهد أربع شهادات بالله أنَّ زوجها من الكاذبين، فيما رماها به من الزنى، أو من أنَّ هذا الولد ليس منه، ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾. فحتى لا يقام عليها الحد تشـــهد أربع شـــهادات بالله أنَّه من الكاذبين، وفي الخامسة تقول: غضبُ الله عليَّ إن كان زوجـــي من الصادقين، فيما رماني به من الزنى. فينزع الولد عن أبيه، وينسب إلى أمه، ويفرَّق بين الرجل وامرأته (المُلاعِن والملاعَنة) فراقًا أبديًّا، ولا يجـــوز له أن يردَّها إليه بحالٍ من الأحوال.

فهذه هي الحالة الوحيدة الَّتي لا ينسب الولد للزوج، بل ينسب لأمه.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

قاتل امرأته غيلة هل يُقتصُّ منه؟

س: ما موقف الشرع من رجل قتل امرأته، وهي في أيام ولادتها، وقد جاءت منه بولد، وقد وضعت طفلها بعمليَّة جراحيَّة (قيصرية)، وقد خدعها بأساليب شتى، حتَّى ينفرد بها، ولا يبقى أحد معها، حتَّى والدتها، أوهمها أنَّه سيبيت عندها فلا حاجة إليها، حتَّى الممرضات أخرجن من حجرتها، موهمًا إياهن أنَّه سيقوم بشأنها، وإذا احتاجت إلى مساعدتهن سيناديهن ليحضرن لمعاونتها.

وبعد أن خلا له الجو، وقد دخلت امرأته الحمَّام (المرحاض) لتقضي حاجتها، دخل عليها، فأطلق عليها عدة رصاصات في رأسها وعنقها، فأرداها قتيلة، وسقطت غريقة في دمها. ثم خرج من عندها بكل برود، فطلب من الممرضات أن يذهبن إليها ليساعدنها. وعندها منه تسعة أطفال. أكبرهم في الثالثة عشر من عمره، وأصغرهم المولود الجديد ابن الأيام الثلاثة.

فما حكم هذا القاتل المتعمِّد، الَّذي لم يرعَ حرمة الزوجية، وقد سمَّاها الله «ميثاقًا غليظًا» ولم يرعَ حرمة الولادة، الَّتي قال الله عنها: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وهي لا تزال تعاني من آلام الجراحة، ولم يشفق على الولد الَّذي له ثلاثة أيام، وهو في أشد الحاجة إلى أمه. ولم يرعَ حرمة المجتمع الَّذي يعيش في كنفه، وما يمكن أن

QaradawiBooks.com

يسبِّبه هذا القتل من قيل وقال، وقبل ذلك كله: لم يخشَ الله العلي الكبير الَّذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

ما حكم هذا القاتل الَّذي قام بهذه الجريمة الوحشية، بهذه الخسة والنذالة. وماذا يصنع الشرع الشريف في مثله؟ وماذا عليه من عقوبات؟ فإنَّ أشقاء المرأة يريدون أن يقتلوه بها.

أفيدونا أفادكم الله عن حكم الشرع؛ موضحًا بالأدلة الشرعيَّة، وجزاكم الله خيرًا.

مجموعة من الشباب القطري

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هذا القتل من أكبر الكبائر في الإسلام؛ لأنَّه قتل عمد، وعدوان على نفس بريئة مؤمنة، بل هو قتل وقطيعة رحم، وقد أكَّد القرآن مع كتب السماء: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وفي الحديث النبويِّ: «**لَزَوالُ الدُّنيا أهونُ عند الله من قتل امرئٍ مسلمٍ بغير حقٍّ**»[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

(١) سبق تخريجه صـ٣٤٧.

QaradawiBooks.com

وقد شرع الإسلام في القتل العمد العدوان: القصاص، واعتبره فريضة كتبها الله على عباده، حين قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا ﴾ [الإسراء: ٣٣].

فقد أعطى القرآن ولي المقتول الحق والسلطان ليأخذ بثأره إذا ثبت القتل عن طريق القضاء، نفسًا بنفس، أو يأخذ الدية، أو أكثر منها أو أقل إذا تصالحوا على ذلك، أو يعفو إن شاء: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وأولياء الدم في هذه القضية هم أبناء المرأة المقتولة، وهم مقدَّمون على إخوانها في الترتيب الشرعي. وهنا عقبتان تقفان في طريق القصاص:

الأولى: أنَّ الأولاد قصر، لا يُملِّكهم الشرع حق القصاص حتَّى يبلغوا جميعًا. فلعل بعضهم قد يسامح، والآخر لا يسامح ولا يعفو.

والثانية: أنَّ القاتل هو الأب، والشرع لا يملِّك الابن حق القصاص من أبيه. فحتى لو انتظرنا حتَّى يبلغ هؤلاء الأولاد، فليس لهم حق القصاص من أبيهم؛ لأنَّه كان سبب حياتهم، فكيف يكونون سبب موته؟! ولأنَّهم فقدوا أمهم، فكيف يجتمع عليهم فقد الأم والأب معًا؟

فهل معنى هذا: أنَّ هذا القاتل المجرم الَّذي ارتكب هذه الجريمة بكل قسوة وخسة، ينجو برأسه، ويفلت من القصاص، ومعنى هذا: أن يقتل الرجل امرأته، وهي في مضجعه، أو تقتل المرأة زوجها، وهو في مخدعها، وكلاهما آمن من القصاص، لأنَّ الأبناء الذين لهم حق

QaradawiBooks.com

القصاص لا يمكنهم أن يقتصوا منه! فأين عدالة الشـرع الَّذي له في كل عقدة حل، وفي كل مشكلة علاج؟!

والعلاج موجود في داخل الشرع نفسه والحمد لله. فهذا الرجل ليس قاتلًا عاديًّا. لقد قتل زوجتـه «غيلة»، بعد أن أوهمها أنَّها في غاية الأمان معه، وخطط لقتلها بمهارة، بعد أن صدَّقته واستسـلمت له، ولم يخطر ببالها أنَّه يبيِّت لها شرًّا، فغدر بها وقتلها؛ آمن ما تكون من قبله.

وقتل الغيلة له في الشـرع أحكام خاصَّة مشـددة، ذهب إليها بعض فقهاء الإسلام، والدليل معهم. حتَّى قال الإمامان مالك والليث بن سعد: إنَّ المسـلم لا يقتل بالكافر، إلَّا إذا كان قتل المسلم له بطريق «الغيلة»، فهنا يجب القصاص منه. ذكره ابن عبد البر في «الاستذكار»[(١)].

وفي كتب المالكيـة: إذا قتله غيلة، بأن خدعـه، حتَّى ذهب به إلى موضع فقتله، يقتل سياسةً لا قصاصًا[(٢)]. ومعنى «سياسة» أن يتولَّى ولي الأمر قتله.

وقد شـدَّد النبي ﷺ العقوبة على العرنيِّين الذيـن قتلوا راعي الإبل غيلةً، وسملوا عينيه. وقد استنبط الإمام ابن القيِّم من هذه القصة: أنَّ قتل الغيلة يوجب قتل القاتل حدًّا، فلا يسقطه العفو، ولا تعتبر فيه المكافأة، وهذا مذهب أهل المدينـة (أي مالك وأصحابه)، وأحـد الوجهين في

(١) انظر: الاستذكار (١٢٤/٨)، تحقيق سـالم محمد عطا ومحمد علي معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: الشرح الكبير وحاشـية الدسـوقي (٢٣٨/٤)، نشـر دار الفكر، وانظر: شرح الموطأ للزرقاني (٣٠٣/٤)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

QaradawiBooks.com

مذهب أحمد، اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وأفتى به[١] كما في «السياسة الشرعيَّة» وغيرها[٢].

وروى الإمام مالك في «الموطأ» عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيّب: أنَّ عمر بن الخطاب قتل نفرًا ـ خمسة أو سبعة ـ برجل واحد، قتلوه قتل غِيلة، وقال عمر: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعًا[٣].

قال الحافظ ابن عبد البر في «الاستذكار»: هذا الخبر عند أهل صنعاء موجود معروف. وأورد طرقًا له من رواية عبد الرزاق[٤].

والشاهد فيه: أنَّ عمر رضي الله عنه لم يكل القصاص فيه إلى أولياء المقتول، ولم يبحث عنهم، بل تولى الأمر بنفسه، ليقتصَّ من المجموعة الَّتي قتلته، وإن كثر عددهم، فقد كان من مذهبه: قتل الجماعة بالواحد، وهو مرويٌّ عن علي وابن عبَّاس والمغيرة بن شعبة من الصحابة رضي الله عنهم. وبه قال إبراهيم «النخعي» والشعبي، وقتادة، وأبو سلمة، والحسن، وسليمان بن موسى.

وإنَّما شدَّد عمر في قتل الغيلة، لما يشتمل عليه من غدر، حيث يقتل الإنسان من يأمنه على نفسه. وفي هذا خطر على أمن المجتمع إذا تفشى فيه هذا النوع من القتل. ولهذا جُعل من «حق الله» الَّذي يتولاه الإمام، فلا يملك أولياء الدم أن يسقطوه أو يتنازلوا عنه.

---

(١) زاد المعاد (٤/٤٥).

(٢) انظر: السياسة الشرعية صـ ٦٩، ٧٥. وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٨/٣١٦، ٣١٧).

(٣) رواه مالك في العقول (٣٢٤٦) تحقيق الأعظمي، والبخاري في الديات (٦٨٩٦) معلَّقًا، وابن أبي شيبة في الديات (٢٨٢٦٦)، وصحَّح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٢/٢٢٧).

(٤) انظر: الاستذكار (٨/١٥٥) وما بعدها.

QaradawiBooks.com

وقد أصدرت هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في عهد رئيسها العلامة الشيخ عبد الله بن حميد، وعضوية الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد الرزاق عفيفي وغيرهم: قرارًا بالإجماع إلَّا واحدًا: أنَّ القاتل قتلة غيلة يُقتل حدًّا لا قصاصًا، فلا يُقْبل ولا يصحُّ فيه العفو من أحد. وجعل منه: أن تقتل الزوجة زوجها في مخدعه أو منامه مثلًا، للتخلُّص منه، أو العكس (أي أن يفعل الزوج مثل ذلك) ونحو ذلك.

قال القرار: والأصل في ذلك الكتاب والسُّنَّة والأثر والمعنى:

أمَّا الكتاب: فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾ [المائدة: ٣٣].

وقتل الغيلة نوع من الحرابة، فوجب قتل القاتل حدًّا لا قودًا.

وأمَّا السُّنَّة: فما ثبت في «الصحيحين» عنِ النبيِّ ﷺ، أنَّ يهوديًّا رضَّ رأس جارية بين حجرين على أَوْضَاحٍ (أي مَصُوغات) لها أو حليٍّ، فأُخذ واعترف، فأمر رسول الله ﷺ أن يرضَّ رأسه بين حَجَرَيْن[1].

فأمر ﷺ بقتل اليهودي، ولم يرد الأمر إلى أولياء الجارية، ولو كان القتل قصاصًا لردَّ الأمر إليهم؛ لأنَّهم أهل الحق، فدل أنَّه قتله حدًّا لا قودًا.

وأمَّا الأثر: فما ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه قتل نفرًا ـ خمسة أو سبعة ـ برجل واحد قتلوه غيلة، وقال: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعًا.

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٣)، ومسلم في القسامة (١٦٧٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

فهذا حكم الخليفة الراشد في قتل الغيلة، ولا نعلم نقلًا يدل على أنَّه رد الأمر إلى الأولياء، ولو كان الحق لهم لرد الأمر إليهم، فدل على أنَّه يقتل حدًّا لا قودًا.

وأمَّا المعنى: فإنَّ قتل الغيلة حق الله، وكل حق يتعلق به حق الله تعالى فلا عفو فيه لأحد، كالزكاة وغيرها، ولأنَّه يتعذر الاحتراز منه كالقتل مكابرة.

وبالله التوفيق. وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه. انتهى.

وأنا أؤيد هذا القرار، لقوة أدلته، ولما وراءه من مصالح لها اعتبارها في الشرع، مثل المحافظة على الأرواح، وصيانة الحرمات، وإطفاء نار الفتنة. وتكون العقوبة هنا ـ وهي القتل ـ من سلطة ولي الأمر الشرعي، وليس إلى أولياء المقتول. وهذا كله بعد ثبوت الجريمة وفق الأصول الشرعيَّة.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على نبيه محمد، وآله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

السرقة من المعارض والأسواق الخيرية

س: ارتكبت خطأً كبيرًا، ولا أدري ماذا أفعل؛ دخلت مع صديقة لي أحد المعارض الخيرية، الَّتي تعرض فيها أشياء للبيع، فسرقت صديقتي بعض هذه الأشياء المعروضة، ممَّا خفَّ حمله وغلا ثمنه، ودسَّتها في جيبها، وبعد ما خرجت من المعرض أرتني صديقتي هذه الأشياء، وقالت: إنَّهم يُغلُون علينا السعر، فماذا نعمل لهم؟ ثم قالت لي: هل تحبِّين أن آتيكِ بمثلها؟ فضعفت أمام صديقتي، واستمعت لها، وقلت لها: لا مانع. وفعلًا دخلنا مرَّة أخرى، وسرقت صديقتي بعض الأشياء الثمينة من الأشياء المعروضة.

وأنا الآن في حيرة من أمري، راجعت نفسي، ولَامَنِي ضميري، وأصبحت الآن لا أستطيع أن أنام من هذا العمل الدنيء الوضيع المحرَّم، ولا سبيل إلى إرجاع هذه المسروقات، فماذا أفعل؟ هل أتصدَّق بها؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(وبعد)

من الأشياء الطيِّبة الَّتي تحدث في عصرنا: إقامة هذه المعارض الخيرية، فتُقام أسواق ومعارض خيرية لإعانة المحتاجين أو لمساعدة الشعوب المنكوبة في العالم، كل إنسان يتبرع بأشياء عنده، من أقمشة أو ثياب، ومن أدوات منزلية أو أثاث، أو أدوات كهربائية، أو حلي يأتي بها، وتباع في هذه السوق الخيرية، وتُؤخذ الأثمان لينفق منها على الغرض الَّذي من أجله أقيم المعرض.

والناس في هذه المعارض لا يتصوَّرون أن يسرق إنسان شيئًا ممَّا تُبرِّع به لله، فإنَّ من لم يتبرع لن يأخذ شيئًا ممَّا تبرع به الآخرون، فالسرقة ـ في الحقيقة ـ من هذه المعارض الخيرية لا يتخيلها أحد!

لكن على كل حال: النفس الإنسانيَّة إذا تركت دون شعور برقابة الله، ودون وازع إيماني يزعها عن فعل الحرام، ودافع ذاتي يدفعها لفعل الخيرات؛ فإنَّ النفس تأمر صاحبها بالسوء، كما قال الله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣].

فهذه النفس الأمارة سوَّلت لهذه الفتاة أن تأخذ من المعرض الخيري بعض الأشياء الثمينة، وهي تقول: أريد أن أتصدَّق بهذه الأشياء، فلا سبيل لإرجاعها. أقول لها: عليها أن تنظر هذا المعرض هل له حساب بنكي، فتذهب وتضع ثمن هذه الأشياء في هذا الحساب.. هذا ما ينبغي، أو هو تابع لجمعية معيَّنة، فترسل بهذه الأشياء لهذه الجمعية، أو لغرض من الأغراض، فتتبرَّع للغرض نفسه، وإذا ضاقت بها الحيل، تتصدَّق بهذه المسروقات، وتهب ثوابها لأصحاب هذه السلع.

QaradawiBooks.com

سرقة المعلومات المحميَّة بأرقام سريَّة، وسرقة الأموال عبر بطاقات الائتمان

س: أعد رسالة دكتوراه، وأريد الاستنارة برأيكم في أحد مباحثها، وهو: هل تعدُّ عمليَّة سرقة المعلومات المحميَّة بأرقام سرية، وعمليَّة سرقة الأموال عبر بطاقات الائتمان، عبر شبكة المعلومات (الإنترنت): سرقة تستوجب عقوبة تعزيرية أم حَدِّية؟ وإذا كانت عقوبة هذه الجريمة تعزيرية، فما الأمور الَّتي منعت من إقامة العقوبة الحَدِّية؟ ولكم جزيل الشكر.

ليلى أحمد سالم

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فقد عرَّف الفقهاء السرقة الَّتي يجب فيها الحدُّ بأنَّها: أخذ مال الغير خُفية، بشرط أن يبلغ المال نصابًا، وألَّا تقوم شبهة تُسقط الحدَّ.

فلا بدَّ إذن لتحقُّق السرقة الشرعيَّة:

١ ـ أن يكون المسروق مالًا.

٢ ـ أن يبلغ نصابًا، وقد اختلفوا في حدِّه.

QaradawiBooks.com

٣ ـ أن يكون الأخذ خُفية، لا عن طريق المغالبة كالحرابة، ولا عن طريق الأخذ والهرب بسرعة كالاختلاس.

٤ ـ أن يخرج المسروق من حيازة مالكه، ليُدخله في حيازته.

٥ ـ ألَّا تكون له شبهة تؤثِّر في إسقاط الحدِّ، كأن تكون له شركة في المال، أو من الورثة، أو نحو ذلك.

وبالنظر في هذه المكوِّنات لجريمة السرقة، ننظر في السؤال المطروح، وهو في الحقيقة يتضمَّن سؤالين:

الأول: عن سرقة المعلومات المحميَّة بأرقام سرية.

والثاني: عن سرقة الأموال عبر بطاقات الائتمان، عبر شبكة المعلومات (الإنترنت).

وأودُّ أن أبادر فأوكِّد هنا: أنَّ كلَّ هذه السرقات من «المعاصي» المحرَّمة في الإسلام، وهي تنافي حقيقة الإيمان، وفي الحديث الصحيح المتَّفق عليه: «**لا يسرقُ السارقُ حينَ يسرقُ وهو مؤمن**»[1].

بل تعتبر السرقة من كبائر المعاصي؛ لأنَّ الكبيرة معصية فيها حدٌّ في الدنيا، أو وعيد شديد في الآخرة. والسرقة فيها الأمران معًا.

ولكن قد يوجد خلاف في تكييف هذه المعصية أو هذه الجريمة: هل ينطبق عليها تعريف «السرقة»، كما ذكره الفقهاء في حدِّ السرقة أو لا ينطبق؟

فبالنسبة لسرقة المعلومات، يظهر أنَّ المسروق هنا ليس بمال، وإن كانت له قيمة كبيرة، فلا ينطبق عليها أنَّها سرقة بالمعنى الاصطلاحي؛ إذ السرقة هي أخذ المال خُفية.

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الأشربة (٥٥٧٨)، ومسلم في الإيمان (٥٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقد يشكِّك بعض النَّاس في مشروعية كتمان العلم عن الغير، ويرى أنَّ العلم يجب أن يُتاح للجميع، حتَّى إنَّ من النَّاس مَن ينكر حقوق التأليف والنشر، ويجيز نشر الكتب من غير إذن مؤلفيها. وهم محجوجون في ذلك، ومردود عليهم.

فمن المعلومات ما يُنفق عليها عشرات الملايين أو مئات الملايين، ومن حقِّ مَن أنفق هذه النفقات الطائلة أن ينتفع بثمار ما أنفق، وخصوصًا أنَّها قد تكون معلومات عسكرية أو إستراتيجية ونحوها.

المهم أنَّ هذا التشكيك قد يكون شبهة تدرأ الحدَّ، لو افترضنا أنَّ هذه المعلومات مال، أو تقدَّر بالمال، وهنا تجب العقوبة التعزيرية؛ لأنَّه ارتكب معصية لا حدَّ فيها ولا كفارة، فاستوجب العقوبة تعزيرًا لا حدًّا.

وبالنسبة للسؤال الثاني: سرقة المال من البنوك ونحوها عن طريق بطاقة الائتمان، ومعرفة رقم بطاقة الشخص، ومعرفة رقمها السري، وصرف المال ـ وقد يكون بالملايين ـ عن هذا الطريق، فالذي أراه هنا: أنَّ هذه سرقة مكتملة الأركان، فالمسروق مال، ومأخوذ بطريق الخُفية، فقد أخفي أخذه عن البنك، وأخفاه عن صاحب المال، وهو أكثر من النِّصاب المطلوب، وليس له أدنى شبهة في سرقته. فهذه سرقة كاملة يجب أن يُقام على السارق فيها الحدُّ، وتنفيذ قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

والحقيقة أنَّ هذه السرقة تتضمَّن عدَّة جرائم: ففيها جريمة الاعتداء على البنك، وجريمة الاعتداء على سريَّة البطاقات، وجريمة الاعتداء

QaradawiBooks.com

على المال، وجريمة استخدام نعم الله مثل الإنترنت في معصية الله تعالى، وإضرار عباده.

فهو يستحقُّ العقوبة الحدِّية، وقد يستحقُّ عقوبة أخرى معها، ولا سيَّما إذا كان من موظفي البنك؛ لأنَّه مع السرقة خان الأمانة.

وبالله التوفيق.

* * *

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تعدُّد الكفَّارات في القتل الخطأ

س: نرجو من سماحتكم موافاتنا بالحكم الشرعي حول موضوع تعدُّد الكفارات في القتل الخطأ، خصوصًا أنَّ وسائل القتل الخطأ وأسبابه تطوَّرت وتعدَّدت، كحوادث الطائرات والقطارات.. وغيرها، فهل تتعلق الكفارة بكل نفس كما هو منصوص عليه في الآية القرآنية؟ أم أنَّه في حالة قتل الجماعة يكتفى بكفارة واحدة؟ وهل يجوز شرعًا الانتقال من الصيام في كفارة القتل الخطأ إلى الإطعام لمن لم يستطع الصيام؟ وممَّا زاد في حيرتي أنَّ مجمع الفقه الإسلامي لم يبحث في المسألة، وأرجأها إلى وقت لاحق، كما ورد ذلك في القرارات الصادرة عن المجمع، أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هذا سؤال له أهمية كبيرة، وهو يستحقُّ فعلًا فتوى جماعية من مجمع الفقه؛ لأنَّ القتل حديثًا لم يعد مثل القتل قديمًا، يعني لو أنَّ سائق قطار أو سائق طائرة أخطأ، وتسبب في قتل ثلاثمائة شخص ـ مثلًا ـ نقول له:

QaradawiBooks.com

عليك ثلاثمائة كفارة قتل خطأ، هذا أمر صعب، خاصَّة أنَّه قد لا يكون له دخل في هذا القتل، قد يكون الحادث بسبب خلل لا دخل له به، فكيف نحمِّله الكفارة؟ أو يكون سبب الحادثة «المحولجي» الَّذي يحول القطار من قضيب إلى آخر، فكيف نحمِّل السائق هذا الخطأ الَّذي لا دخل له فيه؟! هذه عمليَّة تحتاج في الحقيقة إلى اجتهاد جديد.

وليس في الكفارة فقط، بل في الدية أيضًا، كيف نقول له: عليك ثلاثمائة دية؟!

هناك أشياء تتعلق بالديات والكفارات تحتاج إلى بحث؛ والقوانين الوضعيَّة الآن تنظر: هل الشخص مخطئ أو غير مخطئ، إذا لم يكن مخطئًا كيف نحمله الكفارة والدية؟ شخص خرج بسيارته أو بنفسه من طريق جانبي فجأة فدهسته السيارة، هو المخطئ، فما ذنب السائق؟

الأمر فعلًا يحتاج إلى اجتهاد مجمع الفقه الإسلامي، وقد تقدَّم أخونا الشيخ عبد القادر العماري، القاضي الفاضل، والكاتب الإسلامي المعروف في قطر، ببحث حول هذا الأمر، إلى المجمع الفقهي، لكنَّ المجمع ـ كما يقول الأخ السائل ـ أرجأ الأمر[1]، فالقضية تحتاج إلى إعادة نظر جماعي، يتناقش فيه المجتهدون من الفقهاء والقانونيين، وتُقدَّم فيها بحوث ودراسات.

وأنا أميل إلى أنِّي لا أعتبر الشخص قاتلًا قتل خطأ إذا لم يكن مفرِّطًا.

(١) مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد الثامن (٢٤٧/٢) وما بعدها، الدورة الثامنة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

ثم السائل يسأل: إذا لم يستطع القاتل خطأً الصيام هل يستطيع الإطعام؟

في كفارة الظهار في سورة المجادلة الله تعالى يقول: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾، أي عتقَ رقبة، ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤]. وهنا في كفارة القتل الخطأ قال الله ﷻ: ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢]. ولم يذكر الإطعام قط، فلو كان الإطعام مشروعًا هنا لذكره القرآن، بعض العلماء يقيس هذا على كفارة الظهار، ولكن هذا قول ضعيف؛ لأنَّ القرآن لم يذكره، فعلى كل حال أنا أيضًا أرجئ الفتوى الحاسمة في هذا الموضوع حتَّى يُبحث الأمر بحثًا جماعيًّا، ويقول فيه المجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، أو مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، أو أي مجمع إسلامي آخر معتبر يقول فيه كلمة حاسمة، ونرجو أن يكون ذلك قريبًا إن شاء الله.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

كفَّارة قتل غير المسلم خطأً

س: تعرَّضت لحادث تسبَّب في قتل جمل وراكبه عن طريق الخطأ، لعدم الرؤية ليلًا في الطريق السريع، فهل عليَّ صيام شهرين متتابعين، علمًا بأنَّ المقتول نيبالي الجنسيَّة، وغير مسلم؟ ولكم الشكر.

علي حمد سعيد

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فكل مقتول خطأً فيه كفارة على قاتله، وإن كان غير مسلم، قال تعالى: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٢]، فالصيام لازم، وإن كان القتيل غير مسلم، معاهدًا أو ذميًّا.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

متفرقات

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

رواية «وليمة لأعشاب البحر»

س: لا بدَّ أنَّكم قرأتم وسمعتم، وشاهدتم وتابعتم: الجدل الواسع والحاد، الَّذي دار حول تلك الرواية الَّتي كتبها القصَّاص السوري النُّصَيْري معتقدًا، الشيوعي فكرًا: حيدر حيدر، وهي الرواية الَّتي سمَّاها «وليمة لأعشاب البحر». وقد تحدَّث فيها عن الذات الإلٰهية، وعن القرآن والنبوة، وأحكام الدين؛ حديث المستخف المستهزئ؛ كما عرض فيها لمشاهد جنسيَّة فاضحة، وعبَّر عنها بألفاظ مكشوفة داعرة.

وكان سبب هذا الجدل العنيف ـ كما تعلمون ـ أنَّ وزارة الثقافة المصرية قد نشرت الرواية على نفقتها، باعتبار أنَّها تمثل التوجُّه «التنويري» كما يسمُّونه. وهو ما جعل بعض الصحف المصرية تتناول الرواية منذِّدة بها، مثل جريدة «الأسبوع» ثم جريدة «الشعب» لسان حزب العمل المصري ذي الاتجاه الإسلامي، وقد استطاعت الجريدة المذكورة أن تهيِّج الرأي العام المصري، وخصوصًا خطباء المساجد، وطلاب جامعة الأزهر، وطالباته الذين ثاروا على الرواية وكاتبها، وعلى ناشرها خاصَّة، وهو وزارة الثقافة المصرية، ووزيرها الَّذي تبنَّى التوجه العلماني، ويتنكر للاتجاه الإسلامي، ويعتبره اتجاهًا «ظلاميًّا» «غيبيًّا» «ماضويًّا» واعتبر هؤلاء الثائرون الرواية كفرًا صريحًا بالله ورسالاته، وأنَّ وزارة الثقافة، تسهم بأموال الشعب في نشر الكفر الصريح.

ولقد كوَّنت وزارة الثقافة لجنة من الأدباء والنقاد، لتنظر في الرواية،

QaradawiBooks.com

فخرجت بتقرير مفاده أنَّ الرواية ليس فيها كفـــر، وأنَّ ما فيها من ألفاظ موهمة للكفر، جاء على لســـان شـــخصيات الرواية، وليـــس من كلام المؤلف نفســـه، وأنَّ من حق الأديب أن يبدع ما شـــاء من الإبداع، ولا يجوز لنا باسم الدين أو الأخلاق أو غيرها أن نتدخل في إبداعه.

فما رأيكم يا فضيلة الشـــيخ في هذا الـــكلام؟ وهل يجب أن نفصل الأدب عن الدين؟ أو تنفصل الثقافة عن الدين، كما يقول وزير الثقافة؟ وهل يتطلَّب «الإبـــداع» من الأديب أن يكفر بالله تعالى وبكتبه ورســـله واليوم الآخر؟ وهل أخطأ الأزهر حين أعلن رأيـــه في هذه الرواية على لسان مجمع البحوث الإسلاميَّة؟

نرجو من فضيلتكم إلقاء الضوء على هذه القضية في إطار الأدلة الشرعيَّة.

سدَّد الله قلمكم ولســـانكم في نصرة الحق وإبطال الباطل، ولو كره المجرمون.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أجل، لقد تابعت المعركـــة الفكرية، الَّتي تأجَّجت نارها، واشـــتعل أوارها، وثار فيها الجدل، حتَّى اشتد وامتد، حول رواية «وليمة لأعشاب البحر» وشـــاركت فيها بتخصيص حلقة في برنامـــج «المنبر» الَّذي يبث على الهواء مـــن قناة «أبو ظبي» الفضائية، ويحاورنـــي فيه الأخ الفاضل الشيخ منصور المنهالي، كما ألقيت خطبةً من خطب الجمعة في مسجد عمر بن الخطاب في قطر، حول الموضوع.

QaradawiBooks.com

وهذا ما اضطرَّني أن أقرأ الرواية ـ على كره ـ حتَّى أكوِّن فكرة صحيحة عنها، ولا أكتفي بما قاله عنها القائلون في الصحف وأجهزة الإعلام.

وبغضِّ النظر عن خلفية كاتب القصة، من حيث عقيدته الدينيَّة النصيرية، وفكرته الأيديولوجية الشيوعية، وبالتأمل في الرواية نفسها ونصوصها مجردة عن أيِّ اعتبار آخر، ستجده ويجد أي قارئ محايد: أنَّ الكاتب لا يرجو لله وقارًا، ولا يجعل للدين ـ أي دين ـ اعتبارًا، ولا يحسب للآخرة حسابًا.

وهذا واضح غاية الوضوح في ثنايا القصة من أولها إلى آخرها، سواء على لسان الشخصيات الَّتي تتحدث في القصة، أو يحاور بعضها بعضًا، أم في السرد القصصي للكاتب نفسه.

على أنَّ من المعروف أنَّ الكاتب في مثل هذه الروايات يبث أفكاره وقيمه ومفاهيمه الَّتي يتبنَّاها، بإجرائها على ألسنة شخصيات قصته، وإلَّا لردَّ على هذه المقولات ردًّا قويًّا يدحض شبهاتها، ويمحو أثرها، على لسان محاور آخر في القصة نفسها.

وممَّا يؤسف له أنَّ الكاتب قد استخدم في التعبير عن الذات الإلٰهية وشخصية الرسول والقرآن وغيرها: عبارات قذرة، يمجُّها العقل والعرف والذوق، فضلًا عن الدين والإيمان، ولا يليق بكاتب يحترم نفسه، ويحترم قارئه، ويحترم أمته، أن يصدر عنه مثل هذه الألفاظ، فكل إناء بالذي فيه ينضح!

وهناك بجوار تحقير المقدسات الدينيَّة: جانب آخر في الرواية، تناوله الكاتب تناولًا نزل به إلى إسفاف مرذول، وهو ما يتعلق بالجانب الجنسي، وما فيه من مشاهد فاضحة، وعبارات ساقطة، يخجل الإنسان

QaradawiBooks.com

العادي أن يذكرها صراحة، إنَّما يذكرها سفلة النَّاس وأراذلهم، ولكن في مجالسهم الخاصة، وليس في الأماكن العامة.

والأديب المبدع حقًّا هو الَّذي يصفي ألفاظ السوقة والسفلة ممَّا يخدش الحياء العام، ويخرج عن نطاق اللغة المقبولة خُلقًا وعرفًا وذوقًا، ويترجم عنها بعبارات من عنده تكشف عن المقصود، دون أن تتلوث بقذارة المحظور.

وانظر إلى القرآن الكريم، كيف عرض لنا مشهدًا من المشاهد الجنسيَّة المثيرة، في إحدى قصصه، وهي قصَّة يوسف عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٣، ٢٤].

ترى لو تناول صاحب «الوليمة» هذا المشهد، ماذا كان سيقول فيه؟

وربما يقول قائل: ولكن هذا تناول نص إلٰهي معجز، وليس لنا نحن البشر مثل هذه القدرة على صياغة مثله؟

ونقول: إنَّ العبرة أن نتعلَّم منه منهج التناول، وكيف نعبر عن المواقف الشائكة بلغة مقبولة، توصل إلى المراد، دون أن تجرح شعور أحد، تقرأها الفتاة في خدرها ولا تحس بحرج.

ومن هنا رأينا القرآن يعبِّر عن العلاقات الجنسيَّة بكلمات مجازية أو كنائية، تعتبر غاية في رعاية الأدب والذوق، مثل كلمة المس واللمس، والملامسة والمباشرة، والإفضاء والرفث.. إلخ.

ولهذا قال ترجمان القرآن ابن عباس: إنَّ الله حيي كريم، يكنِّي عما شاء بما شاء[1].

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٨٢٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والحقيقة أنَّ الرواية ـ من ألفها إلى يائها ـ لم تراعِ دينًا ولا خُلقًا، ولا أدبًا ولا ذوقًا، ولا تقليـدًا ولا عرفًا، ولم أرها تهدف إلى غرس أي قيمة إيجابية ينتفع بها من يقرأهـا، حتَّى إنَّها أهانت شـعب الجزائر، وثورة الجزائـر، وجهاد الجزائـر، الَّذي لم يكـد يظهر من ثمـاره إلَّا امرأتان إحداهما عاهرة فاجرة، والأخرى سرعان ما سقطت.

وأخطر ما في الأمر: أن تتبنَّى وزارة الثقافة في مصر هذه الرواية، وتنشـرها على نفقتهـا، وتدافع عنها بـكل قوة، وتتحدَّى مشـاعر الجماهير المسلمة، والقوى الإسـلاميَّة الغاضبة، ولو أنَّها قالت: إنَّها كانت غلطة، ولـن تتكرر، لقضي الأمر، وكفـى الله المؤمنين القتال. ولكنَّ الوزارة اعتبرت هذه الرواية من «أدوات التنوير» الَّذي تقوم به في مواجهة «دعـاة الظـلام» وتعني بهـم الذين يدعون إلـى القيم الإسلاميَّة، والمنهج الإسلامي.

ولقد تجاهلت وزارة الثقافة في مصر أمرًا في غاية الأهمية، وهو أنَّ الدين هو جوهر الثقافة لكل أمة، وأنَّ الثقافـة الحقة هي الَّتي تعبِّر عن دين الأمة، ولا تعاديه، فهو روح حياتها، وحياة روحها. وللأسف أظهرت الوزارة بموقفها كأنَّ الثقافة في مواجهة الدين.

وهو أمر يجب أن ينكر غاية الإنكار، في بلد دينه الرسـمي الإسـلام، ومصدر التشريع الرئيسي فيه هو الشريعة الإسلاميَّة، وهو بلد الأزهر الشريف، وحامل لواء الدفاع عن الإسلام والعربية لعدة قرون، وهو القبلة الثقافية لأبناء المسـلمين في العالم كله؛ فلا يجوز لوزارة الثقافة أن تهيل التراب على هذا كله، دفاعًا عن رواية ساقطة، لم تُكتب في مصر، ولم يؤلفها مصري.

وقد عرفت مصـر قصاصين كبارًا وعمالقة؛ من أمثـال توفيق الحكيم

QaradawiBooks.com

ومحمود تيمور، وطه حسين والعقاد، ونجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس، ويوسف إدريس ويوسف السباعي، ومحمد عبد الحليم عبد الله ونجيب الكيلاني، وغيرهم وغيرهم: عالجوا في قصصهم ورواياتهم موضوعات مشابهة، فلم ينحدروا إلى هذا الدرك الَّذي انحدر إليه القصاص السوري، فلم يكن مقبولًا من وزارة الثقافة أن تقف هذا الموقف الَّذي يزري بها، ويجعلها وحدها في وادٍ، والشعب المصري في وادٍ آخر.

ومن أجل ذلك كلَّفت الوزارة لجنةً من الأدباء والنقاد، لتنظر في الرواية: أتشتمل على كفر بالله تعالى وبشريعته أم لا؟ وخرجت اللجنة بتقرير زعمت فيه أنَّ الرواية سليمة ولا شائبة فيها، وليس فيها ما ينال من الدين وقيمه وشرائعه.

وأقول هنا: إنَّ الوزارة قد ارتكبت خطأ جوهريًّا ومنهجيًّا بتأليف هذه اللجنة وتكليفها ما كلفتها به، فقد كلفتها بأمر لا يدخل في اختصاصها، ولا شأن لها به، وليست خبيرة فيه، بحال من الأحوال.

ولو طلب من هذه اللجنة أن تنظر في المستوى الفني للرواية، هل تستحق درجة جيد أو مقبول، أو تنزل عن درجة القبول، أو نحو ذلك من الاعتبارات الأدبية والفنية ـ لكان هذا الأمر معقولًا، وكان تكليف اللجنة في موضعه، أمَّا أن يطلب من مثل هذه اللجنة: أن تنظر في الرواية: هل فيها ما لا يتفق مع الدين وقيمه وشرائعه، فهذا ليس من اختصاصها. ولا أدري كيف فات ذلك على الوزارة.

وقد برَّرت اللجنة تجاوزات الرواية بأنَّها تدخل في إطار «الإبداع» الَّذي هو حق الأديب، الَّذي لا ينبغي أن يتدخل أحد في حريته، بسبب من دين أو خلق، أو عرف أو مصلحة.

QaradawiBooks.com

والواقع أنَّه لا يوجد في الحياة حق مطلق، ولا حرية مطلقة! الحقوق والحريات كلها مقيدة، فحق أي إنسان مقيد بألَّا يجور على حق غيره، وحرية كل إنسان مقيدة بألَّا تنتقص من حرية الآخرين.

ولكل مجتمع مجموعة من المبادئ والقيم؛ تعارف النَّاس عليها: أن تظل مصونة محصنة، وهي تمثِّل «الثوابت» للأُمَّة، فلا يجوز اختراقها أو التعدي عليها، أو العبث بها، وإلَّا تعرضت الأمة للخطر، لأنَّها أصيبت في جذورها وفي هويتها وجوهر وجودها.

ومن تأمل في الحياة والكون من حولنا، لا يجد فيه شيئًا حرًّا حرية مطلقة، بل يجد كل حرية تحدها حدود، وتضبطها قيود، فالسيارات تسير في الطرق الواسعة والسريعة، وفق قوانين للسير، من تعداها عوقب بقدر تعديه.. وهذه القوانين لم تُوضع عبثًا، إنَّما هي لحمايته وحماية غيره ـ نفسًا ومالًا ـ من الخطر والهلاك.

والبواخر في المحيطات الهائلة لا تسير كما تشاء، كما قد يتصور بعض الناس، بل تسير في خطوط ملاحية مرسومة، ولو خرجت عنها، لربما اصطدمت بما يحطِّمها ويدمِّر كيانها.

وكذلك الطائرات في أجواء الفضاء، ليست حرة فتسبح في الجو كما تشاء، كما قد يتوهم متوهم، بل هي محكومة بخطوط معلومة، وطرق مرسومة، لا يجوز لها أن تتخطَّاها أو تتجاهلها، وإلَّا تعرضت للخطر والدمار.

بل إنَّ الكواكب والنجوم في السماء ـ في هذا الفضاء الواسع الهائل ـ كلها تسير وتدور وتسبح في مدار محدَّد، وفلك مقدَّر، كما قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

فكيف يباح للأديب وحده أن يكون حرًّا حرية مطلقة، لا تتقيد بأي

QaradawiBooks.com

قيد، ولا تنضبط بأي ضابط؟ فيطلق قذائفه عن يمين وشـــمال، لا يبالي من أصاب، ولا ما أصابت؛ لأنَّه حرٌّ في إبداعه، ولا سلطة لأحدٍ عليه.

إنَّ ســـلطة الأديب الحق يجـــب أن تكون من داخل نفســـه، لا من خارجها، ولا ســـيَّما إذا ادَّعى أنَّه مســـلم، وأنَّه يحترم الدين، كما ادَّعى كاتب هذه الرواية؛ فليس يقبل من المســـلم أن يرمي إسلامه بالحجارة الَّتي تهشم وجهه، وتحطِّم رأسه؟

وقد قال بعضهم: إنَّ في أدبنا وشعرنا العربي بعض ما يخجل المرء من ذكره.

وأقول: هذا حق، ولكنَّه يكاد يكون قطرة في بحر، ثم إنَّه كان يتداول في إطار خاص، بين الأدبـــاء المتخصصين، ولم يكن ينزل إلى جماهير النَّاس كما في عصرنا.

بيان مجمع البحوث الإسلاميَّة بالأزهر:

على أنَّ هذا الأمر قد فصلت فيه الجهـــة المختصة الَّتي يجب الرجوع إليها في مثل هذا الأمر، الَّذي يتعلق بالدين وبالشأن الإسلامي خاصَّة، وهو «مجمع البحوث الإسلاميَّة بالأزهر» فقد أصدر المجمع بيانًا تاريخيًّا أعلن عنه رئيسه شيخ الأزهر الدكتور محمد ســـيد طنطاوي، فوضع النقاط على الحروف، وبه قطعت جهيزة قول كل خطيب! ولم يبق لقائل بعده قول.

فقد أحال المجلس «الرواية» المذكورة إلى عضوين من أعضائه، ليقوما بدراستها ـ كلٌّ على حدة ـ دراسة فاحصة مستوعبة، ويكتب كلاهما تقريرًا عنها، يقدَّم إلى المجمع، عن مدى موافقتها لثوابت الدين أو مخالفتها له.

وقد قام العضوان بمهمتهما على الوجه المطلوب، وكتبا في النهاية

QaradawiBooks.com

تقريرًا، عرض على المجمع، ووافق عليه بالإجماع، وصدر عنه معبرًا عن موقفه، وهو موقف الأزهر الرسمي، المكلف شرعًا وقانونًا بإبداء الرأي أو الحكم الشرعي في مثل هذا الأمر.

لقد نصَّ بيان مجمع البحوث الإسلاميَّة بأنَّ رواية «الوليمة» تحتقر الأديان السماوية جميعًا، وتتطاول على ذات الله تبارك وتعالى، وعلى شخصية الرسول ﷺ، وعلى القرآن الكريم، وعلى الآداب العامة، وأنَّ ما جاء فيها في هذا الجانب «إنَّما هو خروج عمَّا هو معلوم من الدين بالضرورة، وانتهاك للمقدَّسات الدينيَّة، والشرائع السماوية، والآداب العامة، والقيم الرفيعة، ويثير الفتن، ويزعزع تماسك وحدة الأُمَّة».

ويضع بيان الأزهر على عاتق من نشر هذه الرواية (أي وزارة الثقافة) المسؤولية الكاملة عن هذا التجاوز، والآثار المترتبة عليه دينيًّا واجتماعيًّا، إلخ.

وقد سُئل الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي: هل يُعتبر ما ورد في هذه الرواية كفرًا؟ فأجاب بصراحة قائلًا: من الواضح أنَّ الخروج عمَّا هو معلوم من الدين بالضرورة، يعدُّ كفرًا بالإجماع، وأنَّ المتطاول على الله تعالى وعلى رسله وكتبه: كفَر بلا نزاع.

وإنِّي لا يسعني هنا إلَّا أن أحيي الأزهر على بيانه القوي الناصع، وأحيي شيخ الأزهر على موقفه الواضح. ومن الإنصاف أن نقول للمحسن: أحسنت!

لقد صمت الأزهر طويلًا في قضايا عدة، ولكنَّه هنا تكلم فأسمع؛ لأنَّه تكلم كله: تكلم شيخه الأكبر، وتكلم مجمع بحوثه، وتكلم مدير جامعته، وتكلم خريجوه من خطباء المساجد، وتكلم طلابه وطالباته، فلا غرو أن أسمع صوته العالم.. وهكذا ينبغي أن يكون الأزهر أبدًا: أن يبلغ البلاغ المبين.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

إلى إخوتي في الجزائر
توضيح وتذكرة

غير مرخصة للطباعة

أســاء بعض إخوتي في الجزائر ـ الذين أحبهم والله وأفديهم بنفسي ـ فهم موقفي بعد حلقة «الشريعة والحياة» الَّتي تبث من «قناة الجزيرة» في قطر، والتي خُصِّصت لقضية الجزائر مساء يوم ٨ فبراير ١٩٩٨، حيث فهموا من بعض كلامي أنِّي أجيز استعمال العنف في مقاومة السلطة ولو كانت ظالمة، واســتغرب بعضهم أن يكون هذا موقفي؛ لأنَّه مناقض لما عرفوه عني طيلة ســنين عدة في كتب ومقالات، وفي خطب ومحاضرات، وفي فتاوى وحلقات، وفي ندوات ولقاءات، كنت فيها ضد العنف وسفك الدم على خط مستقيم، وداعيًا للحوار مع كل التيارات: علمانيَّة وقومية، ومع الحكام، ومع المسيحيين، ومع الغرب: على المستوى الديني، والمستوى الفكري، والمســتوى السياســي، كما وضحت ذلك في كتابي «أولويات الحركة الإســلاميَّة» وفي غيره من الكتب، فهل غيَّرتُ موقفي القديم؟ أو التبس عليَّ الأمر في قضية الجزائر أو هناك سبب لا يعرفه الناس؟

نسخة مجانية

موقفي لم يتغيَّر:

وأودُّ أن أنبِّه وأؤكد أنَّ موقفي القديم لم يتغير، ولن يتغيَّر إن شاء الله من ناحية المبدأ، فأنا أرفض العنف الدموي، وأدينه وأنكره وأقاومه، ولا أجيزه وسيلةً للدعوة، أو لتغيير المجتمع، وذلك لجملة أمور أساسية:

١ ـ أنَّ الشرع الإسلامي شـــدَّد في أمر الدماء غاية التشديد، فقد قرَّر القرآن: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] وحديث الرســول «**لزوال الدُّنيا أهونُ على الله من قتل امرئٍ مسلمٍ بغير حقٍّ**»(١).

٢ ـ أنَّ العنف ينفِّر النَّاس من دعوة الإســلام، ويعطي صورة دميمة شــائهة عن دعاته، وســلاحًا قويًّا في يــد خصومه وخصومهــم، الذين يتَّهمونهم بـ «الإرهاب» ولهذا رغَّب الرســول ﷺ في الرفق، ورهَّب من العنف، ففي الحديث: «**إنَّ الرِفْقَ لا يكون في شيءٍ إلَّا زانه، ولا ينزع من شيءٍ إلَّا شــانه**»(٢). «**إنَّ الله يحبُّ الرِّفْقَ، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف**»(٣)، وقال لعائشة: «**إنَّ الله يحبُّ الرفقَ في الأمر كلِّه**»(٤).

٣ ـ أنَّ العنف لم يحل مشــكلة قط، لا فيما قرأناه في تاريخنا، ولا فيما شهدناه في عصرنا: لم يسقط حكمًا ظالمًا، ولم يغيِّر مجتمعًا فاسدًا إلى الصلاح!

لقد اغتال بعض الجماعات بعض الحكام الذين يعتقدون أنَّهم ظلمة، فجاء بعدهم من هم أظلم منهم وأفجر!

٤ ـ أنَّ الدعوة الإسلاميَّة تنتشــر انتشار أنوار الصباح، وتفتح العقول والقلوب بيســر، وتمتد في جميع الطبقات برفق، فما حاجة الدعاة إلى العنف؟! إنَّما يلجــأ إلى العنف من يئس من إقبال الناس، أو ســئم من

(١) سبق تخريجه صـ٣٤٧.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤)، عن عائشة.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٣)، عن عائشة.

(٤) سبق تخريجه صـ٤١٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

دعوتهم، لأنَّهم يعرضون عنه، ونحن نرى النَّاس مقبلين على الإسلام بحمد الله في كل مكان.

كل ما أردت قوله: إنِّي يؤرقني ويقلقني ما يجري في الجزائر من دماء تُسفك، وأعراض تُهتك، وحرمات تُستباح، وينسب ذلك ـ واحسرتاه ـ إلى الإسلام، والإسلام المُفترَى عليه يرفض أن تراق قطرة دم بغير حق.

أمور لا ينبغي الخلاف عليها:

لهذا دعوت وكررت الدعوة وأكدتها إلى جملة أمور أساسية لا ينبغي الخلاف عليها:

أولها: وقف النزيف الدموي الَّذي يُسال يوميًّا من الشعب الجزائري المسلم، والذي لم تستطع السلطة ـ برغم ما لديها من شرطة وقوات أمن، وقوات مسلحة ـ أن توقفه حتَّى الآن. ولا أحسب إنسانًا له عقل وقلب، يرضى باستمرار هذا النزيف، وهذا الإجرام المسخوط من أهل الأرض، والملعون من أهل السماء.

وثانيها: السماح للقوى العربية والإسلاميَّة أن تتدخل لمساعدة الحكومة في المحاولة لإيجاد حل للمشكلة؛ بدل التدخل من الأوربيين وغيرهم. والله تعالى يقول: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]. والنبي ﷺ يقول: «**ترى المؤمنين في توادِّهم وتعاطفهم وتراحمهم، كمثلِ الجسدِ الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالحُمَّى والسهر**»[(١)].

(١) سبق تخريجه صـ٤٣٦.

QaradawiBooks.com

والله تعالى قد أمر المجتمع المسلم بالتدخل لإنهاء الشقاق بين الزوجين في الأسرة، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]، فكيف بالشقاق بين أبناء شعب كبير عريق كشعب الجزائر؟ وقد قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

وثالثها: الدعوة إلى الحوار المفتوح، مع كل القوى الوطنية السياسيَّة، دون استثناء أو حذف أي فئة من الفئات، بغية الوصول إلى مصالحة وطنية شاملة. وأنا أقصد القوى السياسيَّة: الَّتي تتحاور بالكلمة لا بالرصاص. فالجماعات المسلحة الَّتي تقتل الأطفال والنساء والشيوخ، وتذبح بالسكاكين، وتهشِّم الرؤوس بالبلط والسواطير، مثل جماعة الزوابري وأمثاله، ممَّن يريدون أن ينتقموا من الشعب الجزائري؛ لأنَّه شعب منافق في رأيهم! مع أنَّ الرسول ﷺ لم يقتل المنافقين. هؤلاء لا يُحاوَرون؛ لأنَّ الحوار إنَّما يكون مع العقلاء، وهؤلاء لا عقل لهم.

وهب أنَّ الشعب نافق كما زعموا، فهل يُقتل الشعب أو يُعلَّم ويُذكَّر ويُؤخذ بيده، حتَّى يهتدي سواء السبيل؟

وأنا أعجب من أناس يصفون شعبهم بهذا الوصف القبيح العجيب الغريب، مع أنَّ الَّذي يعرف الشعب الجزائري لا يمكن أن يخطر بباله أن يصفه بالنفاق، فهو شعب حر، أبي شجاع، صُلب عنيد.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أجلْ دعوت إلى الحوار مع كل القوى الوطنية؛ لأنَّ الإسلام يأمر بحوار المخالفين في الدين أو الفكر أو السياسة، حتَّى أوجب الفقه الإسلامي على الإمام أو ولي الأمر الشرعي قبل أن يقاتل البغاة أن يراسلهم، ويزيل شبهاتهم، وينظر فيما يدَّعون من مظالم. وقد بعث عليُّ بن أبي طالب ابنَ عمه عبد الله بن عبَّاس لمناقشة الخوارج، وظل يحاجهم ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف[١].

بل أمرت الشريعة الإسلاميَّة بالحوار مع المرتدين، وهو ما يعبر عنه الفقه بعبارة «استتابة المرتدِّ» حتَّى قال الإمام إبراهيم النخعي: إنَّ المرتد يُستتاب أبدًا، وكذلك قال الإمام سفيان الثوري[٢].

هذا ما دعوت إليه، وما أزال أدعو إليه، وأرى أنَّ مصلحة الجزائر العليا تقتضيه، وأنَّ «فقه الموازنات» بين المصالح والمفاسد يوجبه، وأنَّ «فقه الأولويات» يلزم به ويحرِّض عليه.

ما يجوز الخلاف فيه وما لا يجوز:

قد يختلف معي بعض الإخوة أو أختلف معهم، في تحليل ما يحدث في الجزائر الحبيبة وتعليله، ومن المسؤول عنه: أهو السلطة أم الجماعات أم كلتاهما؟ أم جهات أجنبيَّة لا تريد للجزائر أن تستقر وتقوى، ولا للإسلام فيها أن يحكم ويسود؟ أم كل أولئك؟ وما مدى نصيب كل منهم من المسؤولية عمَّا جرى من قبل، وما يجري اليوم؟ هنا تختلف الاجتهادات في التفسير والتأويل، ولكل مجتهد نصيب، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٠٤.

(٢) رواه عبد الرزاق في اللقطة (١٨٦٩٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولكنَّ الَّـذي لا يجوز أن يختلف فيه اثنـان أو ينتطح فيه عنزان هو إنكار ما يقع إلى اليوم من سفك الدماء البريئة، وإزهاق الأرواح الطاهرة، وترويع الآمنين في القرى والمدن، وقد قال رسـولنا العظيم: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أن يروِّع مسلمًا**»[١]. قال ذلك فيمن روَّع مسلمًا وأفزعه على سبيل المزاح. وفي حديث آخر: «**لا تروِّعوا المسـلمَ؛ فإنَّ رَوعة المسـلمِ ظُلمٌ عظيم**»[٢]، وفي الحديث الصحيح: «**من حمل علينا السلاحَ فليس منَّا**»[٣]. بل أنكر على مَن أشـار إلى أخيه بحديدة[٤]، وفي الصحيحين: «**سبابُ المسلم فسوقٌ، وقتالُه كفرٌ**»[٥]. «**لا ترجعوا بعدي كفَّارًا، يضرب بعضُكم رقابَ بعضٍ**»[٦].

ما يحدث في الجزائر الحبيبة هو جريمة هائلة من أكبر الكبائر، ومن أعظم الموبقات، بكل المقاييس الدينيَّة أو الوطنية أو الإنسـانيَّة، حتَّى وإن كان بعض من يرتكبونها يحسبون ذلك من الجهاد أو نصرة الإسلام. فقـد كان «الخوارج» قديمًا يسـتبيحون الدماء والأمـوال، تقربًا إلى الله بذلك، وصحَّت الأحاديث ـ من عشـرة أوجه ـ في ذمِّهم والتحذير من

(١) سبق تخريجه صـ٥١٩.

(٢) رواه البزار (٣٨١٦)، والعقيلي في الضعفاء (١٨٣/٢)، وقال: في إسناده لين. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٥٢٥): رواه الطبراني والبزار، وفيـه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف. عن عامر بن ربيعة.

(٣) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٧١)، ومسـلم في الإيمان (١٠٠)، عن أبي موسـى الأشعري.

(٤) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٦١٦)، عن أبي هريرة.

(٥) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

(٦) متَّفَقٌ عليـه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسـلم في الإيمـان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

شـــرورهم، ووصفتهم بأنَّهم «**يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه إلى صلاتهم، وقيامَه إلى قيامهم، وقراءتَه إلى قراءتهم، يقرؤون القرآن، لا يجاوزُ حناجرهم، يمرقون من الدِّينِ كما يمرقُ السَّـــهْم من الرَّمِيَّـــة**»[(١)] كما وصفتهم بأنَّهم «**يقتلون أهلَ الإسلام، ويدعون أهلَ الأوثان**»[(٢)].

وقد قال تعالى في صريح القرآن: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨].

أرسل إليَّ أحد الإخوة من الجزائر رسالة بالفاكس يعاتبني، ويقول: ما كُنَّا ننتظر من مثلك، ـ وأنت الَّذي عايشت صحوة الجزائر، وأحببتها وأحبَّتك، واجتمع عليك رجالها ونساؤها، وشبابها وشيوخها، واستمعوا إلى محاضراتك وخطبك، وأكبوا على قراءة مقالاتك وكتبك ـ أن تسكت لمدة خمس سنين عما يقع في الجزائر، ثم تظهر فجأة في قناة الجزيرة، لتؤيد الذين يقتلون النَّاس بغير حق في الجزائر.

وأود أن أقـــول للأخ الكريـــم: إنِّي أحبُّ الجزائر كمـــا أحبتني، وما نسيت قضيَّتها قط، ولا سكتُّ عنها في يوم من الأيام.

لقد أنكرت ما حدث من قطع الطريق على اختيار الشعب الجزائري، الَّذي كان الســـبب الأول في وقوع ما وقع بعد ذلك، وإن كنت لم أعفِ جبهة الإنقاذ من التبعة تمامًا، فإنَّ تصريحـــات بعضهم بأنَّ الديمقراطيَّة

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦١٠)، ومســـلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي ســـعيد الخدري.

(٢) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤) (١٤٣)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

كفر، ورفضهم التعاون مع الفئات الإسلاميَّة الأخرى، وقد حاولت ذلك بنفسي عندما كنت في الجزائر سنة ١٩٩١م ولكنِّي لم أفلح. كما رددت على قولهم: «لا أحلاف في الإسلام» وعلى رفضهم الأحزاب والجماعات الإسلاميَّة الأخرى، محتجين ـ خطأً ـ بحديث: «**إذا بويع لخليفتَيْن فاقتلوا الثانيَ منهما**»[1].

وكذلك رددت على القائلين بأنَّ «الديمقراطيَّة كفر» وأنَّ الإسلام يرفض الديمقراطيَّة، عندما كنت في الجزائر، وبعد ما غادرتها، في أكثر من محاضرة، ومن كتاب، ولا سيَّما في الجزء الثاني من كتابي «فتاوى معاصرة». كما وضَّحتُ ذلك في كتابي «من فقه الدولة في الإسلام» كما أنكرت بشدَّة قتل المدنيين والمفكرين والدعاة، أمثال الأخ الفاضل التقي الداعية الشيخ محمد أبو سليماني، والأخ الإعلامي المهذب الدكتور الحسن سعد الله، وقد أصدرت بيانًا بعد قتله نشرته الصحف الجزائرية، وبعض الصحف العربية، ومنها مجلة «المجتمع» الكويتية.

وعندما قتل الرهبان الفرنسيون في الجزائر، ألقيت خطبة كاملة، من خطب الجمعة الَّتي تذاع في التلفاز القطري من جامع عمر بن الخطاب بالدوحة، ولخصتها كل الصحف القطرية في اليوم التالي، وأنكرت هذه الجريمة البشعة، الَّتي تخالف تمامًا منهج الإسلام وهديه، حتَّى في القتال الرسمي الَّذي تخوضه الجيوش الإسلاميَّة، فقد كان الخلفاء الراشدون ينهون عن قتل الرهبان، فإنَّهم لا يقاتلون، كما ينهون عن قتل الحراثين «الفلاحين»؛ لأنَّهم لا ينصبون للمسلمين الحرب.

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٣)، عن أبي سعيد الخدري.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مبادئ أساسية مسلَّمة عندي:

ومن المبادئ الأساسية المسلَّمة عندي، والمعروفة عنِّي منذ زمن طويل، والمبثوثة في كتبي ورسائلي ومحاضراتي: مبادئ لم أحِد عنها، ولن أحيد عنها إن شاء الله:

لا أكفِّر مسلمًا:

المبدأ الأول: أنِّي لا أكفر مسلمًا يشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وأنَّ من دخل في الإسلام بيقين لا يخرج منه إلَّا بيقين مثله، فإنَّ اليقين لا يُزال بالشك، ولهذا وقفت ضد موجة «التكفير» والغلو فيه، حينما فشا في مصر، وألقيت في ذلك محاضرات، ثم أصدرتها في رسالة وزعت منها عشرات الألوف، هي «ظاهرة الغلو في التكفير».

ومن هنا لا يشك قارئ لي أو مستمع إليَّ أنِّي ضد جماعات التكفير، وأنِّي أقاومها بكل ما أملك.

حتى أنكرت على الذين يكفِّرون الشيعة الجعفرية، وهم ينطقون الشهادتين، ويصلُّون إلى القبلة، ويصومون ويحجون، وإن كان لهم بدع قولية وفعلية ننكرها عليهم، ولكن فرق كبير بين التبديع والتكفير.

عصمة الدماء بـ «لا إلٰه إلَّا الله»:

والمبدأ الثاني: أنِّي لا أجيز سفك الدماء بغير حقِّها بحال من الأحوال، لا من المسلمين، ولا من غير المسلمين إذا لم يكونوا محاربين لنا. ومن المعروف عنِّي: أنِّي من الميسِّرين في الفتوى، والمبشِّرين في الدعوة، ولكنِّي في أمر الدماء من المتشدِّدين، ولا أترخَّص في ذلك أبدًا. ولا سيَّما قتل المدنيين البرآء العزل، الذين

QaradawiBooks.com

لا ناقة لهم ولا جمل فيما يجري من حولهم. وبالأخص: الأطفال الصغار، والشيوخ الكبار، والنساء القواعد في البيوت، فهذا لم يجزه الإسلام لجيوشه المقاتلة لأعدائه المجابهين له، والمحاربين لدعوته وأمته ودولته، وصحَّت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ، وعن خلفائه الراشدين، تنهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ والرهبان والفلاحين، وعن قطع الشجر، وهدم المباني. فكيف يسوغ في شرع محمد ﷺ قتل المسلمين الموحدين المصلِّين الصائمين ـ حتَّى في شهر رمضان، وحتى في قلب المساجد ـ وهم قوم مسالمون لا حول لهم ولا قوَّة إلَّا بالله؟!

وبأي كتاب أم بأية سنة استباح هؤلاء هذه الدماء المعصومة بقول «لا إلٰه إلَّا الله»؟ وكيف إذا كان القتل بتلك الوسائل الوحشية، والطرق البشعة، مثل قطع الرقاب بسكين القصاب، ودق الرؤوس بالسواطير والفؤوس! فهؤلاء وحوش مفترسة، لا بشر.. ليس لهم عقول تعي وقلوب تحس، فضلًا أن يكونوا مسلمين.

وعلى أي شريعة اعتمد هؤلاء في اغتصاب الفتيات المسلمات واختطافهن، للاستمتاع بهن رغم أنوفهن، وهن حرائر مسلمات محصنات؟

نبذ الخروج المسلح إلَّا بشروط:

المبدأ الثالث: أنِّي لا أجيز الخروج المسلَّح على السلطة الحاكمة؛ وإن كانت ظالمة فاجرة، إلَّا بشروط وضوابط إذا لم تتوافر يكون الخروج منكرًا يجب أن يقاوم لا أن يساند. وقد بيَّنت ذلك في كتابي «فتاوى معاصرة» الجزء الثاني.

QaradawiBooks.com

فقد أجمع علماء الأمة على أنَّه لا يجوز تغيير المنكر بالقوة إذا ترتَّب عليه منكر أكبر منه، اختيارًا لأهون المفسدتين، وأخف الضررين، واستدلوا لذلك بأنَّ النبي ﷺ ترك الكعبة على ما بنتها قريش، وكان يود لو بناها على قواعد إبراهيم، ولكنَّه لم يفعل ذلك، لحداثة عهد النَّاس بالإسلام[١]، فخاف إن فعل ذلك أن تحدث فتنة.

وفي السُّنَّة النبويَّة جملة أحاديث تأمر بالصبر على الحاكم الظالم خشية أن تفتق على الأمة فتوق لا تستطيع رتقها، وتفتح عليها فتن قد تعرف أولها ولا تعرف آخرها.

فقد روى الشيخان، عن ابن عباس: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**من كره من أميره شيئًا فليصبرْ، فإنَّ من فارق الجماعة شبرًا، فمات، فمِيتَته جاهليَّة**»[٢].

وروى أحمد ومسلم، عن حُذَيْفة بن اليمان، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**يكون بعدي أئمَّة لا يهتدون بهديي ولا يستنُّون بسُنَّتي، وسيقوم فيكم رجال قلوبُهم قلوب الشياطين في جثمانِ إنس**». قال: قلت: كيف أصنع يا رسولَ الله؟ قال: «**تسمعُ وتطيعُ، وإنْ ضربَ ظهرَكَ وأخذ مالكَ، فاسمعْ وأطعْ**»[٣].

---

(١) كما في الحديث المتفق عليه، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال لها: «ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟». فقلت: يا رسول الله، ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: «لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت». رواه البخاري (١٥٨٦)، ومسلم (١٣٣٣)، كلاهما في الحج.

(٢) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٥٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٩)، عن ابن عبَّاس.

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٨٤٧)، وأحمد (٢٣٤٢٥). وانظر: الحلال والحرام صـ ٣٦٩ وما بعدها. نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

QaradawiBooks.com

وروى الشيخان، عن عبادة بن الصامت قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألَّا ننازع الأمر أهله، إلَّا أن تروا كفرًا بواحًا، عندكم فيه من الله برهان»[(١)(٢)].

ومع هذه التوجيهات النبويَّة بضرورة السمع والطاعة؛ خشية الفتنة غير المأمونة، جاءت توجيهات نبويَّة أخرى بالنصح لولي الأمر، ودعوته إلى الخير، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، وإن سقط الآمر الناهي شهيدًا، وتعتبر ذلك من أفضل الجهاد، كما تعتبر النكوص عن قول الحق في وجه الظالم المتجبر من أمارات إدبار الأمة وضياعها.

اقرأ هذه الأحاديث:

«**الدِّينُ النصيحة، لله، ورسوله، وكتابه، وأئمَّة المسلمين وعامَّتهم**»[(٣)].

«**أفضلُ الجهادِ كلمةُ حقٍّ عند سلطانٍ جائر**»[(٤)].

«**سيِّدُ الشهداء حمزة، ثم رجلٌ قام إلى إمامٍ جائر فأمره ونهاه، فقتله**»[(٥)].

«**إذا رأيتَ أُمَّتي تهابُ أن تقول للظالم: يا ظالمُ، فقد تُوُدِّع منهم**»[(٦)].

على أن يكون ذلك كله بالحكمة والمعروف.

وفرق كبير بين الخروج المسلح على الحاكم، وبين النصح له وأمره ونهيه بالرفق المطلوب.

---

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٥٦)، ومسلم في الإمارة (١٧٠٩)، عن عبادة بن الصامت.

(٢) انظر هذه الأحاديث والتعليق عليها وما يستنبط منها في نيل الأوطار للشوكاني (٢٠١/٧) وما بعدها.

(٣) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، عن تميم الداري.

(٤) سبق تخريجه صـ١٣٩.

(٥) سبق تخريجه صـ١٣٩.

(٦) سبق تخريجه صـ١٤٢.

QaradawiBooks.com

الحوار مع الآخر:

المبدأ الرابع: هو الحوار مع الآخـــر، أي مع المخالفين، وهذا ليس ابتكارًا منِّي ولا تبرعًا، بـــل هو ما أمرنا الله ﷻ به في كتابه، وهو المعبر عنه بالجـــدال بالتي هي أحســـن، كما قال تعالـــى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ومُقتضى الآيتيـــن: أنَّه إذا كانت هنالك طريقتـــان للجدال والحوار، إحداهما حسنة جيدة، والأخرى أحسن وأجود، فنحن مأمورون أن نحاور ونجادل بالطريق الَّتي هي أحسن وأجود.

وما لنا لا نحاور من خالفنا، وقد ذكر لنا القرآن محاورة رسل الله الكرام مع أقوامهم المشركين، كما في سور الأعراف وهود والشعراء وغيرها؟

بل ما لنا لا نحـــاور، وقد حاور ربنا الجليل خلقـــه، كما حاور ربنا الجليل ملائكته حين أراد أن يخلق آدم ويجعله في الأرض خليفة؟!

بل أكثر من ذلك وأعظم: أنَّ الله الواحد القهار حاور شرَّ خلقه إبليس لعنه الله، برغم تبجحه وســـوء أدبه مـــع ربه، كما نرى ذلك في ســـور الأعراف والحجر و(صَ). وفي ذلك آية وعبرة لقوم يعقلون.

وقد ذكرت أنَّ الشـــريعة الإســـلاميَّة تأمر بحوار البغـــاة قبل قتالهم، وبحـــوار المرتدين رغم مروقهم، حتَّى تزول الشـــبهات، وتقوم الحجة، وتبطل الأعذار والتعلَّات.

QaradawiBooks.com

التدرج:

المبدأ الخامس: التدرج، أعني الوصول إلى الأهداف مرحلة مرحلة، ودرجة درجة، وهو سنة من سنن الله الكونية، كما أنَّه سنة من سننه الشرعيَّة. ولهذا لا أقفز على الأشياء، ولا أستعجلها قبل أوانها.

ولم أرَ مانعًا من تطبيق الشريعة الإسلاميَّة في عصرنا بالتدرج، بشرط ألَّا يستخدم «التدرج» سبيلًا إلى «التمويت» والإنساء، بل لا بدَّ أن تحدَّد الأهداف بوضوح، وتبيَّن الوسائل بدقة، وتعيَّن المراحل ببصيرة، ويمضي التنفيذ على بينة، بحيث تسلم كل مرحلة إلى ما بعدها، حتَّى تتحقق الآمال، وتغدو أحلام الأمس حقائق اليوم.

وقد ذكرت في ذلك نموذجًا يحتذى: ما صنعه خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز، حينما ولي الخلافة وقد انحرفت عن سنن الهدى في كثير من الجوانب، ولا سيَّما في الناحية المالية، وكان عمر ينجز في كلِّ يومٍ شيئًا، يزيل المظالم، ويرد الحقوق إلى أهلها، ولكنَّ ابنه الشاب التقي الدافق الحماس ـ عبد الملك ـ قال يومًا كالمعترض على أسلوب معالجة الأوضاع: يا أبتِ ما لي أراك تتباطأ في إنفاذ الأمور؟ فوالله ما أبالي لو غلت بي وبك القدور في سبيل الله؟!

فقال الأب الفقيه: لا تعجل يا بني، فإنَّ الله ذمَّ الخمر في القرآن مرتين، وحرَّمها في الثالثة، وإنِّي أخشى أن أحمل الحق على النَّاس جملة، فيدفعوه جملة، فيكون من وراء ذلك فتنة[1].

(١) انظر: الموافقات للشاطبي (١٤٨/٢).

QaradawiBooks.com

وفي رواية أنَّه قال له: أما يسرُّك أنَّه لا يأتي على أبيك يوم إلَّا ويحيي فيه سنة، ويميت فيه بدعة[١]؟!

فهذه هي مبادئي، لم أتخلَّ عنها، ولن أتخلَّى عنها بإذن الله تعالى وتوفيقه. ولا أدَّعي العصمة لنفسي، فأنا أجتهد لخدمة ديني على قدر جهدي ورؤيتي.

ولا أقول إلَّا ما قال نبيُّ الله شعيب لقومه: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

* * *

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي صـ ١٨٠، تحقيق حمدي الدمرداش، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ٢٠٠٤م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

كتابة آية قرآنيَّة على آلة الحفر التماسًا للبركة

س: نريد أن نكتب آية: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هود: ٤١]. على الحفار الَّذي يقوم على حفر الأنفاق لسكك الحديد (الريل) تبرُّكًا بالقرآن الكريم. فما حكم الشرع في ذلك؟

المهندس حمد إبراهيم البشري
نائب الرئيس التنفيذي سكك الحديد القطرية (الريل)

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

بشأن السؤال عن كتابة آية قرآنية على الحفار، الَّذي تنوون تدشينه في مشروع «الريل»، فأنا أشكر لكم رغبتكم في كتابة بعض الآيات القرآنية، وهذا وإن دلَّ فإنَّما يدلُّ على ارتباط المسلم بربه وبكتابه، واطمئنانه إلى ما فيه ذكره سبحانه وتعالى.

كما أشكر لكم سلوك الطريق الَّتي أرشد إليها القرآن الكريم، وهي

QaradawiBooks.com

سؤال أهل العلم في مشـــروعية ذلك، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْـلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ولا أرى مانعًا شـــرعيًّا من ذكر بعض آيات القرآن الكريم تبرُّكًا بها، وتذكيرًا بمضمونها، ورغبةً في الاطمئنان بذكره تعالى، إلى غير ذلك من الأغراض المعتبرة.

وإن كان لي ملاحظة على اختيار هذه الآية: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْـمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هـــود: ٤١]، فالحفار ليس سفينة تجري وترسو، فاختيار الآية فيه نظر، فأقترح أن تكتبوا آية: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣ ـ ١٤].

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الاحتفال بيوم الميلاد

س: ما حكم الاحتفال بعيد الميلاد؟ هل يدخل هذا في الحديث الشريف: «**من تشبَّه بقومٍ فهو منهم**»[(١)]؟

(ح. ش. ف)

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

مسألة الاحتفال بعيد الميلاد هذه لم تكن لدى المسلمين طوال عصورهم الماضية، فلم يعرف في أيِّ عصرٍ من العصور أنَّ المسلمين احتفلوا بميلاد أحدهم أو بميلاد أبنائهم أو ميلاد بناتهم، كما يحتفل النَّاس في عصرنا هذا، الَّذي جاء به الإسلام هو الاحتفال بالمولود، في اليوم السابع من الميلاد نحتفل بالمولود بأن نعقَّ عنه، فرحًا بنعمة الله وشكرًا له عليها، وهذه العقيقة يفعل بها ما يفعل بالأضحية، تقسم أثلاثًا:

(١) رواه أحمد (٥٦٦٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في اللباس (٤٠٣١)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٠٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

ثلثًا يأكله الإنسان في بيته، وثلثًا يهدي منه لأقاربه وجيرانه وأصدقائه، وثلثًا يطعمه الفقراء والمساكين، هذا هو المشروع بالنسبة للمولود ذكرًا كان أو أنثى.

أمَّا احتفال الإنسان بيوم مولده أو بمولد أولاده كل عام فهو من التقليد الأعمى، أصبحنا أذنابًا لغيرنا، نقلِّده في كل ما يفعل، وقد خلقنا الله رؤوسًا، نأبى إلَّا أن نكون عبيدًا للغرب، وقد خلقنا الله أحرارًا.

في الغرب يحتفلون بأعياد الميلاد للأطفال وللكبار، فنحن نقلِّد الغربيين!

مرَّت عليك سنة، ينبغي لك أن تحاسب نفسك على هذه السنة، تقيم لنفسك كشف حساب، تحسب فيه المكاسب والخسائر، لا أن تشعل الشموع وتحتفل بنفسك، وأيضًا بالنسبة للأولاد اتخاذ هذه العادة لهم سنويًّا ليست من التقاليد المحمودة.

جواز احتفال المسلم بمناسبات معينة:

لكن أقول: يمكن أن نحتفل بالأولاد في مناسبات معينة؛ مثلًا عندما يولد المولود نحتفل به ـ كما قلتُ ـ بالعقيقة، وعندما يبلغ سبع سنوات نحتفل به ونقول له: هذه سِن الصلاة. ونقول له: والآن يا بطل هذه حفلة الصلاة، فأنت مطلوب منك الصلاة من الآن. ونأكل الكيك ونشرب العصائر، وعندما يبلغ عشر سنين نعمل حفلة أخرى «حفلة التكليف بالصلاة» نقول له: نحن عملنا لك حفلة من

QaradawiBooks.com

ثلاث سنين سابقة حتَّى تصلِّي، الآن كبرت، وإذا لم تصل تستحق الضرب. النبي ﷺ قال: «**مُرُوا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سنين، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشرٍ**»[(١)]. وبعدما يبلغ الخامسة عشرة نعمل له حفلة أنَّه بلغ سنَّ التكليف، فهذه حفلات بمناسبات، وليس كلَّما ازداد سنة نعمل له حفلة.

وممكن نحتفل بأبنائنا بأمور أخرى غير السن، إذا نجح نحتفل به، وعندما يقوم بعمل جيد نحتفل به، إذا حفظ بعض الأجزاء من القرآن نحتفل به.. وهكذا. وبالنسبة للفتاة ممكن أن نحتفل بها عندما ترتدي الحجاب.

فهذه الحفلات لمناسبات معينة، ولا نحتفل بهم كل سنة.

وأمَّا الحديث الَّذي ذكره الأخ: «**من تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم**»[(٢)]. فهو حديث حسن، وقد ضعَّفه بعض العلماء، ولكن على كلٍّ، فمعناه صحيح، فالتشبه بالآخرين ممنوع، وشيخ الإسلام ابن تيمية له كتاب اسمه: «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أهل الجحيم» كأنَّما أخذ هذا العنوان من قول الله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧]. فهناك صراط المنعَم عليهم، وهناك صراط المغضوب عليهم والضالين، وهم

(١) رواه أحمد (٦٦٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وحسن إسناده النووي في خلاصة الأحكام (٢٥٢/١)، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٢٣٨/٣). عن عبد الله بن عمرو.

(٢) سبق تخريجه صـ٦٣٩.

QaradawiBooks.com

أهل الجحيم، فالصراط المستقيم يقتضي مخالفة أهل الجحيم: ألَّا نعمل عملهم، وأن نتميَّز عنهم، ولذلك وردت عدة أحاديث تأمر بمخالفة أهل الجحيم، ممَّا يدل على أنَّ لنا صراطًا غير صراطهم، وسبيلًا غير سبيلهم، ومنهجًا غير مناهجهم، وهُويَّةً غير هُوياتهم، فعلينا أن نتميَّز في كل شيء.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الاحتفال بليلة القرنقعوه
وما يُرسم أو يُطبع على الحقائب والملابس من الصور

س: أنا امرأة مسلمة وأخاف الله كثيرًا، وأحاول تجنُّب ما نهى الشرع عنه، ولكنِّي الآن في حيرة من أمر يمس عاداتنا وتقاليدنا، كما تعلم أنَّ النَّاس هنا في قطر وفي بلاد الخليج عامَّة تعوَّدوا الاحتفال بليلة القرنقعوه، وهي ليلة النصف من رمضان الكريم، يخرج فيها الأطفال إلى بيوت الجيران، يهزجون بالأهازيج الجميلة، ويلبسون الثياب الجديدة، وأكياسًا يضعون فيها ما يجمعون من الحلوى والمكسرات الَّتي يعطيهم الجيران إياها، وهذه عادة قديمة توارثناها جيلًا عن جيل، ومناسبة يفرح الأطفال والكبار بها.

ومنذ عدة سنوات كنت أقوم بخياطة أكياس الأطفال الَّتي يستخدمونها في جمع الحلوى والمكسرات مقابل مبلغ بسيط، فهل هذا المبلغ حلال أو حرام؟ علمًا بأنِّي أخيط على هذه الأكياس صورة لرأس حيوان أو إنسان بدون جسم، فقيل لي مؤخَّرًا: إنَّ رسم هذه الصور على الأكياس حرام، فأسرعت بالاتصال بمركز الدعوة والإرشاد، فكان الردُّ أنَّ الاحتفال بالقرنقعوه حرام، ويجب علينا نحن المسلمين الابتعاد عنه وعن المشاركة فيه؛ لأنَّه بدعة.

QaradawiBooks.com

والآن يا فضيلة الشـــيخ أريد رأيكم في هذا الأمـــر، وإذا كان هذا الاحتفال بدعة محرَّمة، فلماذا لم تعلنوا ذلك على النَّاس ليمتنعوا عنه؟

(م. ر. م. س)

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أنا أخالف الإخوة في الدعوة والإرشاد في اعتبار الاحتفال بالقرنقعوه بدعة دينيَّة، هـــو يصبح بدعة إذا كان من يفعله: يفعلـــه تديُّنًا، يفعله بنية العبادة؛ لكنَّ الواقع أنَّ من يحتفل به لا يحتفل به على أنَّه عبادة، بل هم يعتبرونه عادة من العادات، تفريحة من التفريحات، فلو فعلوا ذلك تعبُّدًا لقلنا: لا، هو حرام؛ لأنَّ الأصل في العبـــادات التوقيف، لكن هذه عادة مثل عادة عمل الفوانيس في بعض البلاد في رمضان للأولاد، وكنَّا ونحن صغار نحمل الفوانيس، وندور على الجيران والأقارب، ونفرح بها.

فهذه الأشياء ليس لها علاقة بالعبادات، هي عادات يختلف فيها الناس، بعض البلاد يحتفلـــون بالقرنقعوه، وبعضها بأن يحمـــل الصغار الفوانيس، وبعضها بإضاءة المآذن، وتزيين البيوت والشـــوارع، كلُّها علامات فرح من الأمة بشـــهر رمضان، ورمضان جعله الله شـــهر فرحة. يقول رسول الله ﷺ: «**للصائم فرحتان يفرحُهما: إذا أفطرَ فرح بفطره، وإذا لقي ربَّه فرح بصومه**»[1].

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فهذا شهر فرحة للصغار وللكبار، فمن أجل هذا اخترع أهل الخليج هذه العادة، وهي عادة ليست في غير الخليج، فيما أعلم.

بعض النَّاس يقول: إنَّها عادة غير طيبة، فالأطفال يتعوَّدون على مسألة الناس. وأنا أقول لهم: لا يُنظر إليها بهذه النظرة الرزية، فالأطفال في هذه الليلة يفعلون ذلك، من قبيل اللعب والفرح والسرور والابتهاج بهذه الليلة، الَّتي ينتظرونها كل عام، يخرج كل الأطفال حتَّى أولاد الأغنياء والأثرياء في الاحتفال بتلك الليلة، والناس يشاركونهم فرحتهم، فيتركون الأبواب مفتَّحة ليدخلوا عندهم، فيعطونهم الحلوى والمكسرات، ومن لم يكن عنده الحلوى والمكسرات أعطاهم النقود، لكن أنصح أن تكون الحلوى والمكسرات الَّتي تعطى للأولاد نظيفة من أحسن وأجود الأنواع!

وإدخال السرور على قلب الإنسان المسلم، من أحبِّ الأعمال إلى الله ﷻ، قال رسول الله ﷺ: «**أحبُّ النَّاس إلى الله أنفعُهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله سرورٌ تدخله على مسلم**»[1]. فكيف بإدخال السرور على هؤلاء الأطفال؟

ولعل هذه الفرحة في ليلة النصف من الشهر نوع من التعبير عن الفرح والشكر لله أنَّنا صمنا وقمنا نصف أيام هذا الشهر، فينبغي أن ننظر لهذا الأمر هذه النظرة، ولا نقول: إنَّه بدعة. لأنَّه من يفعل هذا الأمر لا يفعله تعبدًا، وإنَّما يفعله عادةً.

وينبغي أن نقصر البدع على الأمور التعبدية، أمَّا الأمور العادية، فللناس أن تخترع العادات، النَّاس في عهد النبي ﷺ ما كانوا يعرفون المُنخُل،

(١) سبق تخريجه صـ٣٥.

QaradawiBooks.com

الَّذي ينخل به دقيق القمح والشـــعير، كانوا يذرونه في الهواء، ثم اخترعوا المُنخُل ليأخذوا الناعم من الدقيق، فهل نعتبر المناخل هذه بدعة؟!

ونحن في عصرنا اخترعنا أشـــياء ما كان للسلف بها من علم، ولم تخطر لهم علـــى بال، فهل هذه بدعة؟ هل الغســـالة بدعـــة؟ والثلاجة بدعة؟ والمكيف بدعة؟ وركوب الســـيارة بدعة؟ واســـتخدام التليفون بدعة؟ لو قلنا هذا، لكانت حياتنا مليئة بالبدع، فالبدع تكون فيما قصد به التعبد لله تعالى في العبادات، فالأصل في العبادات الاتباع والتوقيف، وفي أمور الدُّنيا الابتداع.

وأمَّا بالنسبة للتصوير الَّذي تصوِّره الأخت على الأكياس والحقائب، الَّتي يجمع فيها الأطفال الحلوى والمكســـرات ليلـــة القرنقعوه؛ بعض العلماء يكرهون هذه الصور، ولكنِّي لا أرى الكراهة في صورة رأس بقرة أو كذا، خصوصًا صورة الحيوانات الَّتي يألفها الأولاد، وهي صور غير كاملة، صورة رأس، فحتى الذين كرهوا الصور ومنعوها قالوا: أن تكون صورة لما يعيش به الإنسان أو الحيوان، فالرأس وحده أو الجسد وحده لا يعيش به الإنسان، والأولى من ذلك أن تصوِّر لهم شجرة أو وردة أو زهرة، أو مركب أو نحو ذلك خروجًا من الخلاف، أو أن تكون مطبوعة لأنَّ الطباعة ليست رسمًا، وليست من التصوير المحرَّم، بل هي عكوس (أي عكس للصورة) كما يسمِّيها النَّاس في الخليج. وفي حديث عُبَيْد الله الخَوْلاني عن زيد بن خالد: «**إلَّا رقمًا في ثوبٍ**»[1].

* * *

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٥٩٥٨)، ومسلم (٢١٠٦)، كلاهما في اللباس والزينة، عن أبي طلحة.

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	٣٤
﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	٣٤، ٦٤١
﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٧	٦٤١
سورة البقرة		
﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	١٠	٣٩٩
﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾	١٦	٢٤١
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾	٢٩	٢١، ٤٨
﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾	٣١ ـ ٣٣	٥٤٣
﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾	٣٥	١٠٦
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	٤٤	٥٤١
﴿ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾	٧٤	٥٠٩
﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾	٧٩	١٦٢

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾	٨٣	١٣
﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾	١١٥	١٠، ٤٥٩
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	١٤٣	٧١
﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾	١٤٤	٤٥٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	١٥٣	٣٤، ٤٥٧
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾	١٧٠ ـ ١٧١	٥٤٦
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾	١٧٣	٨٦، ٤٠٣، ٤٤٧، ٤٥٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾	١٧٨	٥٩٥
﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٧٩	٥٩٥
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾	١٨٠	٥٤٩
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾	١٨٥	١٥، ٤٦١
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	١٨٦	٣٩
﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾	١٨٧	١٠٥، ٤١٧
﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾	١٩٠	٢٥٠، ٣٢٣، ٣٨٩، ٤٩٧
﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾	١٩١	٣٢٣، ٤٩٧
﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ﴾	١٩٥	١٨، ٢٣٧، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٧، ٣١٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾	٢٠٥	٥٠
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾	٢٠٧	٣١٤، ٣١٥، ٣١٨
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾	٢١٥	٥٤٩
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ ﴾	٢١٧	١٦٩، ١٩٣، ١٩٦
﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	٢٢٩	٦٨
﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾	٢٣٨، ٢٣٩	٤٥٥
﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ﴾	٢٤٦	٢٧٣، ٢٨٠
﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾	٢٥٠	٣٢٦
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾	٢٥٥	٥٣٧
﴿ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٢٥٨	٥١١
﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۗ ﴾	٢٧٢	١٢٨، ١٨٤
﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾	٢٧٥	٤٩٨
﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	٢٨٥ ـ ٢٨٦	٥٣٦، ٤٥٦
سورة آل عمران		
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	٧	**٢٢٣**
﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾	٢٨	١٤٧
﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٥٧	٢٣٠، ٤٣٧، ٥١١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾	٦١	٣٩٩
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾	٦٤	١٣٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾	٧٧	٣٩٩
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾	١١٠	١٤٢، ٢٤٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾	١١٨	١٤٧
﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	١٣٩	٢٩٠
﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾	١٤٠	٢١٦، ٢٧٣، ٤٧١، ٥٥٠
﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ ﴾	١٤٦	٣٢٣
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾	١٦٩	١١٢، ٣١٤
﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ ﴾	١٧٠	١١٢
﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾	١٧٣	٣٣
﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ ﴾	١٨٨	٥٦٠
﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾	١٩٥	١٠٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	٢٠٠	٣٢٦
سورة النساء		
﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾	٥	٥٤٩
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ ﴾	٢٣	٦٦، ٦٧، ٤٠٣، ٥٨٦، ٥٨٩

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾	٢٩	١٩، ٤٦٧
﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾	٣١	٥٣٢
﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾	٣٤	٢٦٣
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾	٣٥	٦٢٥
﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾	٣٦	٣٩٤
﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾	٥٣	٣٠٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾	٥٨	٢٢٨، ٢٣٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾	٥٩	٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٨١، ٢٩١
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾	٦٠	٢٢٤، ٢٥٨
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾	٦١	٢٢٤
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	٦٥	٢٢٤
﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم﴾	٦٦	٢٧٣
﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ﴾	٧٥	١٣٩، ٤٧٧، ٥٠٧
﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾	٨٣	٢٩٢
﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾	٨٤	٣١٨، ٣١٩
﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾	٨٦	٤١٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾	٩٠	٢٥٠
﴿وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾	٩٢	٧٤، ٤٣٢، ٦٠٨، ٦٠٩
﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا﴾	٩٣	٣٤٦، ٥٩٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ﴾	٩٧	١٤٠، ٣٧٣
﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ﴾	٩٨	١٤٠، ٣٧٣، ٣٧٤
﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّٗا غَفُورٗا﴾	٩٩	١٤٠، ٣٧٣، ٣٧٤
﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ﴾	١٠٠	٣٧٤
﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ﴾	١٠٤	٣٢٢
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾	١٠٥ ـ ١١٣	٣٤١
﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾	١١٩	١١٥
﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾	١٢٨	٢٨٢، ٢٨٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾	١٣٥	١٧٣
﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا﴾	١٤٠	٣٩٦، ٤٣١، ٤٣٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾	١٤٤	١٤٧
﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾	١٤٥	٢٤١
﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾	١٤٨	٣٤٠
﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾	١٥٦	٤٢٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المائدة		
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾	٢	٢٠٩، ٢٩٦، ٣٢٨، ٣٣٥، ٣٥٩، ٥١١
﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ﴾	٥	٤١٧، ٤٩٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾	٨	١٧٣، ١٩٠، ٣٤٢
﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٣٢	١٢٧، ٢٣٨، ٣٤٦، ٥١٨، ٥٢٠، ٥٩٤، ٦٢٣
﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾	٣٣	٥٩٨
﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾	٣٨	٦٠٤
﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	٤٤	١٤٦، ٢٢٤، ٣٨٦
﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٤٥	١٤٦، ٢٢٤، ٣٨٦
﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾	٤٧	١٤٦، ٢٢٤، ٣٨٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾	٥١	٢٢٤، ٢٣٠، ٢٤١، ٤٣٧، ٤٥٠
﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾	٥٢	٣٣٦
﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٥٤	٣٣٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ ﴾	٧٨، ٧٩	١٤٠
﴿ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴾	٩٠ ـ ٩١	٤٤١
سورة المائدة		
﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	٢١	٢٣٠، ٤٣٧
﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾	٥٠	٥٤١
﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ ﴾	٩٣، ٩٤	١١٢
﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾	١٠٨	٣٩١
﴿ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِ ﴾	١١٩	١٣، ٢١٠
﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾	١٤٨	٥٤٤
﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾	١٥١	٥١٨
سورة الأعراف		
﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾	١٢	٣٤٠
﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾	٥٩	٢٤٦
﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾	١٥٧	٢٦٤
﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾	١٥٨	٤٠٨
﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾	١٨٥	٥٤١
سورة الأنفال		
﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾	٢٥	١٤٥، ٢٢٩، ٢٣١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾	٣٠	٢٩٨
﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾	٤٢	٢٩٩
﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٤٩	٣٢٠
﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾	٦٠	٢٩٦، ٣٠٩، ٣٤٥
﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾	٦١	٢٧٦، ٢٨٦
﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾	٧٢	٣٢٨
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾	٧٣	٢٥٤، ٣٣٢، ٥٠٧
سورة التوبة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾	٢٣	١٩٥
﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾	٢٩	٣٨١، ٣٨٢، ٤٩٩
﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾	٣١	١٦٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟﴾	٣٨، ٣٩	٢٦٧
﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾	٤٠	٣٣
﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾	٦٠	١٢٩، ١٨٦
﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾	٧١	٣٤٢، ٥٠٧، ٥١٦، ٦٢٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾	١٠٥	٣٣٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم ﴾	١١١	٣١٤
﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾	١١٨	٤٩٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	١١٩	٣٩٩
﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ ﴾	١٢٠	٤٦٦، ٥٠١
سورة التوبة		
﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ ﴾	٢٢، ٢٣	٣٩
﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾	٣٢	٣٥٩
﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗاۚ ﴾	٣٦	٥٤٤
﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا ﴾	٥٩	٢١٢
﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ ﴾	٩٩	١٨٩، ٢٤٩
﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	١٠١	٥٤١
سورة هود		
﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	١٨	٢٣٠
﴿ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	٤١	٦٣٧، ٦٣٨
﴿ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴾	٥٩	١٤٦
﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾	٨٨	٦٣٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾	١١٣	١٤٦، ١٩٨، ٢٣١، ٣٣٥، ٣٤٦، ٣٥٩، ٤٣٧، ٥١١
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾	١١٨	١٨٩
سورة يوسف		
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾	٢	٤٤٣
﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٢١	٢٦٩، ٣٦٧
﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾	٢٣، ٢٤	٦١٦
﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾	٤٧ ـ ٤٩	٥٤٢
﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ ﴾	٥٣	٦٠١
﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾	٥٥	١٧١
﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ ﴾	٨٣	٣٢
﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	٨٦	٣٢
﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٨٧	٣٢، ٤٧١
﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾	١٠٨	٥٢٦
سورة الرعد		
﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ ﴾	٢٥	٤٠٠

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة إبراهيم		
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾	٤	٤١٠، ٥٣٠
﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	٤٢	٣٥٦
﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ ﴾	٤٦	٣٥٨
سورة النحل		
﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	٨	٤٨
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾	١٢	٤٨
﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	٤٣	٢٢، ٦٣٨
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾	٩٠	٤١٨
﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ ﴾	٩١	٢٥٦، ٣٩٩
﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ ﴾	١٠٦	٨٦، ٤٦٤
﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا ﴾	١١١	٣٤١
﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾	١٢٥	٢٤٨، ٦٣٤
سورة الإسراء		
﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾	١	٢٦٦
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴾	١٥	٧٣
﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾	٣٢	٥٧٦، ٥٩٠
﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا ﴾	٣٣	٥٩٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾	٣٤	٢٥٦، ٣٩٩
﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	٥٣	١٣
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾	٧٠	١٨٩، ٢٤٩
﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	٨١	٣٣٣
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾	٨٥	٤٩، ٧٥، ١١٠، ٥٣٨
سورة الكهف		
﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا﴾	٢٩	١٨٩، ٢٣٠
﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾	٤٩	١١١
﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ ۖ﴾	٩٦	٥٤٧
﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾	٩٧	٤٩، ٥٤٧
﴿قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾	٩٨	٤٩، ٥٤٧
﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ۞ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	١٠٣، ١٠٤	٦٢٨
سورة مريم		
﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ﴾	٥٩	٥٧٦
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾	٦٤	٢٠٩
سورة طه		
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾	١١٤	٤٩، ٥٣٨، ٥٥٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنبياء		
﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	٣٣	٦١٩
﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	٦٩	٣٣
﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾	٨٣، ٨٤	٣٢
﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٨٧، ٨٨	٣٣
﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ﴾	٨٩، ٩٠	٣٣
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾	٩٢	٣٢٨
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	٤٠٧
سورة الحج		
﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾	٣٠	٤٣٨
﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	٤١	٣٧٩
﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾	٦٨، ٦٩	١٩٠، ٢٤٩
﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾	٧٨	١٦، ٤٥٧
سورة المؤمنون		
﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ ﴾	٥ ـ ٧	٥٧٦
﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾	٨	٣٩٩
سورة النور		
﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ ﴾	٢	٥٨٩
﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ ﴾	٦ ـ ٩	٥٤، ٥٩١، ٥٩٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾	٤٠	٣٥١
﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾	٤٧، ٤٨	٢٢٤
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾	٥١	٢٢٤
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٤٠٧
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾	٥٤	١٧٨، ٤١٨
﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾	٥٩	٢٢، ٥١، ٢٨٦
سورة الشعراء		
﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾	٢٢٧	٣٤٣، ٤٣٨
سورة النمل		
﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾	٤٠	٤٩، ٥٤٣
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾	٤٥	١٩٤
﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	٥٠	٣٦٧
﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٥١	٣٦٧
﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾	٥٢	٣٦٧، ٤٣٨
﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾	٩٣	٤٨
سورة القصص		
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾	٨	٢٣١، ٣٤٨
﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾	١٧	٣٥٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾	٢٦	١٧١
﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾	٤٠	٢٣١، ٣٤٨
﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾	٤١	٣٤٨
﴿ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾	٤٢	٣٤٨
﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ ﴾	٥٠	٥٤٥
سورة العنكبوت		
﴿ الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾	١ ـ ٣	١٩٦
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ ﴾	١٠	١٩٦
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا ﴾	١٢	٣٤٩
﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	٤٦	١٨١، ٦٣٤
﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ ﴾	٤٨	٥٣٧
﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـَٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٣٧٢
سورة الروم		
﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ﴾	١ ـ ٦	٢٩٨، ٣٠٣، ٥١٤
﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾	٢١	١٧٨، ٤١٧، ٥٠٠، ٥٧٧
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾	٢٧	١٠٨
سورة لقمان		
﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾	١٥	١٨٤، ٤٢٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾	١٧	٣١٤
﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٢٠	٢١، ٤٧
سورة السجدة		
﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾	٩	٧٥
سورة الأحزاب		
﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾	٦	٤١٨
﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾	٢٣، ٢٤	٤٦٣
﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾	٢٥	٢٣٦، ٢٣٧
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾	٣٦	١٥٤، ٢٢٥، ٣٨٦
﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾	٣٩	١٤٩، ٤١٣
﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾	٤٩	١٢٣
﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾	٥٨	٣٥٠
﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾	٦٢	١٩٦
﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾	٦٧	٥٤٦
سورة سبأ		
﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۞ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾	١٠ ـ ١١	٥٤٧
﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	١٢	٥٤٧
﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾	٣١ ـ ٣٣	٣٦٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة فاطر		
﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾	٨	٦٢٨
﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾	١٤	٢٢، ٥١، ٢٨٦
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ﴾	٢٧، ٢٨	١٠٢
سورة يس		
﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾	٣٦	١٠٥
سورة الصافات		
﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾	١٧٣	٢٩٠
سورة ص		
﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾	٢٦	٥٤٥
سورة الزمر		
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٩	٥٤١
﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾	١٠	٣٧٢
سورة غافر		
﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾	١٩	٥٠٥
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾	٦٠	٣٩
سورة فصلت		
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾	٥٣	٤٨

غير مرخصة للطباع
نسخة مجانية

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشورى		
﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	١٠	٢٨١
﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ ﴾	١٥	١٩٠، ٢٤٩
﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾	٢١	٢١١
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴾	٣٩	٥١٣
﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾	٤١، ٤٢	٥١٣
﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴾	٤٥	٢٣٠
﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ ﴾	٤٩، ٥٠	٤٢
سورة الزخرف		
﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴾	١٣ ـ ١٤	٦٣٨
﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾	٥٤	١٤٦
سورة الجاثية		
﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾	١٣	٤٨
﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾	٢٤	٢٤٦
سورة الأحقاف		
﴿ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗا ﴾	١٥	٥٩٣
سورة محمد		
﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾	٢٢ ـ ٢٣	٣٥٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾	٣٥	٢٧٧، ٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٠١، ٣٢٤، ٣٣٢
سورة الفتح		
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾	١	٢٣٦
﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾	١٨	٢٨٣، ٥٠٤
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾	٢٤	٢٣٦
﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾	٢٩	٤٦٦، ٥٠١
سورة الحجرات		
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾	٩	٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٥٠٥، ٦٢٥
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	١٠	١٤٤، ٣٢٨، ٤٣٥، ٤٧٢، ٥٠٥، ٦٢٥
﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾	١٣	٤١٢
سورة الذاريات		
﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٢٠، ٢١	٤٨
﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾	٤٠	٣٤٨
﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	٤٩	١٠٥

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النجم		
﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾	٢٣	٥٤٥
﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾	٢٨	٥٤٤
﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾	٣٩	٤٢٣، ٤٧٠
﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾	٤٥، ٤٦	١٠٥
سورة الحديد		
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾	٢٥	٢٦٠، ٥٤٧
سورة المجادلة		
﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ﴾	٢	٤٢، ١٠٣
﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾	٤	٦٠٨
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾	٦	١١١
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ﴾	٢٢	١٩٥، ٥٠٠
سورة الحشر		
﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾	٨	٢٨٢، ٢٨٨
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾	٩	٤٦٣، ٥٣٤
﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾	٢٢ ـ ٢٤	٥٣٧
سورة الممتحنة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾	١	١٤٧، ٢٩٧

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾	٨	١٢٨، ١٧٩، ١٨٤، ١٨٧، ٢٥٠، ٣٠٠، ٤١٦
﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾	٩	١٧٩، ٢٥٠، ٣٠٠، ٤١٦، ٤٩٧
﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾	١٢	١٥٤، ٢٢٧، ٣٥٣
سورة الصف		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا ﴾	٢، ٣	٣٩٩
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾	٤	١٦٨
سورة المنافقون		
﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾	٤	٤٣٣
سورة التغابن		
﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾	١٦	٢٨٢، ٣٣٠، ٤٥٦، ٤٥٩
سورة الطلاق		
﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾	١	١٢٣
﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾	٢	١٧٢، ١٧٣، ٥٨٤
﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾	٣	٥٨٤
﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾	٤	٥٨٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التحريم		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾	٦	٥٦٩
سورة القلم		
﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾	١	٥٤٣
﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۝ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾	٤٤ ـ ٤٥	٣٦٧
سورة الحاقة		
﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾	٣٣، ٣٤	١٤٥
سورة نوح		
﴿وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا﴾	٢١	١٤٥
سورة الإنسان		
﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ﴾	٢	٨٣
﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾	٨	١٢٨، ١٨٤، ٥٣٤
﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾	٩	١٢٨
سورة النبأ		
﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَاجٗا﴾	٨	١٠٥
سورة الانفطار		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾	٦، ٧	١١٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البروج		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾	١٠	١٩٥، ٢٤٣
سورة الطارق		
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۞ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾	١٥ ـ ١٧	٣٦٧
سورة الفجر		
﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۞ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾	١١، ١٢	٤٣٨
﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾	١٧، ١٨	١٤٥
سورة البلد		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾	٤	٨٣
سورة التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	١١٦
سورة العلق		
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾	١ ـ ٥	٤٨، ٩٨، ٥٣٦، ٥٤١
سورة البينة		
﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾	١	٢٤٧
سورة قريش		
﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۞ ٱلَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾	٣، ٤	٥٢٠

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الماعون		
﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾	١ ـ ٣	١٤٥
سورة الكافرون		
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾	١ ـ ٦	٢٤٨

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان	٣٩٩
اتَّقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأتْبِع السيِّئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقْ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَن	٤١٨
اتَّقوا دعوةَ المظلوم وإن كان كافرًا، فإنَّه ليس دونها حجاب	٥١٢
اجتنبوا السبعَ الموبقاتِ	٥٣٣
أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ ﷻ عبدُ الله وعبدُ الرحمٰن	٢٣٦
أحبُّ النَّاسِ إلى الله أنفعُهم للنَّاس	٣٥، ٦٤٥
أَحْصُوا لي كم يلفظُ الإسلامَ	٥٤٢
ادْعُوا الله وأنتم موقنون بالإجابة	٣٩
إذا أمرتكم بأمرٍ، فأتوا منه ما استطعتم	٢٩٦، ٣٣٠، ٤٥٦، ٤٥٩
إذا بويع لخليفتَيْن فاقتلوا الثانيَ منهما	٦٢٩
إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتلُ والمقتولُ في النَّار!	٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٥
إذا رأيتَ أُمَّتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم؛ فقد تُوُدِّع منهم	١٤٢، ٣٤٢، ٦٣٣
إذا ضُيِّعت الأمانةُ فانتظر الساعة	١٧٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إذا فُتِحَتْ مصرُ؛ فاستوصوا بالقبط خيرًا، فإنَّ لهم ذمَّةً ورحمًا	١٩٢
إذا كُنْتم ثلاثةً في سفر فأَمِّرُوا أحدكم	٢٠٢
إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلَّا من ثلاثٍ: صدقة جارية	١٢٦
إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكًا	٧٦
أذن في أذني الحسن حين ولدته فاطمة	٦
أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا	٣٩٩
الإسلامُ يعلو ولا يُعلى	٤٢٨
اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبدٌ حبشيٌّ، كأنَّ رأسَه زبيبة	٣٥٣
اصنعوا لآلِ جعفرٍ طعامًا، فقد أتاهم أمرٌ يشغلهم	٧
أطعموا الجائعَ، وعودوا المريضَ، وفُكُّوا العانيَ	٤٧٧
اغزوا باسمِ الله، وفي سبيلِ الله، وقاتلوا من كفرَ بالله، اغزوا، ولا تغدروا	٢٣٧
أفضلُ الجهاد كلمةُ عدلٍ عند سلطان جائر	١٣٩، ٢٣٢، ٣١٤، ٦٣٣
أقربُ ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجد، فاجتهدوا في الدعاء	٣٥
أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا	٤١٩
ألا أُعلِّمُكِ كلماتٍ تقوليهن عند الكرب	٣٧
إلَّا أن تَرَوْا كُفْرًا بواحًا، عندكم فيه من الله برهانٌ	٢٠٣، ٣٥٤، ٦٣٣
إلَّا رقمًا في ثوبٍ	٦٤٦
اللهَ اللهَ في قبط مصر، فإنَّكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة	١٩١
ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟	٦٣٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أَلَيْسَتْ نفْسًا؟!	١٨٩، ٢٤٩، ٤٢٥
أمَا إنَّهما ليُعَذَّبان، وما يُعَذَّبان في كبير	١١١
إنَّ أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم علقة مثل ذلك	٧٦
إنَّ الإسلام يزيدُ ولا ينقص	٤٢٨
إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمال	١١٣
إنَّ الله حرَّم الخمر وثمنها، وحرَّم الميتة وثمنها، وحرَّم الخنزير وثمنه	٤٤٠
إنَّ الله سائلٌ كلَّ راعٍ عمَّن استرعاه: حفظ أم ضيَّع؟	٢٠
إنَّ الله فرض فرائض فلا تضيِّعوها، وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها	٢١٠
إنَّ الله وضع عن أُمَّتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه	٨٦، ٤٦٥
إنَّ اللهَ يبعثُ لهذه الأُمَّة على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ من يُجدِّد لها دينَها	٤٨٨
إنَّ الله يحبُّ إذا عمل أحدُكم عملًا أن يُتقنه	٥٤٦
إنَّ الله يحبُّ الرِّفْقَ، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف	٦٢٣
أنا وكافلُ اليتيم في الجنَّة كهاتين	٤٣
أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك. قال: قلت: ثم أي؟	٥٩٠
أن رسول الله ﷺ استعار منه (صفوان ابن أمية) أدراعا يوم حنين	٢٥٤
أن رسول الله ﷺ تصدق صدقة على أهل بيت من اليهود	١٨٦
إنَّ الرِفْقَ لا يكون في شيءٍ إلَّا زانه، ولا ينزع من شيءٍ إلَّا شانه	٦٢٣
إن شئتِ صبرتِ ولك الجنَّة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يُعافِيَكِ	٩٣
إنْ قامت الساعةُ، وبيدِ أحدِكم فسيلةٌ	٥٤٦
إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن...	٢٣٠
إنَّ النَّاس إذا رَأَوا الظالم فلم يأخذوا على يديه	٢٣١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ هذين حرامٌ على ذكور أُمَّتي	١١٧
أنا أولى النَّاس بعيسى ابن مريم في الدُّنيا والآخرة	٢٤٩
إنَّا لا نَستعينُ بمُشرِكٍ	٢٥٣
انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا	٣٤٢، ٥٠٨
انصرفا، نفي لهم بعَهْدِهم، ونستعينُ الله عليهم	٤٠٠
انطلقوا باسم الله وبالله، وعلى ملَّة رسول الله، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا	٢٣٧
انظرْ علام اجتمع هؤلاء؟. فجاء فقال: على امرأةٍ قتيلٍ	٢٣٧، ٢٥١
إنَّكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامَكم	٥٨٩
إنَّكم ستفتحون أرضًا يُذكر فيها القيراطُ، فاستوصوا بأهلها خيرًا	١٩١
إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى	٤٤٦
إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّم مكارمَ الأخلاق	٤١٩
إنَّما بُعثتم مُيَسِّرين ولم تُبعثوا مُعَسِّرين	٧١، ٤١٠
إنَّما الرضاعة من المجاعة	٦٨
إنَّما الطاعةُ في المعروف	٢٢٥، ٣٤٨، ٣٥٣
إنَّما النساءُ شقائقُ الرجال	٥١٦
إنَّه سيكون أمراء، فمن صدَّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم	٣٦٠
إنَّه لا يدخل الجنَّة لحمٌ نبت من سُحْتٍ، النَّار أولى به	٥٥٩
إنِّي أريدُ أن أبعثك على جيش، فيُسلِمك الله ويُغْنِمك	٥٤٨
إنِّي لَأعلمُ كلمةً لا يقولها مكروبٌ إلَّا فرَّج اللهُ عنه، كلمة أخي يُونس	٣٨
ب	
بادروا بالأعمالِ فتنًا كقِطَعِ الليلِ المظلم	١٩٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
بُعِثْتُ بحنيفيَّة سمحة	٧١
بلى، والذي نفسي بيده، إنكم على الحق إن متم وإن حييتم	٢٢٠
ت	
ترى المؤمنين في توادِّهم وتعاطفهم وتراحمهم، كمثلِ الجسدِ الواحد	٤٣٦، ٦٢٤
تعبدُ اللهَ لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة	٥٣٢
تقتلُكَ الفئةُ الباغية	٢٠١
توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي	١٨٦
توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين	٤٩٨
ث	
ثم قل: باسم الله رب الغلام. ثم ارمني	٣١٩
ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل	٢٣٠
ح	
الحلالُ ما أحلَّ الله في كتابه، والحرام ما حرَّم الله في كتابه	٢١٠
الحمدُ لله الَّذي أنقذه بي من النَّار	١٨٦
الحياء من الإيمان	٤٠٩
خ	
خمسُ صلوات في اليوم والليلة. فقال: هل عليَّ غيرهن؟ قال: لا	٥٣٢
د	
دَع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك	٢٥٤
دعواتُ المكروبِ: اللهمَّ رحمتَك أرجو	٣٧
دعوةُ ذي النون، إذ دعا ربَّه وهو في بطن الحوت	٣٨
الدِّينُ النصيحة، لله، ورسوله، وكتابه، وأئمَّة المسلمين وعامَّتهم	١٣٨، ٦٣٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
س	
سبابُ المسلم فسوقٌ، وقتالُه كفرٌ	٦٢٧
سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل	٢٣٠
ستصالحون الرُّوم صلحًا آمنًا، وتغزون أنتم وهم عدوًّا من ورائكم	٢٥٤
ستفترق أُمَّتي إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة	٥١٠
السمْعُ والطاعة حقٌّ على المرء المسلم، فيما أحبَّ وكره	١٥٤، ٢٠٢، ٣٤٨، ٣٥٣
سيِّد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمامٍ جائر، فأمره ونهاه، فقتله	١٣٩، ٢٣٣، ٣١٤، ٦٣٣
سيكونُ بعدي فتنٌ كقِطَعِ الليلِ المظلم	١٩٨
ش	
شرُّ ما في الرجل: شحٌّ هالع، وجبنٌ خالع	٣١٤
ص	
صَلِّ قائمًا؛ فإنْ لم تستطعْ فقاعدًا، فإنْ لم تستطعْ فعلى جنبٍ	٤٥٦
صلى بالمدينة سبعا وثمانيا: الظهر والعصر والمغرب والعشاء	١١
الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحا حرَّم حلالًا، أو حلَّل حرامًا	٢٨٩
ع	
عُذِّبت امرأةٌ في هرَّة حبستها حتَّى ماتت جوعًا، فدخلت فيها النَّار	٢٣٨
ف	
فإذا أُصيب دواء الداء برأ بإذن الله ﷻ	٣٠
فاستوصوا بهم خيرًا، فإنَّهم قوَّة لكم، وبلاغ إلى عدوِّكم بإذن الله	١٩١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
فأمر به النبي ﷺ فَرُضَّ رأسه بين حجرين	٥٩٨
فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفًا من ذهب	١١٧
فتنةٌ عمياءُ صمَّاء، عليها دعاة على أبواب النار	١٩٧
فكتب رسول الله ﷺ إليه أن يخلي بينهم وبين الحمل	٣٣١
فمن اتَّقى الشبهاتِ استبرأ لدينه وعِرْضه	٥٣٤
فمَن جاهدَهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بلسانِه فهو مؤمن	٢٣٢
فوالله لأنْ يهدي اللهُ بك رجلًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم	٤٤٠
في كلِّ كبدٍ رطْبةٍ أجر	١٢٩
ق	
قاتلْه. قال: فإن قتلته؟ قال: هو في النَّار	٥٠٤
قنت شهرا يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب، على رعل، وذكوان	٤٧٧
ك	
كان خلقه القرآن	٥٣٠
كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمرٌ صلَّى	٣٤
كفى بالمرءِ إثمًا أن يُضَيِّع مَنْ يقوت	٢٠
كل ابن آدم يأكله التراب، إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب	١٠٨
كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته	٢١، ٨٩، ٥٦٧، ٥٦٩
كلمةُ حقٍّ عند سُلطانٍ جائر	٢٣٢
الكلمة الطيبة صدقة... وتميط الأذى عن الطريق صدقة	١٢٦
كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور، ألَا فزُوروها	٤٢٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ل	
لا إلٰه إلَّا الله العليم الحليم، لا إلٰه إلَّا الله رب العرش العظيم	٣٦
لا ترجعوا بعدي كفَّارًا، يضرب بعضُكم رقابَ بعضٍ	٦٢٧
لا تروِّعوا المسلمَ؛ فإنَّ رَوعة المسلمِ ظُلمٌ عظيم	٦٢٧
لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد... ومسجد الأقصى	٤٩٨
لا تقوم الساعة حتَّى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون	٣٠٨
لا رضاعَ إلَّا ما أنشز العظمَ وأنبت اللحمَ	٦٥
لا ضررَ ولا ضرارَ	١٩
لا طاعةَ لبشرٍ في معصية الله	٢٢٥
لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الله ﷻ	٢٢٥
لا يتوارث أهلُ مِلَّتَيْن شتَّى	٤٢٧
لا يُجمع بين المرأةِ وعمَّتِها، ولا بين المرأة وخالتها	٥٨٩
لا يحلُّ لمسلمٍ أن يروِّع مسلمًا	٥١٩، ٦٢٧
لا يرثُ المسلمُ الكافر، ولا الكافرُ المسلم	٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١
لا يزال يُستجابُ للعبدِ ما لم يستعجلْ	٤٠
لا يسرقُ السارقُ حينَ يسرقُ وهو مؤمن	٦٠٣
لا يشيرُ أحدُكم على أخيه بالسلاح	٣٤٧
لا يُقتل مسلمٌ بكافر	٤٢٩، ٤٣١
لا يقضيَنَّ حكم بين اثنين وهو غضبان	٥٤٥
لا ينبغي لمسلمٍ أن يُذِلَّ نفسه	٣٧٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لزوالُ الدُّنيا أهونُ عند الله من قتل امرئٍ مسلمٍ بغير حقٍّ	٣٤٧، ٥٢٠، ٥٩٤، ٦٢٣
لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه	٣٩٦
لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة	٣٩٦، ٤٤٠
لعن الله الواشمات والموتشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحسن	١١٤، ١١٦
لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة	١١٤
لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جُدعان حِلْفًا	٢٦٠، ٥١٢
للصائم فرحتان يفرحُهما: إذا أفطرَ فرح بفطره	٦٤٤
لم يكن النبي ﷺ سبابا، ولا فحاشا، ولا لعانا	٤٩٤
لن يزال المؤمنُ في فُسحة من دِينه، ما لم يصبْ دمًا حرامًا	٣٤٦
لن يفلح قومٌ ولَّوْا أمرَهم امرأة	٥١٧
لو أنَّ أهل السماء والأرض اشتركوا في دمِ مؤمنٍ، لأكبَّهم اللهُ في النَّار	٣٤٧
ليس منَّا من لم يرحم صغيرَنا، ويوقِّر كبيرَنا، ويعرف لعالمنا حقَّه	٤٩٣
ليس من البرِّ الصيامُ في السفر	٤٦١
ليسوا بالفرار، ولكنهم الكُرَّار إن شاء الله تعالى	٣٩٠
م	
ما أحلَّ اللهُ في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام	٢٠٩
ما أصاب عبدًا همٌّ ولا حزنٌ فقال: اللهمَّ إنِّي عبدُكَ، ابنُ عبدِك	٣٧
ما أنزل الله داء، إلا قد أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله	٣٠
ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتَّى ظننتُ أنَّه سيُوَرِّثه	١٨٧، ٣٩٥
ما من مولودٍ إلَّا يُولَدُ على الفِطْرة	٨٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما من نبيٍّ بعثه الله في أُمَّة قبلي؛ إلَّا كان له من أُمَّته حواريُّون	١٤٣
ما هذا؟. قالوا: لزينب تصلي، فإذا كسلت أو فترت أمسكت به	٥٤٨
ما يصيب المسلمَ من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ، ولا همٍّ ولا حزنٍ	٨٦
المتشبِّع بما لم يُعطَ كلابس ثوبَيْ زُور	٥٦٠
مُرُوا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سنين، واضربوهم عليها	٦٤١
المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلِمه، ولا يخذله	٣٢٨، ٣٤٢، ٤٣٥، ٥٠٧
المسلمون على شروطهم، إلَّا شرطًا حرَّم حلالًا، أو أحلَّ حرامًا	٢٥٦، ٣٩٨
المسلمون يسعى بذِمَّتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم	٤٣٥، ٥٠٨
مَنْ أتاكم وأمْرُكُم جميعٌ على رجلٍ واحد، يريد أن يشقَّ عصاكم	٢٠٣
من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ	٢١٠
من أشار إلى أخيه بحديدةٍ؛ فإنَّ الملائكة تلعنه، حتَّى يدعه	٣٤٧
من تشبَّه بقومٍ فهو منهم	٦٣٩، ٦٤١
من حمل علينا السلاحَ فليس منَّا	٦٢٧
من رأى من أميره شيئًا يكرهه، فليصبرْ عليه	٢٠٢، ٣٥٣
من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه	١٤١، ١٤٢، ٢٣٢، ٣٩١
من ربك؟... ما دينك؟... ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟	١١١
من سَنَّ سُنَّة حسنة، فله أجرُها وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة	٢١٤
مَن شُبْرمة؟ قال: أخٌ لي. أو: قريبٌ لي	٤٧٢
مَن غشَّنا فليس منَّا	٥٥٨، ٥٧١
من الغَيْرة ما يحبُّ الله، ومنها ما يبغض الله	٢٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
مَنْ كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخر فلا يقعدنَّ على مائدةٍ يُدارُ عليها الخمر	١٤، ٣٩٣، ٣٩٥، ٤٠٢
من كره من أميره شيئًا فليصبرْ، فإنَّ من فارق الجماعة شبرًا، فمات	٦٣٢
من لم يهتمَّ بأمر المسلمين، فليس منهم	١٤٤
مَن يتَّقِ الشرَّ يُوقَه	٤٤٦
من يردُّهم عنَّا وله الجنَّة؟. فتقدَّم رجل من الأنصار	٣١٦
المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بَعْضُه بعضًا	٢٠٩، ٤٣٥، ٥٠٨
ن	
نشكرُك اللهمَّ ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك	١٣٩، ٢٢٩
نعم، صِلِي أُمَّكِ	١٨٥، ٤١٧
نعم. قلتُ: هل وراء ذلك الشرِّ خيرٌ؟ قال: نعم	١٩٧، ٢٣٣
نعم والذِي نفْسُ محمَّدٍ بيده، إنَّه لفَتْح	٢٣٦
و	
واتَّقِ دعوةَ المظلوم، فإنَّه ليس بينه وبين الله حجاب	١٩٠
وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع	٢٣٣
وأيُّما أهلِ عَرْصَةٍ بات فيهم امرؤٌ جائع؛ فقد برئت منهم ذِمَّةُ الله	١٤٤
وبطن الأرض خيرٌ لهم من ظهرها	١٤٢
وجُعِلَتْ لي الأرضُ مسجدًا	١١
وفي بُضْع أحدكم صدقة	٥٧٧
وكان النبيُّ يُبعث إلى قومه خاصَّة، وبُعثت إلى النَّاس كافَّة	٤٠٨
الولد للفراش	٥٩١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ولئن طالت بك حياةٌ لترى الرجلَ يُخرج ملءَ كفِّه ذهبًا أو فضَّة	٤٨٧
وما يدريكم أنَّ الله تعالى اطَّلع على أهل بدر	٢٤٢
ومن ادَّعى ما ليس له فليس منَّا، وليتبوَّأْ مقعدَه من النَّار	٥٦٠
ومن مات وليس في عنقه بيعةٌ لإمامٍ مات ميتة جاهليَّة	١٤٦
وهل تُنصَرون وتُرزقون إلَّا بضعفائكم؟!	٣٦
ي	
يا أبا أُمامة، ما لي أراكَ في المسجد في غيرِ وقتِ الصلاة؟	٣٨
يا أبا جندل، اصبرْ واحتسبْ	٤٠١
يا حيُّ يا قيُّوم، برحمتكَ أستغيث	٣٦
يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله	٤١٩، ٦٢٣، ٦٧٩
يا عبادي، إنِّي حرَّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلته بينكم محرَّمًا، فلا تظالموا	٣٥٠
يا عبد الله، ألم أُخْبَر أنَّك تصوم النهار، وتقوم الليل؟	٢٣، ١١٤، ٥٤٨
يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب... فضحك رسول الله ﷺ	١٩
يا معشرَ الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّجْ	٥٧٧
يَحْرُم من الرضاعِ ما يحرم من النَّسَب	٦٧
يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه إلى صلاتهم، وقيامَه إلى قيامهم	٦٢٨
يختلون الدُّنيا بالدِّين، ويلبسون جلودَ الضأن من اللِّين	١٩٨
يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا	٤١٠، ٥٥٣
يكون بعدي أئمَّة لا يهتدون بهُدَاي، ولا يستنُّون بسُنَّتي	٢٢٢، ٦٣٢
ينهانا عن المثلة	١١٠

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

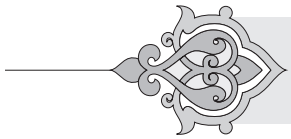

فهرس الموضوعات

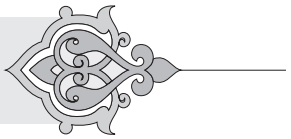

• **في الطبِّ والصحَّة** ٥

❖ **تقديم الطعام لأهل الميت** ٧

❖ **أجوبة سريعة لأسئلة عاجلة في مسائل طبيَّة** ٩

أ. قسم النساء والولادة ٩

ب. في العمليَّات ١٠

ج. أسئلة عامَّة ١٢

❖ **تطعيم الأطفال باللقاح الواقي من الشلل** ١٧

❖ **فحص الطبيبة للرجال** ٢٥

❖ **فحص الطبيب للمرأة** ٢٦

❖ **دواء الاكتئاب والكرب** ٢٩

ما أنزل الله داءً إلَّا أنزل له شفاء ٣٠

دواء الاكتئاب من صيدلية الإسلام ٣٢

اللجوء إلى الله ٣٢

الصلاة عُدَّة للمسلم في معركة الحياة ٣٤

الاجتهاد في مساعدة الضعفاء ٣٥

QaradawiBooks.com

أذكار وأدعية نبويَّة لعلاج الكرب والهمِّ والاكتئاب ٣٦
شروط مطلوبة لكي ينفع الدعاء ٣٩
❖ **تأجير الرحم** **٤١**
❖ **الحمل عن طريق الأنابيب** **٤٤**
❖ **اكتشاف خريطة الجينات البشرية وموقف الإسلام** **٤٦**
❖ **ثبوت النسب عن طريق البصمة الوراثيَّة** **٥٣**
❖ **حكم بنك دم الحبل السُّرِّي** **٥٧**
❖ **بنوك اللبن** **٦٢**
معنى الرضاع ٦٤
الخلاصة **٧٠**
❖ **الإجهاض بناءً على تشخيص مرض الجنين** **٧٢**
❖ **إجهاض الحمل الناشئ عن اغتصاب** **٨٤**
❖ **قتل الرحمة أو تيسير الموت للمريض** **٩٠**
قتل الرحمة (تيسير الموت) ٩٠
تيسير الموت المنفعل ٩١
تيسير الموت الفعَّال ٩٢
تيسير الموت المنفعل «بإيقاف العلاج» ٩٣
تيسير الموت بإيقاف أجهزة الإنعاش ٩٥
❖ **هل يجوز الاستنساخ في البشر؟** **٩٧**
وثبات العلم الحديث ٩٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الاستنساخ ومخاطره ٩٩
موقف الإسلام من الاستنساخ ١٠٠
الاستنساخ في عالم الحيوان جائز بشروط ١٠١
الاستنساخ ينافي التنوع ١٠٢
علاقة المستنسَخ بالمستنسَخ منه ١٠٣
مفاسد أخرى محتملة ١٠٤
الاستنساخ ينافي سُنَّة «الزوجيَّة» ١٠٤
استخدام الاستنساخ في العلاج ١٠٦

❖ **تشريح جثَّة الميِّت لدراسة الطب وكيف سيحاسب في قبره من شرحت جثته؟** **١٠٩**

❖ **عمليات التجميل** **١١٣**

❖ **تقويم الأسنان** **١١٦**

❖ **اتِّخاذ السنِّ من الذهب** **١١٧**

❖ **استعمال دواء يخفِّف ظهور الشعر** **١١٩**

❖ **علاج الوجه من حَبِّ الشباب** **١٢٠**

❖ **الإفطار بأمر الطبيب لتناول دواء الوسواس القهري** **١٢٢**

❖ **التبرُّع بالأعضاء بعد الموت** **١٢٥**

• **في السياسة والحكم** **١٣١**

❖ **الإسلام السياسي** **١٣٣**

أولًا هذه التسمية مرفوضة ١٣٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثانيًا الإسلام لا يكون إلَّا سياسيًّا ١٣٦
شخصية المسلم شخصية سياسيَّة ١٣٨
مقاومة الفساد والظلم أفضل الجهاد ١٣٩
تغيير المنكر ١٤٠
بين الحق والواجب ١٤٤
الصلاة والسياسة ١٤٦
دعوى أنْ لا دين في السياسة ولا سياسة في الدِّين ١٤٨
هل السياسة أمر منكر؟ ١٤٩

❖ الدولة الإسلاميَّة دولة مدنيَّة مرجعيَّتها الإسلام ١٥٢

❖ هل قيام الدولة الإسلاميَّة على عقيدة الحاكميَّة يعني أنَّها دولة دينيَّة؟ ١٥٨

❖ تعدُّد الجماعات الإسلاميَّة ١٦٦

❖ انتخاب الأصلح واجب شرعي ١٧٠

❖ سماحة الإسلام وعدله مع غير المسلمين ١٧٤

حقائق يجب التنبيه عليها ١٧٥
موقف الإسلام من غير المسلمين ١٧٧
أعلى درجات التسامح عند المسلمين وحدهم ١٨٢
روح التسامح عند المسلمين ١٨٤
الأساس الفكري لـتسامح المسلمين ١٨٩
وصايا نبويَّة بأقباط مصر خاصَّة ١٩١

❖ من هـم دعـاة الفـتنـة؟ ١٩٣

فما الفتنـة إذن؟ ١٩٥

QaradawiBooks.com

❖ **الخروج على الحاكم** **٢٠٠**

❖ **هل يجوز شرعًا تسيير المظاهرات السلمية الاحتجاجية؟** **٢٠٧**

١ ـ قاعدة المصلحة المرسلة ٢١٦

٢ ـ للوسائل حكم المقاصد ٢١٧

سدُّ الذرائع ٢١٩

في السُّنَّة دليل على شرعيَّة المسيرات ٢٢٠

❖ **الثورة على الحُكَّام الظلمة** **٢٢٢**

لا بدَّ أن يكون أولو الأمر من المؤمنين ٢٢٣

من هم المؤمنون في القرآن؟ ٢٢٤

أولو الأمر عند التنازع يرجعون إلى الله ورسوله ٢٢٥

الطاعة في المعروف لا في المعصية ٢٢٥

الحاكم أجير عند الأمة ٢٢٦

أولو الأمر مأمورون بأداء الأمانات وإقامة العدل ٢٢٧

الإسلام الَّذي تصوِّرُه هذه الفتاوى ٢٢٨

موقف الإسلام من الظلم والظالمين ٢٣٠

الإسلام يقف في وجه الحكام الظالمين ٢٣١

❖ **الإسلام يحافظ على حياة الأفراد** **٢٣٥**

الألغام المضادَّة للأفراد ٢٣٨

❖ **حكم الخونة المتعاونين مع الأعداء** **٢٤٠**

❖ **في مفهوم الكفر والكافر والموقف منه** **٢٤٥**

❖ **الاستعانة بالمشرك في الحرب** **٢٥٣**

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ موقف الإسلام من اتفاقيات منظمة الأمم المتَّحدة ٢٥٦
❖ لجوء الدول الإسلاميَّة إلى محكمة العدل الدولية ٢٥٨
❖ توقيع الدولة الإسلاميَّة على لائحة حقوق الإنسان ٢٦٢
❖ التنازل عن القدس خيانة لله ورسوله وللأمَّة كلِّها ٢٦٥
❖ قبول التعويض عن أرض فلسطين من أكبر الكبائر ٢٧٠
❖ السلام مع إسرائيل ٢٧٥
❖ ردُّ العلامة ابن باز
صلح الحُدَيْبِيَة كان مع قريش وهي مغتصبة لأموال المسلمين ٢٨١
❖ جهاد الدفع فرض عين واليهود معتدون ولم يجنحوا للسلم
(تعقيب على رد الشيخ ابن باز) ٢٨٥
❖ السفر لزيارة المسجد الأقصى ٢٩٥
❖ علاقتنا بإسرائيل
لا موادَّة بيننا وبين القتلة السفَّاحين ٣٠٠
❖ عداؤنا لليهود لأنَّهم محتلُّون ٣٠٤
❖ شرعيَّة العمليات الاستشهاديَّة في فلسطين المحتلَّة ٣٠٩
ما قاله الجصَّاص الحنفي ٣١١
ما قاله القرطبي المالكي ٣١٥
ما قاله الرازي الشافعي ٣١٦
ما رواه ابن كثير والطبري ٣١٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ما قاله ابن تيمية ٣١٩
ما قاله الشوكاني ٣١٩
ما قاله صاحب تفسير المنار ٣٢٠

❖ **حول دخول مسلمي الأرض المحتلة في الكنيست ٣٢٢**

❖ **فتوى بمقاطعة البضائع الإسرائيليَّة والأمريكيَّة ٣٢٧**
المقاطعة سلاح فعَّال ٣٣٠

❖ **التعامل مع الشركات الَّتي يشارك فيها الإسرائيليون ٣٣٤**

❖ **ولاة المسلمين السائرون في ركاب أعداء الإسلام ٣٣٦**

❖ **إحالة المدنيِّين للقضاء العسكري ٣٣٩**

❖ **العمل في جيش وشرطة الانقلاب، وحكم الجندي إذا أُمر بقتل من يراه بريئًا؟ ٣٤٤**

❖ **وجوب تأييد الرئيس المصري المنتخب محمد مرسي، وإبقاء الدستور، ودعوة السيسي ومن معه للانسحاب حفاظًا على الشرعيَّة والديمقراطيَّة ٣٥١**

❖ **فتوى حول وجوب مقاطعة دستور الانقلابيين ٣٥٧**

❖ **إعطاء الجنسيَّة لمن لا جنسيَّة له ٣٦٨**

❖ **الهجرة طلبًا للأمن ٣٧٢**

❖ **فرض قوانين الدولة الإسلاميَّة على الأقليَّات وحرمانهم من الوظائف ٣٧٥**
١ ـ فرض القوانين الدِّينية ٣٧٥
٢ ـ الحرمان من الوظائف ٣٧٨

QaradawiBooks.com

❖ **مواطنون أم أهل ذمة؟** **٣٨١**
١ ـ مسألة أهل الذمة ٣٨١
٢ ـ مسألة الجزية ٣٨٢
❖ **رئاسة غير المسلم للدولة المسلمة** **٣٨٤**
❖ **الأقليَّة المسلمة في الهند**
بين التعايش السلمي والردِّ بالمثل **٣٨٨**
❖ **التعامل مع الجار غير المسلم في بلد غير إسلامي** **٣٩٣**
❖ **احترام قوانين وأنظمة البلد** **٣٩٨**
❖ **أسئلة من اليابان** **٤٠٢**
المحرمات في الإسلام أنواع **٤٠٣**
مُحَرَّم لا يباح بحال ٤٠٣
مُحَرَّم لا يباح إلَّا في ضرورة ٤٠٣
محرَّم يباح عند الحاجة ٤٠٤
❖ **الدعوة إلى الإسلام بين اليابانيين** **٤٠٦**
عوائق الدعوة إلى الإسلام في اليابان ٤٠٦
بواعث الأمل في استجابة اليابانيين للإسلام ٤٠٧
وصايا مهمَّة للدعاة في اليابان وأمثالها ٤١٠
❖ **تهنئة أهل الكتاب بأعيادهم** **٤١٤**
❖ **دفن المسلم في مقبرة النصارى** **٤٢٢**
❖ **زيارة مقابر غير المسلمين من الأقارب** **٤٢٤**

غير مرخصة للطباعة
نسخة ميدان
QaradawiBooks.com

❖ ميراث المسلم من غير المسلم ٤٢٦
ترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ٤٢٩
❖ فتوى لجميع المسلمين في روسيا ٤٣٥
❖ إهداء الكافرِ الخمرَ للمسلم ٤٣٩
❖ لمس غير المسلم للمصحف ٤٤٢
❖ انخراط الأقليَّات الإسلاميَّة في الحياة السياسيَّة الغربيَّة ٤٤٤
قواعد شرعيَّة مرشدة ٤٤٥
❖ المشاركة في الأحزاب العلمانيَّة في بلاد الغرب ٤٤٩
• أسئلة حول الأسرى والسجناء في أرض العدو الصهيوني ٤٥٣
❖ صلاة الأسير أو السجين ٤٥٥
❖ قِبلة الأسير أو السجين في زنزانته ٤٥٨
❖ صوم الأسير والسجين ٤٦٠
❖ تعرض الأسير للأذى بسبب الصمود وعدم الاعتراف ٤٦٢
❖ اعتراف السجين على إخوانه تحت التعذيب الشديد ٤٦٤
❖ إضراب الأسير عن الطعام ٤٦٦
❖ طلب زوجة السجين الطلاق لسجنه ٤٦٨
❖ الحجُّ عن الأسير ٤٧٠
❖ الحجُّ عن الشهيد ٤٧٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ الأضحية عن الأسير أو السجين ٤٧٣
❖ دفع زكاة المال لأسر الشهداء والأسرى والمسجونين ٤٧٤
❖ حقوق الأسير على المسلمين ٤٧٦
❖ خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز، هل كان جاهلًا بالسياسة؟ ٤٧٨
دعوى لا أساس لها ٤٨٠
❖ حول لقاء شيخ الأزهر وحاخام إسرائيل ٤٩٢
❖ قتلى الصراع الداخلي الفلسطيني هل هم من الشهداء أو من أهل النار؟ ٥٠٢
❖ الرد على فتوى ابن جبرين الَّتي تحرم مناصرة «حزب الله»، والدعاء له في حربه ضد إسرائيل ٥٠٦
❖ حكم قتل الوزيرة الباكستانيَّة ٥١٦
❖ حول تفجيرات قطر ٥١٩

• العلم والتربية ٥٢٣
❖ شروط الدعوة إلى الله ٥٢٥
الدعوة مستويان ٥٢٦
الثقافة الدينيَّة ٥٢٧
الثقافة الأدبية واللغوية ٥٢٨
الثقافة التاريخية ٥٢٨
الثقافة الإنسانيَّة ٥٢٨
الثقافة العلميَّة ٥٢٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الثقافة الواقعية ٥٢٩
أن يكون الداعية مؤمنًا بما يدعو إليه ٥٢٩
أن يكون الداعية قدوة فيما يدعو إليه ٥٣٠
أن يخاطب الداعية كل قوم بلسانهم ٥٣٠
المدعوون ليسوا صنفًا واحدًا ٥٣١

❖ **وجوب التعلُّم وتشجيع الغير عليه ٥٣٥**

❖ **الإسلام وضع أسس النهضة والحضارة ٥٤٠**

مقومات الحضارة الإسلاميَّة ٥٤١
التخصصات العلميَّة ٥٤١
الإحصاء والتخطيط ٥٤٢
العقلية العلميَّة ٥٤٣
العمل والإنتاج ٥٤٦
الصناعات المدنيَّة والعسكرية ٥٤٧
الصحة العامة ٥٤٨
النظام الاقتصادي الإسلامي ٥٤٨
الحضارة الإسلاميَّة حضارة متكاملة ٥٥٠
تأخر المسلمين ناتج عن بعدهم عن الإسلام الصحيح ٥٥٠
التخلف ليس طبيعة الأمم المسلمة ٥٥١

❖ **تربية الأولاد في الإسلام ٥٥٢**

❖ **طلب العلم لكبيرة السن ٥٥٤**

❖ **شراء الرسائل العلميَّة ٥٥٧**

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ **خطر المدارس الأجنبيَّة** **٥٦٢**
كيف نقاوم هذه المدارس الأجنبيَّة؟ ٥٦٤
واجب الأسرة تجاه الأولاد ٥٦٥
❖ **اتِّكال الأمهات على الخادمات** **٥٦٦**
❖ **الأب ومشاكل الصغار** **٥٦٨**
❖ **حكم حصول الطالب على درجة لا يستحقها** **٥٧٠**
• **الفقـه الجنـائي** **٥٧٣**
❖ **هل استخدام الواقي الذكري يمنع الزِّنَى** **٥٧٥**
علة تحريم الزِّنَى ٥٧٦
❖ **زواج الرجل بامرأة زنى بها** **٥٧٨**
❖ **الإقرار بنسب الولد من الزِّنَى** **٥٧٩**
❖ **حكم الزاني المحصن** **٥٨١**
❖ **تعرَّضت للاغتصاب في طفولتها، فماذا تفعل؟** **٥٨٣**
❖ **زواج الرجل ابنة من زنى بها** **٥٨٥**
❖ **جريمة الزِّنَى بشقيقة الزوجة** **٥٨٨**
الزِّنَى درجات **٥٩٠**
❖ **مصير الحمل من الزِّنَى** **٥٩١**
❖ **قاتل امرأته غيلة هل يُقتصُّ منه؟** **٥٩٣**

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجارية
QaradawiBooks.com

❖ **السرقة من المعارض والأسواق الخيرية** **٦٠٠**

❖ **سرقة المعلومات المحميَّة بأرقام سريَّة، وسرقة الأموال عبر بطاقات الائتمان** **٦٠٢**

❖ **تعدُّد الكفَّارات في القتل الخطأ** **٦٠٦**

❖ **كفَّارة قتل غير المسلم خطأً** **٦٠٩**

• **متفرقات** **٦١١**

❖ **رواية «وليمة لأعشاب البحر»** **٦١٣**

بيان مجمع البحوث الإسلاميَّة بالأزهر ٦٢٠

❖ **إلى إخوتي في الجزائر توضيح وتذكرة** **٦٢٢**

موقفي لم يتغيَّر ٦٢٢

أمور لا ينبغي الخلاف عليها ٦٢٤

ما يجوز الخلاف فيه وما لا يجوز ٦٢٦

مبادئ أساسية مسلَّمة عندي ٦٣٠

لا أكفِّر مسلمًا ٦٣٠

عصمة الدماء بـ «لا إلٰه إلَّا الله» ٦٣٠

نبذ الخروج المسلح إلَّا بشروط ٦٣١

اقرأ هذه الأحاديث ٦٣٣

الحوار مع الآخر ٦٣٤

التدرج ٦٣٥

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

❖ كتابة آية قرآنيَّة على آلة الحفر التماسًا للبركة ٦٣٧

❖ الاحتفال بيوم الميلاد ٦٣٩

جواز احتفال المسلم بمناسبات معينة ٦٤٠

❖ الاحتفال بليلة القرنقعوه

وما يُرسم أو يُطبع على الحقائب والملابس من الصور ٦٤٣

• فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٦٤٩

• فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٦٧٥

• فهرس الموضوعات ٦٨٧

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية